

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

شعبة العقيدة



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

-قسنطينة-

الرقم الترتيبي.....

رقم التسجيل.....

الشيخ عبد القادر المجاوي (1848 - 1914م)

وآراؤه العقيدية والإصلاحية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العقيدة

إشراف الدكتور

بن عباس عبد المالك

إعداد الطالب

هارون الرشيد بن موسى

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الدرجة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	أ.د سعيد عليوان
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ محاضر (أ)	د بن عباس عبد المالك
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	أ.د البشير قلاتي
عضوا	جامعة قالمة	أستاذ التعليم العالي	أ.د رابح مجاري
عضوا	المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة	أستاذة التعليم العالي	أ.د مونيا زبيدة بن ميسي
عضوا	جامعة الجزائر	أستاذ محاضر (أ)	د/ليليا شنتوح

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2016-2017م

مقدمة

يرى بعض العلماء والمفكرين من أمثال ابن خلدون وابن باديس ومالك بن نبي أن مسيرة الأمم والجماعات تخضع لنظام دوري قلما تنجوا منه أمة من الأمم، فقد يسجل لها التاريخ مآثر عظيمة ومفاخر كريمة، تبقى خالدة في سجل تاريخها وتاريخ البشرية من حولها، كما تسجل عليها في فترات أخرى انتكاسات وهزائم حضارية وعمرانية وعسكرية وغير ذلك مما يعترى الأمة في آخر طور من أطوار حياتها.

والأمة الإسلامية كغيرها من الأمم خضعت لهذا القانون فقد افترنت بدايتها مع ميلاده صلى الله عليه وسلم واستمرت في الصعود إلى سقوط دولة الموحدين (1269م) - حسب رأي مالك بن نبي- والتي مثلت بداية التراجع في الدورة الحضارية للعالم الإسلامي، وقد استمرت هذه المرحلة إلى سقوط الدولة العثمانية (1927م) ووقوع بعض دوله تحت مخالب الاستعمار .

ولقد تعرضت الجزائر لأبشع استعمار وأكثره ضراوة وخطرسة عرفه العصر الحديث ألا وهو الاستعمار الفرنسي، إذ بقيت فيه بقية من الحروب الصليبية، فزيادة على استيلائه على الثروات والخيرات، استهدف روح الشعب ومقوماته، ولهذا السبب تنوعت أشكال المقاومة الجزائرية للاستعمار فعلاوة على المقاومة الشعبية المسلحة والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والمجرة من الأرض التي استولى عليها العدو، توجد المقاومة الفكرية التي تستمد مكوناتها من خصوصية المجتمع وهويته ولها أشكال كالتعليم العربي الإسلامي والعمل الفكري والأدبي والنشاط السياسي والاجتماعي والديني.

ولا تقل أهمية الثانية عن الأولى، لأن الرأي الشائع الذي انطبع في فكر العامة ولدى المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث بصفة خاصة من أن صور الرفض للوجود الاستعماري إنما تجسدت في شكل المقاومة الراديكالية فقط دون غيرها، وأن الوطني الوحيد والشهيد هو من حمل سلاحا دون غيره، حتى أننا نريد أن نسوق صورة المجاهد الوطني في ذهنية أطفالنا نرسم لهم رجلا جزائريا يحمل بندقية، بالرغم أن نسبة الذين حملوا البندقية في وجه الاستعمار الفرنسي

إبان الثورة التحريرية أقل بكثير من الذين واجهوا الاستعمار بالأساليب الأخرى كالعمل الصحفي والأدبي والسياسي والنضالي والطلابي والعلمي والتعليمي والإيديولوجي.. وهذا ليس دافعه الجبن أو مخافة الهلاك من المواجهة المسلحة وإنما هي المعركة التي تقتضي المواجهة على أكثر من صعيد...

ومن الأدلة أيضا على قيمة المواجهة الفكرية اهتمام سلطات الاحتلال بها ، فأثناء حملتهم على الجزائر لم يصطحبوا معهم المدافع والبنادق فقط ولكنهم اصطحبوا معهم أيضا المطبعة والتراجمة والمستشرقين، وأهم من ذلك كله هو أنهم جاءوا بنظمهم وأفكارهم وتقاليدهم، ومع المطبعة تأسست الجريدة، ومع التراجمة جاء نقل الأفكار من وإلى العربية، ومع المستشرقين جاءت العناية بآثار قدماء الجزائر من جهة وآثار العرب والمسلمين عامة.

وعليه فاهتمام الفرنسيين بالمسألة الثقافية الفكرية وحسمها لصالحهم هو الذي رجح الكفة لصالحهم وصنع الفارق بينهم وبين النخبة الجزائرية التي كانت تمسك بزمام الأمور آنذاك، من أمثال الأمير عبد القادر (ت1300هـ) وحمدان خوجة(1255هـ) وابن العنابي(ت1267هـ) وابن الكبابطي(....هـ) وابن رويلة(ت1272هـ)، وقد هجر أغلبهم متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم، فتركوا فراغا كبيرا في الأوساط المثقفة، وأصبحت البلاد بعدهم بدون نخبة تدافع عن مصالحها الذاتية والحضارية. لذلك سماهم أبو القاسم سعد الله بالمدرسة التقليدية (1820-1848م).

وبعد المدرسة التقليدية جاءت المدرسة المخضومة 1848-1880م، وهي من أضعف المدارس انتاجا وأقلها ارتباطا بالفكرة الوطنية وأبعدها عن الدعوة إلى النقد السياسي والإصلاح الاجتماعي، ويمثل هذه المدرسة طائفة من الكتاب والعلماء الذين جمعوا إلى التقاليد القديمة وظائف جديدة تلقوها من الفرنسيين الجدد، فعلم هذه الطائفة على مستوى بسيط لأنها لم تتدعم بنماذج معاصرة حية ولا بحركة نقدية ناهضة ولا كانت الحاجة تدعو إلى الطموح والدرية، فالوظائف المعروضة آنذاك كانت لا تستدعي سوى بعض المعارف في شؤون الفقه وبعض المبادئ في النحو والصرف والعروض، أما الشيء الضروري والمؤهل حقا فهو الولاء المطلق للسلطة الجديدة وقلة الأتباع وعدم الإتصال بالخارج ومن أعلام هذه المدرسة نذكر:

محمد الشاذلي القسنطيني (ت1294هـ)، وعلي بن الحفاف (ت1307هـ)، وحميدة العمالي (1290هـ) ..

والخلاصة أن هذه المدرسة كانت انعكاسا ثقافيا للجزائر السياسية، فبقدر ما اشتدت قبضة الاستعمار على مقاليد البلاد في جميع المجالات بقدر ما هبط المستوى الثقافي إلى الحضيض .

وقد وصفها الشيخ محمد الصالح الصديق حالة المجتمع الجزائري عامة قائلا "عاشت الجزائر في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في انحطاط فكري مهول، استبد بالنفوس جمود وخمول وخيم عليها اليأس والقنوط، فلم يبق للأمل إلا بصيص من نور يشع في أعماق بعض القلوب القوية المؤمنة، فقد أذاقها الاستعمار الفرنسي البغيض ألوانا من الجوع والخوف والتعسف، وبقي من لا يقدر على ذلك يتجرعون الغصص ويتقبلون على شوك القتاد، ويموتون موتا بطيئا في عنت واضطهاد، وكل يوم في حسابهم يساوي شهرا أو أكثر.

وربما كان هؤلاء العلماء قادرين على الفرار بدينهم وحريرتهم كما فعل الآخرون، ولكنهم فضلوا البقاء مع الشعب، يصيبهم ما يصيبه، وفي ذلك راحة للضمير، وإيثار للعذاب أو الموت في أرض الوطن مع عامة الناس"¹

ولكن هذه الحالة فقد بدأت تتغير في نهاية القرن الماضي، بفعل الأحداث التي عمت العالم العربي والإسلامي وعودة بعض الطلبة الذين تكونوا في الخارج تكويننا منفتحا على روح العصر ويتفاعل مع الواقع تفاعلا إيجابيا وعليه سميت هذه المدرسة بالمستنيرة.

وفي طليعة العلماء المستنيرين نجد الشيخ عبد القادر المجاوي والذي كان محل إجماع العديد من الباحثين²، وقد تزامنت عودته من المغرب سنة 1870م مع تثبيت الفرنسيين أقدامهم في الجزائر إذ مرت أكثر من ثلاثة عقود على عملية الاحتلال، فأدرك انعكاس سياسة المسخ و

¹ محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، دار موفم للنشر (الجزائر) 2007م، ج01، ص30-31.

² منهم (عمار طالي/آثار ابن باديس، تركي رابح/الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، عبد الكريم بوالصفاصاف/ الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبدهو وعبد الحميد بن باديس نموذجاً)

الذوبان التي انتهجها العدو على أمتة فجابجه من جنس أسلحته فانتهج المقاومة الفكرية العلمية القائمة على تنوير المجتمع الجزائري ومحاربة الآراء الدخيلة والأفكار الهدامة التي عمل الاستعمار على بثها في صفوف المجتمع الجزائري من أجل إبعاده عن تاريخه ودينه ولغته ووطنه .

فإذا كان غيره من العلماء والمفتين اكتفوا بمعارضة سلطات الاحتلال على هذه السياسة فكان مصيرهم النفي فإن الشيخ المجاوي عمل على تغيير هذا الواقع بالفعل فدعا إلى ثورة تعليمية من أجل تحقيق النهضة وكانت له آراء اجتهادية في ميادين متعددة، فهو مجتهد مكثر ومن شأن الإكثار أن يكون فيه عثار ولكنه العثار الذي لا يكبه في الخطأ على وجهه بل يقوم من عثرته سليما معافى غير متجانف لخطأ وإنما يشد أزره ويقوي صلبه حبه للحق وبغضه للزيف والباطل وغني عن البيان أن المكثرين من التأليف تقع في مؤلفاتهم الهنات والهنات، وقد تعلقت ببعضها وكشفت عن منبع الحق فبها بأسلوب لا ينقص من جلاله صاحبها فلا بد والحالة هذه من هنة تغتفر ومن تقصير يحتمل.

الإشكالية:

إن الواقع المتأزم للشعب الجزائري والظروف الصعبة والقاهرة التي يعيشها خاصة الفكرية منها، يستدعي إصلاحات جذرية تمس مختلف جوانب الحياة (عقدية، اجتماعية، اقتصادية...) وتنسجم مع الواقع الجديد ويتطلب أيضا آليات ومناهج تتناسب مع المتغيرات المستجدة.

ومن أبرز المحاولات التغييرية نجد محاولة الشيخ المجاوي فما هي أهم الآراء العقدية والإصلاحية التي طبعت فكر الشيخ المجاوي؟ ماهي الآليات والمناهج التي استعملها في سبيل تفعيل هذه الآراء وترجمتها إلى واقع المجتمع الجزائري ؟ هل اتسمت بالجددة وانسجمت مع الواقع أم كانت عبارة عن تكرار وإعادة لآراء الغير؟ إلى أي مدى نجح في تحقيق الهدف المنشود؟

أهمية الموضوع:

يكتسي الموضوع أهمية بالغة لكونه يتعلق بأحد الشخصيات البارزة التي ظهرت في فترة حساسة من تاريخ الجزائر، حيث طفت إلى السطح بعض آثار المسخ والاستلاب التي انتهجتها سلطات الاحتلال تجاه الجزائريين.

1- أهمية دراسة الأعلام وآرائهم الاعتقادية وعظم الفائدة المرجوة من ذلك، إذ تفيد الباحث من حيث قراءته لكتبهم ودراسته لأغلب المسائل العقديّة كما يستفاد بقية الباحثين من جمع آرائهم الاعتقادية وتمحيصها.

2- أهمية دراسة آراء الشيخ المجاوي على وجه الخصوص والتي تكمن في ما يلي:

أ- لكونه جزائريا ونحن أحوج ما نكون لدراسة تراثنا.

ب- تكريس المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري في صفوف النشء.

ج- كثرة مصنّفاته وتنوعها والتي عالج فيها قضايا مهمة كمسألة الكسب والاختيار،

الموقف من التصوف وعلم الكلام، تصنيف العلوم ...

د- التشابه الكبير في المواقف والرؤى الإصلاحية بينه وبين الكثير من معاصريه والذين جمعتهم كتلة المحافظين، وكذلك تأثيره الشديد في العديد من تلاميذه فمعرفة آراء المجاوي الإصلاحية يعيننا على معرفة آراء البقية.

هـ- الفترة الحساسة التي ظهر فيها والتي تزامنت مع عودته من المغرب 1870م حيث بسطت القوات الاستعمارية سيطرتها على أغلب مناطق الوطن، وهو التوقيت الذي صادف قيام جمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1940م) وهي من أطول الفترات وأشدّها على المجتمع الجزائري، فالهدف الأساسي للاستعمار في هذه الفترة هو تغيير الواقع الاجتماعي والثقافي والتربوي للمجتمع الجزائري بضرب المؤسسات الدينية والتربوية، وقد أصر على تحقيقه لكن دون جدوى.

ز- نفّض الغبار عن مؤلفاته الكلامية حتى لا يكون مصيرها العديد من المؤلفات الكلامية لعلماء جزائريين التي نسمع بها ولم نعر عليها .

3- إن ما يدبر للعالم الإسلامي من مؤامرات ومكائد، وما يعيشه من فتن وحروب وأزمات يفرض على الجزائريين المزيد من الاحتياط بعد أن حباهم الله ما حرم منه غيرهم حتى من الجيران ألا وهو الأمن والاستقرار .

وقد بذلت الدولة جهودا معتبرة في مجال تأمين الحدود والتزود بمختلف الوسائل والمعدات الحربية إضافة إلى حملات التوعية والتحسيس التي يقوم بها القادة، لكن وبالموازاة مع ذلك يجب تأمين أبنائنا فكريا بحمايتهم من الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة والتي تنشر على مواقع التواصل وفي الشبكة العنكبوتية ولا يكون ذلك إلا بالمنهج نفسه الذي سار عليه أسلافنا من أمثال المجاوي، ابن باديس، ابن مهيدي والذين تفوقوا على أعتى قوة عرفها العالم أنداك فحافظوا على الجزائر من حملة المسخ وطردها المحتل، ولهذا تصبح دراسة حياة هؤلاء الأعلام أكثر من ضرورة، لأنهم يمثلون المرجع الأصيل والمنبع الصافي، الذي به نرأب الصدع ونلم الشعث ونجمع المتفرق ونتجاوز أخطاء الماضي .

الدوافع: من الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع أذكر ما يلي:

دوافع ذاتية:

- 1- الميل الشخصي والرغبة الذاتية لدراسة المسائل العقدية.
- 2- معرفة جذور وإرهاصات الحركة الإصلاحية الجزائرية.

دوافع عامة:

- 1- إثراء الفكر الإسلامي عامة والتراث الجزائري بصفة خاصة.
- 2- تصحيح الفهم الخاطئ للكثيرين الذين يعتقدون أن الحركة الإصلاحية في الجزائر مجرد صدى للحركات التجديدية في المشرق وليس لها جذور في الداخل (الجزائر).

أهداف الدراسة:

- 1- التعريف بالشيخ عبد القادر المجاوي وبآرائه الإصلاحية والعقدية.
- 2- تحفيز الباحثين وتشجيعهم على البحث في الفكر الإصلاحي عموما وفي التجربة الجزائرية على وجه الخصوص.

3- معرفة المؤثرات التي أثرت في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
4- تقييم التجربة الجزائرية لتكون قدوة للراغبين في دراسة الإسلام بخصوصياته الجزائرية حتى يجدوا فيها البديل عن استيراد التجارب الأخرى.

5- إنصاف الشيخورد الإجحاف الذي ناله وهذا بشهادة مجلة "الشهاب" التي عابت على الأستاذ المدني خلو كتابه (الجزائر) من اسم العلامة عبد القادر المجاوي، حيث اعتبرته أبو النهضة العلمية بقسنطينة وشيخ الناس، لكن لم نجد من رجال جمعية العلماء من استدرك على الأستاذ المدني وقام بترجمة تتناسب مع قيمة الشيخ المجاوي بدءا بالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أشاد بالعديد من العلماء الذين كان لهم الفضل عليه لكنه أسقط سهوا العلامة المجاوي أستاذ شيخه حمدان الونيسي ومهيبى الجو الإصلاحى في قسنطينة، ويبقى العلامة حمزة بوكوشة الوحيد الذي حفظ ماء الوجه عندما كتب مقاله المعروف "أستاذ الجماعة الشيخ عبد القادر المجاوي"

وقد سار أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية على هذا الخط ، فبالنظر إلى مكانة الشيخ المجاوي في الجزائر كان من المفترض أن يدرج اسمه ضمن موسوعة الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله "تاريخ الجزائر الثقافي" لكنه خلى منها بالرغم من أن اسمه الأكثر تداولاً في فهرس الأعلام، ونجده في كتاب محاضرات في تاريخ الجزائر يكتب عن الشيخ ابن الموهوب بنوع من المبالغة ثم يستدرك ويقول كان من المفترض أن تكون لشيخه المجاوي.

وتبقى ترجمة الشيخ محمد علي دبوز في كتابه " نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" الرائدة في نظرنا لكنها طفا عليها نوع من الإعجاب الزائد فأفقدتها الموضوعية.

المنهج المتبع:

اعتمدت في هذه الدراسة على المناهج التالية:

المنهج التاريخي: وذلك أثناء استعراض الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية والثقافية والسياسية، مراعيًا في ذلك كل ما له علاقة بالموضوع.

المنهج التحليلي: لدراسة الوقائع ومناقشتها واستنتاج الأحكام منها.

المنهج المقارن: لمقارنة أعمال الشيخ المجاوي بغيره.

المصادر والمراجع

وتتمثل في جملة ما كتبه الشيخ مثل (القواعد الكلامية) تحفة الأختيار في ما يتعلق بالكسب والاختيار، ويليها (شرح منظومة البدع لتلميذه ابن الموهوب)، (المرصاد في ما يتعلق بمسائل الاقتصاد)، (شرح تحفة المريدين للمنزلي)، مجموعة رسائل في التربية منها (إرشاد المتعلمين)، مجموعة من المقالات منشورة في بعض المجلات مثل (كوكب إفريقيا)، (الإقدام) (المغرب) وكذلك ما كتب عنه من طرف بعض المؤرخين مثل كتاب محمد علي دبور (نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة) وكذلك كتب لآلان كريستلو (حول بداية النهضة الجزائرية) - مجلة الثقافة - وكذلك كتب التراجم مثل (تعريف الخلف برجال السلف) لأبو القاسم الحفناوي و(معجم أعلام الجزائر) لعادل نويهض ومحمد الصالح الصديق (أعلام من المغرب العربي) وجيلالي صاري (بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950) وكت ، دون أن ننسى الإصدار الأخير لحفيدتهسمية أولمان: دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه " إرشاد المتعلمين " في الصمود الفكري بالجزائر وقد ركزت في على الدور التربوي للشيخ من خلال كتابه السالف الذكر.

كما اعتمدت على بعض الكتب الكلامية أثناء تطرقنا لدراسة آرائه العقدية مثل (اللمع) للأشعري و(الإرشاد) للجويني و(إشارات المرام) للبياضي و(نهاية الأقدام) للشهرستاني....

الدراسات السابقة:

الرسائل الجامعية:

هناك ثلاث رسائل جامعية تخص الشيخ الأولى بعنوان: (الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1848م-1914م) مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، إعداد دريادي حميدة، إشراف الأستاذ بن عدة عبد المجيد، جامعة الجزائر، (2011م-2012).

وقد تطرقت فيها الباحثة إلى بعض مجالات الإصلاح عند الشيخ المجاوي لكنها لم تتطرق إلى آرائه العقدية ولا إلى موقفه من التصوف، ولا إلى آرائه في الاقتصاد السياسي.

والأمر نفسه ينطبق على رسالة أخرى بعنوان (العلامة عبد القادر المجاوي من راد الحركة الإصلاحية في الجزائر) رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية فرع علم الاجتماع ، تخصص ثقافي، من إعداد لعمامري عقيلة، إشراف الأستاذ محفوظ سماتي ، جامعة الجزائر 2005-2006م.

والثالثة تحت عنوان (منهج الشيخ عبد القادر المجاوي (ت1914م) في شرح المنظومات والشواهد النحوية) إعداد الطالب بعباع عثمان، إشراف الدكتور مختار بوحنان وهي خاصة بأعماله الأدبية وهو جدير بذلك نظرا لاهتمامه البالغ باللغة ولذلك كثرت تأليفه وتنوعت....

الملتقيات:

أعمال الملتقى الوطني(الشيخ عبد القادر المجاوي) أيام 2-3 محرم 1433 هـ الموافق 27-28 نوفمبر 2011م بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.

وقد تطرق فيه المتدخلون إلى جملة من مجهودات الشيخ في الإصلاح الاجتماعي والتربوي والاقتصادي، لكن آراؤه العقديّة وموقفه من التصوف لا نجد لها أثر في هذا الملتقى، ويمكن إرجاع ذلك إلى ندرة كتابيه (القواعد الكلامية) و(مواهب الكبير المتعال) والذي حال دون ولوج الباحثين إليها ولعل الدكتور عمار طالبي هو الوحيد الذي أشار إلى بعض منها في مقدمة كتابه (آثار ابن باديس) لذلك حاولت أن أستدرك قدر الإمكان وأسد النقص الذي وقع فيه غيبي في التعريف بمجهودات الشيخ في الإصلاح.

الصعوبات:

من توفيق الله عز وجل أنه لم تعتريني صعوبات كثيرة في إنجاز هذا البحث غير أن هذا لا يعني أنها منعدمة تماما ومن بين العوائق التي عانيت منها أذكر:

- تشعب البحث وتفرع جزئياته وذلك راجع لتبحر الشيخ في مختلف العلوم والفنون.

- صعوبة التوفيق بين التدريس في الثانوية وإنجاز البحث.

- قلة الإمكانات من أجل السفر والبحث عن تراث الشيخ خاصة ونحن نعلم أنه مكث وقتا ليس بالقليل في المغرب إضافة إلى تونس وفرنسا، أو ما تعلق بجزئياته مثل تراث مصطفى بن الكبابطي الذي تكلمنا عنه لكن خانتنا المصادر للعلم أنه عاش منفيا بمصر .

4- لم يكن الشيخ المجاوي يؤلف بصفة المتكلم أو الفيلسوف، بل بصفة المعلم، لذلك غلب عليها الاختصار بغية تقريب المعلومات إلى أذهان التلاميذ، فمعظم تأليفه عبارة عن كتيبات وهذا ما لا يتماشى مع طبيعة بعض العلوم خاصة علم الكلام الذي يتطلب الإسهاب والتفصيل، لذلك أتى كتابه القواعد الكلامية مبتور من العديد من المسائل التي دأبت عليها مصنفات علم الكلام، فباستثناء مبحث الإلهيات الذي استطعنا أن نفرده بفصل خاص لأنه تطرق لأغلب المباحث المتعلقة بذلك كالمعرفة العقديّة وإثبات وجود الله والصفات الإلهية، الرؤية، الكسب والاختيار الذي أفرده بمؤلف خاص وهذا ما لم نجده في مبحث النبوات ؛ حيث لم نجد للشيخ المجاوي حديثا عن النبي والرسول ومتعلقتهما، ولا عن التفاضل بين الأنبياء ولا عن العصمة ولا حديث عن المعجزة و الكرامة والفرق بينهما... واضطرنا ذلك إلى استنتاج آرائه استنتاجا، وقد صعب علينا هذا الأمر تقسيم الخطة فأنت على غير عادة الرسائل التي تطرقت للمسائل العقديّة .

منهجية البحث: تتضح منهجية عملي التي سلكتها في بناء هذه الرسالة في النقاط التالية:

قمت بجمع أقوال الشيخ في المسائل المتعلقة بالإلهيات وغيرها من المسائل العقديّة عن طريق الاقتباس المباشر أو عن طريق الاستنتاج، وقد لا يكون للشيخ رأي مباشر يعبر من خلاله عن موقفه في المسألة فأضطر إلى عرض الأقوال جميعا وأترصد ما كتبه الشيخ علي أجد ما يتسنى لي من خلاله أن أصنف الشيخ إلى أي مذهب يمكن أن يصنف .

وأهم الخطوط العريضة لعملي في هذا البحث هي:

1-تقسيم الخطة كان على غير المعتاد أي باجتهادي الخاص على حسب المادة المتوفرة، حيث لم أدرج النبوات لقلة المادة العلمية فيها.

2- أحيانا ينقل الشيخ من كتب دون أن يذكر المصادر فأضطر إلى العودة إلى المصدر وأميز بين رأي الكاتب الأصلي وتصرف الشيخ ونجد هذا في كتابات الشيخ فقد نقل الشيخ محمد عبده من كتابه " رسالة التوحيد" في مبحث تاريخ التوحيد مع تصرف بسيط.

كما اقتبس من كتاب الغزالي " الاقتصاد في الاعتقاد " في مطلب العقل وارتباطه بالشرع كما اقتبس أيضا من كتاب " معالم في أصول الدين" لعبد العزيز الثميني الإباضي في إبطال ما ذهب إليه الفلاسفة من أن العالم موجود بالعلة أو الطبيعة، ونجد في حديثه عن علامات أهل السنة ينقل عن الإمام الطحاوي في عقيدته إضافة إلى " شرح العقائد النسفية" لسعد الدين التفتازاني.

وفي التفرقة بين الأشاعرة والماتريدية نجد ينقل عن العلامة عبد الرحيم بن علي الشهرير بالشيخ زادة الحنفي من مؤلفه " نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية و الأشاعرة في العقائد"

فالشيخ زادة جمع المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية في أربعين مسألة ذكرها الشيخ المجاوي في خاتمة كتابه " القواعد الكلامية " مع تصرف بسيط.

وأحيانا يتبنى الشيخ بعض التعاريف والأقوال أو حتى الفتاوى فأتعامل معها كما أنها لو كانت له.

والأمر نفسه بالنسبة لشروحه فقد شرح منظومة للإمام المنزلي القادري في التصوف وأيدها تأييدا كاملا ولم يعترض ولو على جزئية من جزئياتها، كما شرح أيضا منظومة لسيدى مصطفى بن عبد الرحمن باشتارزي والتي كانت بطلب من ابنه سيدى عبد الرحمن باشتارزي.

3- عزوت الآيات القرآنية في المصحف الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع التزامي بكتابتها على وفق الرسم .

4- خرجت الأحاديث النبوية الواردة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، أما إن كان في غيرهما خرجته من بقية كتب الحديث الأخرى وأوردت كلام أهل الفن في الحكم عليه صحة وضعفا.

5- عزوت بعض الآثار إلى مصادرها الأصلية، وما لم أجده فيها بعد البحث أذكره عن طريق الوساطة، وقد أتبع ذلك بالحكم عليه صحة أو ضعفا إن تيسر ذلك.

6- عند النقل من أي مصدر أو مرجع أذكر جميع المعلومات المتعلقة به إذا كان المصدر واحدا، أما إذا كانت متعددة فاكتفي بذكر اسم الكاتب والكتاب والصفحة، أما بقية المعلومات فأذكرها في الفهرس .

7- ترجمت للأعلام غير المشهورين الواردة أسماؤهم في البحث أو الذين لهم علاقة به فلم أترجم للصحابة ولا للأعلام المشهورين كالأئمة الأربعة وغيرهم كأبي الحسن الأشعري والباقلاني وابن تيمية...

خطة البحث :قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول: الشيخ عبد القادر المجاوي عصره وحياته: وقسمته إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: عصره : وضحت فيه الوضع السياسي والفكري والاجتماعي والديني الذي امتاز به هذا عصر الشيخ المجاوي، ورد فعل الجزائريين بداية من السنوات الأولى من الاحتلال حيث عبروا عن رفضهم المطلق لهذه السياسة خاصة ما تعلق منها بمصادرة الأوقاف الإسلامية، والتي تم على إثرها اعتقال كل من المفتيين ابن العنابي ومحمد بن الكبابطي.

أما المبحث الثاني: ففصلت فيها في حياة الشيخ المجاوي كونه موضوع الدراسة والتي اشتملت على نسبه مولده تعليمه شيوخه وظائفه تلامذته آثاره عوامل نبوغه وفاته .

أما المبحث الثالث: تطرقت فيه إلى مصادر الاستدلال عند الشيخ المجاوي والمتمثلة في القرآن الكريم و السنة وكذلك الإجماع و العقل والفطرة.

الفصل الثاني: الآراء العقديّة للشيخ المجاوي: وقسمته إلى ست مباحث:

المبحث الأول الشيخ المجاوي وعلم الكلام (المبادئ العشر لعلم التوحيد)، أما الثاني فخصصته للحديث عن الإيمان والإسلام عنده ، أما الثالث فلمذهبه في الصفات، وأما الرابع والخامس والسادس فللكسب والاختيار ، وأما الأخير فيتعلق بالرؤية.

الفصل الثالث :الآراء الإصلاحية للشيخ المجاوي: وقد احتوى على أربعة مباحث :

المبحث الأول: الشيخ المجاوي والتصوف، أما الثاني فيتعلق بآرائه في (في التصريف في الكون (الكرامة) التوسل، التبرك)، والثالث لجهوده في المجال الاجتماعي، والرابع فخصصته لآرائه الاقتصادية ، كما تطرقت لتقييم التجربة الإصلاحية عند الشيخ.

وفي الأخير دونت أهم النتائج التي توصلت إليها في الخاتمة.

الفصل الأول : عصر الشيخ عبد القادر المجاوي وترجمته
ومصادره في الاستدلال على العقيدة.

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : عصر الشيخ المجاوي.

المبحث الثاني: ترجمته.

المبحث الثاني: مصادره في الاستدلال على العقيدة.

إن دراسة أية شخصية والحكم على مواقفها وآرائها لا يكون بمعزل عن الواقع الذي عايشه وعصره فإذا كان القاضي ينظر في الملابس والظروف قبل الحكم على الفعل، فكذلك الباحث يجب عليه الإلمام بواقع الشخصية المراد دراستها حتى يكون منصفاً في الحكم عليها.

وقد عاش الشيخ المجاوي في فترة عرفت كثيراً من التغييرات والتعقيدات سياسياً وثقافياً واجتماعياً، ولذا يجدر بنا كشف اللثام عن الواقع الذي عايشه قبل الخوض في آرائه.

المبحث الأول: الواقع السياسي والفكري

كانت النية المبيتة للاحتلال الفرنسي الغاشم هي الاحتفاظ بالأرض الجزائرية إلى الأبد، وقد سخر من أجل تحقيق هذا المسعى جميع الإمكانيات والسبل، وقد سبقت الإشارة إلى قيمة مواجهة الفكرية وأهميتها عند سلطات الاحتلال والتي تهدف أساساً إلى القضاء على مبادئ ومقومات المجتمع الجزائري، لأن هذه المبادئ هي التي تدعوهم إلى الثورة ومعارضة الأجنبي كما أنها تزودهم بقوة روحية يصعب على أعتى القوات هزيمتها.

ومن أجل تجسيد هذا الغرض بذلت سلطات الاحتلال جهوداً معتبرة في جميع الأصعدة والميادين السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية.

المطلب الأول : الواقع السياسي

انطلاقاً من فكرة أن الجزائر فرنسية وأن الجزائريين غرباء عنها شرع المحتل الغاشم في غرس هذا المبدأ في نفوس الجزائريين والذي تجلّى سياسياً في عدة نقاط أهمها :

1 - سياسة الرعب والإبادة: ركزت سلطات الاحتلال على هذه السياسة كثيراً ونالت الحظ الأوفر من اهتمامات القائمين على الجمهوريات الفرنسية المتعاقبة¹، وهذا حتى لا يفكر

¹ - محمد مالكي ، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت (لبنان) ط2، 1994 ، ص168.

الجزائريون في الثورة والخروج على سلطتها والرضى بالواقع المحتوم ولم يجدوا حرجا عن البوح بها فقد جاء على لسان (سانت ارنو- saint arnaud) : " نحن الآن في جهات مليانة وشرشال وإننا قلما نطلق نار بنادقنا ، بل إننا نحرق كل الخيام وكل القرى والأكواخ وندمر المغاور فيفر العدو أمامنا آخذنا معه قطعانه ، إن بلاد بني مناصر¹ جميلة جدا وهي أغنى بلاد رأيتها في إفريقيا الشمالية لقد أحرقناها كلها ودمرناها تدميرا ."²

وهذا الكولونيل (دومونتانيك- domontanyak) يقول: " لا يمكن تصور الرعب الذي يستولي على العرب حين يرون قطع الرأس بيد مسيحية ، فأنا أدركت ذلك منذ زمن بعيد ، وأقسم لك أنه لا يفلت أحد من أظفاري حتى يناله من قطع رأسه ما ينال ، وقد أنذرت بنفسي جميع الجنود الذين أتشرف بقيادتهم ، أنهم لو أتو بعربي حي لاختلت عليهم ضربا بعرض نصل سيفي ."³

وهذا الجنرال (بيجو- bugeaud) يصرح قائلا " ولقد أرسلنا إلى ساحات التعذيب والتنكيل والإعدام لمجرد الشك رجال لم تثبت إدانتهم ولم تجر محاكمتهم وذبحنا جماعات بصورة جماعية ، ثم ظهرت براءتهم ووجد منا قضاة لم يتورعوا عن محاكمة رجال مشهورين بسمعتهم الطيبة، لأن شجاعتهم جعلتهم يأتون إلينا ويقفون أمام غطرستنا متوسلين لإنقاذ مواطنيهم المساكين، ووجد منا رجال لم يحجموا عن تنفيذ حكم الإعدام فيهم ، وألقينا في غياهب السجون المظلمة رؤساء القبائل بالرغم مما قدمته قبائلهم لنا من ملاجئ ومؤن ."⁴

¹ مناصر أو بني مناصر (Marçeau) : هكذا سماها الفرنسيون على أحد جنراتهم السفاحين، وهي بلدة صغيرة تابعة لدائرة سيدي اعمر (ولاية تيبازة) و هي مركز قبيلة بني مناصر الأمازيغية (من فروع مغراوة) . كانت تحت قيادة الشريف البركاني (من الأشراف الخطايين) خليفة الامير على التيتري.

² - عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) د.ط، د.ت، ج 04 ص 256-257.

³ المرجع نفسه ، ص 257.

⁴ عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج 04 ، ص 261.

2- تشجيع حركات الاستيطان: قامت قوات الاحتلال بتشجيع هجرة الأوروبيين نحو الجزائر واستمرت في هذه السياسة في جميع مراحل حكمها للجزائر، أي في عهد الجمهورية الأولى (1830-1848م) أو في عهد الجمهورية الثانية (1848-1852م) أو في عهد الإمبراطور نابليون الثالث (1852-1870م).

ويعتبر (كلوزيل - clausel) أكثر الضباط الفرنسيين تحمسا لسياسة الاستعمار والاستيطان الأوروبي بالجزائر ، لأنه عاش بعض الوقت في أمريكا الشمالية وشهد هناك تجارب لأجلو سكسون في عمليات الاستعمار وتجهيز الاستيطان الأوروبي ، وتوهم أن تلك التجارب ستنجح في الجزائر كذلك¹ ، فقد أسس كلوزيل شركة فلاحية أطلق عليها اسم (المزرعة التجريبية الإفريقية) وشجع الجنود للحصول على أسهم فيها كما سيطر على مساحات زراعية في ضواحي مدينة الجزائر، واستولى على أملاك الأوقاف وذلك بموجب قرار صدر في 21 سبتمبر 1830م نص صراحة على مصادرة أملاك الأوقاف والبايلك ومنحها للمعمرين الأوروبيين، وقد كللت سياسته (الاستيطان الحر) بفشل ذريع في استقطاب أعداد كبيرة من المستوطنين مما جعل الإدارة الاستعمارية تلجأ إلى نوع جديد من الاستعمار اصطلح على تسميته بالاستيطان الرسمي الذي تشرف عليه الدولة نفسها، لذا ارتبطت هذه المرحلة بشخصية (بيجو bugeaud) الذي عين حاكما على الجزائر بتاريخ 20 ديسمبر 1840م، وقد طبق سياسة "المحراث والبندقية" ومضمونها تشجيع الجنود على الاستقرار وممارسة الفلاحة مع الاستعداد التام لمواجهة أي خطر يهددهم ، وقد أثبتت هذه السياسة فشلها أيضا فمن بين ثلاثمائة جندي وضابط تحصلوا على مساحات زراعية لم يبق منهم إلا ستون جنديا . غير أن بيجو استطاع جلب عدد كبير من المدنيين².

¹ -بيجو بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م-1954م، دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2009 ، ص08.

² أ- بوشناني محمد ، آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري ، مقال منشور في حوليات التاريخ والجغرافيا مقال منشور في حوليات التاريخ والجغرافيا مقال منشور في حوليات التاريخ والجغرافيا مجلة محكمة تصدر عن مخبر التاريخ والجغرافيا

وواصلت سلطات الاحتلال نفس السياسة في عهد الجمهورية الثانية التي اهتمت بأمر التهجير والاستيطان الأوروبي، ووضعت خطة لتهجير مائتي ألف أوروبي إلى الجزائر في ظرف عشر سنوات خاصة المشاغبين وذوي السوابق مع منحهم تسهيلات لتمليك الأراضي¹ ، والذين عبروا عن أبشع مظاهر حب الذات والسطو على حقوق الإنسان بالسلب والنهب بكل الوسائل الجهنمية حيث مارسوا ضغوطا على جميع الحكومات منذ عام 1830م للحصول على مزيد من الأراضي وانحصر الأهالي في الجبال والوهاد.²

بل لم يسلم منهم حتى القواد والأغوات والخلفاء من الأهالي الذين وضعتهم فرنسا من أجل في إطار ما يسمى بالسياسة العربية من أجل المحافظة على طاعة السكان وجباية الضرائب منهم ومراقبة تحركاتهم، لكنهم تحولوا بمرور الزمن إلى حكام حقيقيين في الجزائر إذ ربطوا إليهم الأهالي بوسائل مختلفة فحقد عليهم المستوطنون الأوروبيون وشنوا ضدهم حملات من التشنيع تطفح بالحقد والكراهية امتد تأثيرها إلى فرنسا نفسها.³

ولكم نتصور فرحتهم حين سقطت الإمبراطورية الثانية بزعامة نابليون الثالث وذلك عام 1870م والتي كانت تتميز بالحكم العسكري فأعقبتها الجمهورية الثالثة التي نقلت السلطة من يد المكاتب العربية والعسكريين إلى يد الأوروبيين المدنيين بصفة نهائية فجاء (ألبار قريفي- albert gravity) كحاكم عام مدني ، وكان أول قرار له هو منح الحكم المطلق للأوروبيين،⁴ والذي صدر في شكل مرسوم يوم 29 مارس 1871م وأهم ما جاء فيه :

التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر) العدد الثالث خاص بأعمال الملتقى الوطني الثاني حول: مظالم الإستعمار الفرنسي في الجزائر- الذي احتضنته المدرسة العليا للأساتذة يومي 17-18 أبريل 2007م، ص106.

¹ - أ- بوشناني محمد ، آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري، (مرجع سابق) ص15.

² - صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962م) دار العلوم للنشر والتوزيع (الجزائر) ص216 .

³ - يحي بوعزيز سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية ، ص 13.

⁴ - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، ص218.

- تقسيم الجزائر إلى إقليمين : شمالي مدني وجنوبي عسكري.
 - يحكم الإقليمين حاكم عام مدني واسع السلطات يخضع رأسا لوزير الداخلية .
 - يتم إنشاء مجالس بلدية وعمالية وفق ما يجري في فرنسا.
 - يحق للمستوطنين الأوروبيين انتخاب 09 نواب في البرلمان و03 في مجلس الشيوخ¹.
- ومن دون شك أن الامتيازات التي تحصل للمستوطنين تكون على حساب الأهالي أو السكان الأصليين الذين لم يجدوا من وسيلة يعبرون بها عن امتعاضهم وتذمرهم من هذه السياسة الجائرة سوى القيام ببعض الثورات الشعبية مثل: ثورة المقراني والحداد سنة 1871م في الشمال الشرقي ، ومحي الدين وأولاد خليفة بالشرية بتبسة، وأولاد عيدون في الميلية سنة 1871م.

واتخذت إدارة الاحتلال تلك الثورات كوسيلة لتفرض على الجزائريين المزيد من العقوبات كمصادرة الأراضي وفرض الغرامات والقوانين الجائرة².

ومنه يتبين لنا أن سياسة الاستيطان الأوروبي حظيت باهتمام بالغ من طرف الفرنسيين، طيلة فترة تواجدهم بالجزائر، فعلى امتداد الفترة الفاصلة بين صدور مرسوم 1844م وسنة 1885م انتزعت سلطات الاحتلال الفرنسي رسميا ما يقارب 51089 هكتار من الأراضي، كما أقامت أكثر من 107 قرية استيطانية ورقم من هذا الحجم ليس حدثا عاديا في تاريخ الجزائر حيث شكلت الأرض كقيمة ومقوم وازن في مسيرة تكوين هوية الجزائريين³ ، وكيف لا وهو أحد مقومات الحضارة وترجع قيمته لأنه مصدر حياة الإنسان وبه ترتبط الثروة الحيوانية والنباتية

¹ - يحي بوعزيز (مرجع سابق) ص 34.

² المرجع نفسه، ص 35.

³ - محمد مالكي (مرجع سابق) ص 137.

، ومن علامات رقي الأمم أو انحطاطها فحيثما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط والعكس ، لذلك أوصى المفكر مالك بن نبي باستغلاله أحسن استغلال.¹

واعتماد الفرنسيين على هذه السياسة راجع لكونها تتماشى مع مخططاتهم التي تهدف إلى إيجاد شعب أوروبي في الجزائر يرضى بوجودهم ويوافقهم في المبادئ والأهداف ، أما الأهالي أو السكان الأصليين فلا يدخلون في حسابات المستعمر ولا المستوطن لذلك كان مصيرهم الإبادة إن لم يرضو بشروط المستعمر أو الموت بين مخالف الفقر والمرض.

وعملية الاستيطان غالبا ما يتبعها إحلال قيم وأفكار ونظم جديدة مكان نظم وقيم وأفكار سابقة وهذا من شروط مضاعفة الدول الاستعمارية لقوتها المادية وتوسعها الجغرافي ، بالتوازي مع نفوذها المعنوي وتدعيم سلطاتها السياسي فالاستعمار لم يستهدف الأرض الجزائرية فقط وإنما استهدف الإنسان الجزائري الذي يقطن هذه الأرض بالأساس.²

وعليه فإن الحديث عن الواقع السياسي يقودنا إلى الحديث عن الواقع الفكري

المطلب الثاني : الواقع الفكري:

من المجالات المهمة التي عول عليها الاستعمار كثيرا بغية تجسيد مشروعه الأساسي ألا وهو ضرب مقومات المجتمع الجزائري ، فقد اعتبر بعضهم أن فرض فرنسا سلطتها على الجزائريين بالقوة والعنف قد يكون حلا مؤقتا ، وأن الحل الجذري يكمن في بسط نفوذها على سكان البلاد بإدماجهم في ثقافتها وديانتها بطرق سلمية ، واعتبر هؤلاء أنه ليس هناك من وسيلة

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، طبع دار الفكر (دمشق) ص132 .

²Guy preville les étudiants algériens de l université française 1880-1962

centre national de la recherche scientifiave paris 1984 p75.

لبلوغ ذلك ، سوى قيام مدرسة فرنسية تتماشى مع الواقع المعاش للفرنسيين ، حسب ما ينظر إليه منظرو الاستعمار في الجزائر¹.

وقد اتخذت سلطات الاحتلال من المدرسة الفرنسية والتبشير بالمسيحية وسيلتين لبلوغ أهدافه فالتقضية بالنسبة إليه ليست قضية الاستحواذ على أرض الوطن وممتلكات أهله والهيمنة على اقتصاده ، إنما تكمن في إدماج الأهالي في المجتمع الفرنسي روحيا وثقافيا وفكريا أي خلق عائلة غربية مسيحية تعيش مثل العائلة الأوروبية ،² وفي ذلك يقول محمد مالكي: "فالاستعمار الذي حتمت ميلاده شروط تطور النظام الرأسمالي وضروراته بل وقوانينه في التوسع والاستمرارية لم يستهدف إعادة هيكلة الاقتصاد والمجتمع ليغدوا قابلين للاندماج ضمن آلياته فحسب ، بل حرص أيضا على اعتماد المساس بهوية المغاربة وشخصيتهم التاريخية أداة لتثبيت حركته وترسيخ قيمه."³

ولمعرفة مدى نجاح سلطات الاحتلال في تنفيذ في المجال الفكري نلجأ إلى عرض واقع التعليم قبل الاحتلال وبعده لنعرف الفرق.

واقع التعليم قبل الاحتلال: يمكن الحديث عنه من خلال ما يلي:

أ- انتشاره : كان التعليم منتشرا في العهد العثماني لدرجة لم يرتح إليها غلاة المستعمرين ، والسبب في ذلك هو كثرة المؤسسات الدينية وانتشارها مثل الزوايا والمدارس والمساجد

¹ عمار هلال ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م) ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) ص109.

² - المرجع نفسه.

³ - محمد مالكي (مرجع سابق) ص 142.

والمكتبات والتي لم يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف ، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية وفي الجبال النائية.¹

وقد زاوجت هذه المؤسسات في مهمتها بين التعليم وتلقين مبادئ الدين الإسلامي ، فقد وجد الفرنسيون بتلمسان لوحدها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي ، والأمر نفسه بالنسبة لقسنطينة الذي وجد بها تسعين مدرسة ، أما التعليم الثانوي والعالي فقد وجد الفرنسيون بها سبع مدارس ، أما في العاصمة فقد كان بها حوالي مائة مدرسة ما بين ابتدائية وغيرها.²

ب- طبيعته: إن التعليم الذي كان منتشرا في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي هو التعليم العربي الإسلامي التقليدي الموروث عن علوم وتراث ومعارف العصور السلامية الاجتهادية والتقليدية معا ، ويتركز موضوعه أساسا على دراسة العلوم العربية واللغوية والأدبية والعلوم الدينية بالإضافة إلى بعض العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والحساب والفلك والجغرافيا.³

ج- أماكنه: كانت الكتاتيب القرآنية والجوامع والمساجد والرباطات والزوايا والمدارس التي كان قد بلغ عددها قبل الاستعمار حوالي ألفي مدرسة، بالإضافة الى اشتهار حواضرها العلمية الثلاث الشهيرة (تلمسان ، بجاية، قسنطينة) بكثرة طلابها وعلمائها ومكتباتها وكتبها.⁴

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص274.

² المرجع نفسه، ص276.

³ نفسه، ص 276.

⁴ تركي رابع. ابن باديس . رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط04، 1881م، ص124. بتصرف.

د-مراحله: لم تكن مراحل التعليم متميزة كما هو عليه الحال الآن وإنما كانت متداخلة بعضها بعضا وبصفة عامة كانت هناك مرحلتان :

أولا : المرحلة الابتدائية : وقد كان الأطفال يزولون تعليمهم في الغالب في الكتاتيب القرآنية التي يطلق عليها في لهجة العامة الجزائرية (المسيد) أو في المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد ، وإما في الزوايا .

ثانيا: التعليم الثانوي أو العالي : فقد كان يزاول في بعض المدارس التي بناها محبو العلم وأنصاره من الحكام والأعيان وذوي البر والإحسان مثل مدرسة سيدي أيوب ومدرسة حسن باشا في العاصمة، ومدرسة سيدي الكتاني¹ بقسنطينة، ومدرسة مازونة² في الغرب الجزائري ذات الشهرة البعيدة ومدارس تلمسان وبجاية، إلى جانب بعض الزوايا والمساجد التي كانت تنهض بوظيفة التعليم أيضا.³

¹ تأسست هذه المدرسة بمدينة قسنطينة على يد صالح باي في سنة 1189هـ/ 1775م تبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني (ت490هـ)، ولقد أدت دورا بارزا في مجال الوعي الديني والثقافي وبعد الاستقلال حولت إلى معلم لتكوين المعلمين والمرشدين.

انظر: محمد السعيد قاصدي المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان مجلة عصور الجديد ع18 عدد خاص بقسنطينة صيف أوت 1436هـ-2015م، ص155 بتصرف.

² أسست سنة 1029هـ على يد العلامة الفقيه محمد بن الشارف البولودي وقد اشتهرت منذ تأسست بتخصصها في العلوم والمعارف والدراسات الفقهية.

انظر: حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران ، إعداد الطالب أحمد مجري-إشراف أ.د محمد بن معمر.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص127-128.

ه برنامج التعليم: يشمل ما يلي:

- أصول الدين : رسائل السنوسي¹ ، والجوهرة للقاني² ، بشرح ولده عبد السلام ، والعقائد النسفية بشرح التفتازاني³ .

- النحو: متن الأجرومية ، بشرح الكفراوي⁴ ، ثم متن القطر لابن هشام⁵ ، ثم ألفية ابن مالك بشرح المكودي⁶ وابن عقيل⁷ .

- التفسير : الجواهر الحسان في تفسير القرآن لسيدى عبد الرحمان الثعالبي¹ (ت875).

¹ تتمثل هذه الرسائل في العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى.

من الحواشي على الكبرى: حاشية الحسين اليوسي ومحمد الدسوقي واسماعيل الحامدي.

العقيدة الوسطى: شرحها ابراهيم السرقسطي ومصطفى الرماصي والحسين الورتلاني.

العقيدة الصغرى: شرحها محمد الملاي وعبد الرحمن الأخضرى وسعيد قدورة ويحيى الشاوي.

² ابراهيم بن ابراهيم بن علي بن عبد القدوس اللقاني المالكي المصري توفي سنة 1041هـ-1632م.

انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين ط15، 2002 م ، 28/1 .

³ سعد الدين التفتازاني السمرقندي الحنفي (722-792) عالم مسلم وفقهه ومتكلم ونحوي.

انظر : عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة (بيروت) 1414هـ-1993م (12-228)

⁴ حسن بن علي الكفراوي الأزهري الشافعي (ت1202هـ-1788م) نحوي وفقهه ومحدث مصري من بلاد كفر الشيخ من أكبر نخاة مصر وبلاد الشام.

انظر : عبد الكريم الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الريان الطبعة الأولى ، ص140-241 .

⁵ هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (708هـ-761هـ)

انظر : السيوطي، بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط02، بيروت ، دار الفكر بيروت 1399هـ-1979م، ص68.

⁶ هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي إمام النحاة في زمانه وأعلمهم باللغة ينتمي إلى قبيلة بني مكود وهي إحدى قبائل هواراة الذين يقطنون فيما بين فاس وتازة.

انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ، 318/3.

⁷ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي بماء الدين (694-769هـ) ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب كان عالما بالنحو ، ولد وتوفي بالقاهرة.

انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج، 02ص47.

- **القراءات** : الشاطبية ، وغيث النفع لأبو الحسن النوري الصفاقسي² (ت118هـ).
- **الحديث** : موطأ الإمام مالك بشرح الباجي³ (ت474هـ) والزرقاني⁴ (ت1122هـ)، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني⁵ (923هـ) .
- **مصطلح الحديث** : متن البيقونية بشرح الزرقاني .
- **الفقه** : المرشد المفيد بشرح ميارة الفاسي (1072هـ)⁶ ، متن رسالة أبي زيد القيرواني¹ بشرح أبي الحسن² ، ومتن خليل³ (ت776هـ) بشرح الدردير⁴ (ت1201هـ) وشرح الخرشبي⁵ (ت1101هـ) .

¹ عبد الرحمن الثعالبي هو مفسر، فقيه مالكي صوفي، ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة. ولد بالجزائر موطأ آبائه وأجداده الثعالبة، وهو أحد أعلام الأشاعرة المالكية في القرن التاسع الهجري. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج01، ص74-75.

² أبو الحسن علي النوري الصفاقسي (1053 هـ = 1118 — 1643 م = 1706 م) هو العلامة المقرئ الفقيه المالكي الأشعري الصوفي الشيخ أبو الحسن علي بن سالم بن محمد بن سالم بن سعيد النوري ولقبه الأصلي شطورو ثم اشتهر بالنوري، وهو الجد الأكبر ومؤسس عائلة النوري بصفاقس.
انظر: أبو الحسن علي النوري الصفاقسي، العقيدة النورية في اعتقاد الأئمة الأشعرية ، شرح أبي الحسن علي بن محمد التميمي، دراسة وتحقيق الشيخ الحبيب بن طاهر، ص07 وما بعدها.
³ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي . فقيه مالكي ومحدث وقاضي وشاعر أندلسي، له العديد من التصانيف (ت474هـ)

انظر : عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، 2/221.

محمد بن عبد الباقي الزرقاني (1122 – 1055) (هـ = 1645 – 1710 م) هو محدث، فقيه،

أصولي، متصوف، من أعلام المذهب المالكي، ولد بالقاهرة سنة 1055 هـ وتوفي بها سنة 1122 هـ، ونسبته إلى زرقان قرية من قرى منوف بمصر .

انظر: الزركلي ، الأعلام ، 6/184.

⁵ شهاب الدين القسطلاني (851 هـ 923هـ) هو أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن عبد الملك بن أحمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي العلامة الحافظ .

انظر : القسطلاني، ارشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، ج01 ص02.

⁶ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي، فقيه مالكي من أهل فاس ولد سنة 999 هـ بمدينة فاس . كان إماماً علامة متبحر في العلوم وكان ثقة أمين معروف بالورع والدين توفي 1072 / . هـ

انظر: شجرة النور الزكية، ص 309.

¹ ابن أبي زيد القيرواني هو عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، ولد بالقيروان بتونس سنة 310 هـ الموافق ل922م، وهو من أعلام المذهب المالكي. وقد لُقِّب بـ "مالك الأصغر"، وكان إمام المالكية في وقته، وأشهر مصنفاته كتاب الرسالة، وتوفي سنة 386 هـ الموافق ل996م، وعمره 76 سنة .

انظر: سير أعلام النبلاء، الطبقة الحادية والعشرون، ابن أبي زيد ج 17 من ص 10-13.

² هو الإمام الجليل المؤلف المحقق الفاضل أبي الحسن علي بن محمد (ثلاثاً) المنوفي المصري المعروف بالشاذلي (ت939هـ)، له شرح على الرسالة القيروانية المشهورة في المذهب المالكي تسمى بـ كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني. انظر ترجمته في كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا التنبكي، تحقيق أ- محمد مطيع، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط 1421هـ-2000م، ج 01، ص 164-265.

³ . الشيخ خليل بن إسحاق الجندي (ت. 767 هـ / 1374 م) هو فقيه مالكي، من أهل مصر.

انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، نشر دار الكتب العلمية ببلنن، ط 01، 1424هـ-2003م ج 01، ص 321.

⁴ أحمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوئي، الشهير بأحمد الدردير، ولد بقرية بني عدي التي تسكنها قبيلة بني عدي القرشية في أسبوط بصعيد مصر سنة 1127 هـ / 1715م، وقد تلقب بـ (الدردير)؛ لأن قبيلة من العرب نزلت ببني عدي، وكان كبيرهم رجل مبارك من أهل العلم والفضل يدعى الدردير، فلُقِّب الشيخ أحمد به تفاعلاً. حفظ القرآن وجوّده، وحُبِّب إليه طلب العلم، فقدم الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء الأجلاء. أخذ العلوم عن الشيخ الصعيدي ولازمه وانتفع به وأخذ عن الشيخ أحمد الصباغ وأخذ عن الملوي والحفني وأخذ طريق أهل التصوف عنه وصار من أكابر أهل التصوف في الطريقة الخلوئية.

انظر: شجرة النور الزكية، ص 359.

⁵ الإمام الشيخ أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علي الخرشبي المالكي ولد 1010 هـ / 1601 م

وتوفي 1101 هـ / 1690 م، أول إمام للجامع الأزهر الشريف وأحد كبار العلماء المسلمين، أقام بالقاهرة وتوفي ودُفن

فيها، سمي بالخرشبي (وعُرف كذلك بالخراشبي) نسبة إلى قريته التي ولد بها، قرية أبو حراش، التابعة لمركز الرحمانية بمحافظة

البحيرة، له شرحان على متن خليل الأول في ثماني أجزاء والثاني في أربع أجزاء.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج 06/240-241.

12- أصول الفقه : متن الورقات بشرح الخطاب¹ (954هـ) وتنقيح الفصول في الأصول للقرافي² (684هـ) وغيرها.³

هذه جل العلوم التي كانت تدرس في الجزائر في ذلك الوقت والشيء الملاحظ أنها تركز المرجعية الفقهية والعقدية للمجتمع الجزائري والمتمثلة ، في الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية حيث غلبت عليها مؤلفات الأشاعرة والمالكية ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كان فيه تجديد وإبداع في أم مجرد اجترار وإعادة لتراث الماضي.

و-تعليم المرأة :

كانت المرأة المسلمة في الجزائر إلى عهد قريب محرومة من كل يسمى تعليماً إلا شيئاً من القراءة يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة ، وهذا النوع على بساطته خاص ببعض بيوت العلم ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشر من عمرها ويؤكد أبو لقاسم سعد الله هذا حيث كتب : "أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادراً ، ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذاً معروفاً بصلاحه وعلمه لتعليم البنات وفي كل قرية صغيرة أو دوار كانت هناك خيمة

¹ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعييني الشهير بالخطاب (902هـ-954هـ) أصله من المغرب وينحدر من أصل أندلسي مالكي المذهب ، له شرح على متن الورقات للجويني في أصول الفقه يسمى : بقره العين لشرح ورقات إمام الحرمين.

انظر المرجع نفسه ، ضبط وتعليق علي عامر الجهاني، د.ط ، د.ت ص 02.

² هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي البهنسي المصري توفي سنة (684هـ)

انظر : شجرة النور الزكية ج01، ص188-189.

³ إسماعيل العربي . الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال . المؤسسة الوطنية للكتاب . (الجزائر) الطبعة الأولى 1983م . ص76-77-78، نقلا عن د/ أحمد عيساوي ، الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية قسم العقيدة ، جامعة الجزائر، 2002م، ص51.

تدعى الشريعة خاصة بتعليم الأطفال ويشرف عليها مؤدب يختاره سكان القرية لهذا الغرض¹.

هذه هي الحالة السائدة في الجزائر منذ قرون وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلامية على تفاوت بسيط بينها². ويضيف سعد الله:

"فالمراة في هذا العهد كانت غائبة على المسرح الرسمي فلا أميرات ولا سيدات مجتمع يشاركن في الحياة العامة ويكن قدوة للأخريات ، ولا شاعرات أو كاتبات يسهمن في الحياة الثقافية وترقية الذوق الاجتماعي ، فالجتمع الجزائري من هذه الناحية كان أشل، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الحكام غالبا من العزاب والمغامرين وكان ما يشغل وقتهم هو جمع المال والبقاء في الحكم، فإذا اهتموا بالمرأة فإنه لا يعينهم منها دينها ولغتها وتعليمها ومكانتها ولكن لكونها من الجوارى والأسيرات المسيحيات بالدرجة الأولى."³

ز- العلوم العقلية والتجريبية: لم يهتم العثمانيون في الجزائر بالعلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام مما أضفى على الحالة الفكرية جمودا وركودا ، وكان ذلك امتداد للحالة الثقافية في العالم الإسلامي كله بحيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا. يقول أحد علماء ذلك العصر وقد عبر عن ذلك عبد القادر الراشدي القسنطيني (ت1194هـ)⁴

أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، عالم المعرفة (الجزائر) طبعة خاصة 2009م ص154.

² - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار البصائر ، طبعة خاصة 2009م، ص264.

³ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص336.

⁴ انظر محمد حاج عيسى الجزائري، عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس ويليهِ أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، تقديم الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس، دار الإمام مالك باب الوادي (الجزائر) ط01، 1424هـ- 2003م ص87.

الذي اعتبر أن العلوم العقلية تتنافى مع طبيعة الدين الإسلامي الذي يتمثل أساسا في ما جاء به النقل فقد جاء في أحد أبياته:

خبر عني المـؤول أنـي كافر بالذي قضته العقول
ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقل¹

وما يقال عن العلوم العقلية يقال عن العلوم التجريبية فإن إنتاج الجزائريين في العلوم الرياضية والطبية يعد قليلا مقارنة مع إنتاجهم في التصوف والتاريخ والأدب فلم يكن هناك علماء طبيعة متميزون كما كان هناك متصوفة وفقهاء متميزون، ولعل السبب في ذلك حسب رأي المؤرخ سعد الله أنها من العلوم التي تشرف أهلها على خلاف غيرها، فقد ألف ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني² (ت771هـ) معجما صغيرا في الطب رتبته على حروف المعجم كما ألف عبد الرزاق بن حمادوش³ (ت1197هـ) كتابا في فوائد الأعشاب كما اشتهر أبو الفضل محمد المشدالي⁴ (ت864هـ) بالطب¹.

¹ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص90

² هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني، العالم الأصولي و علامة بلاد المغرب في زمنه من أهل القرن الثامن الهجري، ولد سنة 1107 هـ في فاس وتلقى عن شيوخها، ثم إلى تونس ولقي هناك عدة من العلماء استفاد من علمهم، عاد بعد رحلته العلمية إلى مدينة تلمسان وجلس لتدريس العلوم الشرعية والعقلية حتى ذاع صيته بين الأمصار والأقطار فالتفت حوله طلبة العلم من شتى البقاع، ت771هـ انظر: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف التلمساني، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، ص164.

³ ولد بالجزائر سنة 1107 هجرية 1695 ميلادية من أسرة بسيطة كانت تعمل في الدباغة ولا توجد معلومات عن سنة و مكان وفاته لكن بعض المراجع تشير ظننا انه تجاوز التسعين سنة اشتغل بقراءة الكتب و العلم ، اشتهر بعلم النبات و الطب و الصيدلة و الفلك و المنطق و النحو و الادب و غلبت على تأليفه العلوم التجريبية انظر، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج02، ص471.

⁴ هو الإمام العالم المحقق، أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي البجائي، ولد بجاية ليلة النصف من رجب سنة (820هـ و قيل 822هـ)، من منطقة مشدالة التي تنتمي إلى قبائل زواوة، أخذ عن والده العلامة أبي عبد الله محمد بن القاسم، كما أخذ عنه الإمام السخاوي وابن زكري والرحالة القلصادي، وبرهان الدين البقاعي، وغيرهم .

انظر: بغية الوعاة للسيوطي 247/2).

وبدل تكوين الجزائريين من الناحية الفنية اعتمد الباشوات و المسؤولين العثمانيون على بعض الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يلبون حاجات الباشا كالعناية بالوسائل الحربية وبناء السفن التي كانت من أولى اهتمامات العثمانيين.²

وهذا ما يعاب على العثمانيين الذين أهملوا العلوم التجريبية خاصة الطب الذي تتعلق به حياة الرعية، فلم يكن هناك مستشفيات باستثناء الزوايا التي كانت تأوي العجزة والمرضى وكان المرجع في هذا الميدان هو كتب الأقدمين كابن سينا، ولم يكن هناك امتحان ولا مهنة للأطباء والذين يقومون بالعلاج هم غالبا مرابطون يداوون بالجن والأرواح وليس بالعلم، وكان هناك بعض حملة الشهادات الذين يعالجون مرضاهم في دكاكين تشبه دكاكين أصحاب الحرف الأخرى أما أعمال الجراحة فكان يقوم بها الحلاقون الذين يلجؤون إلى استعمال الكي.³

والسبب في عدم تطور العلوم في ذلك الوقت هو أن الولاة الأتراك كانت جهودهم كلها متجهة إلى حركة الجهاد والصراع ضد القرصنة، ولهذا يلاحظ خلال العهد العثماني بالجزائر طابع الجفاف الفكري و عقم الإنتاج، وهو ما نلاحظه في كل الأقطار التي سيطر عليها الأتراك في الشرق وفي الغرب، ومع كل هذا فلا ننكر بأن مدنا مثل بجاية وتلمسان و مازونة و قسنطينة، قد حافظت على التراث الفكري و الثقافي الذي ورثته، كما أن مدينة الجزائر التي انتقل إليها المركز السياسي في هذا العهد، نمت فيها الحركة الفكرية وتطورت واتسع أفق الكثير من أبنائها، حتى أصبحوا حجة في كثير من الفنون الأدبية والعقلية واللغوية.⁴

¹ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص111.

² المرجع نفسه.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص169.

⁴ عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص25.

والملاحظ أنه ما كتبه المؤرخ سعد الله حول واقع التعليم في العهد العثماني في كتابه) محاضرات في تاريخ الجزائر) مغاير لما كتبه في (تاريخ الجزائر الثقافي) ، فقد وصفه في الكتاب الأول بالجمود والانحطاط في حين أثنى عليه في الكتاب الثاني ولعله أشار إلى ذلك حين قال في الأول إن بعض فصول هذا الكتاب تحتاج إلى إعادة نظر ، والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو الأمر الذي جعله يغير رأيه ؟

ولعل السبب راجع إلى بروز علماء متميزين خاصة في الأدب والفقه والتصوف فإحجام العثمانيين عن الاهتمام بشؤون التعليم لا ينفي أبدا وجود محاولات فردية حاولت استدراك الوضع التعليمي السائد في الجزائر ، ومن نبغ من العلماء في القرن الحادي عشر أبو عيسى بن محمد الثعالبي (ت 1080 هـ) ويحيى بن صالح الشاوي الملياني (ت 1096 هـ) الذي تولى الإفتاء في مليانة وناظر علماء دمشق في المسجد الأموي وتفوق عليهم وله تأليف عديدة والعلامة سعيد المقرئ (ت 1010 هـ) الذي انتصب مفتيا بتلمسان مدة ستين عاما ونفع بعلمه جمعا غفيرا من الطلبة¹

ومن نبغ في القرن الثاني عشر سيدي عمر بن محمد المنقلاقي القبائلي المتوفى سنة (1105 هـ) وكان بجرا عميقا من العلم والفضل والتقوى تخرج عليه العديد من العلماء في الجزائر² .
ومن نبغ في هذا العهد بجنوب الجزائر علامة المعقول والمنقول نابغة عصره المحقق ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثميني من بني يزقن بوادي ميزاب فقد كان مجدد النهضة العلمية في ذلك العصر بهاتيك البلاد وتصانيفه القيمة الثمينة تشهد له بالتضلع وغزارة العلم فمن ذلك كتاب (النيل) وهو من أحسن المتون المدونة في الفقه الإسلامي وهو عمدة المذهب الإباضي في العبادات والمعاملات بمثابة مختصر تحليل في المذهب المالكي ، وكتاب (تعاظم الموجين على مرج البحرين) في الفلسفة والمنطق وكتاب (معالم الدين) في علم الكلام وأصول الدين³ .

¹ المدني ، كتاب الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص 90.

² المرجع نفسه ص 91.

³ المرجع نفسه ص 92.

كما أن هذا الحكم ليس عاما، فالشائع عن العثمانيين أنهم اهتموا بالدفاع عن البلاد فلم يفعلوا شيئا في المجال الإقتصادي والثقافي وكانت البلاد غارقة في المستنقعات ترسفت في أغلال وكهوف الجهالة ، ولم تنج من التعاسة والشظف إلا بفضل ما تدره عليه القرصنة.¹

صحيح إن الاهتمام بالدفاع عن البلاد شغل العثمانيين الأول لكن هذا لا ينف وجود محاولات فردية حاولت اصلاح عن الأوضاع الثقافية و الإقتصادية والإدارية، فقد أقام صالح باي بايليك الشرق عدة منشآت خيرية وتعليمية أهمها مسجد ومدرسة سيدي الكتاني

(1189م-1775هـ) والتي درس فيها الشيخ المجاوي في ما بعد ، ومدرسة الجامع الأخضر (1203هـ-789م) بقسنطينة وجامع عنابة ونظم شؤون الأوقاف بقسنطينة وضواحيها (1185هـ-1789م) مما وفر له مصادر دخل إضافية للإنفاق على الخدمات الاجتماعية والتعليمي، كما اهتم بتحسين أوضاع الفلاحة بهدف تنمية الإنتاج الزراعي والحيواني.

هذا ولا يختلف باي قسنطينة عن باي الغرب محمد الكبير الذي اعتنى بالفقراء وشجع العلم ورعى العلماء وأقام عدة مدارس ومساجد وحصون بالعديد من مدن الغرب الجزائري أهمها: المدرسة المحمدية وجامع السوق والجامع العتيق بمعسكر، وجامع خنق النطاح وجامع الكرد بوهران، ومقام سيدي أحمد بن عودة بغريس، وضريح سيدي أحمد بن يوسف بمليانة².

فالمؤرخ سعد الله استند في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى الوضع العام وهو انتشار القراءة والكتابة في أوساط المجتمع الجزائري إضافة إلى وجود فرديات مثل التي أشرنا إليها فحكم عليه بأنه حسن ، لكن عندما ننظر إليه بمنظار آخر وهو نوعية التعليم هل هو بدائي بسيط يعتمد على القراءة والكتابة أم يتجاوزهما ليصل إلى الدقائق و يغوص في الأعماق، وتنوعه هل يقتصر على علوم الدين واللغة والتاريخ أم يشمل العلم التجريبية أيضا، انتشاره هل يشمل جميع شرائح

¹مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر) ط02،....،ج02، ص322 .

² ناصر الدين سعيدوني تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر) ط02، ص75.

المجتمع الرجال والنساء والأطفال وكذلك الشباب والعمال أم يقتصر على صنف واحد، أماكن تواجهه هل هي متعددة مثل المسجد والمدرسة والنادي والصحيفة والأماكن العامة أم لا؟ طبيعة الإنتاج الفكري هل فيه تجديد وابتكار ويتلاءم مع روح العصر أم مجرد شروح وحواشي لما قاله الأسبقون فإذا حكمنا عليه بالمنظار الثاني فنحكم عليه بأنه رديء.

واقع التعليم بعد الاحتلال

إذا كان العثمانيون لم يشجعوا التعليم لكن لم يحاربوه ولم يقفوا ضده فإن الفرنسيين حاربوه بجميع ما أوتوا من وسائل وسبل، إذ المعروف عن سياستهم أنها كانت إلى القضاء على العربية كلغة وعلى الإسلام كدين لتتمكن من تنصير الجزائريين وفرنستهم تمهيدا لإدماجهم في الكيان الفرنسي، وفي الوقت الذي كان يمكن فيه للثقافة العربية أن تتحرر وتنتج نتيجة اتصالها بأوروبا في فاتح القرن الماضي، نزل عليهم الاستعمار الفرنسي فنزع الأدباء والعلماء إلى المشرق وبعثت الأسر والمكتبات وحوربت لغة التعليم وأغلقت المدارس العربية وهكذا شهدت الجزائر نكسة عميقة أدت إلى تأخر الدراسات العربية فيها.¹

ولم تكن المدارس التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية تهدف إلى تعليم الجزائريين والرفع من مستواهم وإنما الغرض منها هو توفير إطارات تساعد الإدارة الفرنسية في أداء مهامها المختلفة وتنفيذ مخططاته الهادفة إلى فرنسة وتمسيخ المجتمع الجزائري، فتكون هذه الإطارات واسطة للترجمة والتعامل بين الإدارة الفرنسية والأهالي ومساعدتها في فهم عقلية الجزائريين ومعرفة احتياجاتهم في مختلف مناحي الحياة، وبالتالي السيطرة على الوضع من خلال تحكمها في هؤلاء الأهالي تصريجات الفرنسيين الفرنسيين خير دليل على ذلك فقد جاء في تقرير أنجزه (سولفت solft) في تقرير أنجزه بطلب من مكتب إدارة مدرسة الجزائر سنة (1846م) قوله: " إمداد

¹ المر ناصر الدين سعيدوني تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص 159.

الإدارة بمترجمين ومساعدين مهرة ومتعلمين بما فيه الكفاية لمساعدتها في نظرتها وتسييرها للشؤون الإدارية ، والتطور والحضارة فيما بعد والاندماج إذا كان ممكنا للأهالي"¹ ولهذا الأسباب نجد الجزائريين جد حذرين من إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية ، إذ جاء على لسان أبو يعلى الزواوي قوله : "فالحكومة الفرنسية اعتنت بلسانها فبثته وعززته فتوقف الكثير من الناس ولم يرغبوا فيه خشية أن يتفرنحوا ويتفرنسوا ويتخلقوا بخلق الإفرنج المباينة للعروبة والإسلام"²

ولتجسيد تلك الأهداف ميدانيا إعمدت الإدارة الاستعمارية على وسيلتين أساسيتين مرتبطين ببعضهما البعض أشد الارتباط : وهما البرامج والمدرس .

إن السياسة التي اعتمدها فرنسا من أجل القضاء على هوية الجزائريين كانت تقوم منذ البداية على أربع أسس أو قواعد التزمت بها ولم تحد عنها قيد أملة حتى خرجت من الجزائر عام 1962 م وهذه الأسس أو القواعد هي : التفجير والتجهيل والتنصير والفرنسة.³

والمأمل في هذه الأسس يجدها تتفاوت بينها في درجة الخطورة، ولعل أكثرها هي الفرنسية لأن اللغة العربية هي اللغة القومية والوطنية للمجتمع الجزائري وتعتبر مقوما أساسيا للشخصية الجزائرية ، وقد لعبت اللغة العربية طوال قرون عديدة دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري .⁴

¹j.desparmet la reaction linguistique en algerie bulletin societe de geographie dalger et de lafrigue du nord 36 année 1^{er} trimestre 1931 p91.

نقلا عن أ-بن تركية عبد الحكيم، التعليم الاستدماري في الجزائر(1830-1962).مقال منشور حوليات التاريخ والجغرافيا(مرجع سابق) ص68.

²أبو يعلى الزواوي ، جماعة المسلمين ، مطبعة الإرادة (الجزائر) د.ت ص50.

³تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) ط04، 1984م، ص43.

⁴- د/ تركي رايح التعليم القومي ، والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر) ط02، 1981 ، ص52.

وترتبط بالدين الإسلامي ارتباطا وثيقا لأنها لغة القرآن الكريم الذي هو مصدر الإسلام الأساسي، والقضاء عليها بمنع تدريسها أو مزاحمتها بالمدارس التبشيرية أو العمومية يعني الوصول إلى إحداث هوة سحيقة بين الجزائريين وبين دينهم الإسلامي، ومن أجل هذا اغتاز الكاردينال لافيغري¹ عندما أدخلت سلطات الاحتلال اللغة العربية كمادة دراسية في مدارس التعليم العمومي، على الرغم من كون ذلك وسيلة لجلب الأطفال المسلمين إلى هذه المدارس، إلا أن المبشرين كانوا يرون في تدريس اللغة العربية بقاء الجزائريين على صلة بدينهم، مما يجعل جهودهم التبشيرية تذهب هباء.²

واللغة وسيلة للتنصير كما أنها وسيلة للتجهيل أي أن اللغة ترتبط بالدين كما ترتبط بالتعليم³، لذلك انتهجت سلطات الاحتلال سياسة الفرنسة وهي إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية في جميع مجالات الحياة، حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة فينقطع بذلك عن تاريخه بفقد مقوماته الشخصية والوطنية تدريجيا وذوبانه في بوتقة الأمة الفرنسية.⁴

فقد جاء في إحدى التعليمات الصادرة إلى الحاكم العام بالجزائر غداة الاحتلال: " إن أيلة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية والعمل الذي يترتب

¹ لافيغري: هو شارل أنطوان لافيغري ولد 1825/10/31م بمدينة وهران، تلقى تعليما دينيا حتى وصل لمنصب قس سنة 1849م التقى الأمير عبد القادر في الشام عام 1860م، ثم مطرانا على أسقفية الجزائر وفي 19 مارس 1882م، أصبح كاردينال من طرف البابا بولس الثالث مات في 26 نوفمبر 1882م كما عرف بنشاطه التنصيري في بلاد القبائل.

انظر سعيد مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري (1867-1892م) طبع وزارة الثقافة (الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب) ط01، ص231.

² محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904م، دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلح (الجزائر) د.ت، ص69.

⁴ انظر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، رئيس المشروع د/خيش عبد النور.

أعضاء الفرقة: د/سعيد مزيان أ بوقحاني احمد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص64.

علينا إنجازها هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن " ¹

ومن بين الآليات التي لجأت إليها سلطات الاحتلال من أجل محاربة اللغة هي :

- 1- أصدر عام 1938م قانونا رسميا يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.
 - 2- حارب حركة التعليم العربي الحر التي كانت تقوم بها بعض المنظمات والشخصيات الوطنية، ووضع شروطا قاسية لإعطاء رخص التعليم للمنظمات ورجال التعليم مما أدى إلى إغلاق عدد كبير من المدارس والنوادي والمساجد التي تقوم بالتعليم العربي بهدف عرقلة.
 - 3- فرنسة التعليم في جميع المراحل .
 - 4- قسم اللغة العربية إلى ثلاث لغات : عربية فصحي ، وعربية عامية ، وعربية حديثة ، ثم قرر منع تدريسها في المدارس الابتدائية وجعلها لغة اختيارية في التعليم الثانوي.²
 - 5- التركيز على اللغة الفرنسية في البرامج التعليمية هي تعليم وكل المواد الأخرى تابعة لها وقد أجمع على ذلك رجال التربية الفرنسيين من أمثال (جون مير jaun mir) وكذلك رجال الحرب من أمثال الجنرال (دوتبول dhautpoul) لأنها هي أداة الوصل بين المستعمر والمستعمر ، وهي وسيلة سلخ الجزائري من وسطه الطبيعي وبلبله وتشويش أفكاره وتشكيكه في أصوله بغرض الوصول إلى الأدماج وهي الأهداف التي سطرها البرامج³
- ويصف الباحث محمد أرزقي فراد قبل الاحتلال وبعده فيقول: " ومما لا شك فيه أن وضعية التعليم قبل الاحتلال وبعده لم تكن متردية كما يدعي أنصار الاستعمار ، فقد كان معظم الجزائريين يقرؤون ويكتبون ويحفظون ما تيسر مكن القراءة، ولم يلبث هذا التعليم العربي أن تدهورت أوضاعه عقب الاحتلال بسبب استيلاء الفرنسيين على الأوقاف وتدمير المساجد والمدارس وهجرة العلماء والأكثر من ذلك فقد زعمت سلطات الاحتلال أن العنصر العربي

¹ المرجع نفسه.

² تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الوطنية (مرجع سابق) ، ص102.

³ صبيحة بخوش، الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر، مقال منشور في حوليات التاريخ والجغرافيا (مرجع سابق) ص85

غير قابل للتربية والتعليم، لكنها اضطرت لفتح بعض المدارس للأهالي لتكوين المترجمين والكتابة والقضاة قصد التحكم أكثر في الجزائريين ، وظهر ما يسمى بالمدارس الفرنسية الإسلامية في الجزائر وقسنطينة ووهران¹

المطلب الثاني: الواقع الاجتماعي، الديني .

علاوة على استغلال سلطات الاحتلال للسياسة والتعليم من أجل تجسيد مساعيها ، فإنها لم تستثن أيضا مجالات مهمة أخرى كالجانب الديني والساسي والاقتصادي

الواقع الاجتماعي

من المجالات التي عولت عليها سلطات الاحتلال في سياستها الرامية إلى خلق قطيعة بين أفراد مجتمعة وقد اتخذت جميع السبل واستعانت بجميع الوسائل فما هي؟

وسائل الاستعمار لتفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري

سعت سلطات الاحتلال جاهدة من أجل تفكيك البنية الاجتماعية للشعب الجزائري ومن أجل ذلك استعانت بعدة وسائل أهمها:

1-توظيف الدراسات الأنثروبولوجية: وصياغة نظريات جديدة من أجل خلق قطيعة بين الشعب الجزائري وهويته ومن أهم هذه النظريات:

-رمي المجتمع الجزائري بالتوحش: وصفت الكتابات الأنثروبولوجية الفرنسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالتوحش وعدم المتحضر وسبب ذلك الدين الإسلامي المناهض للمدنية والعلم والتطور، وهذه الإدعاءات كلها من أجل إيجاد تبريرات وحجج للممارسات الاستعمارية بكونها تهدف إلى جلب الحضارة والرفاهية لهذا المجتمع المتخلفوالحاقه بركب التطور وعصرنة مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية.²

¹محمد أرزقي فراد ، صمود العربية في وجه سياسة التجهيل الفرنسية، جريدة الشروق ، عدد 1644 ، الأحد 26 مارس 2006م ، 1427هـ.

²كوسة نور الدين دور الدراسات الانثروبولوجية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري ،.(مرجع سابق) ص154.

-إثارة النزعة العرقية: من أخطر المساعي والتوجهات التي سعت إليها المدرسة الأنثروبولوجية الاستعمارية لخدمة أهداف خطيرة وغير بريئة عملاً بمبدأ " فرق تسد"¹ فلقد حاول الاستعمار بكل الوسائل أن يمزق شمل الوحدة الوطنية والقومية للشعب الجزائري عن طريق العمل على إحياء العصبية الأمازيغية (البربرية) التي قضى عليها الإسلام والتقاليد العتيقة الخاصة بهم ، وزعم أن الأمازيغ وهم من أحسن الناس إسلاماً وعروبة لهم كيانهم الخاص ، ولغتهم الخاصة وأعرافهم الخاصة ، التي تختلف اختلافاً كبيراً عن لغة وكيان وأعراف بقية الجزائريين ، كما زعم أن الأمازيغ (البربر) لم يعتنقوا الدين الإسلامي إلا ظاهرياً فقط ولم يمس الإسلام شغاف قلوبهم ، وأنه من أجل ذلك يجب أن يكون لهم وضع خاص بهم يتمثل في إحياء اللغة الأمازيغية والتقاليد والأعراف الأمازيغية الوثنية التي ينبغي -في زعمه - أن تكون هي الأساس الذي يحتكمون إليه من الناحية القانونية في أمور الأحوال الشخصية بدل الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية كما كان العمل جارياً به منذ قرون عديدة، وقد بنى الاستعمار الفرنسي زعمه الباطل هذا على أساس أن الجزائر يقطنها عصران مختلفان من السكان هما: العرب من ناحية والأمازيغ (البربر) من ناحية أخرى.

ورغم الجهود المضنية التي بذلها في سبيل تمزيق شمل الوحدة الوطنية والقومية للشعب الجزائري عن طريق محاولة فصل (الأمازيغ) البربر عن بقية إخوانهم الجزائريين - حتى إنه كون جهازاً خاصاً بهم- وحرّم التحدث بينهم باللغة العربية وقصره على اللغة الفرنسية واللهجة البربرية وحدهما ، كما منع تكوين المدارس العربية الحرة ، والكتاتيب القرآنية لتعليم أبنائهم القرآن الكريم والدين الإسلامي ، ورغم ذلك فإن تلك المحاولات قد ذهبت كلها أدراج الرياح ، وكان أول من قاومها وقضى عليها في النهاية هم سكان المناطق الأمازيغية أنفسهم مكذّبين بذلك سائر المزاعم الاستعمارية الخبيثة ضد عربيتهم وإسلامهم اللذان يعتزان بهما اعتزازاً كبيراً .²

¹ نفس المرجع والصفحة.

² تركي رابح، ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر (مرجع سابق) ص 20-21.

2- تضليل الشرائح الاجتماعية الهامة (الشباب - المرأة): لم تغفل سلطات الاحتلال عن

تضليل الشرائح الاجتماعية الهامة والتي لها دور رائد في قيادة المجتمع وهي:

الشباب: عمل الاستعمار الفرنسي على تضليل الشباب الجزائري حيث غرس فيه بعض المبادئ المغلوطة عن تاريخه العربي الإسلامي ، فقد كان ينعت له عظماء فرنسا بجلائل الأعمال ، أما معلوماته التي كان يتلقاها في التاريخ العربي فقد كانت مسمومة مغرضة حاكمة ، من ذلك وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان رجلا يبحث عن المال متنقلا عبر الصحاري إلى الشام لقاء أرباح يجنيها من أموال خديجة بنت خويلد ، وكانوا يقولون عن العرب الفاتحين بأنهم جماعة من المغامرين خرجوا من جزيرتهم القاحلة رغبة في المغام والنهب والاعتصاب، كما عمل الاستعمار الفرنسي جاهدا لإيجاد شباب جزائري يتماشى مع مخططاته الاستعمارية المستقبلية وذلك بعدم سماحه باستقلال المنظمات الخاصة بالشباب الجزائري في ميادين الرياضة والفنون المسرحية والموسيقى والكشافة عن المنظمات الخاصة بالشباب الفرنسي ، وذلك تحسبا لكل تحول قد يقع من الشباب العربي المسلم لفائدة إحياء القومية العربية ، وبعث الروح الإسلامية الجديدة اليقظة التي تتبنى أفكار المصلحين المجددين¹.

المرأة : عمل الاستعمار جاهدا لإفساد المرأة المسلمة ففتحو المدارس للفتيات المسلمات وجعلوا همهم الأكبر إفساد عقائدهن وتحقير الإسلام والعربية إليهن وتجريدن من شخصيتهن الإسلامية، وزينوا لهن السفور والحياة الشهوانية الفاسدة وسلبوهن الجلال والجمال والعزة والسعادة التي كانت لأمهاتهن المسلمات وأصبحن بذلك بلاء على الجزائر يهددنه شريكه بعد أن وظفهن الاستعمار لتحطيم مقومات الأمة الجزائرية المسلمة.²

ولم يقتصروا بهذه الظاهرة النساء فقط بل الرجال أيضا ، فانحلت الأخلاق، و تجسدت الرجولة في شارب الخمر و قاطع الطريق و انتشرت ظاهرة الزنا و الدعارة، بتشجيع من فرنسا

¹ الشيخ محمد المنصور الغسيري ، صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير ، عبد الحميد بن باديس ، تقديم وتعليق د/ مسعود بن موسى فلوسي ، مطبعة عمار قرني ، باتنة (الجزائر) ط01، 1427هـ-2006م ، ص83.

² محمد علي ديبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج01، ص25.

التي فتحت الأبواب لها، و اعتبرت كل من يتصدى لمومس جانبا، ويحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية !!¹

ولم تكثف الإدارة الاستدمارية بفتح بيوت الدعارة للعاهرات وسط الأحياء الشعبية فقط، بل فتحت لهن الأبواب بجوار المساجد و داست على حرمت المسلمين و مقدساتهم، و كتبت جريدة لسان الدين في وصف هذه الظاهرة اللا أخلاقية تقول : " أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة، و لا احترام لقدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات جامع سيدي رمضان بالعاصمة تحيط به بيوت العاهرات إحاطة السوار بالمعصم ."، كما يصور لنا أحد رجال الإصلاح - الشيخ الطيب العقبي - الحالة التي أصبح عليها الشارع الجزائري في منتصف العشرينيات قائلا

حيثما تلتفت تجد قمرا يز هو شمسا بديعة الإشراق
و جميلا تلا جميلا و معشو قا غدا في جماعة العشاق
هكذا هي الجزائر فانظر فانتات و فاتن في الزقاق²

الواقع الديني: تجلت جهود سلطات الاحتلال في المجال الديني في نقطتين أساسيتين هما :-
العبث بالأوقاف الإسلامية- التبشير

1-العبث بالأوقاف الإسلامية لمعرفة مدى العبث الذي ألحقته سلطات الاحتلال بالأوقاف
نلجأ إلى بيان واقعها قبل وبعد الاحتلال .

واقع الأوقاف الإسلامية قبل وبعد الاحتلال: تنوعت الأوقاف في المجتمع الإسلامي وكثرت³، نظرا لارتباطها بالمؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا والتي تعتمد في

¹ أحمد مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية ، دار عرار للنشر والتوزيع ، وادي السمار (الجزائر) ط03، 2013، ص111.

² أحمد مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية ، ص112.

³ من أهم مصادر الوقف في الجزائر نذكر :

- **أوقاف مكة والمدينة:** وهي أهم الأوقاف لأن دخلها يساوي ثلاثة أرباع كل مؤسسات الأوقاف وتقسم إلى قسمين قسم يوزع محليا ، وقسم يرسل إلى مكة والمدينة.

- **سبل الخيرات :** وهي هيئة دينية تأسست سنة 1584 تتشرف على عدة مساجد للمذهب الحنفي .

تسييرها على الأوقاف التي أولاها الجزائريون عناية فائقة، نظرا لغياب سلطان الدولة عن تسيير هذه المؤسسات.

وبعد الاحتلال تعهد الفرنسيون بالمحافظة على أموال الأوقاف وعدم التعرض إليها بسوء كما جاء في المادة الخامسة من نص وثيقة الاستسلام لكنه لم يلبث أن نكث عهده، فمنذ الأيام الأولى للاحتلال تعرضت المؤسسات الدينية في الجزائر لمحرابة شديدة بمختلف الوسائل والأساليب لأنها كانت تمثلا عائقا أمام مخططات الاستعمار.

وأول من استهل العملية هو الجنرال (كلوزيل clauzel) الذي أصدر قرارا يوم 07 ديسمبر 1830م استهدف ضم كل الأملاك الدينية وهي تشمل أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا إلى أملاك الدولة الأمر الذي كان بمثابة ضربة موجعة للدين والثقافة الإسلامية لانعكاس أثره على الحياة الدينية والاجتماعية للسكان.¹

وذهبت الروح الصليبية بالفرنسيين إلى أبعد من ذلك إذ اختطفوا جزءا من أموال الأوقاف الإسلامية وعملوا بواسطتها على محاولة تنصير أبناء وشباب الجزائر أي أنهم صارروا يدعون

- الجامع الكبير : ويشرف على أوقافه المفتي المالكي ويساعده ثلاثة وكلاء.

- الزوايا: وهي كثيرة وتقدر في مدينة الجزائر العاصمة بتسعة عشرة زاوية.

- أوقاف الأندلس: وقد تأسست سنة 1601م بهدف إعانة أهل الأندلس النازحين .

- الانكشارية: وهي ثكنات الانكشارية ، وعددها سبع ثكنات في كل ثكنة مائة حجرة.

- المياه: وهي من أعمال الخير والسقاية .

- الطرق: ولها أوقاف تعود أموالها لإصلاح الفاسد من الطرق.

انظر : محاضر وتقاير اللجنة الإفريقية ، باريس 1834م نقلا عن د/ أحمد عيساوي ، الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا، رسالة دكتوراة، ص66.

¹ حذيفة بقطاش الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871م، د.ط، د.ت، ص23.

إلى المسيحية في الجزائريين بأموال الأوقاف الإسلامية،¹ على اعتبار أن الحكومة الفرنسية هي التي حلت محل الحكومة الجزائرية في إدارة الأوقاف وإنها المسؤولة عنها وعن توزيع ريعها على المستحقين.²

وواصل الاستعمار عبثه بالمؤسسات الدينية حيث لا يسمح للمسلمين إلا بإقامة شعائر دينهم إلا في المساجد التي تحت وصاية موظفيها ورجالها ومن ينتدبهم الاستعمار للقيام بها ، وذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك حين قال بأن رجال الإفتاء وأئمة المساجد وقراءة القرآن فيها ومؤذنها كل أولئك من الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية ولا يستلمون وظائفهم إلا من قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه ولا يبقون بها إلا ما داموا عاملين على مرضاته.³

غير أنه لا يمكننا أن نعمم هذا الحكم على جميع المؤسسات الدينية لأن ذلك سوف يجرنا إلى ورطة، فمنصب الإمام أو المفتي أو حتى حامل القرآن له مكانته في المجتمع الجزائري خاصة في ذلك الوقت إذ يمثل سلطة معنوية على سكان القرية، ومعظم شهداء الثورة التحريرية ومن قبلهم الثورات الشعبية وكل أحرار هذا الوطن نشأوا في هذه المدارس وتربوا فيها فكيف نجتمع بين ولائهم لفرنسا، وبين موتهم في سبيل الدفاع عن وطنهم؟

صحيح إن قوات الاحتلال بسطت نفوذها على العديد من المؤسسات الدينية خاصة الزوايا فتغيرت العديد منها واتصفت بالعمالة، غير أن هذا لا ينفي وجود مخلصين عرفوا كيف يراوغون الفرنسيين ويبقون أوفياء لمبادئهم.

وآخر ضربة تلقتها الأوقاف الإسلامية كانت في عهد الجمهورية الثانية المتحمسة للاستعمار والتغلغل في المجتمع الجزائري والسيطرة عليه صدر قرار أحير يتعلق بضم جميع

¹ د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، ص169.

² عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج04، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر) ط2014 ص53.

³ المدني، كتاب الجزائر، ص374.

الأوقاف الخاصة مهما كانت وأينما كانت في الجزائر ، سواء كانت ما تزال قائمة أو محولة أو مندثرة ، وبذلك انتزعت المساجد صغيرها وكبيرها والزوايا سواء كانت وراثية والقباب سواء كانت لولي أو باشا ، والجبانات سواء كانت عامة أو خاصة من يد وكلائها النزهاء ودخلت تحت إدارة أملاك الدولة ، فأصبحت هي التي تجمع المداخيل وتدفع الأجور وتطعم الفقراء وتصون المساجد على الأقل من حيث المبدأ وصدر هذا القرار من الحاكم العام (شارون charonne) في 03 أكتوبر 1848م جاء في ثلاث مواد منها ما ذكر في المادة الأولى أن البنائات التابعة للمساجد والمرابطين (القباب والأضرحة) والزوايا وكل المباني الدينية الإسلامية التي ما تزال بصفة استثنائية تحت إدارة الوكلاء قد أصبحت منذ الآن تحت أملاك الدولة وجاء في المادة الثانية أن على الوكلاء وضع ما في أيديهم من وثائق ومداخيل وأوجه صرف ومصاريف وقوائم وأملاك إلى آخره في يد مصلحة أملاك الدولة خلال عشرة أيام من إخطارهم رسمياً.¹

ولقد واجهت الزوايا والكتاتيب نفس المصير الاستدماري من قبل الفرنسيين حيث حورب الأئمة وشيوخ الزوايا ووضع حد لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة، ونفي الكثير منهم وشردوا إلى مناطق نائية داخل البلاد وخارجها وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة لصالح الشرطة الفرنسية وتم إغلاق الكثير من الزوايا وتهدم البعض منها خاصة التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي، كما أغلقت الكثير من الكتاتيب والمعمرات بدعوى عدم وجود رخصة لها من إدارة الشرطة واستهدف رجالها للملاحظات القضائية والمتابعات القمعية من طرف الشرطة والضباط العسكريين ومصالح التجسس وشردوا وأبعدوا.²

وبالموازاة مع دور الأوقاف تفتنت قوات الاحتلال إلى دور القضاء فعملت على نسفه،

¹ تاريخ الجزائر الثقافي، ج05 ، ص169.

² أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05 ص100.

فبعد الاحتلال أقرت السلطة القضاة وتركت لهم في أول الأمر سلطتهم ونفت من البلاد من رأت أنه لا يمكن أن يعمل إلى جانبها مثل ابن العنابي وابن الكبابي رحمهما الله،¹ وفي 28 فيفري 1841م صدر أمر ينسف نفود القاضي نسفا وذلك بأن نزع منه سلطة الأحكام في الجنايات والجنح وهل أحكامه تستأنف إلى دائرة الإستئناف الفرنسية ثم صدر قانون غرة أكتوبر 1854م فنظم القضاء الإسلامي تنظيما جديدا وقسمه إلى مناطق ، ثم ألغى الإستئناف إلى الدائرة الفرنسية ، وشكل (المجلس الشرعي) من جديد فأصبح ذلك المجلس دائرة استئنافية شرعية قانونية ، وشكل فوق ذلك المجلس الشرعي الأعلى المؤلف من رجال القضاء والإفتاء ، بعاصمة الجزائر لمراقبة سير المجالس وتوحيد التشريع الحكم.²

وفي 31 ديسمبر 1859م اضمحل كل ذلك ، وعادت الحالة إلى ما كانت عليه من قبل ، بل زيد عليه في 13 ديسمبر 1866م رغبة الحكومة في جعل المسلمين يتقاضون لدى قاضي الصلح وبكون القاضي المسلم منفدا فقط لأحكام قضاة الصلح ، وأنشأت في دائرة الإستئناف غرفة خاصة بها حكام فرنسيون ومعاونون مسلمون للنظر في القضايا المستأنفة ، ووقع إنشاء " المجلس الأعلى للقانون الإسلامي " يشمل خمسة من أكبر علماء المسلمين ، تستشيره دائرة الإستئناف وتعمل وجوبا برأيه ، ونص أحد مراسيم 24 أكتوبر 1870م التي ألغت الحكم العسكري وجاءت بالمدني على إنشاء المحلفين في محاكم الجنايات وكانت هذه الهيئات محرمة على الجزائريين لأنها مفتوحة أمام الفرنسيين فقط وكان الهدف من إنشاء هيئة المحلفين هو دمج المؤسسات القانونية الجزائرية في القانون الفرنسي العام وأن هذا الإجراء يعجل بنمو المستعمرة...³ وأصبح بذلك القاضي المسلم يخضع للقاضي الفرنسي.

¹ الجليلي : تاريخ الجزائر العام ، ج 03 ، 126.

² نفسه.

³ صالح فركوس ، أصالة وتغريب مشروع فرنسا الصليبية والمجاهة الإسلامية ، دار الكوثر للنشر (الجزائر) 1991 ص 66.

² مزيان سعدي (مرجع سابق) ص 54

والملاحظ على الفرنسيين هو محاولتهم استهداف القضاء الإسلامي منذ وطئت أقدامهم أرض الجزائر وذلك من خلال المراسيم والقرارات التي تهدف إلى تهجينه و التضيق عليه والإستخفاف بالقاضي المسلم وذلك كله خوفا مما قد يسببه مستقبلا في الإفتاء بضرورة محاربة الاحتلال والدعوة إلى الجهاد ضد كل الأجانب.

2- التبشير: علاوة على اعتماد سلطات الاحتلال على اللغة في عملية التبشير والتنصير هناك وسائل أخرى تحذر الإشارة إليها وهي :

-المدرس: من الوسائل التي عولت عليها سلطات الإحتلال في نشر الثقافة الفرنسية فعلاوة على مهمته التعليمية والتربوية كانت له مهمة أخرى ألا وهي إظهار الحضارة الفرنسية وغرسها في أذهان الجزائريين، وقصد تهيئة المعلمين للقيام بهذه الوظيفة بادرت سلطات الاحتلال بإنشاء مدرسة بوزريعة للمعلمين للقيام بالدور الطلائعي في نشر الوعي الاستعماري وطرق التبشير.¹

-الظروف الاجتماعية: لقد استغلت سلطات الاحتلال المحن والأزمات التي توالى على الشعب الجزائري للقيام بعملية التبشير، فقد حدث الجفاف العظيم سنة 1868م وأعقبته مجاعة هائلة في السنوات الموالية ، تبعتها أمراض خطيرة فتكت بالجزائريين فتكا ذريعا وقد قدرت سلطات الاحتلال عدد الموتى آنذاك ب حوالي 200 ألف قتيل.

وفي هذه الأثناء ظهر الكاردينال (لا فيجوري) أسقف الجزائر فكان يطوف بالأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض وهو يحمل الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله ، وجمع طائفة كبيرة من الأيتام واليتيمات لتربيتهم في ظل المسيحية.²

¹ صبيحة بخوش، الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر، مقال منشور في حوليات التاريخ والجغرافيا (مرجع

سابق) ص85

² المدني ، كتاب الجزائر، ص61.

المطلب الثالث: ردود الفعل الأولية :

تنوعت ردود فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية و تعددت أشكالها تنوع وتعدد الأساليب التي استعملتها سلطات الاحتلال في احتواء الجزائريين ، فمنها مثلا المقاومة الشعبية المسلحة التي امتدت لعقود عديدة ، والمقاومة السياسية التي قادتها النخبة الحضرية في بداية الاحتلال ، والهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي¹.

¹ منطلقات وأسس الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص13.

ولا يهمننا منها الجانب السياسي أو المسلح بقدر ما يهمننا منها الجانب الإصلاحى والذي يعد ارهاصا للمصلحين من بعد.

على خلاف مجموعة الحضر¹ الذين انجر بعضهم وراء أكاذيب الاستعمار واغرتوا بوعوده قبل أن يتبين لهم زيف ذلك وهذا ما ينطبق على أحمد بوضرية وحمدان خوجة وأمثالهم والسبب في ذلك هو عداؤهم للأتراك فرأوا في الاحتلال الفرنسى الملاذ الذي يمكن أن يحرر الجزائريين منهم فقدموا له خدمات من خلال المناصب التي تبوءوها² ، فإن المفتيان ابن العنابي ومحمد بن الكبابي تميزا بموقفهما الثابت تجاه الحملة الاستعمارية خاصة ما تعلق منها بالأوقاف الإسلامية وهذه بعض التفاصيل المتعلقة بذلك .

المطلب الثاني دور المفتي ابن العنابي في المحافظة على الأوقاف الإسلامية

ترجمته ودوره السياسي والديني : هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري وشهرته العنابي أو ابن العنابي وكان على مذهب الحنفية³ ، تميز بثقافة واسعة والسبب في

¹ طبقة غنية منحذرة من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس ، كانوا سياسيا في المرتبة الثالثة بعد الأتراك والكراغلة وتميزوا بعاداتهم و تقاليدهم الخاصة و بوضع اجتماعي متميز مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة تضم العلماء و التجار و أصحاب الحرف و الصنائع و الكتاب و الإداريين .
نفس المرجع السابق ، ص186. بتصرف.

² بعد دراسة الفرنسيين للوضع الاجتماعى فى الجزائر وصلوا إلى نتيجة مفادها أن هذه الطبقة ساخطة على (الأترك) فاستغلوا نقطة الضعف هذه حيث وجهوا أنظارهم نحو هذه الطبقة لغرض استغلالها لصالحهم ، و التي كانت بدورها مستعدة للاستعانة بهم لكن بشروط، وبمجرد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر نحو (الأترك) عن الحكم وأسندوا بعض المناصب لهؤلاء الحضر فتولى بعضهم مركز (أغا العرب) مثل حمدن بن أمين السكة، وأصبح بعضهم بايا على التيطري، مثل مصطفى ابن عمر، وأصبح بعضهم رئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر، مثل أحمد بوضرية.
منطلقات وأسس الحركة الوطنية ، مرجع سابق، ص187.

³ أبو القاسم سعد الله ، رائد التجديد الإسلامى ابن العنابى، ط02، دار الغرب الإسلامى، ص22.

ذلك هو اهتمام شخصي بالدرجة الأولى وتقاليد الأسرة بالدرجة الثانية ، تلقى علومه في الجزائر على عدد كبير من المشايخ ممن اشتهروا في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري 18 م ، إضافة إلى أنه كان على قرابة من السلطة يكثر من الأسفار ويتابع مجريات الحوادث وينظر في الكتب الهامة وينظر في تطورات الأحداث وكان مما ساعده على ذلك ذكاء حاد وموهبة نادرة .

أما تقاليد الأسرة فهي التي أمدته بتراث غزير من الأحكام التي كان يصدرها آباؤه والشهرة التي كانوا يتمتعون بها لدى العامة والخاصة ، والمكتبات التي كانوا أنشئوها لأنفسهم والمجالس التي كانوا يعقدونها للمناظرة والمسامرة مع الأصدقاء والخصوم .¹

ويمكن تقسيم دوره إلى ديني وسياسي فالدور الديني لعبه وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر للتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه ، أما الدور السياسي فيتمثل في صلته بدايات الجزائر وفي موقفه من الاحتلال لبلاده وفي إشاراتته بآل عثمان ويضاف إلى ذلك الدور الفكري وهو الذي يظهر على كتابه السعي المحمود من آراء في الحضارة الغربية وضرورة أخذ المسلمين منها ما يرقهم وينسجم مع مبادئهم.²

وأهم دور أداه العنابي في حياته هو الدور الديني فهو قبل كل شيء رجل دين وفكر لا رجل حرب ومناورات عسكرية.³

والذي تجلّى في انتقاداته الشديدة التي وجهها للسلطات الاستعمارية نتيجة عدم وفائها بالعهد وعيبتها بالمؤسسات الدينية وتظهر معارضة المفتي ابن العنابي حينما أمره الجنرال كلوزيل على تسليمه بعض المساجد في المدينة لجعلها مستشفيات للجيش متعهدا له باستعمالها مدة شهرين فقط فرد عليه ابن العنابي بسلسلة من الرسائل يذكره فيها بنصوص الإتفاق الجزائري

¹ نفس المرجع والصفحة.

² المرجع نفسه ص30.

³ عمر قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، (أعلام..قضايا...مواقف...) ديوان المطبوعات الجامعية ، ص20.

الفرنسي وينبئه إلى العواقب التي قد تهيئها هذه السياسة ، وفي كتاباته كان يلوم كلوزيل وينتقد تصرفاته.¹

فضاق كلوزيل ذرعا من جرأته وقرر وضع حد له بتدبير مؤامرة ضده فقد زار مترجم الجيش الفرنسي المفتي ابن العنابي وأخبره بأن القائد العام ينوي الجلاء عن الجزائر ويرغم في تسليمه الحكم فهل يتمكن من تنظيم جيش وقوة كافية للحفاظ على الهدوء في البلاد والدفاع عنها ؟ فأجاب المفتي " لما يجين الوقت سأفعل المستحيل من أجل إعادة التنظيم فسأله المترجم : من أين تجمعون الجيش هل من الضواحي فقط أم أن مصادركم متوفرة في كل الجزائر ؟ فأجابه المفتي: " في المدن وكل الأيالة فعندما يتوجب ذلك فإنه باستطاعتي جمع ثلاثة آلاف رجل في خدمتي وقام المترجم بإخفاء رجلين ليشهدوا على الحادثة "².

فقرر كلوزيل سجن المفتي ثم نفيه وفي ذلك يقول حمدان خوجة " كان المفتي سيدي محمد بن العنابي رجل عدل وإنصاف مملوء عفة وفضيلة ، وذنبه الوحيد أنه كان يكتب دائما إلى القائد كلوزيل فينتقد أعماله التي تبدوا مخالفة لشروط معاهدة التسليم وقوانين الفرنسيين ، وحقوق الإنسان ، ولكن القائد أبي أن يسمع شيئا ، بل أمر رجال الدرك أن يقبضوا على المفتي ويضعوه في السجن ، وحتى عائلته لم تنج من جميع أنواع الإهانات والتنكيل والإغاظاة التي لا نظير لها ، بحجة أنها قد دست على الفرنسيين وتآمرت عليهم "³

ثم يضيف حمدان " عندما أحيط المفتي علما بقرار نفيه وإبعاده عن وطنه تقدمت من جديد إلى القائد العام (كلوزيل) لألتمس منه على الأقل أن يعطيه مهلة يتمكن خلالها من تنظيم شؤونه وبيع أرزاقه من أثاث وعقار وهلم جرا...

وبعد صعوبات شديدة فزت بموافقة على مهلة لا تتجاوز عشرين يوما شريطة أن يبقى تحت ضماناتي ، وبعد انتهاء المدة التي نظم خلالها أموره غادر الجزائر صوب الاسكندرية "⁴

¹ أبو القاسم سعد الله ،رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي ، ص88.

² المرجع نفسه ، ص81.

³ حمدان بن عثمان خوجة الجزائري المرأة (لحة تاريخية وإحصائية على أiyالة الجزائر) ، ترجمة محمد بن عبد الكريم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (لبنان) 1972م ، ص222.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة (مرجع سابق)ص224.

-مصير المفتي ابن العنابي: هو الآخر تعرض إلى نفي بسبب تحركاته ونشاطه في الدفاع عن الأوقاف الإسلامية فلم يجد كلوزيل حلا إلا إبعاده نهائيا من البلاد ليضع حدا له ثم واصل نشاطه مفتيا ومدرسا ومجتهدا إلى أن وافته المنية سنة 1267هـ.¹

دور المفتي ابن الكبابي في المحافظة على الأوقاف الإسلامية

فإذا كانت سلطات الاحتلال في البداية (في عهد ابن العنابي) تجس نبض الجزائريين في قراراتها التي تتعلق بالأوقاف الإسلامية، فإنها في عهد بن الكبابي دخلت حيز التنفيذ الفعلي وإذا كانت المواجهة في البداية ممثلة في شخصية ابن العنابي فإن المواجهة في هذه المرحلة هو غالبية الشعب ممثلين في شخصية محمد بن الكبابي، وإذا كانت القضية في البداية تتعلق بالأوقاف الإسلامية فإن القضية في هذه المرحلة تتعلق بالأوقاف زائد اللغة ، لذلك اعتبر المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن الاصطدام الثقافي (الديني واللغوي) قد أخذ شكلا رسميا واضحا منذ 1843م ، حين وقف المفتي المالكي مصطفى بن الكبابي ، مؤيدا من أهل البلاد، ضد قراراتين رسميين فرنسيين ، الأول ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة ، والثاني ادخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية².

وقد مر معنا أهمية الوقف دينيا وثقافيا واقتصاديا علاوة على أنه يضم أصحاب الرأي المعادي للفرنسيين، لذلك لم تتوان سلطات الاحتلال بقيادة بيحوا بضم الأوقاف إلى أملاك الدولة يخدم هدفين معا : اقتصادي وهو الزيادة في رصد الميزانية الفرنسية ، وسياسي وهو السيطرة على أصحاب الرأي المضاد للوجود الفرنسي، ولم تكتف سلطات الاحتلال عند هذا الحد ، بل تجاوز ذلك إلى محاولة فرض اللغة الفرنسية على الصبيان المسلمين في الكتابيب القرآنية في محاولة منها إلى القضاء على اللغة العربي أحد مكونات الهوية الوطنية .

¹ عمر قينة (مرجع سابق) ص 21.

² د/ سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، ص 11.

ولكن الجزائريين قاموا هذا القرار وقد كان رمز هذه المقاومة والمتحدث باسم الجزائريين في هذه القضية الثقافية الهامة هو مصطفى بن الكبايطي مفتي المالكية عندئذ، فهو الذي كان الوساطة بين الفرنسيين والأهالي إذ كان الفرنسيون يبلغونه بأوامرهم وهو يبلغها للأهالي ثم يقوم هو بتبليغ رأي الأهالي إلى الفرنسيين مع ابداء رأيه أمام هؤلاء وأولئك.¹

ومن هنا بدأ التصادم بين الطرفين فالمفتي بن الكبايطي كان غير مقتنع بالقرار الفرنسي في الحالتين ، ولذلك عارضه أشد المعارضة على أسس دينية ووطنية ورأى فيه جورا وتعديا على حرمة الدين ورجاله وعلى لغة القرءان.²

ورأيه ليس بسيطا ، ولكنه رأي يمثل وجهة نظر الدين في جميع القضايا المعروضة ، فما رآه متماشيا مع التعاليم الدينية قبله وحاول إقناع غيره لقبوله وما رآه مخالفا للتعاليم الدينية رفضه وحاول إقناع غيره برفضه .

من مواقفه: تزوجت إحدى الجزائريات واسمها " نور اللوز " مع فرنسي وكان للقاضي الحق في النظر والحكم في الجنايات وكان القاضي في تلك السنة " 1831م سيدي أو عزيز " فحكم عليهما بالإعدام ، وبفتوى الشيخ الكبايطي يقول " لا شك أن هذه المرأة حصنة وهذا النكاح متفق على فساده فهو منها زنى بعد حصان (عزلت الحكومة الفرنسية المفتي بن الكبايطي وسيدي أوعزيز لما أن أرادت أن تخلف القاضي وقد امتنع كل من له كفاءة عن القبول رغم شدة الحاجة لهذا المنصب المرموق ولما سمعت الدولة بباريس بالحادثة أمرت تسترا أن ترجع الحكومة عن قرارها كيلا يقال أنها أتت بمخالفة الشرع ، وحاولت أن تجد لها سببا آخر للعزل

سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص13.

² المرجع نفسه ، ص14.

، واتهم الشيخ بن الكبابطي في فتواه بالجمود والتزمت وعدم التفتح إذ كيف يفتي بإعدام امرأة لا ذنب لها إلا التزوج بنصراني ، ألا يكفي أن يفتي بفسخ هذا النكاح " .¹

كما عمل المفتي المالكي مصطفى بن الكبابطي على تعظيم أمر المسلمين ويخالف ما تأمره به السلطة الفرنسية خاصة ما يخالف الشرع والدين ، فأمروا في إحدى المرات على فقهاء المكاتب والأهالي أن يرسلوا أولادهم إلى مكاتبهم ليتعلموا اللغة الفرنسية والرياضيات فكان بعدهما بن الكبابطي في هذا ولكنه يخلف معهما الوعد دائما خوفا منه على أذهان الأطفال أن يخرجوا عن الإسلام .²

مصيره:

حكم الفرنسيون سنة 1843م بالنفي من الجزائر على مفتي المالكية ، بعد أن ودع الأهل والأرض التي تربى فيها ورحل إلى الإسكندرية وقضى فيها بقية عمره إلى أن توفي سنة 1860م.³

وإذا كان الطغيان الاستعماري قد تغلب في النهاية فحكم بالنفي على المفتي المذكور وضم الأوقاف إلى أملاك الدولة وفرض لغته على الجزائريين ، فإن موقف المفتي والأهالي عندئذ بقي رمزا للتحدي الوطني ورغبة شعبية لم تبرزها من جديد إلا نصوص الحركة الوطنية وموثيق الثورة .

ولكن وجود مثل هذه الشخصيات في سلطة الإفتاء وشخصياتهم القوية وهمتهم العالية وجرأتهم على معارضة الاحتلال ، كل ذلك لفتت إليهم الأنظار وجعلتهم قادرين في أعين أعدائهم على الأقل ، على القيام بثورة بضدهم تجعل وجودهم في الجزائر محل شك ، لذلك

¹ محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، دار موفم للنشر (الجزائر) 2007م، ج 01، ص 25-26.

² أعيان من المشاركة والمغاربة، تاريخ عبد الحميد، تقديم وتعليق د/ أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان) ط 01، 2000م، ص 208.

³ تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) د.ط ، د.ت، ص 71.

قرروا ضربهم قبل أن يضربوهم ، وقد استمرت هذه السياسة من كلوزيل إلى روفيعو إلى بوجو ، وهذه السياسة تقوم على إبعاد جميع العناصر الخطرة ذات النفوذ أو التي يمكن أن تلعب دورا اجتماعيا وسياسيا بين المواطنين ، حتى يخلو الجو للسلطات الجديدة.¹

ويمكن اعتبار معارضة المفتيان ابن العنابي ومحمد بن الكبابطي في طليعة ردود الأفعال الجزائريين تجاه حملة المسخ الفرنسية والذان تنبأت سلطات الاحتلال إلى الخطر المحدق من طرفيهما فقامت بنفيهما ، تلاها بعد ذلك رفض المجتمع لهذه السياسة وفي ذلك تقول المؤرخة الفرنسية (تورين tourin)

"...وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى ومستخدمي المعلم والطبيب... الخ، ورد المسلمون الهدية المسمومة إلى صاحبها الذي قضى حوالي 20 سنة (1830-1850م) ينشئ المدارس فلا يجد لها من تلاميذ، وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى ، وتعددت الصعوبات في وجه المحتل وكثرت ، وأصبح الدين الإسلامي كالإسمت المسلح يحمي المجتمع من التفكك والاندماج.²

وباستثناء هذان الموقفان لا نجد في هذان الفترة محاولة جادة ذات منهج واضح وأهداف محددة لذلك سماها بعض الباحثين بمرحلة الانكماش حيث أصيبت الثقافة العربية وأصيب التعليم العربي بصفة عامة بضربة قاضية كادت أن تودي بها(1830-1910)³

ومع عودة بعض الجزائريين الذين زاولوا دراستهم بالمشرق عرفت الحركة العلمية بالجزائر نوعا من اليقظة ويعتبر الشيخ عبد القادر المجاوي من أبرز رجالها .

¹ سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، ص 75.

²-Yuvanneturine affortment culturale dans l'Algérie coloniale française masperoparis 1971 p25.

نقلا عن مازن صلاح مطبقاني ، الشيخ عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، عالم الأفكار للنشر والتوزيع ، المحمدية (الجزائر) ط 01 2005.ص 24.

³ تركي رابح، ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، ص 96.

ولئن كانت ردة الفعل هذه طبيعية من عاملين مسلمين يريان بيوت الله تداوس ورموز الإسلام تمس إلا أنهما أعطيا المثل والقذوة لما يجب أن يتحلّى به العالم المسلم المصلح تجاه المؤامرات التي تستهدف وطنه ، فهذا هو وجه الشبه بين ردة الفعل التي كانت في بداية مرحلة الانكماش والحركة الإصلاحية التي كانت في مرحلة اليقظة والتي تزعمها الشيخ المجاوي أما ما سوى ذلك فلا يمكن المقارنة بينهما للأسباب التالية :

- أن الآثار الحقيقية لحركة المسخ التي تبناها الاستعمار مازالت آثارها لم تظهر بعد بحيث وجدت مقدماتها فقط ، ألا وهي الاعتداء على المؤسسات الدينية والأوقاف الإسلامية.
- عدم وجود الوقت الكافي لقراءة الواقع قراءة جيدة من طرف المصلحين ابن الكبابطي ومحمد ابن العنابي ودراسة طبيعة الاستعمار إذ أحسنا الظن به فلم يكونا يتوقعان نقضه لمعاهدة الاستسلام واستهتاره بمقدسات المسلمين.
- أنهما لم يعمرا طويلا مع الاستعمار .

ولئن كان الشيخ المجاوي لم يعيش الظروف نفسها التي عاشها أسلافه بل عاش ظروفًا أحسن فهل استطاع أن يستغل نقطة القوة هذه ويحقق ما عجز عنه أسلافه؟ وقبل الإجابة عن ذلك يجدر بنا التطرق لتفاصيل حياته فمن هو الشيخ المجاوي؟

الفصل الثاني: التعريف بالشيخ عبد القادر المجاوي

المبحث الأول ترجمته ونشأته العلمية :

سبقت الإشارة في المقدمة إلى أن الشيخ المجاوي ظلم ولم يلق القدر الكافي من الدراسة والتحليل، غير أن هذا لم يمنع من وجود بعض الدراسات تناولت حياته وجهوده الإصلاحية وقد اعتمدنا على بعضها في دراستنا هذه.

المطلب الأول ترجمته (نسبه مولده)

1- نسبه

هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان الجليلي الإدريسي الحسني، وسمي بالمجاوي نسبة إلى : (مجاوي) أو (مشاوة) إحدى قبائل شمال المغرب الأقصى.¹

2- مولده :

ولد المجاوي رحمه الله باتفاق المترجمين له سنة (1264هـ) الموافق ل1848م ، واختلفوا في تحديد مسقط رأسه الى فريقين :

أ- فريقا يرى أنه ولد في تلمسان ببلد الجزائر وهو ما أورده تلميذه محمود كحول في ترجمته له في (تقويم الجزائر) لسنة 1911م ، في أثناء حياته وتبعه بعد ذلك من ترجم له نقلا عنه. وفريقا يرى أنه ولد بطنجة في المغرب الأقصى وبه أخذ الأستاذ عادل نويهض ، وهذا ماقرره أيضا : الباحث حسين سعدودي في دراسته وتحقيقه لكتاب المجاوي المسمى ب(الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية) مؤيدا رأيه بما يأتي² :

¹ -أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف ، مطبعة فونتانا الشرقية (الجزائر) 1324-1906م، دت،ص446
² أورد هذه الأدلة ، المحقق د/ عبد الرزاق دحمون أثناء تحقيقه لكتاب الشيخ المجاوي ، تحفة الأخيار في ما يتعلق بالكسب والاختيار، دار زمور للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2011م ص13.

- إن عائلة المجاوي كانت من الأسر التي هاجرت مرغمة إلى المغرب الأقصى بعد سقوط تلمسان في أيدي الاستعمار الفرنسي تحت قيادة المارشال بوجو بعد انسحاب الأمير عبد القادر -رحمه الله - والمقاومة منها سنة (1258هـ) الموافق ل (1842م) لاسيما وأن هذه العائلة المشهورة كانت تساند كغيرها من الجزائريين الأمير عبد القادر في المقاومة، فعلى هذا يكون المجاوي ولد بطنجة حيث تقلد والده القضاء، وبقي بها قاضيا إلى ان انتقل إلى ربه عز وجل.

- إن الشيخ الحفناوي أورد في ترجمته للشيخ محمد المجاوي شهادة تلميذه المغربي الشيخ الفقيه أحمد بن حسون قاضي وازان حول شيخه الذي درسه بجامع القرويين وفيها :إنه ولي خطة القضاء بثغر طنجة فخرج إليها من فاس في الربيع النبوي عام (1262هـ) وبقي بها قاضيا ومدرسا وخطيبا الى ان أدركه المنون في ثلاثة وعشرين من رجب عام 1267هـ.

- أن الناسخ محمد الصالح ابن العنزي نسب في النسخة الثانية لكتاب (الدرر النحوية في شرح الشبراوية) مؤلفه الشيخ المجاوي الى المغرب فكتب على غلاف الكتاب العبارة التالية : (كتاب الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية) تأليف الشيخ الحسيب النسيب عبد القادر المجاويالجيلي الحسني المغربي ، وهذه النسخة كتبت بعد سنتين من ظهور نسخة المؤلف أي سنة (1298هـ). وكان حينها لا يزال مقيما ب قسنطينة، و الظاهر أنه لم يعترض على ذلك لإيمانه بأن الأمة الاسلامية تكون وطنا واحد وان اختلفت الأقطار وليس لأحد أن يشك في وطنيته اذ لو لم يكن كذلك ما تجشم عناء الرجوع والإقامة والجهاد العلمي في وطن يريزخ تحت نير أعتى قوة استعمارية آنذاك ، في الوقت الذي جاهر فيه الكثير ممن كان يجب أن يبقوا لحاجة الأمة إليهم .

ونحن نرجح الرأي الأول وهو الذي عليه أغلبية المؤلفين الذين ترجموا حياة الشيخ المجاوي وهذا ردنا على الأدلة التي تؤيد فرضية مولده بالمغرب :

- بالنسبة للدليل الأول وهو كون عائلة الشيخ المجاوي هاجرت إلى المغرب بعد سقوط تلمسان وانسحاب الأمير عبد القادر منها سنة 1258هـ -1842م أي قبل مولد الشيخ المجاوي وهذا ما يؤيد فرضية ميلاده بالمغرب ، لكن من قال إن هجرة عائلة الشيخ إلى المغرب كانت مباشرة بعد سقوط تلمسان ؟ فقد ذكرت حفيدته أن هجرة العائلة تأخرت إلى ما بعد ميلاد ابنه عبد

القادر ، أي بعد استسلام الأمير عبد القادر في ديسمبر سنة 1847م وميلاد ابنه عبد القادر عام 1848م فيكون بذلك جزائري المنشأ.¹

- بالنسبة للدليل الثاني : وهو تلك الشهادة التي أورده الحفناوي للتلميذ المغربي الفقيه أحمد بن حسون قاضي (وازان) للشيخ محمد المجاوي وهو أنه ولي القضاء بطنجة عام (1262هـ) وبقي بها قاضيا إلى أن توفي سنة (1267هـ)، وهذا يصدق لو كان الأمر يتعلق بالأب عبد القادر لكنه يتعلق بالجد الذي يحتمل أنه هاجر قبل ابنه وحفيده بدليل أن الأب عبد الله هاجر إلى المغرب سنة 1848م والجد محمد توفي سنة 1850م.

- وأما بالنسبة للدليل الثالث وهو أن الناسخ محمد الصالح ابن العنزي كتب عنه في نسخة كتاب (الدرر النحوية في شرح الشبراوية) بأنه مغربي ولم يعترض على ذلك ، فقد يكون ذلك تعبيرا منه على الأخوة التي تجمع البلدين أو اعترافا بجميل هذا البلد الذي درس فيه ووجد فيه الملجأ حين عز عليه الاستقرار في وطنه.

ونحن لا نهمنا هذه الاختلافات في مكان المولد بقدر ما يهمنا أن أبواه جزائريان وفي ذلك خير دليل بأن نسبه لبلده الأصلي الذي ينحدر منه.

المطلب الثاني: نشأته العلمية :

في بداية الأمر قضى الشيخ المجاوي سنوات طفولته بمسقط رأسه تلمسان وبها تلقى دروسه الأولى حيث بدأ بحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا بسبب الحالة التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك تحت وطأة الاستعمار ، ثم تابع مساره الدراسي متنقلا بين المدن المغربية : تطوان وطنجة وفاس وغيرها في فترة التحصيل العلمي ما بين سنتي (1855م -1868م) وختم رحلته التعليمية بجامعة القرويين (أحد القلاع العلمية الرائدة بالمغرب العربي) واستزاد خلال مساره ذلك بآداب اللغة العربية وعلوم الشريعة

¹ - سمية أولمان، دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه" إرشاد المتعلمين " في الصمود الفكري بالجزائر، طبع الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ط01، د.ت، ص13.

الإسلامية: من فقه ، وفرائض ، وحديث ، وتفسير ، بالإضافة إلى المنطق ، والتصوف والتاريخ والحساب والفلك.... الخ¹.

شيوخه :

في دراسته الابتدائية والثانوي أرسله أبوه إلى تطوان في الريف وكان فيها علماء صالحون يتولون التعليم الابتدائي والثانوي في مساجدها ودور العلم فيها ، فاجتاز المرحلة الابتدائية والثانوية من التعليم بها ، وكان من أساتذته الشيخ مفضل أفيلال² والشيخ الطيب اليعقوبي³ وغيرهم⁴.

وكان فشيوخه في القرويين هم : الشيخ محمد العلوي قاضي فاس والشيخ محمد قنون والشيخ محمد بن سودة ، والشيخ أحمد بناني والشيخ جعفر الكتاني درس فنون العلوم على هؤلاء العلماء فأجازوه وأذنوا له في التدريس وكان جلهم تلامذة أبيه⁵.

محمد قنون (كنون) المغربي: محمد قنون 1333هـ-1915م : محمد التهامي بن التهامي بن المدني بن علي بن عبد الله قنون فقيه مالكي من الوعاظ من أهل فاس سكن طنجة وتوفي بها له تأليف منها نصيحة المؤمن الرشيد في الحض على تعلم عقائد التوحيد و الأربعينات الحديثية في مسائل مختلفة و أربعون حديثا في فضل الحج وأقرب المسالك تعليق على الموطأ ومناهل الصفا في حل ألفاظ الشفا⁶

¹ د/ نفيسة دويد ، ملامح الريادة عند المجاوي (مقال منشور في حولايات التاريخ والجغرافيا) ص 13 .

² محمد المفضل بن محمد الهاشمي أفيلال التطواني ولد عام 1239هـ كان مشاركا مطالعا له أرجوزة سماها مضحك العبوس ومجلي الهم ونكد اليوس على طريق البسيط توفي ببلده تطوان.

موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي ج 08 ، دار الغرب الإسلامي ط 01 1996-1417هـ، ص 1304 .

³ الطيب اليعقوبي التطواني : علامة جامع بين العلم والعمل أستاذ مجود، ولد عام 1224هـ.

⁴ دبور نفضة الجزائر الحديثة ، ص 86.

⁵ المرجع نفسه ص 87

⁶ الأعلام للزركلي، ج 06 دار العلم للملايين، ط 15 2002م. ص 65.

محمد العابد بن سودة: خطيب جامع الأندلس بفاس ، عالم ، فاضل ، من آثاره (الأبناء المنشودة من شمائل رجال بيت بني سودة) أو (النسمات النسرية من شمائل رجال الشعبة المرية القرشية) فرغ منه سنة 1352هـ توفي عام 1359هـ في حياة والده وجدده العالم المشارك النجيب النابغة ودفن بزواية جده.¹

جعفر بن إدريس الحسن الكتاني:

جعفر بن إدريس الكتاني (ت1857هـ) علم الأعلام المحدث المشارك المطلع الحجة الحافظ الولي الصالح ، له ولع بكتب السنة شغوف بالرواية والإسناد ، ألف تأليف عديدة منها : حاشية على صحيح البخاري لم تكتمل وحاشية على جامع الترمذي والرياض الربانية في الشعبة الكتانية والشرب المحتظر في رجال القرن الثالث عشر ومولد نبوي وشرح على همزية قريبه الشيخ محمد بن عبد الواحد المتوفى عام (1289هـ) وله فهرسة في أشياحها وأسانيدها سماها: (إعلام الأئمة الأعلام بما لنا من المرويات وأسانيدها) ، إلى غير ذلك من التأليف التي تقرب من المائة.²

محمد بن الطيب البوعزاوي الشاوي

كان علامة مشارك له زاوية وأتباع بالمغرب وتحكى عنه كرامات وله تأليف منها رسالة المرید في منهل أهل التوحيد ، النحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب ، رسالة في الرد على الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني المتوفى عام (1327هـ) وله معارضة دليل الخيرات طبع على الحجر في سفر صغير إلى غير ذلك من التأليف دفن بزوايته بمراكش.³

أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي المغربي أبو العباس الملقب ب : (كلا) هو أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي العلامة المشارك المطلع النفاة القاضي ، ولد (1260هـ)

¹ إتخاف المطالع السابق (مرجع سابق) ص350.

² المرجع نفسه ص 365.

³ نفسه، ص 407.

له تأليف حاشية على شرح المكودي على الألفية لم تكتمل ، وحاشية على شرح ميارة على المرشد وشرح البردة وغير ذلك من التأليف ، تولى القضاء مدة وتوفي ببلده ودفن بالزاوية الناصرية هناك.¹

محمد بن محمد النجار الشفشاوني: العلامة المشارك الصوفي الدراكة الفهامة المرشد ، من أكبر تلامذة الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي توفي بالرباط 1248 ودفن بها.²

المطلب الثالث حياته العملية وعوامل نبوغه

حياته العملية : رجع المجاوي من فاس إلى تلمسان بين سنتي 1869 و1870م وعزم على مواصلة جهاده العلمي والتربوي بها ، غير أن الله تعالى قدر له الاستقرار بقسنطينة مدينة العلم والتدين والإصلاح والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي الأسباب التي جعلته يختار مدينة قسنطينة دون غيرها ؟

لعل ما يفسر لنا هذا الاختيار هو أن أهالي وأعيان قسنطينة قد دعوه إليها لتعليم أبنائهم في مدرسة حرة ردا منهم على اهتمام فرنسا المتزايد بالمدرسة الفرنسية الإسلامية " السلطانية" وسعيها لاحتكار التعليم و الدين الإسلامي والقضاء، كما أن عبد القادر المجاوي تربطه علاقة مصاهرة بعائلة الأمير عبد القادر بن علي أبو طالب³ ، الذين استقروا بالشرق الجزائري واشتغلوا في القضاء فرمما كانوا هم الواسطة بين أعيان قسنطينة والشيخ عبد القادر المجاوي للاستقرار بها.⁴

ومكنته رحمه الله مصاهرة عائلة البوطالي القريبة من عائلة الأمير عبد القادر بعد عودته من الحج من أداء مهمته الإصلاحية ومن عدم تضيق السلطات الفرنسية عليه ،ولو نسبيا كما

¹ إتحاف المطالع (مرجع سابق) ص 430

² نفسه، ص 1250.

³ هم أبناء عمومة الأمير عبد القادر ، انظر : تاريخ الجزائر الثقافي ج 8، ص 96

⁴ أنظر : دا نفيسة دويد ص 26.

حدث لغيره من العلماء والمصلحين على غرار تلميذه حمدان الونيسي، وعين مدرسا في المدرسة الشرعية الفرنسية التي كان التدريس فيها حكرا على أصحاب الولاء لفرنسا والشيخ لم يكن من أولئك الصنف من العلماء الذين باعوا أمتهم بعرض من الدنيا قليل.

وبغية التقليل من نشاطه الديني والإصلاحي الذي أخذ يوقظ العقول ، ويفتح الأبصار ، ويوجه نحو الطريق القويم ، لأن هذا النوع من النشاط أشد ما يهدد الاستعمار ، أرغم على مغادرة قسنطينة بحجة الارتقاء إلى منصب أعلى وهو منصب أستاذ في الفقه في القسم العالي بمدرسة الجزائر العاصمة (الثعالبية) ، كما عينته الحكومة الفرنسية إماما وخطيبا للمذهب المالكي في مسجد سيدي رمضان وهو من أقدم مساجد العاصمة ، وأثناء هذه الفترة العاصمة ضل الشيخ عبد القادر المجاوي وفيما لمبادئه فقد ألف وعلم وخطب وكتب في الصحف كما اقتحم عالما جديدا ألا وهو النشاط الجمعي.¹

ولقد كرم الشيخ المجاوي بجيازته على ثلاثة أوسمة فخرية ، كرمته بها السلطات الفرنسية الغاصبة آنذاك زاعمة أنها نظير ومقابل مجهوداته العلمية ومساهماته الاصلاحية والفضل ما وهذه الأوسمة هي :

1- وسام المعارف الذهبي سنة 1898م.

2- وسام الاحترام شوفالي سنة 1906م .

3- وسام الافتخار التونسي من درجة التطويق سنة 1910م .

عوامل نبوغه: هناك عوامل كثيرة ساهمت في نبوغ شخصية الشيخ عبد القادر المجاوي أهمها:

1- العائلة :

فقد نشأ في وسط علمي بامتياز فجدده محمد (1793 - 1850 م) كان يدرس في جامعة القرويين بالمغرب لعدة سنوات كما ساهم في تكوين عدد كبير من العلماء و الفقهاء مثل محمد

¹ - سمية أولمان ، مرجع سابق، ص21-22.

العلوي (قاضي مدينة فاس) و الشيخ جعفر الكتاني الذي كانت له اليد الطولي في جميع العلوم ، و مهما أخذ في تدريس فن ، حسبته لا يعرف سواه ، و أنه أفنى عمره فيه ، و ما ذلك إلا لتضلعه و اطلاعه ، يأتيه الأشياخ فيما يستشكلونه من الغوامض ، فينزل ما خالج في قلوبهم من العوارض ... الخ ، كما أنه كون بعض المدرسين الذين ساهموا فيما بعد في تعليم حفيده عبد القادر .

وكان أبوه عبد الله المجاوي قاضيا في مدينة تلمسان ، كما أنه درس في نفس المدينة ، مما جعل عدد كبير من علماء الحاضرة و ضواحيها يتعلمون على يده ، خاصة أنه كان يشتهر بالاستقامة و الصدق التام.

وأمأ أمه فهي كذلك تنتمي إلى عائلة ذات مكانة العالية و نفوذ معتبر في غرب الجزائر ، اشتهرت بتمسكها الشديد بالدين و العقيدة ، فكانت تدعى (عائشة بنت الحاج السنوسي)، و هذه العائلة خلقت أكبر العلماء و الفقهاء المسلمين في شمال إفريقيا و سمعتها في هذه الناحية من العالم كانت جد معتبرة وقد رافقت الأم ابنها في التربية و حرصت على أن يتابع المنهج العائلي المرتكز على الدين و أصوله و التوجه نحو العلم المفيد ، فكرست حياتها لتأدية هذه المهمة ، فكان لها ما أرادت.¹

2- واقع المجتمع الجزائري

إن الوضع المتأزم الذي عاشه المجتمع الجزائري و انعكاس ذلك على واقعه الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي ، دفع بالأحرار و الغيورين من أبنائه إلى الجزم والتشمير على السواعد من أجل تجاوز الوضع و العمل يجد نحو غد أفضل و كما يقول المثل "الأزمة تلد الهمة" و حالة

¹سمية أولمان، مرجع سابق، ص21-22.

الإنسان وقت الشدّة و العسر غير حالته أوقات اليسر و الفرج، فهو من واجبه العمل و السعي لبلوغ المطالب و الأهداف لكن عمله قد يتضاعف أيام الأزمات و النكبات لأن الظروف التي أملت عليه ذلك .

فبعدا الحملة الشرسة من الاستعمار التي استهدفت أهم مقومات المجتمع الجزائري (اللغة ، الأرض ، الدين) ، انبرى المخلصون من أبناء الوطن لإنقاذ ما تبقى ثم استرداد الآخر مستعملين في ذلك نوعي المقاومة :

-**مسلحة** : و المتمثلة في الثورات الشعبية المختلفة التي عمّت التراب الوطني .

-**فكرية و علمية** : و تتمثل في تخليص المجتمع الجزائري من يرثن الجهل و الأمية التي كان يتخبط فيها، و قد كان شيخنا المجاوي من أعلامها فقد قضى حياته مصلحا ومعلما ومؤلفا و إلقاء نظرة فاحصة في الأسباب التي دفعته إلى تأليف العديد من كتبه يجعلنا نكتشف ارتباطها بالواقع المرير للمجتمع الجزائري ، فهي لم تؤلف صدفة و إنما هناك أسباب حقيقية كان من ورائها الاستعمار الفرنسي فمثلا كتاب (تحفة الأخيار في ما يتعلق بالكسب و الاختيار) جاء نتيجة للدعاية التي عمل الاستعمار على نشرها في أوساط المجتمع الجزائري وهي أن احتلاله للجزائر قضاء و قدر، و ما عليهم إلا الرضى و التسليم ، فجاء ردّ الشيخ المجاوي مفندا هذه الإشاعة مبينا أن للإنسان اختيار و قدرة ، وأن الرضى بالأقدار لا ينافي الأخذ بالأسباب .

وقد ألف كتابه (إرشاد المتعلمين) ردا على السياسة التجهيلية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري، حيث بين فيه فضل العلم و التعلم و ما يجب على كل شخص أن يتعلمه ثم ختم ذلك بفضل (المعاش) الذي تطرّق فيه إلى بعض الحرف التي تعين الإنسان في حياته كالزراعة و الصناعة و التجارة، و لعل السؤال الذي يطرح نفسه : ما علاقة المعاش بأنواع العلوم ؟ و الجواب و بكلّ بساطة أنه بالعلوم تحيا النفوس و الأرواح و المعاش تحيا الأجسام و الأبدان ، و الإنسان جسم وروح .

ولم يكتف الشيخ المجاوي بهذا بل فصل في كتابة (المرصاد في مسائل الاقتصاد) ما ينظم أحوال المعاش و يزيد من فاعليته .

ومن الدلائل أيضا على واقعية الشيخ المجاوي هو حنكته في معالجة الآفات الاجتماعية التي سادت المجتمع الجزائري آنذاك هو شرحه لمنظومة البدع لتلميذه ابن الموهوب ، و اختياره لهذه المنظومة بالذات لم يكن اعتباطا أو من محض الصدفة ، بل لأنها تطرقت لبعض الآفات التي عمت المجتمع الجزائري بمساهمة من الاستعمار آنذاك كالخمر و القمار و الربا.

كما قام بشرح منظومة العارف بالله الإمام المنزلي نظرا لشاب التصوف في زمانه كثيرا من الدجل و الخرافة ، فأراد من خلاله أن يوجد نصائحه للمبتدئين و تسديد خلل المريدين كي لا يزيغوا عن الطريق و من هنا يتبين لنا مدى واقعية الشيخ و تجاوبه مع قضايا عصره، و لعلنا لا نتصور شخصية للمجاوي بهذا الحجم من سعة الاطلاع و غزارة العلم و كثرة الانتاج إذا كانت أوضاع الجزائريين أفضل.

3-البيئة : فقد تنقل الشيخ المجاوي بين العديد من الحواضر العلمية (تلمسان و فاس قسنطينة)

أ- **تلمسان :** توفرت مدينة تلمسان على عدة خصائص تبوأ من خلالها مصاف الحواضر العلمية العالمية ، فبداية من موقعها الجغرافي الممتاز بحكم أنها أقرب منطقة إلى المغرب الأقصى الذي يوجد فيه أحد أهم مراكز الإشعاع في المغرب العربي ألا وهو جامع القرويين . كما استفادت المدينة من توافد الأندلسيين عليها لما سقطت بلادهم و هجر منها أهلها قصدا فوجدوا من تلمسان و أحوازها كل ترحاب.¹

¹د./قندوزماحي .حاضرة تلمسان و مساهمة فقهاؤها في خدمة المذهب المالكي ، محاضرة مقدمة لأشغال الملتقى الوطني الثاني جهود الفقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي (1413 ربيع الثاني 1433 هـ) (07.06 مارس 2012 م) قسم العلوم الإسلامية معهد العلوم الاجتماعية و الانسانية جامعة الوادي (الجزائر) ص 109 .

دون أن تنسى أنها كانت عاصمة المغرب الأوسط (الجزائر) أكثر من ثلاثة قرون (الدولة الزبانية 1236-1554) و تنافس بين زيان في بناء المدارس و المساجد واستدعاء كبار الفقهاء و العلماء ، فعرفت تلمسان نهضة علمية و فكرية كبيرة جدا و قد وصفها العلامة ابن خلدون بقوله: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد ، و حطتها تتسع و الصروح بها بالآجر و القرميد تعلى و تشاد ، إلى أن نزلها آل زيان و اتخذوها دار لملكهم و كرسيها لسلطانهم ، فاحتطوا بها القصور المؤنقة و المنازل الحافلة و اغتسوا الرياض و البساتين و أجرؤا خلالها المياه ، فأصبحت أعظم أقطار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ، و نفقت بها أسواق العلوم و الصنائع . فنشأ بها العلم و اشتهر فيها الأعلام ، و ضاهت أمصار الدول الإسلامية و القواعد الخلافية"¹

ب- قسنطينة : اشتهرت بنشاطها العلمي و الثقافي المكثف منذ العصر الوسيط و خلال العهد العثماني واستمر ذلك حتى العصر الحديث بالرغم من الظروف السياسية المغايرة إذ صارت تسمى بمدينة العلم و العلماء ، ويعزى ذلك بعض الباحثين إلى حيويتها من التعليم المسجدي الموغل في التاريخ و كثافة إنتاج علمائها من الصفات ناهيك عن النشاط الصوفي و العمل التربوي مما جعلها تمتلك مقومات إنجاب العلماء و الفقهاء و الصوفية و كفل لها ذلك القدرة على تجديد دورة توليد الأفكار في الإصلاح الديني و الاجتماعي و الاجتهاد العلمي جيلا بعد جيل².

ج- فاس : تحتل مدينة فاس مكانة مرموقة من بين مدن المغرب العربي ، لما اشتمل عليه من مؤسسة تعليمية عريقة وهي «جامع القرويين» والذي أضحى المسجد منذ تأسيسه مركزا علميا بارزا، بحيث استقطب العلماء والطلاب من المغرب، وخارجها حتى صارت له القيادة في هذا الميدان العلمي والثقافي.

¹ ابن خلدون ، ديوان العبر...، ج 07، ص 105

² عبد العزيز فيلاي . المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس . دار الهدى عين مليلة (الجزائر) د ط . دت ، ص

ولقد اشتهر من فاس جماعة من أهل العلم ونسبوا إليها منهم أبو عمرو عمران بن موسى الفاسي¹ فقيه أهل القيروان في وقته، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البناء² وهو أشهر رياضي في عصره، وأبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الشهير بابن باجة³ وكان ممن نبغوا في علوم كثيرة منها اللغة العربية والطب وكان قد هاجر من الأندلس وتوفي بفاس.

¹أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي المعروف بأبي عمران الفاسي ، ولد بفاس 356 هـ 975-976 / ، توفي بالقيروان 13 رمضان 430 هـ / 7 يونيو . (1039 فقيه وحافظ ومحدث وأصولي مالكي ومن أبرز أعلام هذا المذهب، ترك أثراً كبيراً في تاريخ بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، حيث أسهم في إحداث تغييرات جذرية في انتماءات بلاد المغرب الفكرية والمذهبية، ونصبت منه زعيماً شعبياً تبنى مبادرة إصلاحية، والتي تُوجت بظهور الحركة المرابطية، والذي مثل فيها أبو عمران دور العقل المدبر.

انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية-تأليف محمد بن محمد مخلوف-تحقيق:علي عمر-مكتبة الثقافة الدينية/القاهرة-الطبعة الأولى/2006-ج/1-ص:255-رقم:312

² أبو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي 654 هـ 721 - 1321 هـ 1256 م عالم مغربي برز بصفة خاصة في الرياضيات والفلك والطب، وكان متفنن في علوم جمّة، كالتنجيم، والعلوم الخفية. قضى أغلب فترات حياته بمراكش، وهو معاصر للدولة المرينية. أسس ابن البناء المراكشي مدرسة علمية مهمة في المغرب، أكتبت على مدى قرون على تدريس مؤلفاته وشرحها وتداولها في مختلف جامعات العالم.

انظر : التنبكي ، نيل الابتهاج بتطهير الديباج، دار الكاتب طرابلس (ليبيا) 2000م ص65.

³ ابن باجه، هو أبو محمد بن يحيى التنجيني، الأندلسي، السرقسطي، ويعرف بابن الصائغ، الفيلسوف، الشاعر. توفي بفاس عام 544، وقيل: إن جماعة من أطبائها سمّوه حسداً وعدواناً، وذكره ابن أبي أصيبعة في كتاب "عيون الأنباء"، وذكره ابن الطفيل، وهما متعاصران.

انظر: صديق حسن خان، التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر 1428هـ-2007م ج 01 ص 287 .

يقول عبد الرحمن المراكشي منوها بحضارة قرطبة والقيروان: " فاس هي حاضرة المغرب، وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، عندما كانت قرطبة، عندما كانت قرطبة حاضرة الأندلس والقيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان وأمر قرطبة رحل عن هذه وهذه من كان فيهما - من العلماء والفضلاء فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس...، وما زلت تسمع المشايخ يدعونها «بغداد المغرب»، وليس بالمغرب شيء إلا وهو منسوب إليها، وموجود فيها ومأخوذ منها، لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب"¹.

4- عموم الحركة الإصلاحية في الوطن العربي:

من العوامل المساعدة على نبوغ شخصية المجاوي هو تلك الحركة الإصلاحية التي عمت العالم العربي خاصة تلك التي قادها كل من الشيخين جمال الدين الأفغاني و محمد عبدة، فكانت إليه بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس أو الشرارة التي أشعلت النار فتشابه الوضع السياسي بين العديد من أقطار الوطن العربي ساعد في تدعيم أو اصر التعاون بينهم و نبذ كل أشكال الفرقة و الوقوف صفا واحد لمواجهة الخطر الأجنبي ، و لقد أدت السلطات الفرنسية من حيث لا تدري دورا في تعميق التواصل بين أقطار الوطن العربي فقد ضيقت على العلماء ورجال الدين مند بدء الاحتلال ، مما جعل مجموعة منهم تأخذ طريق تونس و المغرب و دول المشرق هربا من التجنيد الإجباري وسعيا إلى تعميق معارفهم الدينية و دراسة العربية و كان من بينهم الشيخ المجاوي، و من الوسائل التي استعان بها:

5- تبادل الزيارات : فقد زار الشيخ المجاوي مدينة فاس و استفاد من الحركة الإصلاحية التي يقودها كل من أي شعيب الدكالي (ت 1356هـ) و محمد العربي العلوي (ت 1384هـ) و التي كانت غايتها تجديد الدين الإسلامي حيث سعت إلى بعث الإسلام الصحيح و تطهير من خرافات الأدياء الذين ألصقوا بالدين منهم براء ، ثم تفهيم القلة المثقفة : أن الإسلام دين

¹ محمد كمال شبانة ، المدن الثقافية الإسلامية (فاس) مجلة شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، العدد 253 محرم-صفر-ربيع 1406 / أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر 1985. بتصرف

تقدمي صالح لكل مكان وزمان ، و بذلك فهو دين الخلود و عنصر الأبدية و الاستقرار ، و قد حرص محمد بن العربي العلوي على تزويد هذه الفئة بكل عناصر المعرفة المقارنة التي تكون في نفوسهم ما يمكن أن نسميه حاسة الفهم لكتاب الله و التذوق لمعاني الحسنة المطهرة من باب جمع النظائر و النفوذ لأعمق المسائل ، و بذل المجهود في إدراك الغايات و العلل و تعميقها على ما تشتمل من أمثلة ، و عدم التقيد بمذاهب معينة . بل البحث عن تطوير أحكام الشرع التي تختلف أشكالها باختلاف العصور .¹

ومن العوامل الهامة التي حفزت الشيخ المجاوي على العمل بحزم وبكل ما أوتي من قوة هو زيارة بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج ، مباشرة بعد إنجائه الدراسة و ملاحظة عن كثر ازدهار الحركة الإصلاحية بالمشرق ، و ثراء الحياة الأدبية هناك ، فعاد إلى الجزائر و كله عزم على بعث النشاط الاجتماعي والثقافي، وعلى أداء رسالته التعليمية على أكمل وجه.¹

وقد كان لزيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر الأثر البالغ في ذلك نظرا لقيمة هذه الشخصية في الوطن العربي عامة و في الجزائر خصوصا ، و كان ذلك عام ألف و تسعمائة و ثلاثة . وأقام بها عشرة أيام و وجد في استقباله صفوة من الشخصيات الجزائرية التي نوهت بزيارته أبرزها :

وقد كانت هذه الرحلة هي الأولى من جنسها إلى الجزائر تقوم بها شخصية دينية كبيرة مشرقية لغاية فكرية و إصلاحية.

¹ أعلال الفاسي ، جريدة البصائر (الجزائر) عدد 30 الصادر في 5-04-1948 ص 6 نقلا عن د. عبد الملك مرتاض الإسلام و القضايا المعاصرة . دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة الجزائر ط 1 2003 م ص 57 .
¹ - د/ نفيسة دويد، ملامح الريادة عند الشيخ عبد القادر المجاوي ، مداخلة مقدمة لأعمال الملتقى الوطني(الشيخ عبد القادر المجاوي) أيام 2 - 3 محرم 1433 هـ الموافق 27-28 نوفمبر 2011م بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ص14.

ولقد تمكن محمد عبده من عقد جلسات عمل مع علماء الجزائر تناولت مسائل شتى تتعلق بأحوال المسلمين متجنباً فيها الخوض في المسائل السياسية ، لأن السلطات الفرنسية أثناء هذه الزيارة كانت تتابع كل حركات وسكنات الإمام ، ووجه فيه نصائح للشخصيات التي اجتمع بها أهمها :

الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية.

الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة.

مسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة.¹

و الجدير بالذكر أن دعوة الشيخ المجاوي ليست مجرد صدى للحركات التجديدية التي ظهرت في العالم الإسلامي . بل راعت بنية المجتمع الجزائري و تركيبته الاجتماعية و الثقافية ، بل استلهم منها روح التجديد و الثورة على الجمود .

ومما يدل على ذلك أيضا صفة الاعتدال التي عرف بها فلم نجد عنده مدح أو إطراء لتلك الشخصيات الإصلاحية بقدر ما نجده يذكر شخصيات جزائرية مثل الشيخ السنوسي

(ت 895هـ) و الغوث ابن مدين التلمساني .(ت572هـ)..الخ

6-تبادل الوثائق : ك حاولت سلطات الاحتلال عزل الجزائريين عن العالم الخارجي حتى لا تتسرب إليهم روح التحرر والدعوة إلى النهضة خاصة من المشرق وقد عارض الجزائريون هذه السياسة حيث أصبحوا يتلهفون إلى سماع أخباره عن طريق الجرائد والمجلات التي تصل عن طريق الحجاج والمسافرين المارين بالمشرق العربي ومن بين الجرائد:

أ-مجلة العروة الوثقى: أصدرها رائدان من رواد النهضة العربية في المشرق الإسلامي وهما : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده سنة 1884م وكانت تدعوا إلى يقظة العرب والمسلمين بصفة

¹رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، مطبعة المنار (القاهرة) ج 01 ، ص873.

خاصة والشرقيين بصفة عامة وتدافع عن بلادهم ضد الاحتلال الأجنبي، وقد أدت دورا كبيرا في حركة البعث العربي الإسلامي العام في العصر الحديث بعد أن أحييت الأمل في النفوس وقوت الرابطة بين المسلمين وفتحت عيون العرب على خطر الاستعمار الداهم على بلادهم.¹

ب-مجلة المنار : أصدرها الشيخ محمد رشيد رضا في القاهرة سنة 1998م وكان يرسلها إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية ، وكان لها قراء دائمون في الجزائر وهي التي نشرت مدرسة الإمام محمد عبده في الإصلاح الديني فيها وعرفت الجزائريين بها.²

ج-جريدة المؤيد: أسسها الشيخ علي يوسف في القاهرة في عام 1889م وكانت تدعو إلى اليقظة العامة ، وإصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية ، ومقاومة الاستعمار ، والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي وتبث حب الحرية في النفوس ، كما كانت تدعو إلى نهضة العرب والمسلمين ووحدهم ، وكانت رائجة في أقطار المغرب العربي.³

د-جريدة اللواء: أسسه الزعيم المصري مصطفى كامل في القاهرة سنة 1900م وكانت تكتب عن الجزائر كثيرا وتدافع عن أقطار المغرب العربي الثلاثة في وجه المظالم الاستعمارية وتعنى بشؤون العرب والإسلام عناية كبيرة .

وقد كانت منبرا عامة للوطنية الصادقة والأفكار السياسية القومية الناجحة ولعبت دورا كبيرا في النهضة السياسية في مصر وبقية الأقطار العربية.⁴

وقد أجمل سعد الله عوامل انتشار الإصلاح عموما قبل جمعية العلماء فقال "من جهة أخرى شاعت فكرة الجامعة الإسلامية قبل ظهور جمعية العلماء أيضا، فقد وصلت رسل السلطان عبد الحميد الثاني إلى الجزائر علنية وسرية ، وتركت زيارة الشيخ محمد عبده آثارها ،

¹ تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص104.

² تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص104.

³ المرجع نفسه ص104.

⁴ نفسه ص105.

وانبهر الناس وخاصة النخبة بالانقلاب العثماني وتسربت صحف ومجلات الحركة الوطنية المصرية والتونسية ، وكانت الزيارات والرسائل متبادلة بين المهاجرين الجزائريين في المشرق وإخوانهم في الجزائر، وما إقامة الشيوخ حمدان الونيسي والإبراهيمي والعقبي في الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى وزيارة ابن باديس إلى المشرق العربي أثناء الحرب الأولى، وزيارة الطاهر الجزائري للجزائر... الخ إلا إرهابا للإصلاح في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء، بل إنه يمكننا أن نعد حركة الأمير خالد حركة إصلاحية ، وهي قد ظهرت قبل أو واكبت حركة العلماء.¹

المطلب الرابع: آثاره (تلاميذه ومؤلفاته) وعوامل تأثيره.

بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والإصلاح والتأليف تجاوزت عقودا من الزمن توفي الشيخ المجاوي رحمه الله بمدينة العلم بقسنطينة ويذكر الشيخ محمد علي دبور أن الشيخ المجاوي لم يمت ميتة طبيعية بل دس له الفرنسيون السم في قهوة شربها فصار يتوجع إلى أن لفظ أنفاسه فكتب له الشهادة ، وهو نفس مصير تلميذه ابراهيم اطفيش الذي لقي حتفه من بعده بخمسة أشهر.² وكانت جنازته يوم 06 أكتوبر 1332هـ/1914م³، و حضرها جمع غفير من أعيان المدينة وعلمائها وطلابها وابنه ، وراثه كثير زملائه وتلاميذه ومنهم الشيخ ابن باديس رحمه الله — بخطب وقصائد شعرية.⁴

¹ أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ص33.

² محمد علي دبور ، نخضة الجزائر الحديثة وتورتها المباركة، ج02، ص105.

³ عمر قينة ، أعلام من المغرب العربي ، ص67.

⁴ المرجع نفسه 43/1

وقد خلف الشيخ المجاوي آثارا عديدة حيث تخرج على يديه جيل من الأساتذة كما ترك كتباً عديدة في جميع المجالات والتخصصات كما خلف ذكراً حسناً عند جل من عرفوه وفي ما يلي جملة آثاره:

أ- تلاميذه :

استطاع الشيخ المجاوي أن يؤثر في عدد معتبر من التلاميذ في قسنطينة سواء في الجامع أو المدرسة نذكر منهم : حمدان الونيسي أحد رواد النهضة الجزائرية الحديثة والمدرس بالمدرسة الفرنسية الإسلامية الشرعية وأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس فيما بعد وقد حضر دروس الشيخ المجاوي مستمعا ، والشيخ المولود بن الموهوب المدرس بالمدرسة الفرنسية الإسلامية وصاحب النشاط الإصلاحية المعروف وأحد رواد النهضة ، وأحمد الحبيباتي ، وأحمد بن سعيد بن مرزوق المدرس بجامع سيدي الكتاني ومصطفى بن محمد زادي المدرس ببسكرة والمسيلة ومحمد بن عبد الله شيخ زاوية بالمسيلة وغيرهم من التلاميذ¹

ويذكر الشيخ محمد علي دبور أنه كانت تجمعه علاقة صداقة بالقطب اطفيش بوادي ميزاب فأرسل إليه بعض تلامذته للتلمذ عليه ومنهم الحاج الناصر الداغور وابراهيم اطفيش وابراهيم الطرابلسي والحاج الناصر بن ابراهيم كروش والذين أصبحوا في ما بعد من رموز الإصلاح الإباضي²

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أنه تخرج على يد الشيخ المجاوي عدد معتبر من العلماء والقضاة والمدرسين، ورجال الصحافة والشعراء والأدباء منهم :

¹ - عبد القادر قوبع جامعة المسيلة ، الشيخ عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحية ...ص27

² محمد علي دبور ، (مرجع سابق) ص94.

ابن أبي شنب و ابن الموهوب ، وابن الخوجة¹... الخ
وأضاف إليهم أبو القاسم الحفناوي حمدان الويسي والحاج أحمد البوعني ومحمد بوشريط بن
عامر والسيد عبد الكريم

باش تارزي مفتي الحنفية وحمو ابن الدراجي قاضي حنفية الجزائر والشيخ سعيد بن زكري المدرس
في الثعالبية²

وكتب مالك بن نبي الشاهد على ذلك العصر في هذا الشأن في مذكراته قائلا : " لقد بدأ
الشرق القديم منه والحديث يستهويني بأجاده ومآسيه ، وكان الحديث عنه ييكيني أو يبهرني ،
إنما في الحالات جميعا يشدني إلى شيء خبيء في نفسي بدأت أدركه في شيء من الصعوبة ،
وقد استطاعت الدروس ذاتها مع أساتذتنا العرب أن تنمي فينا هذه الروح وتغذيها ، وكنا نجد
شيئا ما أكثر لدى الشيخ المولود بن الموهوب الأستاذ في المدرسة ومفتي المدينة ، لقد احتفظ
الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسته في نفسه دراسته على يد معلمه الشيخ عبد القادر
المجاوي ، وقد تولى هو نقل هذه الغرسة إلى تلك الأجيال من المدرسين وكنت منهم ، وقد
أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية في الجزائر"³

ب- مؤلفاته : للشيخ المجاوي العديد من المؤلفات تنوعت بين العقديّة والنحويّة بل حتى
الفلكية والاقتصادية ولعل أهمها :

"شرح على منظومة آداب المريدين للشيخ محمد المنزلي في التصوف : باعتناء الأستاذ عبد
الرحمن دويب.

الإفادّة لمن طلب الإستفادّة :

ضم فيه مسائل فقهية وبلاغية ، قال في وصفه " أنه يشتمل على رسوم ومسائل فقهية ونبد
من علم المعاني والبيان والبديع وغير ذلك "

¹ أبو القاسم سعد الله ، أ أفكار جامعة ، ص32.

² أبي القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ص449-450

³ مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، ص64.

(ط) مطبعة فونتانا / الجزائر / سنة 1901م في 64ص.

الدرة البهية على اللامية الجرادية في الجمل ، اختصر فيها شرحه للامية الجرادية.

(ط) مطبعة فونتانا الشرقية / الجزائر / سنة 1907م (ط02) دار زمورة للنشر والتوزيع / الجزائر / 2011م.

- (خ) منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف / الجزائر / مقيدة تحت رقم : 464، تاريخ نسخها يعود إلى سنة 1320هـ، عدد الأوراق: 63 أولها : (نحمد من له الحمد على الجملة والتفصيل..)

- الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية : في اللغة والنحو.

(ط01) طبع مع الدرّة البهية في مجلد واحد، مطبعة فونتانا الشرقية / الجزائر / سنة 1907م ، (ط02) دار زمورة للنشر والتوزيع / الجزائر / 2011م.

القواعد الكلامية: رسالة في علم الكلام تحتوي على مقدمة وعشرة فصول وخاتمة .
في المقدمة تطرق إلى تعريف علم الكلام وموضوعه وواضعه وفائدته ، ثم اسم هذا العلم وفائدته ، كما أشار إلى بعض المباحث المتعلقة بعلم الكلام ، مثل سر التوحيد ، والإيمان والإسلام.... الخ
أما الفصول فأولها في الحكم العقلي وأقسامه ، عقيدة أهل السنة ، الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية.

طبع مطبعة فونتانا / الجزائر / سنة 1911م، في 157ص ، قرظها الشيخ محمود كحول .

تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار:

ذكره الحفناوي باسم " تحفة الأخيار في الجبر والاختيار "

احتوى على مقدمة وستة فصول.

الأول : عن أهل الجبر والثاني القول في أهل القدر والثالث : في تحقيق ما هو الحق ، وهو مذهب أهل السنة، والرابع : الأفعال الصادرة من العبد ، والخامس: في تحقيق مذهب أهل السنة في مسألى الكسب ، والسادس : في أوجه التأثير في الفاعل المختار والطبيعة والعلة.
(ط) مطبعة فونتانا / الجزائر / سنة 1911م.

اللمع على نظم البدع:

شرح لمنظومة تلميذه الشيخ المولود بن الموهوب في إنكار الفساد الاجتماعي ، والشرح يحتوي 198ص (ط01)/الجزائر/ 1912م، وقرظه الشيخان محمود كحول وأحمد بن الشيخ باش.(ط02) نشرتها دار كردادة للنشر والتوزيع /الجزائر/ سنة 2011م باعتناء الأستاذ : عبد الرحمن دويب .

المرصاد في مسائل الإقتصاد:

ذكره الشيخ حمزة بوكوشة باسم (الاقتصاد السياسي) (ط) مطبعة فونتانا الشرقية / الجزائر.....تصحيح

شرح شواهد القطر ، وشرح شواهد ابن هشام ، طبعا بقسنطينة.

نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف ، شرح متن بناء الأفعال في الصرف، (ط) دار زمورة للنشر والتوزيع / الجزائر / 2011م.

مختصر في علم المنطق: منه نسخة بمكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف / الجزائر/ رقم 600، تاريخ نسخها يرجع إلى سنة 1295هـ عدد أوراقها 09.

مختصر في النحو: منه نسخة بمكتبة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف / الجزائر/ رقم : 650 ضمن مجموع رقم 03، عدد الأوراق : 14.

الفريدة السنينة في الأعمال الجيبية:

منظومة في علم الفلك ، تقع في 46 بيتا منها نسخة مخطوطة بمسجد البرواقية .

شرح منظومة ابن غازي في التوقيت.¹

وما يلاحظ على مؤلفات الشيخ المجاوي ما يلي:

- كثرة المؤلفات الأدبية مما يوحي لنا بولعه وميله للغة .

¹ محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة ، دار كردادة للنشر والتوزيع بوسعادة (الجزائر) طبعة خاصة 2013م ، ج 01 من ص 383-386.

- كثرة الشروح والمختصرات مما يعطينا نظرة عن المستوى الفكري الذي عاش فيه المجاوي بحيث يعتبر امتدادا لعصر الضعف ، غير أن ذلك لا يعني أن هذه الصفة كانت ملازمة للشيخ المجاوي فقد شكل الاستثناء في بعضها كما سنبينه.

- قلة حجمها والسبب أنها ألقت لغرض تعليمي في الغالب.

تنوعها وشمولها لمختلف التخصصات والمجالات مما يدل على ثقافته الموسوعية.

ج-عوامل تأثيره: هناك عوامل ساعدت على شدة تأثير الشيخ المجاوي في طلبته خاصة وفي المجتمع بشكل عام أهمها :

الملازمة

لا ينته دور الأستاذ تجاه تلميذه بانتهاء الدرس سواء كان ذلك في مدرسة أو مسجد أو نادي بل يتعدى ذلك ، فالأستاذ المثالي ليس الأستاذ في القسم فقط بل الأستاذ في الحياة بجميع مناحيها لذلك شبه الشاعر وظيفة المعلم بوظيفة الرسول : قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

ووظيفة الرسل لا تمكن في تعليم العامة وهذا يتهم و إرشادهم ، بل يمثلون للبشرية قدوة يقتدي هي في الخير و الصلاح ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٦١﴾﴾
الأحزاب 21

ومن ظن أن مهمة الأستاذ تكمن في التعليم فقط فهو مخطئ ولو كان الأمر كذلك لضاعت أجيال كثيرة ، لأن الناس يتفاوتون في المدرك و القدرات فما مصير من كانت إمكانياته ضعيفة

ولم يأخذ من التعليم إلا النزر اليسير ؟ فعلى الأستاذ مثلاً أن يوجهه توجيهها يتناسب مع قدراته فيمكن أن تكون له حرفة أو هواية يتقنها حتى أحسن من أقرانه المتعلمين ، و المجتمع بحاجة إلى الجميع و ماذا يصنع المجتمع بإنسان نال من أستاذه الحظ الأوفر من العلم وتبوأ بموجب ذلك منصباً مرموقاً ولكن أستاذ قصر في الجانب الخلافي و التربوي فهذا الإنسان سيضر المجتمع بعلمه بدل أن ينفع فقد يخون وقد ينهب..... الخ

لذلك يجب أن تمتاز علاقة الأستاذ بالتلميذ بنوع من الملازمة فلا يقتصر الأمر على الجانب التعليمي فقط ، فهذه أم الإمام مالك ترسله إلى أحد مؤيديه ربيعة الرأي فتقول تعلم من أدبه قبل علمه ، ولقد لازم الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فتعلموا منه حتى امتدحهم بقوله : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم"¹ وما نالوا هذه المرتبة إلا ببركة صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

والمتتبع لسيرة الشيخ المجاوي يرى هذه الصفة ظاهرة جليلة فكان من عاداته أن يختلط بطلابه خارج الدرس و يرى ذلك من صميم رسالته، فقد شرح منظومة في انكار البدع لتلميذه محمد المولود بن الموهوب مفتي القسنطينة المالكي، وقرظ مع تلميذه حمو بن الدراجي رسالة (عقود الجواهر) في حاول الوفد المغربي بالجزائر ، مصطفى بن الخوجة وقرظ تلميذه محمود كحول كتابه " القواعد الكلامية"²

وقد عبر عن ذلك صراحة كتلك التي نجدتها في مخطوط له " ... وبعده فإنني قد طلب مني بعض تلامذتنا المجتهدين أن أكتب فريدة مبينة للقضايا وأحكامها على سبيل الإختصار من غير إطناب " وكذلك في أول كتابه كشف اللثام عن شواهد قطر ابن هشام حيث يكتب

¹ أخرجه البخاري، باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحبه أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، رقم 3651 ص 897.

انظر : صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (لبنان) ط01، 1423هـ-2002م.

² -محمد الخضر حسين موسوعة الأعمال الكاملة الأمام محمد الخضر حسين . دار بيروت (2010) ج 11 ، ص 38.

"...قد سألني بعض الفضلاء المجتهدين أن أضع شرحا مختصرا على شواهد قطر
الندى نافعا للمبتدئين .."

وكان من عادة الشيخ المجاوي أنه يغتنم كل الفرص لفتح باب المناقشة والجدال معهم رغم
أنه معظمهم يخضع للنظام الداخلي وبالتالي لمراقبة مستمرة من قبل الإدارة الفرنسية ، كما كان
يلقي خطبا في مساجد الأحياء الشعبية يلقيها على هؤلاء الذين لم يحظوا بالإلتحاق بالمدرسة ،
وزيادة على ذلك ، كما يمضي ساعلت بل أيام منهمكا ومنطويا على أوراق يؤلف كتبها من شأنها
أن تفيد الطلبة وتساعدهم في دروسهم.¹

فقد كان قريبا من تلاميذ يهتم بشؤونهم ، ويبدل الوسع في قضاء مآربهم ، ولا يصده علو المهمة
عن مجاراتهم ، ولعل هذا الخلق الذي لا يتيل الرجل إلا به هو الذي غرس له قلوب الجمهور
مودة واحتراما وكان يتابع تلاميذ بجدية ، ويشجعهم دائما ويتبع سيرتهم داخل و خارج
المدرسة وينبهم دائما على الأوضاع و المشاكل المعاشة كانت يقظته متواصلة و نصب في
الصالح العام.²

وقد أثمرت هذه الطريقة التي تبناها الشيخ المجاوي في تعامله مع تلاميذه فكانت لنا جيلا
حملوا المشعل بعده أبرهم عالمان ، كانا لهما شأن علمي فيما بعد ، فأما الأول فهو حمدان
الونيسي المدرس بالمسجد النبوي بعد هجرته إلى الحجاز ، وهو كذلك أستاذ الإمام عبد الحميد
بن باديس والذي كان له بالغ الأثر على نفسه ، وأما الثاني فهو المولود بن الموهوب المدرس
بالمدرسة الكتانية ، وأستاذ المفكر مالك بن نبي الذي تحدث عنه كثيرا في كتابه

¹ - سومية أولمان ، دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه " إرشاد المتعلمين " في الصمود الفكري بالجزائر ، طبع الديوان
الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ، ط01 ، د.ت، ص20.

² جيلالي صاري ، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950) المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر والإشهار الجزائر
2008م ص 26.

" مذكرات شاهد القرن " وقد لازم الشيخ بن الموهوب أستاذه اثني عشرة سنة ثم أجازته وسمح له بالتدريس والوعظ كما ساعده على الإنضمام إلى المدرسة الكتانية ليشغل بها مدرسا للفقهِ والأدب العربي وأصبح فيما بعد مفتيا لقسنطينة.¹

فما أحوجنا في الوقت الحالي أن نقف بالشيخ المجاوي في علاقة مع طلابه نظرا لآثارها على التكوين . .

الحلم : كان الشيخ عبد القادر المجاوي على معرفة عميقة بالمجتمع الجزائري والعالم الإسلامي وكانت معظم كتاباته موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة، وهذا من دون شك من الأسباب التي أثارت عليه الشيخ عاشور الخنقي² المسبح بحمد الطريقة المطبل لكل ألوان الضلال الديني والتضليل العقدي والخرافات التي يذيعها بعض الدجالين من المنتسبين للزوايا والمتأجرين بالعقيدة الدينية والنسب النبوي، لكن المجاوي لم يعبأ بمجائيات عاشور فإذا ما ألح عليه طلابه بضرورة التصدي إليه أوكل الأمر إليهم ليردوا على هجائه لكنه سرعان ما يرفض محاولاتهم التي لا تصمد فنيا أمام عاشور الذي يتسم الكثير من شعره بالقوة

¹ - مولود عويمر ، الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة ، مجلة الوعي ، العدد المزدوج (3-4) جمادى الأولى والثانية 1432هـ/أفريل-ماي 2011م ص149.

² ولد الشيخ عاشور يوم 13 صفر من سنة 1264 هـ بالخنقة بالشرق الجزائري وقد كان لسان حال الطريقة بشعره وسلوكه ، أخلص الحب لهم إلى درجة الخنوع والذلة ، إضافة إلى غريزة الشر والعداء للذين جبلا عليهما ، يتصدى لكل الأفكار الإصلاحية مهما كان نوعها ومصدرها ، له ديوان شعري كله في الثناء على أشرف يدعى " منار الأشرف " المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1332هـ-1914م ، كما أن له ديوانا آخر يطبع عمر قينة ، أعلام من المغرب العربي 107.

في التعبير والحرارة في الانفعال¹ ، فلو بقي منشغلا بالرد على عاشور أو غيره لأضاع جهده ووقته في لا طائل منه ولكن لحكمته ورجاحة عقله ارتأى أن يوجه جهده وطاقته للتكفل بقضايا أمته عوض الوقوع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه غريمه وهو الانسياق وراء هذه الأهواء التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

كما حث المجاوي على التحلي بهذا الخلق وقد عرفه قائلاً: «هو من الأخلاق والشيم الجسيمة الذي ندب إليه الشرائع ورغبت فيه وحث على الاتصاف به الأنبياء والمرسلين ومدحته الحكماء والفضلاء . ومالاً العلماء تأليفهم بفضائله وعرفوه بأنه إمساك النفس عند الهيجان والغضب ، وذلك يدل على كمال العقل وقوة الرزانة وطهارة النفس وهو يكون طبيعياً في قوم ، واكتسابياً في آخرين بقوة المجاهدة والرياضة العلمية والمطالعة ما يهذب الأخلاق من كتب التصوف والآداب الشرعية ورسائل الفضلاء ، ومبدأ ذلك كله الوقوف مع الحدود المشروعة والتدين بها...»² و يفيض المجاوي في إبراز قيمة الحلم و كيف يمكن تجسيده في سلوك الناس فيقول : «... كمل لا يخفى فداء الغضب يعالج بالحلم . و التكبر بالتواضع و البخل بالسخاء ، فمن ارتاض حتى تعود الأعمال الحسنة و تطبع بشمائل الكبار حسن طبعه وزكته سجيته ، فالخير عادة ، والشر لاجحة ، و كل ما يعمله الإنسان تكلفاً يصير طبعاً له . فإن الصبي يهرب من المكتب و المعلم يؤديه حتى ذلك التعليم طبعاً ، فإذا بلغ تكون همته و عزيمته العلم ، فالعلم بالتعلم ، و الحلم بالتحلم ... و بالجملة فالحلم من أشرف الأخلاق ، و أحقها بذوي الأبواب بما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمل و الله الموفق...»³.

ثناء العلماء عليه :

¹ د/عمر بن قينة ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، (أعلام... وقضايا... ومواقف) ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون (الجزائر) 1993. ص72.

² المجاوي : التربية ، كوكب إفريقيا .3جانفي(1908).

³ المصدر نفسه.

إن صدق الشيخ المجاوي في تدريسه وحبه للعلم وطلبته وتواضعه ودمائة خلقه ونقاوة طويته، جعله يحظى بمكانة مرموقة بين الناس فضلا عن احترام وتقدير كثير من العلماء والمصلحين من ذلك : من قاله الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله : "...مع علو سنة ، أخذه عن طبقة بعيدة الصيت في عالم الشهرة ، كالشيخين : عبد القادر المجاوي ، وحمدان الونيسي ، وغيرهما ممن أخذ عنهم مدعاة للفخر والاستطالة وشموخ الأنف"¹

ومنه : ما قالته مجلة الشهاب عند تقريرها لكتاب الجزائر للأستاذ توفيق المدني : "...ولكنه سكت عن أفراد لا تكمل الصورة التاريخية الا بذكرهم ، منهم العلامة عبد القادر المجاوي رحمه الله . فهذا الرجل هو أبو النهضة العلمية بقسنطينة هو شيخ الناس بجميع عمالتها ، عليه تخرج القضاة ورجال المحاكم والتدريس والفتوى ، فلا تجد واحدا من هؤلاء الرعيل الأول من هذا القرن إلا وهو من تلامذته ولو كان هذا الرجل من أمة عاملة لأحيت ذكره في كل مناسبة"² .

هذه بعض التفاصيل الخاصة بحياة المجاوي والذي يرجع إليه فضل السبق في بداية مرحلة اليقظة في الجزائر، والعديد من الباحثين يجعلونه في مقدمة المصلحين الذين نادوا بالإصلاح في إطار المبادئ الإسلامية ، لذلك يصعب فصل حياة الشيخ المجاوي عن بقية رفاقه من مقلقي النوم العام كما وصفهم الأستاذ مالك بن نبي فحري بنا أن نترجم ولو لواحد منهم و الأحق بذلك والذي يمكن أن يكون في مرتبة الشيخ المجاوي في نظرنا هو شخصية الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني ، وقد أشار الأستاذ مالك بن نبي إلى ذلك حين قال : "وإنه لمن الواجب أن ننوّه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ صالح ابن مهنة الضميرية الفردية - إن صحّ التعبير - فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي 1898م، والحق أن هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين، إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين (ال دراويش)، غير أن الحكومة -

¹ أنظر : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 368/1

² أنظر : أعلام من المغرب العربي (32/1)

الفرنسية- الساهرة على الهدوء، كيلا يستيقظ النائمون، عملت على إبعاده، وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة، وفرقت أمثاله من (مقلقي النوم العام) في نظر الاستعمار، فحوّلت الشيخ (عبد القادر المجاوي) من منصبه بمدرسة قسنطينة، إلى مدرسة العاصمة...¹. فمن هو الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني؟

ير تقي محمد بن مصطفى ابن مهنا" من قبيلة تعرف باسم " بن مهنا" وموطنها بجبال القبل الشرقية ، وهي من القبائل النازحة من المشرق العربي إلى شمال إفريقيا،

عالم سلفي، من رواد الحركة الإصلاحية الذين حاربوا البدع. ولد في قرية العشرة كركرة من نواحي القل، ونشأ بقسنطينة،².

حيث تعلم في صباه القراءان الكريم ومبادئ النحو والصرف والبلاغة كغيره من أطفال زمانه ولما أصبح مؤهلا إلى الدراسات العليا سافر إلى تونس في طلب العلم ، سنة 1956م وبعدها إلى الأزهر عام 1957م³.

عاد إلى الجزائر سنة 1887م وعين إماما بالمسجد الكبير بقسنطينة ، ثم أخذ في إلقاء الدروس بالمسجد بالزاوية الحنصالية ، تطوعا لتلاميذها في جميع المواد الدراسية بالمسجد ، كما كان يلقي دروسا للعوام الذين تأثروا به تأثرا كبيرا ، وقد مارس الشيخ "ابن مهنا" مهنته العلمية

¹مالك ابن نبي: شروط النهضة، ط2. 1961. ص 25.

²عادل نويهض: مُعجمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م ، ص323.

³سليمان الصيد ، صالح بن مهنا القسنطيني ، ط01، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة 1933م ص52.

في هذه الزاوية ثلاث وعشرون سنة وتخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ يذكرون فضله ويشيدون بعلمه الغزير وإخلاصه اللامتناهي في سبيل نشر العلم والإصلاح .

لقد كان "ابن مهنا" رجلا متصوفا يؤمن بضرورة وجود رجال التصوف الحقيقيين لأنهم يعطون الشريعة الإسلامية بعبير الروح ، لكنه هاجم متصوفة عصره لأنهم انحرفوا عن هذه المبادئ ، وحمل حملة شعواء على دعاة الشرف الذين كانوا يبذلون الأموال الطائلة لدى القضاة في العهدين العثماني والفرنسي ، لتسجيل انفسهم وعائلاتهم في قائمة شجرة الشرف¹.

من آثاره " تنبيه المغترين في الرد على إخوان الشياطين " رد فيها على رسالة " ضوء الشمس " لأحمد بن دادا التي وضعها في مدح الأشراف. وقد أثار كتاب ابن مهنا ضجة بين العلماء في وقته، فرد عليه أبو عيسى المهدي بن محمد العمراني الوزاني برسالة سماها " السيف المسلول باليد اليمى، في الرد على ابن مهنا " ورد ابن مهنا عليه برسالة سماها " الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني " .²

ولقد قامت الإدارة الفرنسية بدور فعال في تأليب الرسميين والفقهاء الجامدين ضده من أجل القضاء على أفكاره الإصلاحية المتنامية مع دروسه اليومية لا سيما تلك التي مست صرح القداسة والتدجيل ، وقد عزلته من وظيفته كإمام مسجد الكبير بقسنطينة وإلقاء القبض عليه ، والاستيلاء على مكتبته ونقلها إلى مقر دار عمالة قسنطينة للاطلاع عليها وكشف آرائه وأفكاره من خلالها³.

¹المرجع نفسه

²عادل نويهض(مرجع سابق) ص223.

³سليمان الصيد مرجع سابق ، ص103-104

ومنه يمكن القول أن الشيخ ابن مهنا استفاد من الحركة الإصلاحية التي سادت مصر والمشرق العربي عموماً ، فحاول تغيير الواقع الجزائري بما توفر لديه من إمكانيات وسبل ، وتميزت آراؤه بالصراحة وعدم المهادنة مما ألب عليه سلطات الاحتلال وأذناها ، ولقد شكلت الأرضية الحقيقية واللبنة الأساسية للحركة الإصلاحية التي تزعمها الإمام ابن باديس ورفاقه.

وقد وصفه المؤرخ سعد الله بقوله : " كان من العلماء المستنيرين وبالرغم من توظيفه الرسمي كان غير قار وغير مرتاح ، وكان له فكر نير إلى حد كبير ، فلم يكن مع الأشراف في كل أحوالهم وإنما جعل العمل الصالح هو الميزان ، ولم يكن كذلك مع المرابطين على ما هم عليه في استغلال العامة وتنويمها وإنما كان مع الزهد الذي يؤدي إلى الإنتاج وخدمة الصالح العام ، وكانت دراسته في الأزهر وربما لإقامته في تونس قد سلحته بالفكر النير ، وربما اضطر فقط إلى قبول الوظيفة من أجل العيش".¹

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا الواقع المزري الذي عايشه الشيخ المجاوي خاصة الفكري والديني منه والذي عمل الاستعمار على تكريسه لأنه يخدم مصالحه ألا وهو الاحتفاظ بالجزائر إلى الأبد .

وقد تفتن الشيخ المجاوي إلى هذه الخطة وما اختاره للمواجهة الثقافية إلا دليل ذلك دون أن ننسى المؤثرات التي أثرت في تكوينه وهي الحواضر العلمية التي عاش فيها وكذلك شيوع الحركة

¹ سعد الله تاريخ الجزائر ج 07 ص 119.

الإصلاحية التي تزعمها كل من الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده العالم العربي والإسلامي .

المبحث الثالث: مصادر الاستدلال على العقيدة عند الشيخ المجاوي

استدل علماء الإسلام على العقيدة الإسلامية بعدة مصادر أهمها القرآن والسنة والإجماع، إضافة إلى العقل الصحيح والفترة السليمة واللذان يكمن دورهما في تحرير صحة هذه المصادر وبيان صدقها، فيجب على كل متكلم في قضايا الاعتقاد الإسلامي، أن يلتزم بهذه المصادر ولا يجحد عنها ويلتفت إلى غيرها، إذا كان يريد معرفة الاعتقاد الصحيح ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها.¹

ولم يشد الشيخ المجاوي عن هذه القاعدة إذ قال " والتحقيق أن أساس العقائد الإسلامية هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة"،² فلم ينح منحى بعض المتكلمين الذين أسرفوا في استعمال

¹ عثمان علي حسن، مصادر الاستدلال على على مسائل الاعتقاد، دار الوطن للنشر، الرياض (المملكة العربية السعودية)، ط01، 1413هـ، ص07.

² الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، المطبعة الشرفية لصاحبها فونتانا (الجزائر) ط01، 1328-1910، ص39.

العقل فقدموه حتى على ظاهر النصوص إذ يقول " فعلم الاضطراب ما أدرك ببداهة العقول وهو على ضربين حس ظاهر وخبر متواتر، وعلم الحس متأخر عن العقل وعلم الخبر متقدم عليه"¹ ومن الدلائل على ذلك أيضا تقديمه دليل السمع على العقل في الصفات التي لا ترجع إلى وقوع جائز ولا تتوقف عليها المعجزة كالسمع والبصر والكلام، وكذلك إقراره بالغيبيات واستدلاله عليها بالدليل السمعي.² والآن لنفصل في أهم المصادر التي اعتمد عليها الشيخ المجاوي:

المطلب الأول: القرآن الكريم

أول المصادر التي يعتمد عليها المسلم في معرفة عقيدته، وآياته غنية بالحديث عن مواضيعها كأركان الإيمان وأسماء الله وصفاته وما لا يجوز...، واهتمامه بها راجع لآثارها في بناء الفرد والمجتمع وقد أشار إلى ذلك العديد من العلماء منهم الإمام الرازي الذي يقول " إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين"³

وحري بالقرآن أن يكون المصدر الأول للعقيدة الإسلامية لأنه اتصف بصفات ومميزات لم تكن لكتاب سماوي سواه أهمها الإعجاز بكل أنواعه: التشريعي، والموضوعي، والعلمي، البلاغي....ولذا تنوعت آياته بين المحكم وهو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، والمتشابه وهو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المراد.⁴

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَآخَرٌ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْهَيْئَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

¹ المصدر نفسه، ص21.

² نفسه ص29.

³ تفسير الرازي (مفاتيح الغيث)، دار الفكر بيروت 1401هـ-1981م، ج01، ص214.

⁴ نفسه، ص122.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٧﴾ ءال عمران آية 07

المطلب الأول: منهج العلماء في التعامل مع الصفات.

انقسم العلماء في الآيات المتشابهة إلى ثلاث مذاهب:¹

1-مذهب التفويض: يفوض المعنى إلى الله ولا يتعرض للفظ المتشابه لا بتأويل ولا بتفسير.²

2: مذهب التأويل: يؤول اللفظ المتشابه أي يصرفه عن المعنى الظاهر المباشر إلى معان أخرى، ويستعين على ذلك بالقرائن المتعددة ويعرف الاستعمال والعادة، لأن التعويل في الحكم والاستنباط على قصد المتكلم ومراده، الذي يظهر أحيانا من اللفظ نفسه، وأحيانا من العلامات والقرائن المصاحبة.³

¹ محمد عز الدين الغرياني، الآيات المتشابهة بين التأويل والتفويض، د.ط، د.ت، ص40.

² حكى الإجماع على ترك تفسيرها الإمام محمد بن الحسن فقيه العراق فقد روى اللالكائي بإسناده قائلا " اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب جل وعلا من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة." ²
انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي، خرج أحاديثه وعلق عليه أبو يعقوب نشأت بن كما المصري ، دار البصيرة (مصر) ج3، ص432-433.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن أخبار الصفات فقال : " نمرها كما جاءت "

انظر:الذهبي ، الأربعين في صفات رب العالمين ، قدم له وحقق نصوصه وعلق عليه وخرج أحاديثه ، عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ، ط01 ، 1413هـ ص86.

وعن سفيان بن عيينة كان يقول : " كل ما وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل " انظر : اللالكائي، مرجع سابق، ص 736.

ويقول الإمام عبد الحميد بن باديس ب في عقيدته: " ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتها على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد "

انظر: الإمام عبد الحميد بن باديس ، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، جمع محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة بوداود وشركاؤهما (الجزائر) ط1401، 03هـ-1981م ، ص13-14.

ويقول الإمام الطحاوي في عقيدته : " والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا (وجوه يومئذ ناظرة) وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ماجاء في ذلك من الحديث الصحيحين الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو كما قال

3- مذهب المشبهة: يفسر المتشابه بالظاهر الحرفي للفظ مع الدعوة إلى عدم التمثيل

والتشبيه¹.

فالقدم في قوله صلى الله عليه وسلم " لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض"²

فالمذهب الأول يؤمن بها لأنها واردة في السنة الصحيحة من غير أن يخوض فيها ببحث أو تفسير أو بيان، ويؤولها المذهب الثاني بما أولها به أئمة السلف الصالح وقد أولت بالكفار الذين أثبت الله لهم النار استناداً لقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَسِيحًا﴾ السجدة آية 13. التي تفيد صراحة بأن الامتلاء لجهنم سيكون بالمخلوقات لا غيرها، ولهذا فيجب تأويل القدم حتى لا تصطدم النصوص وتتعارض³.

ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ورسوله عليه الصلاة والسلام ورد ما اشبهه عليه إلى عالمه".

انظر: أبو جعفر الطحاوي، متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت (لبنان) ط01، 1416هـ-1995م ص181.

³ يقول إمام الحرمين الجويني في العقيدة النظامية: " وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع أهل الحق عن اعتقاد فحواها وأجروها على موجب ما تبتذره أفهام أرباب اللسان منها فرأى بعضهم تأويلها والتزام هذا المنهج في آيات الكتاب، وما صح من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الرب والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة". انظر الإمام الجويني، العقيدة النظامية، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر) 1412-1932م، ص32.

¹ يقول ابن تيمية و" لم يقل أحد من السلف قط أن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش... ولا أنه تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها...".

ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق شريف محمد هزاع، نشر دار الفجر للتراث، ط01، 1991م ص28.

² أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، وما تأخذ من المعدبين حديث رقم (2848) وأخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، رقم 1661

انظر صحيح مسلم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط06 2011م، ص87.

³ محمد عز الدين الغرياني، مرجع سابق، ص04.

ويفسرها المذهب الثالث بأن لله قدما على ما يفيد ظاهر الحديث، لكنها ليست كأقدامنا للقرينة الشرعية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الشورى آية 11.

ويمثل المذهب الأول على حسب نقل كثير من العلماء غالب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على نهجهم كالإمام أحمد والشافعي وغيرهم.¹

ويمثل المذهب الثاني غالب علماء السنة من الأشاعرة والماتريدية .

ويمثل المذهب الثالث طائفة من العلماء على رأسهم ابن تيمية وابن القيم اللذان ابتدعا مذهبا في الصفات لم يعهده السلف والسبب في ذلك إنكارهم للمجاز في القرآن.²

لذلك أنكر عليهم ذلك الكثير من العلماء واعتبروه مكابرة صريحة وخروج عن حدود الاعتدال وإخراج للقرآن عن كلام العرب، يقول الشيخ أحمد الخليلي في تعليقه على مشارق أنوار العقول للسالمي "وإنكار المجاز رأسا أو إنكاره من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ليس هو إلا مكابرة صريحة للعقل وتحديا سافرا للواقع، الذي لا يحتاج في وضوحه إلى دليل، فالجواز ليس مقصورا على لغة من اللغات وإنما هو من محاسن جميع اللغات وبه يستطيع المتحدث بها أن يجاري أساطينها في مضمارة البلاغة، وإنكاره في كلام الله وكلام رسوله دعوى لم يقيم عليها دليل، ويترب عليها إخراج القرآن والحديث عن أسلوب الكلام العربي المبين، وسلبهما بلاغة اللسان العربي"³

فهناك فرق شاسع بين منهج السلف الذين يفوضون المعنى المراد من تلك الصفات إلى الله لا يخوضون في تحديد معانيها ولا يفسرونها، وبين من يحملونها على ظاهرها الحقيقي.

¹ محمد عز الدين الغرياني، مرجع سابق، ص 04.

² فقد اعترض ابن القيم في كتابه " الصواعق المرسله " على استخدام المجاز بأكثر من خمسين اعتراضا وقد تعرض العلماء قديما وحديثا لمناقشة هذه الاعتراضات ونقدها، ومن أشهر هؤلاء العلماء العلامة الدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه القيم " المجاز في اللغة والقرآن الكريم" الذي بلغ أكثر من ألف ومائة صفحة في جزئين كبيرين، أثبت فيه استخدام السلف للمجاز وتأويلهم للنصوص وناقش فيه ابن تيمية وابن القيم بإسهاب كبير، أبطل فيه كل الحجج الواردة في كتبهما.

³ تعليق الشيخ أحمد الخليلي في تعليقه على مشارق أنوار العقول للسالمي ص 207-208، نقلا عن الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات للدكتور مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع (سلطنة عمان) دط ن د.ت، ص 188.

وعليه فالمذهبان المعتمدان عند محققي أهل السنة هما (التأويل والتفويض) يقول البيهقي في كتابه (الاعتقاد)¹ بعد ذكر حديث النزول²: "هذا حديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا على قسمين":

- 1- منهم من قبله وآمن ولم يؤوله ووكّل علمه إلى الله تعالى ونفى الكيفية والتشبيه عنه.
 - 2- ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد.
- و هو الأمر الذي قرره الإمام النووي أيضا في شرحه على مسلم³، حيث قال: "أعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما : وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم فيها، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثل شيء وأنه متره عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققهم، وهو أسلم"

و القول الثاني : هو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم .

وزاد الموضوع توضيحا في موضع آخر من شرحه حيث قال عند شرحه لحديث النزول أيضا: "هذا حديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما:

¹الإمام البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت (1401هـ-1981م) ص 117.

²رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (758) ص 274.

³الإمام النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان) ط 02، 1992م، ج 03، ص 19.

أن أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين بأنحاق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وعن سائر سمات الخلق .

و الثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، و هو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، ومعناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه.

و الثاني: أنه علم على الاستعارة، ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ والله أعلم.¹ و المعروف عن السلف هو عدم الخوض في تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه النصوص والاكتفاء بما أثبتته الله تعالى لذاته مع تنزيهه عز وجل عن كل نقص ومشابهة للحوادث وسبيل ذلك هو التأويل الإجمالي للنصوص، وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى الله عز وجل قال العلامة ملا علي القاري رحمه الله في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: " والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين".²

أما تركها على ظاهرها دون أي تأويل لها سواك كان إجماليا أم تفصيليا فهو غير جائز وهو شيء لم يجز إليه سلف ولا خلف، ولو فعلت ذلك لحملت عقلك معاني متناقضة في شأن كثير من هذه الصفات³ ، فقد أسند الله إلى نفسه العين بالإفراد في قوله تعالى ولتصنع على عيني ﴿وَلِتَصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ سورة طه الآية 39. وأسند مرة أخرى إلى نفسه العين بالجمع ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

¹ شرح مسلم للإمام النووي، ج 06، ص 36 .

العلامة ملا علي القاري مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط01 1422هـ - 2001م ، ج 01، ج 01، ص 260.

³ الشيخ البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر دمشق (سوريا) ط08 1982م ص 139.

﴿سورة الطور الآية 46 ونقرأ قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ سورة طه الآية 05
 وقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْإَرْدِ﴾ سورة ق الآية 16 ونقرأ قوله ﴿إِنَّمَا آمَنَ مَنِ اسْمَأَاءِ
 مَسَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ﴾ سورة تبارك الآية 17 وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ
 إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف الآية 84

ومعنى التأويل الإجمالي : تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين مع إثبات ما أثبتته لذاته على نحو
 يليق بكماله مع ترك تفصيل المقصود إلى الله جل جلاله وهذه هي طريقة السلف ودليله قول
 أنس أمروها بلا كيف إذ لولا أنهم لم يؤولوها تأويلاً إجمالياً بالمعنى الذي أوضحناه لما صح منهم
 أن يقولوا ذلك إذ لماذا يرونها بلا كيف ودلالة اللغة في الصياغة العربية واضحة تمنع كل لبس أو
 جهل سواء في أصل المعنى أو كلفيته، ولكنهم أيقنوا أن الأمر ليس على ظاهر ما تدل عليه
 الصياغة واللغة بسبب ما دلت عليه الآيات المحكمة الأخرى وهذا تأويل إجمالي واضح إلا أنهم
 لم يقحموا أنفسهم في تفسير هذه النصوص بكيفيات يلتزمونها وهذا هو التوقف عن التأويل
 التفصيلي.¹

ويرى البعض مذهب السلف في عصرهم كان هو الأفضل والأسلم والأوفق مع الإيمان
 الفطري المرتكز في كل من العقل والقلب، ومذهب الخلف في عصرهم أصبح هو المصير الذي
 لا يمكن التحول عنه بسبب ما قامت فيه من المذاهب الفكرية والمناقشات العلمية وبسبب
 ظهور البلاغة العربية مقعدة في قواعد من المجاز والتشبيه والاستعارة.²

المطلب الثاني: مذهب الشيخ المجاوي :

وافق الشيخ المجاوي جمهور المحققين من الأشاعرة والماتريدية في منهجية تعاملهم مع
 الصفات المتشابهة وتقسيمهم إلى سلف مفوضين وخلف مؤولين وفي ما يلي أهم آرائه في
 الموضوع:

¹ الشيخ البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 140.

² - المرجع نفسه، ص 141.

تعريف المتشابه : "هو كل لفظ يرد في الشرع مما يسند إلى الذات المقدسة أو يطلق اسما أو صفة لها وهو مخالف للعقل"¹. ثم يبين الأوجه التي يرد بها :

أنواعه يرد المتشابه بعدة أوجه:

1- **الآحاد:** هو ما لم يبلغ حد التواتر أي أن يأتي على حرف واحد أو حرفين أو ثلاث² وهذا النوع في رأيه إن كان نصا لا يحتمل التأويل - لا يمكن حمله على وجه يصح استعماله في اللغة - قطعنا بافتراء نافلة أو سهو أو غلطة وإن كان ظاهرا فظاهره غير مراد³ فالمتشابه الذي لم تتوفر فيه شروط التأويل نفى عنه المعنى الظاهر الذي لا يتوافق مع العقل ونفوض العلم بمعناها إلى الله عز وجل.

وحسب رأي الشيخ المجاوي أنه ليس كل متشابه آحاد يمكن أن يكون له تأويل وحمل على مقتضى اللغة، فيقبل إذا كان معقولا قريبا ويرد إذا كان بعيدا ويطبق منهج التفويض .

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري حيث يقول: نقول في صفات المشكلة أنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأولها نظرنا: فمن كان تأويله قريبا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيدا وقفنا ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه⁴.

المتواتر⁵ ما بلغ حد التواتر أي أن يأتي على ثلاث أحرف فما فوق، وللشيخ المجاوي فيه مذهبان :

مذهب السلف: نفى الاحتمال الذي ينفيه العقل لأن الشيخ المجاوي يستبعد أن يكون المتشابه المتواتر نصا لا يحتمل التأويل ، فالله عز وجل قد وصف نفسه بصفات يشترك فيها مع البشر فيستحيل - حسب رأي الشيخ المجاوي - أن تكون صفات الله كصفات الإنسان.⁶

¹ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 35.

² بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، د. ط، د. ت، ص 112

³ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 35.

⁴ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، ط دار المعرفة بيروت (لبنان) 1379هـ، ج 13، ص 38.

⁵ بدر الدين الزركشي، (مصدر سابق) ص 13.

⁶ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 53. بتصرف

مذهب الخلف: وهو تأويل النص المتشابه المتواتر ذو الاحتمالين والطريقة في ذلك- حسب رأي المجاوي- تعيين الثاني ان انتفى الأول وإن بقي احتمالان فصاعدا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على واحد منهما أولا فإن دل عليه عمل به، وإن لم يدل قاطع على التعيين فيعين بالنظر والاجتهاد دفعا للخبط في العقائد وخشية الإلحاد في الأسماء والصفات¹.

ثم يمثل الشيخ المجاوي لذلك بأية الاستواء فيقول: "نؤمن بأنه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كالأستواء، الأجسام من التمكن والمماسة والمحاذاة لها لقيام البرهان على استحالة ذلك في حقه تعالى بل أنه بحسب ما يليق به كما جرى عليه السلف رضوان الله عليهم في المتشابه من التنزيه عما لا يليق بجلال الله تعالى مع تفويض علم معناه إليه سبحانه².

ورأي الشيخ المجاوي هو رأي المحققين من أئمة الأشاعرة والماتريدية كما لأشرنا إلى ذلك سلفا، يقول الإمام الحجة تقي الدين الحصني في كتابه دفع من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد: "وقوله والكيف مجهول: أي بالنسبة إلى الله عز وجل لأن الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة، والكيف محال على الله عز وجل فلا يقال كيف والكيف عنه مرفوع³.

ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه مجرى الحسيات وينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإننا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلت: نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد، إنكم حملكم إياه على الظاهر قبيح⁴.

ثم يجوز الشيخ المجاوي كلا المذهبين مستندا للقرائن اللغوية بقوله: "وحاصله وجوب الإيمان بأنه استوى على العرش مع نفي التشبيه فيما كون المراد أن الاستواء بمعنى الاستلاء على العرش كما جرى عليه بعض الخلف فهو أمر جائز الإرادة-يجوز أن يكون مراد الآية- ولا يتعين كونه

¹ المصدر نفسه.

² المصدر نفسه.

³ تقي الدين الحصني الأشعري، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، تحقيق أ.د أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مركز الكتاب للنشر، (القاهرة) ص148.

⁴ المرجع نفسه، ص19.

المراد إذ لا دليل على الأدلة عينا أما إذا خيف على العامة لقصور أفهامهم عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا باتصال ونحوه فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء حفظا لهم عن المخذور فإنه قد ثبت إطلاقه لغة في قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ** من غير سيف ودم مهراق

وقوله:

فلما علونا واستولينا عليهم ** جعلنا لكم مرعى لنسر وطائر¹

فالشيخ المجاوي جاوز كلا من مذهب السلف (التفويض) ومذهب الخلف (التأويل) في التعامل مع المتشابه دون ترجيح لمذهب على آخر، غير أنه رجح مذهب الخلف بالنسبة للعامة نظرا لقصور أفهامهم، وتطور أساليب اللغة العربية

فأثبتات اليد والوجه وغيرها له تعالى أنها مجازات عن معان ظاهرة كما هي رواية عن الشيخ الأشعري فاليد مجاز عن القدرة والوجه عن الوجود والعين عن البصر والاستواء عن الاستيلاء واليدان عن كمال القدرة والنزول عن بره وعطائه والمجيب عن حكمه والضحك عن عفوه.²

.... وقد أشار إلى ذلك الشيخ البوطي حين قال: "فقد كان بوسع الإمام مالك رحمه الله أن يقول في عصره لذلك الذي سأله عن معنى الاستواء في الآية الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخين بسبب قرب العهد بعصر النبوة والإشراق إليه، ولكن لم يكن بوسع الأئمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم واتساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلموا ذلك التسليم دون أن يحللوا هذه النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز، خصوصا وأن فيهم الزنادقة الذين لا يقنعهم منهج التسليم ويتظاهرون بالحاجة إلى الفهم التفصيلي وإن كانوا في حقيقة الأمر معاندين"³

¹ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 54.

² انظر ص 99.

³ نفسه، ص 141.

وهذا الرأي الذي انتهى إليه الشيخ المجاوي رشيد وسديد لأنه يجمع ولا يفرق ويلم ولا يشتم ونحن أحوج ما نكون إلى ذلك، لأن مسألة الصراع بين المذاهب القديمة في تاريخ المسلمين بحيث اختلفوا فيها اختلافا كبيرا وصل الأمر إلى حد التبديع والتفسيق بل وحتى التكفير ونحن في غنى عن ذلك.

ثم يمثل المجاوي لرأيه بعدد من النصوص فيقول " وكل ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية في الشاهد يجب الإيمان به كالإصبع والقدم واليد في قوله تعالى «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» الفتح 10 وقوله أيضا «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٤﴾» ص 74 وقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»¹ و قوله صلى الله عليه وسلم «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبها كقلب واحد»² رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الطويل «يقال لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قطقط بعزتك»³ ومثل هذه الألفاظ العين في قوله تعالى «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» طه 39 وقوله تعالى «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» الطور 46 وقوله «تَجْرِمُ بِأَعْيُنِنَا» القمر 14 فإن اليد والأصبع والنزول يقال في كل منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو تعالى أعلم بذلك.

وقد تقول اليد والإصبع بالقدرة والقهر ويؤول الحديث بأنه سبحانه يقبل التوبة بالليل والنهار إلى طلوع الشمس من مغربها فلا يرد تائبا، ويؤول القدم بمعنى المتقدم أي خلق يقدمون

¹ رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم 2759 ص 1058.

² رواه مسلم، كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم 2645 انظر صحيح مسلم (مرجع سابق) ص 1023.

³ رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر جهنم وقعرها، وما تأخذ من المعدنين رقم 2848.

ص 1093. ورواه البخاري كتاب الأيمان والندور، باب الحلف بعزة الله تعالى وصفاته وكلماته رقم 1661.

إلى النار يخلفهم الله تعالى في الآخرة لذلك، وتؤول العين بالبصر والنزول في (ينزل في ربنا)¹ بنزول أمره، وتؤول اليمين في قوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»² على التشريف والتكريم ومعناه أنه وضع في الأرض للتقليل والاستلام تشريعا له كما شرفت اليمين وأكرمت لوضعها للتقبيل دون اليسار"، وهو رأي الحافظ ابن رجب الذي يرى بأن المراد بيمينه أنه محل الاستلام و التقبيل ، و أن هذا المعنى هو حقيقة في هذه الصورة و ليس مجازا، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلا، و كان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث و أنه لا داعي لتفسيره أو تأويله لأن التفسير فرع التصحيح كما لا يخفى.³

ومن الأمثلة على تأويلات الشيخ المجاوي أيضا:

- تأويل الغيرة في قوله صلى الله عليه وسلم " (ما أحد أغير من الله لأجل ذلك حرم الله الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله)⁴ والمراد بالغيرة في الحديث لازمها وهو الغضب ولازم الغضب إرادة العقوبة⁵.

- تأويل الضحك في قوله صلى الله عليه وسلم (..... فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له: أدخل الجنة)¹ والمراد بالضحك في الحديث لازمه وهو الرضى.²

¹ سبق ترجمته ص75

² قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (1 / 390) أخرجه أبو بكر بن خلاد في " الفوائد " (1 / 224 / 2) و ابن عدي (2 / 17) و ابن بشران في " الأمالي " (2 / 3 / 1) و الخطيب (6 / 328) و عنه ابن الجوزي في " الواهيات " (2 / 84 / 944) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي ، حدثنا أبو معشر المدائني عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا. ذكره الخطيب في ترجمة الكاهلي هذا و قال : يروي عن مالك و غيره من الرفعاء أحاديث منكرا ، ثم ساق له هذا الحديث ثم روى تكذيبه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، و قد كذبه أيضا موسى بن هارون و أبو زرعة ، و قال ابن عدي عقب الحديث : هو فيعداد من يضع الحديث ، و كذا قال الدارقطني كما في " الميزان " ، و زاد ابن الجوزي : لا يصح ، و أبو معشر ضعيف. و قال المناوي متعبقا على السيوطي حيث أورده في " الجامع " من رواية الخطيبو ابن عساكر : قال ابن الجوزي : حديث لا يصح ، و قال ابن العربي : هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، مكتبة المعارف (الرياض) ط01 1412هـ-1992م

³ الحافظ بن حجر ذيل الطبقات " (7 / 174 . 175) نقلا عن الألباني (المرجع السابق ص 392)

⁴ رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا شخص أغير من الله) رقم 7416 ص 1730.

⁵ مواهب الكبير، المتعال، ص13.

ثم ينكر المجاوي على الكرامية³ والحشوية⁴ تخصيصهم لله عز وجل بالجهة، فالأولى قالت بأنه مباين للعرش والثانية قالت بأنه مباين له وتمسكوا بظواهر بعض النصوص منها قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وحديث الصحيحين " ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا"⁵ فهذه النصوص يجب تأويلها ولو تأويلا إجماليا لأن الشرع إنما ثبت بالعقل وثبوته يتوقف على دلالة المعجزة وعلى صدق المبلغ وهذه الدلالة إنما ثبتت بالعقل، فلو أتى الشرع بما يكذب العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معا، والحاصل أن هذا ومثله فيه مذهبان مذهب السلف التفويض والتنزيه ومذهب الخلف التأويل والتنزيه.⁶

المبحث الثاني : (السنة النبوية ، الإجماع ، العقل والفطرة)

المطلب الأول : السنة النبوية : هي المصدر الثاني للتشريع وهي وحي من الله تعالى لكنها تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة كونه المنشئ لألفاظها أما معانيها فمن الله تعالى، إما أن ينزل بها جبريل كما نزل بالقرآن، أو ينفث بها في روعه أو يلهمه إياها مناما، أو أنه صلى الله عليه وسلم يقول أو يفعل باجتهاد منه في حدود ما يعلمه من معرفة من مقاصد الشرع، وقواعده الحكيمة، وهذا الاجتهاد إما أن يقر عليه فيرجع إلى حقيقة الوحي أو لا يقر فينبه إلى الصواب .

¹ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص88.

² المجاوي، مواهب الكبير المتعال، ص10.

³ الكرامية : أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام وكان من المرجئة، وكان يدعوا إلى تجسيم معبوده وقال إنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه، ووصف معبوده بأنه أحدي الذات وأحدي الجوهر وأنه تعالى مماس لعرشه والعرش مكان له وهو محل للحوادث. الشهرستاني، الملل والنحل ، ج02، ص85. البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص215.

⁴ الحشوية : هم قوم تمسكوا بالظاهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أن هذا الظاهر هو المراد منها فإذا جاء في القرآن أن الله تعالى يدا ووجهها، فإنه تعالى تكون له يد ووجه، وهؤلاء وجدوا في حلقات الحسن البصري وسمعتهم يتكلمون بالحشو والسقط، فامتعض لما سمعه منهم وأمر أصحابه فقال : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة فهم لذلك حشوية، وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها ويقولون إن تفسيرها أو تأويلها يتجاوز إدراكهم والكلام فيها على ذلك حشو.

⁵ انظر : التهانوي ، الكشاف ج01، ص115.

⁶ المجاوي، القواعد الكلامية، ص52

ومن الأدلة على أن السنة وحي قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿سورة النجم: آية ٣-٤﴾ وقوله أيضا ﴿وَمَا آتَا بِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿سورة الحشر: ٧﴾

كما قام دليل النقل والعقل على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن الخطأ في الرسالة، وهذا لا يستقيم إلا إذا كان ما يقوله من السنة وحي،¹ والسنة ليست على درجة واحدة من الواحدة من الحجية إذ تختلف فهناك السنة المتواترة² والسنة الآحاد.³ وقد أشار إليه المجاوي بقوله "المتشابه لا يخلو اما أن يتواتر أو ينقل آحادا والآحاد إن كان نصا لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلظه وإن كان ظاهرا فظاهره غير مراد"⁴. مراد⁴.

والمقصود من الآحاد من خلال النص هو أحاديث الآحاد لأن القرآن الكريم متواتر كله فلا خلاف بين العلماء على أن السنة المتواترة تفيد العلم القطعي وبالتالي تثبت بها العقيدة فهي كالقرآن الكريم من هذه الحثية، لكن وقع خلاف حول حديث الآحاد هل يحتج به في إثبات العقائد، بعد اتفاق الجميع على حجيته في إثبات الأحكام الشرعية في ثلاث مذاهب :

¹ عثمان علي حسن، مرجع سابق، ص 24.

² وهو أن يروي الحديث جماعة لا ينحصر في عدد معين، بل قد تكون العادة قد أحالت تواطؤهم على الكذب أي توافقه عليه فلا معنى لتعيين العدد وهذا على الصحيح الذي ذهب إليه الجمهور سواء كانوا كفارا أو فساقا أهل بلد واحد أو مختلفين . انظر: الحافظ بن حجر العسقلاني، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق وتعليق عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سير، تقديم القاضي العلامة محمد بن أحمد الجرافي، القاضي العلامة اسماعيل العمري، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان). ط. 01، 1427هـ-2006م ص 195-196.

³ أما الآحاد فهو ما لم يبلغ حد التواتر وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام :

-الأول: المشهور أو المستفيض وهو أن يرويه ثلاثة فصاعدا ما لم تجتمع شروط التواتر.
-الثاني: أن يرويه اثنان عن اثنين إلى منتهاه فلا يرد بأقل منهما في رواية، فإن ورد بأكثر في بعض المواقع من السند فلا يضر، إذ الأقل في هذا يقضي على الأكثر أي يغلب وهذا هو العزيز.
-الثالث: أن يرويه واحد في أي موضع وقع التفرد وإن زاد في غيره وهذا هو الغريب.
انظر: الحافظ بن حجر العسقلاني (مرجع سابق) ص 196.
⁴ المجاوي ، القواعد الكلامية، ص 53.

المذهب الأول :

خبر الواحد يفيد العلم مطلقا: وهذا الرأي منسوب لأهل الظاهر¹ وفي ذلك يقول ابن حزم "وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجو بالأخذ به، وفي أنه حق مقطوع على غيبه، لأنه بمثله عرفنا أن القرآن هو الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم وبه علمنا صحته ومن أنكر ذلك كان بمنزلة من أنكر ما يدرك بالحواس ولا فرق."²

وقد ذهب إلى هذا الرأي أحمد بن حنبل رحمه الله وكذا داود الظاهري، والهارث المحاسبي، وابن حزم، وينسب إلى عامة السلف.

وهذا الرأي هو الذي انتصر له والشيخ أحمد محمد شاکر في كتابه "الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لابن كثير" وقال عنه "إنه الذي ترجحه الأدلة الصحيحة، وإن هذا العلم اليقيني علم نظري برهاني لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث العارف بأحوال الرواة والعلل"³

المذهب الثاني :

عدم إفادة خبر الواحد العلم مطلقا: وهو مذهب بعض الأصوليين كابن قدامة⁴ الذين ذهبوا إلى أن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا وبنوا على ذلك أنه لا يجوز الاحتجاج به في

¹ عثمان علي حسن، مرجع سابق ص42.

² انظر الإحكام في أصول الإحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاکر منشورات دار الآفاق بيروت (لبنان) ج01، ص104.

³ الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، شرح اختصار علوم الحديث للحافظ بن كثير، تحقيق محمد أحمد شاکر ص45. نقل عن د/ محمد دراجي، الإمام عبد الحميد بن باديس وجهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، دار الهدى (عين مليلة) - الجزائر- ط01، 2012م، ص21.

⁴ يقول ابن قدامة: "اختلفت الرواية عن إمامنا رحمه الله في حصول العلم بخبر الواحد فروي أنه لا يحصل به وهو قول الأكثرين والمتأخرين من أصحابنا وهو مذهب جمهور العلماء لانا نعلم ضرورة أنا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان مفيدا للعلم : لما صح ورود خبرين متعارضين لاستحالة اجتماع الضدين، ولجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة لكونه بمنزلة في إفادة العلم ولوجب الحكم بالشاهد الواحد، ولاستوى في ذلك العدل والفاسق كما في المتواتر".

انظر روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تقديم وتحقيق وتعليق، د/عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، نشر مكتبة الرشد بالرياض (المملكة العربية السعودية) ط01، 1413هـ 1993م، ص363.

مسائل الاعتقاد، لأن مسائل الاعتقاد لا يطلب فيها إلا القطع، وهو مذهب المعتزلة¹ الذين لا يقبل خبر الواحد عندهم إلا إذا جاء موافقا للعقل فيستدل به تعصيذا لا احتجاجا وإلا رد وحكم ببطلانه إلا إذا احتمل التأويل من غير تعسف²، وقد وافقهم في هذا الأصل كثير من متكلمي الأشاعرة منهم الجويني³ والرازي⁴

المذهب الثالث: إفادة خبر الواحد الظن الراجح:

فجمهور الأصوليين والمتكلمين من المالكية والشافعية والحنفية ومحققي الحنابلة أنه يوجب الظن الراجح ولا يفيد العلم القطعي، وبالتالي لا تثبت به العقائد . وهذا ما رجحه الشيخ محمد الغزالي الذي يرى بأن الحديث الذي ثبت بطريق الآحاد لا يصل إلى درجة المتواتر نظرا لما يعتري البشر من الخطأ والنسيان ولكونه طريق الآحاد محدودة لا تصلح أن تكون مجرى لنقل العقائد.⁵

المذهب الرابع: إفادة خبر الواحد العلم (اليقين) بشروط - هو الصحيح وهو الخبر المتحفظ بالقرائن، والقرينة قد تتعلق بالخبر وقد تتعلق بالمخبر أو بهما معا ويدخل في ذلك الخبر الذي رواه في الأصل واحد ثم استفاض أي اشتهر والخبر المتلقي عن الأمة بالقبول، أو عند علماء الشأن ومنه ما رواه الشيخان أو أحدهما أو ما كان مسلسلا بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر، فهذا الخبر ونحوه يفيد العلم عند جمهور المحدثين والأصوليين وأكثر المتكلمين وعامة السلف⁶ وهو ما

¹ انظر فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة أبي القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشعي، تحقيق فؤاد سير (الدار التونسية للنشر) ص 186 وانظر : القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسين بن الهاشم، تحقيق وتقديم الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبية (القاهرة) ط03، 1416هـ-1996م ص 768.

² عثمان علي حسن، مرجع سابق، ص 42.

³ الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة (مصر) 1369هـ-1950م، ص 359.

⁴ الإمام الرازي، أساس التقديس في علم الكلام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (لبنان) ط01، 1415هـ-1995م، ص 204.

⁵ الشيخ الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، د.ط، د.ت ص 53 وما بعدها بتصرف.

⁶ عثمان علي حسن، مرجع سابق، ص 44.

ذهب إليه ابن حجر¹ كما أيده ابن الصلاح لأنه يرى إن الظن الطارئ عليها هو ظن من هو معصوم من الخطأ، والمعصوم من الخطأ لا يخطئ والأمة في مجموعة معصومة من الخطأ.²

وما يقال عن خبر الواحد في الأحكام يقال عن حكمه في إثبات العقائد لأن التفريق بين العقيدة والأحكام العملية وإيجاب الأخذ بأحاديث الآحاد في هذه دون تلك ، إنما بني على أساس أن العقيدة لا يقتزن معها عمل والأحكام العملية لا يقتزن معها عقيدة وكلا الأمرين باطل ، فلا بد من اقتران العقيدة في العمليات ولو افترضنا أن رجلا يقوم بالعبادات لكن لا يفعل ذلك معتقدا أن الله أو جبه عليه لما أفاده ذلك شيئا.³

وعليه يجب إثبات خبر الواحد في العقائد كما يجب إثباته في الأحكام لأن إنكاره يترتب عنه إنكار العديد من العقائد التي ثبتت بطريق الآحاد لكن تلقته الأمة بالقبول مثل :

-نبوة آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن.

-أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء.

-معجزاته صلى الله عليه وسلم كلها ما عدا القرآن ، صفاته صلى الله عليه وسلم البدنية وبعض شمائله الخلقية.

-شفاعته صلى الله عليه وسلم العظمى في المحشر ، شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته.

-الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق صفة الملائكة والجن ، والجنة والنار وأنهما مخلوقتان ، وأن الحجر الأسود من الجنة.

-خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم التي جمعها السيوطي في كتاب (الخصائص الكبرى) مثل دخول الجنة ورؤية أهلها ، وما أعد للمتقين فيها .

¹ ابن حجر، شرح نخبه الفكر، ص21.

² مقدمة ابن الصلاح، تحقيق د عائشة عبد الرحمن، نشر دار المعارف (مصر)، ص170 .

⁵ الألباني، وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، د.ط ، د.ت ، ص 19.

-القطع بأن العشر المبشرين في الجنة ، الإيمان بعذاب القبر وضغطته والميزان والصراط والحوض.¹

المطلب الثاني حجية خبر الواحد في العقيدة عند الشيخ المجاوي

ذهب الشيخ المجاوي إلى جواز الاحتجاج بخبر الواحد المتحرف بالقرائن فأثناء تقسيمه للعقائد ذكر في القسم الثاني أنه ما يرجع لوقوع جائز كأحوال القيامة من الحشر والنشر والجنة والنار والصراط والميزان ونحوهما، فهذه يستدل على وقوعها بالدليل السمعي وعلى جواز وقوعها بالدليل العقلي²، فكثير من أحوال القيامة ثبتت بأحاديث آحاد كالحشر والنشر والصراط والميزان فهذه غيبيات لا مجال للعقل فيها، فيستدل عليها بالدليل السمعي لكن من شأن العقل أن يقوي الدليل السمعي ويعضده فيصبح حجة.

فالصراط أو الميزان أو عذاب القبر لو عرضنا معناها على العقل فليس هذا الأمر مستحيلا بل يقبله العقل وإذا ورد به الشرع فلا داعي لأن نرده أو نقوله بخلاف ما لو ذكر في الشرع أن الله ينزل إلى السماء الدنيا.. فهذا لا يليق أن نثبتته على ظاهره العربي المحسوس، وكذا في كل ما يستحيل عقلا في حق الله، بل نلجأ إلى تأويله³.

وقد أثبت الشيخ سعيد فودة دليلا عقليا يؤيد به عذاب القبر أو نعيمه الثابت بدليل السمع " إذا علمنا أن الروح تبقى ولا تفتى في البرزخ وأن الروح قابلة للتنعم والتعذب وللسعادة والشقاوة، فإنها لا بد أن تكون في إحدى الحالتين أثناء كونها في البرزخ، لأنه يستحيل كونها منعمة معذبة معا، ويستحيل كونها لا منعمة ولا معذبة، فثبت بذلك أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.⁴

المطلب الثاني (الإجماع، العقل والفترة)

¹ الألباني، وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ص 36-37.

المجاوي ، القواعد الكلامية، ص 39.

³ الشيخ سعيد فودة، الشرح الكبير للعقيدة الطحاوية، دار الذخائر بيروت (لبنان) د.ط، د.ت، ص 1130.

⁴ المرجع نفسه، ص 1126.

الإجماع: أطلق بعض أهل الكلام القول بمنع الإجماع في أبواب الاعتقاد بحجة أنها من المسائل التي يستفاد العلم بها عن طريق العقل، فما دل عليه العقل لا يحتاج معه إلى دليل آخر لا إجماع ولا غيره إذ أن دلالة العقل قطعية لا يعضدها وفاق ولا يعارضها شقاق فلا أثر للإجماع فيها.¹

أما الشيخ المجاوي فقد فرق بين المسائل التي تتوقف صحة الإجماع عليها كالوجود والقدرة والإرادة والعلم والحياة والتي لا يصح الاستدلال بها إلا بالدليل العقلي إذ لو استدل عليها بالدليل السمعي لأدى إلى الدور²، وهذا باطل.³

وهذا ما بينه ابن همام الدين الإسكندري بقوله " ولا يتمسك بالإجماع فيما تتوقف صحة الإجماع عليه كوجود الباري تعالى وصحة الرسالة، ودلالة المعجزة على صدق الرسول للزوم الدور، لأن صحة الإجماع متوقف على النص الدال على عصمة الأمة عن الخطأ الموقوف على ثبوت صدق الرسول الموقوف على دلالة المعجزة على صدقه الموقوف على وجود الباري وارساله، فلو توقفت صحة هذه الأشياء على صحة الإجماع للزم الدور."⁴

العقل : يعتمد الشيخ المجاوي في دليل وحدانية الله عز وجل ، وعلى صفات سلب النقص عنه التي هي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ، وعلى الصفات الإلهية التي لا يتأتى الفعل بدونها التي هي الوحدانية والحياة والعلم والإرادة والقدرة على أدلة العقل دون الأدلة النقلية⁵ من القرآن والسنة لأن الوحي يتضمن بعض القضايا الاعتقادية التي لا يتحقق إيمان المرء إلا بها ، ومن تمام إقامة الحجة على الإنسان وقطع عذره لا بد أن يكون إثبات ما تضمنه الوحي من أركان العقيدة الصحيحة آتيا من خارج الوحي وإلا كان إثباتا للشيء بنفسه وهو

¹ عثمان علي حسن (مرجع سابق) ص 59.

² معنى الدور الباطل أن يتوقف الشيء في وجوده المطلق أو تكييف معين على شيء آخر، إلا أن هذا الشيء متوقف في ذلك الوجود أو التكييف وفي نفس الوقت على ذلك الشيء الأول، فمن المحال إذا أن يوجد هذا الشيء أو ذاك، ولا يمكن أن تجد عاقلا يقول : إنهما تعاونا فأوجد كل منهما الآخر.

الشيخ البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 86

³ القواعد الكلامية، ص 38.

⁴ تيسير التحرير، شرح العلامة محمد أمين على كتاب التحرير لابن همام الدين الإسكندري، ج 03، ص 263.

⁵ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 38.

باطل بالضرورة العقلية لأنه يؤدي إلى الدور وصورته هنا أن وجود الله تعالى لا يثبت لدى المستمع للرسول حتى تثبت لديه المعجزة ، ولا تثبت المعجزة حتى يثبت لديه وجود الله كما سيبينه ذلك الشيخ المجاوي، وقد اقتضى التدبير الإلهي أن يكون دليل الإثبات مركوزا في ذات الإنسان وأن يكون قادرا على إثبات أصل الاعتقاد وهو معرفة الله تعالى الذي يتفرع عنه سائر قضايا العقيدة، وهذا الدليل هو عقل الإنسان.

ومن خلال ذلك نخلص إلى القول بأن العقل أصل بذاته ومصدر أساس للعقائد-عند الشيخ المجاوي- ولكن في حدود تقرير أصلها وهو معرفة الله وتوحيده وتوحيده بما يتوقف عليه إثبات المعجزات وتصديق الرسل، وبعد ذلك يتخلى العقل عن دور استكشاف العقائد وتأسيسها ليترك المجال للوحي ليقرر العقائد التي تخرج عن إدراك الحواس وطور العقل وهو النقل . وفي ذلك يقول : " والتحقيق أن أساس العقائد الإسلامية هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة " ¹ فلا يعني كون العقل أصلا للنقل أنه بإمكان العقل أن يتعرف عليها بمفرده بل يكمن دور العقل في تعزيز النقل فقد ذكر الشيخ المجاوي -في القسم الثاني من العقائد- وهي ما يرجع لوقوع جوائز كأحوال القيامة من الحشر والنشر والجنة والنار والصراط والميزان ونحوها فهذه يستدل على وقوعها بالدليل السمعي وعلى جواز وقوعها بالدليل العقلي.²

وبذلك يكون العقل متقدما على النقل أي الوحي أو السمع عنده، لأن ثبوت النقل متوقف على تصديق الرسل ، وتصديق الرسل متوقف على إثبات وجود الله تعالى وكونه حيا عالما مريدا قادر.... وهذا التقدم يجعله أصلا للنقل وفي إبطال دور العقل لإبطال للأصل ولما بني عليه وهو النقل.

¹ المصدر نفسه ص 39

² نفسه.

وبالرغم من مكانة العقل وأهميته عند الشيخ المجاوي إلا أنه ليس بإمكانه إدراك حسن بعض الأشياء وقبحها وإنما تعرف بالشرع على خلاف الأحناف¹ ، وخاصة منها ما كان متعلقا بالغيبيات وقد استعمل الشيخ المجاوي طريقة السبر والتقسيم في الوصول إلى أنه لا مجال للعقل في ذلك ، فأصل العلوم العقل والعلم الناشئ عنه الأول:

ضروري: يدرك بدهة العقول ولا يحتاج إلى نظر أو استدلال كعلم الإنسان بوجوده، وأن الاثنين أكثر من الواحد، واستحالة الجمع بين النقيضين، وهو على نوعين حس ظاهر وخبر متواتر، ويقدم علم الخبر على الحس، ولا يفتقر كليهما إلى دليل لأنهما يدركان بدهة العقل ويشترك فيهما الخاصة والعامة² والثاني:

كسبي: طريقه النظر والاستدلال حتى يعرف وجه الصواب فيه لأنه لا يدرك بدهة العقول وهذا القسم تدخل فيه كثير من العلوم كالطبيعات والرياضيات والطب ... وهو على ضربين : أحدهما ما كان من قضايا العقول والثاني ما كان من أحكام السمع، فأما قضايا العقول وهو ما علم استدلالا بضرورة العقل وهو ما لا يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري.

وأما ما كان من أحكام السمع فهو ما علم استدلالا بدليل العقل وهو ما يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كدعوى النبوة فيوجب علم الاستدلال ولا يوجب علم الاضطراب لحدوثه عن دليل العقل لاعن ضرورته فإذا ثبت أن كلا من الضربين مدرك بقضية العقل فيما علم بضرورته من التوحيد أو بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا سواء كان طريقه في ذلك العقل أو السمع.³

فالإيمان بالعلم الكسبي واجب سواء أدرك بضرورة العقل أم بدليله، ومن العقائد التي وصلتنا عن طريق العقل أحوال يوم القيامة كالحشر والنشر والجنة والنار والصراط والميزان ونحوهما فهذه يستدل على وقوعها بالدليل السمعي وعلى جواز وقوعها بالدليل العقلي⁴.

وعليه يمكن القول أنه لا مجال للغيبيات وخاصة التفصيلية منها لأنها أمور فوق طاقته بل يستدل بها عن طريق السمع، غير أنه لا يحيلها، يقول الشيخ المجاوي في عقيدة الميزان " وأن الوزن حق لقوله

¹ المجاوي، القواعد الكلامية، ص.195.

² المصدر نفسه ص21 بتصرف

³ المصدر نفسه ، ص22.

⁴ المجاوي، القواعد الكلامية ، ص39.

تعالى (والوزن يومئذ الحق) والوزن مساواة شيء بأخر بألة مخصوصة هي الميزان، وهي عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كلفيته فنؤمن ونفوض كلفيته لله تعالى".¹

وقد وضح ذلك عثمان علي حسن بقوله "وهذا القسم (الغيبيات) لا يعلم بواسطة العقل، إلا أن يعلمه بأنه يجعل له طريق للعلم به، وذلك كالغيبيات سواء كانت من قبيل ما يعتاده علم العبد : كعلمه بما تحت رجليه، وعلمه بالبلد القاصي عنه، الذي لم يتقدم به عهد أولاً، أو كعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وتفصيل ذلك، فهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في ذلك كثير من مسائل الاعتقاد ولا سيما التفصيلية منها.....والعقول ما كانت لتعلم بها لولا مجيء الوحي بها وذكره لأدلتها العقلية....والعقل وإن كان لا يدرك ما هي عليه من الكيفيات، فهو - أيضاً - لا يحيل ذلك ولا يمنع إمكان وجوده لأن عدم إدراكه إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها، فالعلم بالشيء فرع عن تصوره، والتصور لا يقوم إلا عن معطيات حسية، وهذا أمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب، والشريعة - كما جاءت - بمحارات العقول لا بمحالاتها".²

علاقة العقل بالنقل في نظر الشيخ المجاوي

بالرغم من أهمية العقل في حياة الإنسان إلا أن له في الشرع الإسلامي حدود يجب عليه أن لا يتجاوزها، فللشرع وظيفة وللعقل وظيفة وتقزيم وظيفة العقل مع الإعلاء من شأن النص شأن النص يؤدي إلى خلل في فهم الدين وهو ما وقع فيه كل من المشبهة والمجسمة، والإعلاء من شأن العقل مع تقزيم النص يؤدي أيضاً إلى خلل في فهم الدين وهو ما وقعت فيه المعتزلة، والحل الأمثل هو حسن التوفيق بينهما وهو مذهب أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية)

وقد ضح الشيخ المجاوي العلاقة بينهما حين قال "اعلم أن العقل هو الوصف الذي يمتاز به الإنسان عن سائر الحيوان وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو لا يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يتبين إلا بالعقل وقد ضرب العلماء لتظاهر الدين والعقل واحتياج كل منهما للآخر مثالا منها أن العقل كأساس والشرع كالبناء وأن العقل رسول من الباطن والشرع رسول من الظاهر ولا سبيل لأحد في الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالرسول الباطن، فبالباطن تعرف صحة دعوى الظاهر وأن العقل كالسراج والشرع كالزيت فما لم يكن سراج

¹ نفسه ، ص116.

² عثمان علي حسن (مرجع سابق) ص75.

لم يضيء الزيت وما لم يكن زيت لم ينتفع بالسراج، وأن العقل كالبصر والشرع كالنور فمتى لم يكن بصر لم ينفذ النور في البصر ومتى لم يكن نور لم يدرك البصر فحينئذ لا بد من العقل لأجل ادراك ما يستحسن وما يستقبح وجميع ما جاء به الشرع مستحسن عقلا وإن كان لبعض منه يعلو على العقل لكن العقل لا يحيله قال الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ النور الآية 35، العقل ونور الشرع، ثم قال تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إشارة إلى أنهما يتحدان في الباطن وبتحادهما يهتدي في جميع المواطن، ولهذا أخذ العقل يحكم على الشيء بأنه واجب أو مستحيل أو جائز ومن لا عقل له فليس بمكلف إذ بالعقل يقع التكليف لأن مسلوب العقل بمثابة بهيمة عجماء بل هو أضل".¹

ويبدو أنه في كلامه هذا متأثرا بالغزالي الذي أحسن التوفيق بين العقل والنقل وأن كلاهما يكمل الآخر دون حاجة إلى التأويل أو الاشتقاق أو الإلزام يقول الغزالي " إن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لن يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل متحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العاقل عن الكافر... ولكون العقل شرعا من داخل قال تعالى في صفة العقل ﴿بِأَفْئِمَّةٍ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيبًا وَاللَّهِ إِلْتِمَاً فَالْقَرَأْتِ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٢٩﴾﴾ الروم الآية 30 ، فسمى العقل دينا لكونهما متحدين قال تعالى ... ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي نور العقل ونور الشرع"²

¹ القواعد الكلامية، ص 29.

² د/سامي محمود ابراهيم دكتورك مرزينا كرومي : إشكالية علاقة العقل والنقل بين الغزالي وابن رشد، مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل ، العدد 15 المجلد الثامن، 2014م، ص 15.

وقد أكد الغزالي مرة أخرى على الوسطية الأخذ بكلا الجانبين ويذهب إلى أن العلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب، وأن القلب محتاج إلى العلوم العقلية هـ فضلاً عن أن مفهوم القلب لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل، وبهذا الصدد يقول الغزالي " فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد بعزل العقل عن القلب بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين ومن يظن أن العلوم العقلية منافية للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه، بل هذا القائل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض في عجز عن الجمع بينهما، فيظن أنها تناقض في الدين وإنما ذلك العجز في نفسه خيل إليه نقص في الدين"¹

وهكذا يظهر لنا الغزالي موحداً بين العقل والنقل، وأن هذا التوحيد ظاهر دون الحاجة إلى التأويل ومما ينبغي التنبيه إليه أن هذه النتيجة التي توصل إليها الغزالي ومن بعده الشيخ المجاوي ناتجة عن الاستعمال الصحيح للعقل، فهو ملكة فكرية مودعة في الإنسان له الحرية في استعماله فقد يستعمله في التفكير بطريقة صحيحة وذلك بحسن ترتيب المقدمات وموادها والبعد عن الوهم، وقد يستعمله بطريقة خاطئة ولا يعني كون الإنسان ذا ملكة أو صفة هي العقل يستلزم ذلك أن يكون كل ما يصدر عنه ناشئاً عن العقل فيمكن للإنسان أن يجري في خطوات فكرية خاطئة وبالتالي لا يصل إلى نتائج صحيحة².

الفطرة:

لغة : الفطرة بالكسر الخلقة وفطره يفطره فطرا بضم الطاء أي خلقه، ويفطره فطرا بكسر الطاء معناه شقه فانفطر وتفطر.³

اصطلاحاً : لم يرد للشيخ المجاوي تعريف صريح للفطرة لكن من خلا رده على الجوس الذين ينسبون الشر إلى اهرمن وكذلك الوثنيون الذين ينسبون بعض الآثار إلى الأصنام وكذلك الصابئة

¹ نفس المرجع السابق.

² سعيد فودة، شرح العقيدة الطحاوية، ص 39.

³ ابن منظور، لسان العرب، ج 03، ص 439. (بتصرف)

الذين ينسبون بعض الآثار إلى الكواكب مع اعترافهم بأن يخلق السموات والأرض والألوهية الأصلية لله نفهم من كلامه من أن الفطرة عنده هي :

هي نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها الإنسان لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما تنتكس وتتغير بفعل مؤثرات ودور الإسلام تكملة هذه الفطرة والترقي بها. وقد عبر عنه الشيخ المجاوي بقوله

"يعترف جميع المخلوقات بأن خلق السموات والأرض والألوهية الأصلية لله تعالى ولكن سألتهم من خلق فهذا الاعتراف بما ذكر كان ثابتاً في فطرتهم من مبدأ خلقهم قد جبلت عليه عقولهم قال تعالى فأقم وجهك ولهذا كان المسموع من الأنبياء المبعوثين عليهم أفضل الصلاة والسلام دعوة الخلق إلى التوحيد والمراد هنا عدم اعتقاد الشريك في الألوهية وخواصها كتدبير العالم واستحقاق العبادة وخلق الأجسام بدليل أنه بين التوحيد بقوله شهادة أن لا إله إلا الله دون أن يشهدوا أن للخلق إلهاً وشهادة آيات القرآن فيها ما يغني عن إقامة البرهان"¹.

وفي نهاية هذا الفصل يمكننا القول بأن الظروف التي عاشها الشيخ المجاوي هي التي أملت عليه المواجهة الثقافية دون غيرها، كما يتجلى لنا تأثيره بمتأخري علماء الأشاعرة في المصادر التي اعتمدوا عليها في تقرير العقيدة، فهل وافقهم في آرائهم العقدية كالعاقبة بين الإيمان والإسلام وتقسيمهم للصفات؟ هذا ما سنعرفه في الفصل الثاني.

¹ المجاوي ، القواعد الكلامية، ص41.

الفصل الثاني: الآراء العقديّة للشيخ المجاوي ويحتوي على المباحث التالية

المبحث الأول: موقف الشيخ المجاوي من علم الكلام

المبحث الثاني: المبحث الثاني : الإيمان والإسلام

المبحث الثالث: المبحث الثالث صفات الله عز وجل

المبحث الرابع: الكسب والاختيار

المبحث الخامس : مذاهب الناس في القدر وتحقيق المجاوي لمذهب

الأشعري في الكسب

المبحث السادس: تحقيق مفهوم الكسب عند الشيخ المجاوي

المبحث السابع: (الرؤية)

المبحث الأول: الشيخ المجاوي وعلم الكلام

بدأ الشيخ المجاوي كتابه (القواعد الكلامية) بمقدمة تطرق فيها إلى المبادئ العشر لعلم التوحيد (الحد، الموضوع، الواضع، الفائدة، المصدر، الحكم، الاسم، المسائل، النسبة، الفضيلة) ، ثم تطرق إلى المجموعة من المباحث وهي : مبحث سر التوحيد، الإيمان والإسلام، النطق بالشهادتين، تاريخ التوحيد، مرتبة العقل في مدارك الحقائق، الدليل وما يلائمه، النظر، الشهادة، مصطلح الدين، وقد يتساءل القارئ عن الرابط بين موضوعات هذه المباحث مما قد يبدو بينها من نشاز، إلا أنها جميعا تعتبر ذات صلة بنقطة مركزية ألا وهي جزم القلب بوجوده سبحانه وما يتبعه من صفاته الجليلة جزما بالغا حد النهاية وهي الغاية والهدف من علم التوحيد أو علم الكلام على حد تعبير الشيخ المجاوي، والآن لنحاول أن نثبت الصلة أو العلاقة بينهما: فالله عز وجل لما كلف عباده لم يتركهم هملا بل بعث لهم بدين يسوقهم والدين المرتضى عند الله هو الإسلام الذي لا ينفك عن الإيمان في نظر الشيخ المجاوي، وطريق دعوة الله عز وجل إليه هو النظر بحاسة العقل عن طريق الدليل، حتى نصل إلى النتيجة المرجوة المذكورة آنفا وهي اليقين بوجود الله والإيمان به وعلامته النطق بالشهادة تصديقا لما يقره في قلبه وهذه هي وظيفة علم التوحيد الذي مر بعدة مراحل من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لخصها الشيخ المجاوي في مبحث تاريخ التوحيد.

غير أننا آثرنا الفصل بين مباحث هذه المقدمة وجعلناها في مبحثين ، فخصصنا المبحث الأول للحديث عن موقف الشيخ المجاوي من علم الكلام أو (المبادئ العشر لعلم التوحيد) والثاني للحديث عن الإيمان والإسلام وهو يتعلق بمواضيع الإلهيات .

المطلب الأول : (اسمه، حكمه ، الحد وأقسامه)

اسمه:

أسماءه لعظم شأنه فيطلق عليه أصول الدين والفقهاء الأكبر وعلم التوحيد تسمية له بأهم أجزائه وهو اثبات الوحدة التي هي المقصد الأعظم، وسمي أيضا بعلم الكلام باسم المسألة التي وقع فيها الخلاف مدة بني العباس وهي أن كلام الله الذي نقرؤه حادث أو قديم¹.

حكمه

جمهور علماء الكلام يقولون إنه من فروض الكفايات وتأثم الأمة إن لم يوجد فيها من يعلمه لترتب صحة العقائد على العلم به ولأن اليقين لا يحصل إلا به ولا يمكن الخروج من التقليد في العقائد إلا به.²

ويرى الشيخ المجاوي أن حكم الشارع في التوحيد الوجوب العيني على كل مكلف وتكفي الأدلة الإجمالية والتفصيلية فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقي³.

وقد رد الشيخ المجاوي هذه الشبه التي طالت هذا العلم والتي من بينها :

أنه بدعة وكل بدعة رد⁴ ولأن ذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولو اشتغلوا به لنقل إلينا عادة لتوفر الدواعي إلى نقله كما نقل اشتغالهم بالمسائل الفقهية على اختلاف أصنافها.

¹ المجاوي ، القواعد الكلامية ص 09.

² الإمام أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح وتحقيق د / أنصاف رمضان، دار قتيبة للنشر دمشق (سوريا) ص 21.

³ المجاوي ، القواعد الكلامية ص 09.

⁴ مستندهم في ذلك بعض النصوص التي تدل على كراهة السلف ومنعهم الخوض في علم الكلام ، لكن المسألة على حسب رأي المحققين فيها تفصيل فعلم الكلام فيه منفعة وفيه مضرة ، والنهي ينصرف إلى المضرة كإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم...

انظر الملا علي القاري، شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس للطباعة والنشر دمشق (سوريا) ط 02 ، 1430هـ-2009م، ص 26.

لكن الأمر بحسب رأي المجاوي على خلاف ذلك فقد تواتر عن الصحابة أنهم كانوا يبحثون عن دلائل التوحيد والنبوة وما يتعلق بهما ومحاورتهم مع المنكرين لهما وأهل مكة كانوا يجاجون النبي صلى الله عليه وسلم ويردون عليه الشبه والشكوك ويطالبونه بالحجة على التوحيد والنبوة حتى قال الله في حقهم بل هم قوم خصمون، وكان عليه الصلاة والسلام يجيبهم بالآيات الظاهرة والدلائل الباهرة ومثاله قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْفَهُ﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٧﴾ فإنه تعالى ذكر فيها مبدأ حلقة الإنسان وأشار لشبهة المنكرين للإعادة وهي كون العظام رميم وكيف يمكن أن تصير حية واحتج على الإعادة بقوله ﴿فَلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ يسن الآية 79، وهذا الذي عول عليه المتكلمون في صحة الإعادة لأنها مثل الإيجاد أول مرة وحكم الشيء حكم مثله فإذا كان قادرا على الإيجاد كان قادرا على الإعادة ويلزم من هذا بطلان الشبهة.¹

أنواع الموحدين: فرق الشيخ المجاوي بين أنواع ثلاثة من الموحدين وهي المقلد وغير المقلد والمتخصص:

أ- توحيد المقلد²: هو علم يبين فيه ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام، وإن لم تذكر له براهين ذلك وقد قسمه أيضا إلى:

- تقليد مذموم: وهو مما يقدر الجاهل به كعدم معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية وأحكام الرسالة وأمور المعاد.

- غير مذموم: وهو مما لا يقدر الجاهل به كتفضيل الأنبياء على الملائكة كما عند الإمام تقي الدين السبكي.¹

¹ - الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 21-22.

² وضح الإمام السنوسي الذي الفرق بين المعرفة والتقليد فالمعرفة هي الجزم المطابق عن دليل أما التقليد فهو الجزم المطابق بلا دليل، فليس المصير إلى الإجماع مثلا بتقليد، لأن الإجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد.

انظر: شرح أم البراهين للسنوسي، ص 14 و لوامع الأنوار للسفاريني ص 267.

2- غير المقلد: وهو من لم يكتف في العقائد بالتقليد وأراد المعرفة، وينقسم بدوره إلى أقسام ثلاثة :

أ- معرفة القدر الواجب عينا: أي العلم بالعقائد الدينية عن أدلتها اليقينية والعقائد الدينية هي أركان العقيدة الستة (الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره) وأساس هذه الأركان هو الإيمان بالله ودليله النظر والسمع إذ يمتنع فيه التقليد، فمن واجب كل مسلم أن ينظر بعقله في آثار الله الظاهرة في الآفاق والأنفس حتى يتمكن من معرفة صفاته وما يجب له وما يمتنع عليه.

ب- معرفة القدر الواجب كفاية: العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل وصدقهم في كل أخبارهم، وما يتوقف عليه شيء من ذلك وتقرير أدلتها بقوة.

ج- التخصص في علم التوحيد: هو النظر بدليل تفصيلي يتمكن معه من إزاحة الشبه وإلزام المنكرين وإرشاد المسترشدين بفرض كفاية.²

من خلال هذا التقسيم يمكننا أن نلتمس موقف الشيخ المجاوي من النظر فهو من القائلين أن أول الواجبات على المكلف النظر³ والاستدلال أو القصد إلى ذلك، فالمقلد في نظره مؤمن لكن عاص بتركه للنظر وهذا في مقابل الحنفية الذين يذهبون إلى القول إلى أنه من اعتقد أركان

¹ - الشيخ عبد القادر المجاوي، القواعد الكلامية المطبعة الشرقية لصاحبها فونتانا الأخوين وشركائهما بالجزائر، د ط 1910، 1338م، ص04.

² المجاوي، القواعد الكلامية ، ص131.

³ يعرف الشيخ المجاوي النظر بقوله: " هو ترتيب أمور معلومة تؤدي إلى مجهول إما صحيح وإما فاسد فالصحيح هو المؤدي إلى المطلوب، والفاقد بخلافه والنظر الصحيح يفيد العلم بالمنظور فيه خلافا للبعث واستلزامه له عادي لا توليدي ولا إعلاي ولا واجب" وفي التعريف أنواع الارتباط بين الدال والمدلول وهي:

يصنفها الشيخ السنوسي إلى أربعة مذاهب³: مذهبان لأهل الحق:

أحدهما: مذهب القاضي وإمام الحرمين، أن الربط بينهما على طريق التضامن أي اللزوم العقلي، بمعنى أنه مهما خلق الله تعالى النظر الصحيح، ولم يخلق إثره آفة تضاده كالنوم ونحوه، فإنه يلزم عقلا أن يخلق جل وعلا العلم بالمنظور فيه من غير أن يكون لقدرة الناظر ولا لنظرة الصحيح أثر في هذا العلم أصلا، بل كل ذلك مخلوق لمولانا جل وعز بلا واسطة، ولا معنى للكسب والاكتماب المضاف لقدرة العبد إلا كون تلك القدرة تتعلق بما يخلق الله تعالى عندها من نظر أو علم أو غيرهما، من غير أن يكون لها تأثير في شيء من الأفعال البتة.

الدين تقليدا كالتوحيد والنبوة وغيرها يصح إيمانه كما هو المروي عن أبي حنيفة وأصحابه وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد كما في شرح عقيدة الصحاوي لأبي المحاسن.¹

وقد بين الإمام الإمام البيجوري الأقوال في المسألة وهي :

اختلف العلماء في إيمان المقلد والذي يعني أخذ قول الغير من غير أن يعرف دليله إلى أقوال هي²:

1- عدم الإكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد فيكون المقلد كافرا.

2- الإكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقا أي سواء كان فيه أهلية نظر أم لا .

المذهب الثاني: مذهب الشيخ الأشعري: أن الربط بينهما على طريق العادة كالشبع مع الأكل، أي جرت عادته سبحانه أن يخلق العلم عند النظر الصحيح كما جرت عادته سبحانه أن يخلق العلم عند النظر الصحيح كما جرت عادته أن يخلق الشبع عند الأكل، ويصح التخلف لو حرق الله سبحانه العادة. ومذهبان لأهل البدعة والشرك والضلال.

أحدهما : مذهب المعتزلة أن الربط بين العلم الصحيح والعلم بطريق التولد بمعنى أن الناظر هو الذي حصل لنفسه العلم بقدرته التي خلقها الله تعالى له: لكن بواسطة تحصيله النظر بما.

الثاني مذهب الفلاسفة : أن الربط بينهما بطريق الإيجاب بمعنى أن الناظر هو الذي حصل لنفسه العلم بمجرد نظره الصحيح، إذ هو علة مستقلة لحصوله فأضاف كل من الفريقين نور العلم والهداية لغيره حل وعلا، وذلك لجهلهم وموت قلوبهم وتكذيبهم بمقتضى قوله تعالى ﴿أَوْ مَسَّ كَانِ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْجَاهِلِينَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ الأنعام الآية 122 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ

إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ وَذَٰلِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٦﴾ البقرة الآية 256. والأدلة على ذلك

نقلية وعقلية كثيرة.

انظر : الشيخ السنوسي ، المنهج السديد شرح كفاية المرید ، تحقيق مصطفى مرزوقي ، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) ط 01 1994م، ص 61.

¹ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 131.

² حاشية البيجوري على جوهره التوحيد، ص 77.

- 3- الإكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهلية نظر وإلا فلا عصيان.
- 4- أن من قلد القراءان والسنة القطعية صح إيمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم.
- 5- الإكتفاء به من غير عصيان مطلقا لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأولى.
- 6- أن إيمان المقلد صحيح ويجرم النظر وهو محمول على المخلوط من الفلسفة.

تم يرجح الرأي الثالث بقوله: "والقول الحق الذي عليه المعول من هذه الأقوال القول الثالث". وهو ما يوافق رأي الشيخ المجاوي الذي عبر عن ذلك أيضا في موضع آخر يقول "النظر في معرفة¹ الله واجب إجماعا لكن وجوبه عندنا بالسمع وعند غيرنا بالعقل وأما القول بالإلهام أو بالتعليم فليس بمعول عليه عندنا"¹ وهو مذهب جمهور أهل السنة وحتى الحنابلة، يقول مصطفى حمدو عليان الحنبلي: "ذهب جمهور أهل السنة ومنهم الحنابلة إلى وجوب معرفة الله والنظر والاستدلال وهو أول واجب على المكلف القادر" وقد استدل بقول مذهب المذهب أبو يعلى "وأول ما أوجب الله على خلقه العقلاء النظر والاستدلال المؤديين إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، لأنه من لا يعرف الله تعالى لا يمكنه أن يتقرب إليه... ولكنه ليس بالمشاهدة لنا ولا بالمعلوم ضرورة فوجب أن

¹ حد المعرفة: الجزم المطابق عن دليل ، فخرج بقولنا : "الجزم " ثلاثة أشياء:

1- الشك: وهو ما استوى طرفاه 2- الظن: وهو ما كان محتملا مع رجحان أحد الطرفين 3- الوهم: وهو عكس الظن.

ويخرج بقولنا المطابق الجزم غير المطابق لما عند الله كجزم الكفرة على كفرهم ويسمى هذا الجزم : الجهل المركب والاعتقاد الفاسد.

وبقولنا " عن دليل يخرج الجزم المطابق لا عن دليل ، فلا يسمى المقلد عارفا وإن كان جازما وجرمه مطابقا، لأنه وإن حصل له الجزم المطابق إلا أنه لا دليل معه ولو جمليا إذ حقيقة التقليد الأخذ بقول الغير بلا حجة.

أبو الحسن النوري، العقيدة النورية ، ص73-74.

علمه بالنظر والاستدلال إليه، وقال قبل ذلك: "النظر الصحيح يثمر العلم وهو نظر القلب الذي هو الاعتبار والتأمل في الدليل طلبا لمدلولة... والدلالة على صحة النظر وفساد التقليد".²

وفي الوقت نفسه يرد على من يقول بأنها فطرية كسبية³ وأن أول واجب هو الشهادتان بقوله: "وهذا لا يستقيم مع قولهم: الإيمان اعتقاد وقول وعمل لأن القول لا بد معه من الاعتقاد، والاعتقاد لا بد فيه من اليقين، واليقين لا بد فيه من النظر، الموصل إلى المعرفة الجازمة وهم قد جعلوا الإيمان بمجرد نطق الشهادتين.

ثم إن الشهادتين لا بد أن تأتي بحقيقتها لا تقليدا أو شكاً أو حكاية عن الغير، فمن حكى الشهادتين تقليدا للمسلمين وحكاية عنهم لا يصير مسلماً بالإجماع فعرف من ذلك أن النظر الموصل إلى اليقين سابق للشهادتين، ولا يشترط أن يعبر عن يقينه بعبارات المتكلمين، كما أننا لانكفر من لم ينظر في التوحيد والعقائد بل هو مؤمن".⁴

والشيخ المجاوي وإن أوجب النظر لكن بطريق النقل كما سبقت الإشارة إليه لا بطريق العقل الذي يعتبر نظر خاص أحد أدلته دليل الحدوث والإمكان.⁵

ويبدو أن الشيخ المجاوي قد توسط بين الرأي القائل: إن المقلد مؤمن غير عاص وإن كان تقليده عارياً عن الدليل والبرهان.¹

¹ المجاوي ، القواعد الكلامية، ص23.

² مصطفى حمدو عليان الحنبلي، السادة الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة، دار النور المبين للنشر والتوزيع، عمان (الأردن) ط01، 2014م، ص176.

³ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ-2003م ج02 ص73.

⁴ مصطفى حمدو عليان الحنبلي، (مرجع سابق) ص177.

⁵ - اشترط بعض المتكلمين أدلة خاصة لمعرفة الله عز وجل أهمها أدلة الحدوث والإمكان لأن الإحاطة بوجه الدليل تضاد الجهل بالمدلول ، ويستحيل تقدير العلم بثبوت الأعراض وحدوثها واستحالة تعري الجواهر منها مع العلم باستحالة حوادث لا أول لها ، ويستحيل أن يعلم الإنسان أن ما لا يخلو من الحوادث لا يسبقهما ثم يعتقد بقدوم العالم وهذا ما ينطبق على كل دليل .

انظر : الجويني ، الشامل في أصول الدين ، تحقيق علي سامي النشار ، مكتبة (المعارف) (مصر) ص113.

وبين الرأي القائل: أن المقلد في العقائد كافر بترك النظر والاستدلال وهو قول فيه كثير من الغلو، فقد أنكره جماعة كبيرة من العلماء المحققين من أهل النظر والتحقيق والسنة وأنكروا وجوده عندهم²، بل هو قول للمعتزلة كما ذهب إليه أبو هاشم الجبائي.³

والغرض من النظر -حسب رأي المجاوي- هو معرفة الله عز وجل ، ومن تم فهي أول واجب على المكلف لأن النظر والقصد إليه وسائل إليها يقول المجاوي: " ثم لما كانت المعرفة متوقفة على النظر الموصل إليها كان النظر أول واجب ووسيلة قرينة، ولما كان النظر متوقفا على القصد إلى النظر ، كان القصد أول واجب ووسيلة بعيدة والمراد بالقصد إلى النظر توجيه القلب إليه بقطع العلائق المنافية له كالكبر والحسد وحب الرياسة والمحمدة وغير ذلك من الأمراض القلبية وتطهير القلب وتصفيته من هذه الأخلاق الذميمة أول هداية الله تعالى للعبد وعليه فيجب على كل عاقل بالغ ذكرا كان أو أنثى حرا أو عبدا أن يعرف ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز اجمالا وتفصيلا فالإجمالي أن يعتقد اعتقادا جازما أنه يجب لله تعالى كل صفة كمال تليق بشأن الألوهية ويستحيل عليه كل نقص والتفصيلي أن يعتقد اعتقادا جازما بالدليل العقلي سواء كان الدليل اجماليا وهو المعجوز عن تقريره وحل شبهه كالحاصل للعوام"⁴

فالدليل الذي يقصده المجاوي هو الدليل الإجمالي وليس أدلة المتكلمين وقد ذكر ابن حجر عن بعض المتكلمين توسطهم في هذه المسألة بقوله: " وقد توسط بعض المتكلمين فقال لا يكفي التقليد بل لا بد من دليل يشرح به الصدر، وتحصل به الطمأنينة العلمية، ولا يشترط أن يكون بطرق الصناعة الكلامية، بل يكفي في حق كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه"⁵.

¹ ممن ذهب إلى ذلك ابن حجر الهيثمي الذي يقول " يكفي في الإيمان التصديق، أما اشتراط تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها وإلا لم يكن من أهل القبلة خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل ولأنه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء، ولم يشترط المعرفة بالدليل، وقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحين يحصل مجموعها التواتر والعلمي القطعي.

ابن حجر الهيثمي، الفتح المبين بشرح الأربعين، دار المنهاج للنشر والتوزيع (المملكة العربية السعودية) ط01، 1428هـ- 2008م، ص260

² شرح أم البراهين للسنوسي، ص25 .

³ الآمدي، أباكارالأفكار في أصول الدين، تحقيق الدكتور، أمين محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) ط01 1423هـ - 2002م، ج01، ص163.

⁴ المجاوي ، القواعد الكلامية، ص39.

⁵ ابن حجر، فتح الباري 63/13

وهو رأي قريب أيضا من رأي الحنابلة الذين يرون أن النظر ليس واجب مطلقا بل يجب على من بلغته الدعوة ولم يحصل له اليقين أما المقلد الذي حصل له اليقين فلا يَأْتَمُّ بترك النظر"، وفي ذلك يقول السفاريني: "وبما تقرر تعلم أن النظر ليس بشرط في حصول المعرفة مطلقا وإلا لما وجدت بدونه لوجوب انتفاء المشروط بانتفاء الشرط لكنها قد توجد، فظهر أن النظر لا يتعين على كل أحد وإنما يتعين على من لا طريق له سواه بأن بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحصل له العقد الجازم ابتداء تقليدا فوجب عليه النظر حتى يظهر له حقيقة الاسلام ، فمثل هذا الشخص النظر عليه واجب اجماعا وأما المقلد الذي يؤمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بلغته دعوته وصدق به تصديقا جازما بلا تردد فمع صحة إيمانه بالإتفاق لا يَأْتَمُّ بترك النظر وإن كان ظاهر ما تقدم الإثم مع حصول الإيمان لأن المقصود الذي لأجله طلب النظر من المكلف وهو التصديق الجازم قد حصل بدون النظر فلا حاجة إليه".¹

المطلب الثاني (، موضوعه ، واضعه، فائدته)

موضوعه: للموضوع أهمية بالغة لأنه بواسطته يقع تمييز العلوم بعضها عن بعض، فالله عز وجل من على كل إنسان قوة يدرك بها حقائق الأشياء، ولما كانت هذه الأخيرة مختلفة متباينة اقتضى حسن التعليم وتسهيله أن تجعل مضبوطة متميزة، فقسّم العلماء الأحوال والأعراض الذاتية المتعلقة بشيء واحد إما مطلقا أو من جهة واحدة أو بأشياء متناسبة تناسباً معتدا به سواء كان ذلك في ذاتي أو عرضي ودونوه على حدة وسموا ذلك الشيء أو تلك الأشياء موضوعا لذلك العلم.²

وموضوع علم التوحيد حسب رأي الشيخ المجاوي هو ذات الله تعالى من حيث ما يجب في حقه وما يستحيل وما يجوز وكذا ذات رسله صلوات الله عليهم أجمعين، ومثل ذلك الممكن من حيث أنه يستدل به على وجوب وجود صانعه كالجواهر والأعراض أو من حيث اعتقاده كالسمعيات.³ وقيل في موضوعه أيضا ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على موجدتها وصفاته وأفعاله، لأنه يشمل الواجبات والجائزات والمستحيلات، بيد أنهم قد اتفقوا على أن بعض مسائل علم التوحيد يتغير بتغير الظروف الاجتماعية واحتياج الناس خلال العصور.⁴

¹ السفاريني، لوامع الأنوار، ص 270.

² المجاوي، القواعد الكلامية، ص 06.

³ المصدر نفسه.

⁴ نفسه، ص 07.

وقيل أيضاً موضوعه المعلوم¹ من حيث يحمل عليه ما يصير عقيدة دينية أو مبدأ لها نحو الله تعالى قدس وإعادة الجسم بعد فئائه حق والجسم مركب.²

فمن حيث ما موضوعه المعلوم اعتبره البعض من أوسع العلوم لأن كل العلوم سواه تبحث في معلوم ما فالفقيه يبحث في أحكام أفعال المكلفين والطب يبحث في جسم الإنسان من حيث دفع الآفات وجلب الصحة وهكذا، أما هو فله البحث في كل ما هو معلوم يؤدي البحث في إلى تدعيم العقائد الدينية فله مثلاً أن يباشر معرفة العلوم المكشوفة في كل عصر من العصور والنظر فيها لتمييز ما يفيد في مقصوده، والتي يدخل فيها الأجسام والأعراض وأحكامهما وكذلك الإنسان والحياة الموجودة على ظهر الأرض بل يدخل فيه حتى الفكر والوعي والنظر والعقل وحتى الروحانيات والنفسانيات... ولذلك لا يستبعد أن ينكشف للمتأخرين من المتكلمين من الأدلة ما لم يكن يعرفه المتقدمون.³

واضعه: يرى الشيخ المجاوي بأنه علم قرآني لأنه مبسوط في كلام الله تعالى بذكر العقائد والنبوات والسمعيات والرد على المبطلين والطبائعيين ودفع الشكوك والشبه ، فأصله مستمد من القرآن.⁴

فائدته: له فائدتان الأولى أخروية مؤجلة وهي السلامة من العذاب المترتب عن سوء الاعتقاد⁵ فعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟". قلت : الله ورسوله أعلم . قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً"، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلموا".⁶

¹ - يقسم المعلوم إلى ثلاثة أقسام: ممكن لذاته وواجب لذاته ومستحيل لذاته، ويعرفون المستحيل بما عدمه لذاته من حيث هي والممكن ما لا وجود له ولا عدم من ذاته، وإنما يوجد لموجد ويعدم لعدم سبب وجوده، والواجب لذاته هو السبب في وجود الممكنات.

انظر، محمد عبدة، مصدر سابق، ص38.

² القواعد الكلامية ص07.

³ سعيد فودة، مرجع سابق، ص44

⁴ المجاوي مصدر سابق ص07

⁵ - الشيخ المجاوي، مرجع سابق، ص08.

⁶ - أخرجه مسلم في صحيحه، بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب 10، حديث رقم 49، 49، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) ط05، 2012م-1433هـ، ص205.

الثانية : عصمة المال والنفس وانتظام المعاش بالعدل ورفع الجور والظلم وحصول اليقين وإفحام المعاند وحفظ قواعد الدين عن شبه المبطلين وصحة النية والإخلاص¹ ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى)² .

ولا ينافي ما تقرر من توقف العصمة على هؤلاء الثلاثة ما هو معلوم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعصم الدم بالشهادتين ومن تم استنكاره على أسامة لقتله من قاهها، ولم يشترط على مرید الإسلام التزام صلاة ولا زكاة بل روى أحمد أنه قبل إسلام من اشترط أن لا زكاة ولا حج، ومن اشترط أن لا يصلي إلا صلاتين ومن اشترط أن يسجد من غير ركوع، ومن ثم قال أحمد : يشترط الإسلام على الشرط الفاسد ثم يؤمر بشرائع الإسلام كلها .

ووجه عدم المنافاة : أنه وإن كان يقبل مجرد النطق بالشهادتين، لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك صلاة ولا زكاة، ومن ثم أمر معاذ لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أن يدعوهم أولا إلى الشهادتين وأنه من أطاعه بهما أعلمه بالصلاة، ثم بالزكاة.....وبهذا علم الجمع بين هذه الرواية ورواية أبي هريرة الآتية المقيدة للعصمة لمجرد النطق بالشهادتين.³

المطلب الثالث (استمداده ، مسائله ، فضيلته)

استمداده: يرى الشيخ الجاوي أن علم الكلام مستنبط من الأدلة العقلية والسواطع النقلية كما عند الأصوليين، وعند أهل الميزان المبادئ الاصطلاحية التي ينبنى عليها العلم من أمور تصويرية أو تصديقية، فالتصويرية كحد الحكم العقلي والواجب والمستحيل والجائز والجوهر والعرض والقديم والحادث والعالم والأزل، والتصديقية إما ضرورة نحو النقيضان لا يجتمعان وقد يرتفعان والكل أعظم من جزئه، أو ما ثبت قدمه استحاله وعدمه والعرض لا يبقى زمانين ولا يقوم بمثله ولا بمحلين.⁴

فمن خلال هذا التعريف يمكننا أن نستنبط الأصول التي أخذ منها علم الكلام وهي:

¹ - - الشيخ الجاوي، مرجع سابق، ص08.

² -أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ص32.

³ - ابن حجر. (مرجع سابق)ص262 .

⁴ الشيخ الجاوي، القواعد الكلامية، ص08.

الأدلة العقلية والسواطع النقلية: يعرف الشيخ المجاوي الدليل بقوله :

"هو الذي يلزم من العلم به بطريق¹ النظر العلم بشيء آخر" والمراد من الدليل هنا هو التصديق سواء كان يقينياً أو ظنياً².

ثم يقسم الأدلة إلى عقلية ونقلية مبينا وجهة دلالتها:

"ثم الدليل إما نقلي نحو فاعلم أنه لا إله إلا الله أو عقلي كالعالم، وجهة دلالة الأول السمع والوضع، كما أن جهة دلالة الثاني هي الحدوث على المذهب المنصور"³.

فالأدلة النقلية تعتمد في دلالتها على الدليل السمعي كالكتاب، والسنة، والإجماع وقد عبر عنها بكلمة السواطع لأنها بينة واضح لا تختمل التأويل .

كذلك الوضعي وهو ما دل بقضية استناده، ومنه العبارات الدالة على المعاني في اللغات. قال :
والحق به...

أما الدليل العقلي وهو ما دل على المطلوب بنفسه من غير احتياج إلى وضع، كدلالة الحدوث على المحدث، والإحكام على العالم.⁴

فهذا تقسيم الشيخ المجاوي للأدلة ودلالاتها، وهناك من قسم الأدلة إلى عقلية ونقلية ووضعية⁵
المبادئ الاصطلاحية التي يبني عليها العلم: من الأصول التي يستند إليها علم الكلام هي
الأحكام المنطقية مثل:

أمور تصويرية أو تصديقية:

1- التصديق هو نسبة شيء إلى آخر، وغيره يسمى تصورا فمثلا إذا توجهت إلى إنسان وحدثت صورته في ذهنك فهذا يسمى تصورا وإذا نظرت إلى حيوان وانتقشت صورته في ذهنك فهذا تصور أيضا، وإذا سمعت صوتا وحدث في ذهنك الصوت فهذا العلم تصور أيضا، أما إذا عرفت أن ذلك الإنسان عالم وقلت هذا عالم فقد نسبت العلم إلى ذلك الإنسان فهذه النسبة تسمى تصديقا، وإذا توجهت إلى أن الحيوان الذي رأيته أبيض فقلت هذا

¹ هي المعلومات المترتبة في العقل، انظر: الشيخ المجاوي (مرجع سابق) ص22.

² - الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص22.

³ - المرجع نفسه، ص22.

⁴ البحر المحیط بدر الدين الزركشي، دار الكتي، ط01، 1414هـ-1994م ج01، ص55.

⁵ نفس المصدر السابق، ص56.

الحيوان أبيض فقد نسبت البياض إلى ذلك الحيوان فهذه النسبة تصديق أيضا، وإذا توجهت إلى أن الصوت الذي سمعته صوت زيد فقلت هذا الصوت من زيد، فقد نسبت إلى الصوت كونه من زيد، فهذه النسبة تصديق أيضا، والتصور على نوعين :

إما واضح معلوم مثل تصور الماء والنار ونحوها ويسمى بالتصور البديهي.

إما مجهول غير واضح : مثل تصور الجن والروح ونحوها ويسمى التصور النظري لاحتياج معرفته إلى النظر والفكر، وكذلك التصديق على نوعين :

إما واضح معلوم مثل تصديق النار حارة والثلج بارد ونحوهما ويسمى بالتصديق البديهي.

وإما مجهول غير واضح يحتاج إلى تفكير مثل الدنيا مخلوقة والإنسان خلقه الله ويسمى التصديق النظري لاحتياجه إلى النظر والفكر¹.

ومن أمثلة الأمور التصويرية :

حد الحكم العقلي: فالعقلي إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه بناء على تفكير دون توقف على شرع، ولا تجربة أو تكرار. مثاله: الله موجود، لا إله إلا الله.²

الواجب: هو ما لا يتصور في العقل عدمه إما ابتداء بلا سبق نظر، ويسمى بالضروري، وإما بعد سبق نظر ويسمى النظري.³

المستحيل: ما لا يتصور في العقل وجوده إما ابتداء أو بعد سبق نظر، فمثال الأول عرو الجرم عن الحركة والسكون فإن العقل ابتداء لا يتصور هذا المعنى للجوهر، والثاني كون الذات

¹ - انظر، الموجز في المنطق لصادق شيرازيد. ط، د.ت، ص04.

² المجاوي، القواعد الكلامية ص27، وإلى جانب الحكم العقلي يوجد الحكم الشرعي والعادي فالشرعي : إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه بناء على وحي من الله، مثل: الصلوات الخمس فريضة على المكلفين، ولا يجوز شرب الخمر..

والعادي إثبات أمر لأمر، أو نفيه عنه بناء على تجربة أو تكرار مثل: الأمطار تكثر بالشواطئ.

انظر شرح أم البراهين للسنوسي، ص10.

³ الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د.ط، د.ت ص208.

العلية جرما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فإن استحالة هذا المعنى عليه جل وعلا إنما يدركه العقل بعد أن يسبق له النظر فيما يترتب عن ذلك من المستحيل.¹

الجائز هو قبول الثبوت والانتفاء والشيء الذي يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلي ومثاله حركة زيد أو سكونه وتعذيب المطيع الذي لم يعص الله قط لكن الأول جائز عقلي بديهى لا يحتاج إلى دليل، والثاني جائز عقلي غير بديهى يحتاج ثبوت جوازه إلى دليل وتستغربه العقول في بادئ الأمر ولكن إذا بحث عنه بالدليل وجد أنه جائز الوقوع عقلا وداخل تحت تصرف قدرة الحكيم سبحانه.²

الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو منحصر في خمسة أشياء هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل.³

العرض: الموجود الذي يحتاج وجوده إلى موضع يقوم به، يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره.⁴

القديم: وهو القديم بالذات ويطلق على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم.⁵

الحادث: عبارة عن الوجود بعد عدم.⁶

العالم: عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات لأنه يعلم به الله.⁷

الأزل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، كما أن الأبد هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل.⁸

¹ الإمام السنوسي، شرح أم البراهين، مطبعة الاستقامة (مصر) ط01، 1351هـ، ص12.

² المصدر نفسه ص12.

³ الجرجاني، مرجع سابق، ص71.

⁴ نفسه ص125.

⁵ نفسه ص44.

⁶ نفسه، ص74.

⁷ الجرجاني (مرجع سابق) ص122.

⁸ نفسه، ص174.

والتصديقية إما ضرورية نحو النقيضان لا يجتمعان، وقد يرتفعان والكل أعظم من جزئه، أو نظرية ما ثبتقدمه استحالة عدمه والعرض لا يبقى زمانين ولا يقوم بمثله ولا بمحلين.¹

مسائله: هي القضايا التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتية² وذلك أن يقال إن كل مسألة في هذا هذا العلم لا يخلو موضوعها منخمسة أوجه، إما أن يكون عين موضوع العلم مجردا كقولنا الكذب محال على الله ورسله،³ أو مع عرض ذاتي كقولنا الرسل المنزل عليهم الكتب منهم من له كتاب ومنهم ومنهم من له أكثر،⁴ وإما أن يكون نوعا من موضوع العلم مجردا كقولنا أولوا العزم من الرسل العشرة العشرة أفضل من غيرهم.⁵

أو مع عرض ذاتي كقولنا من لم ينزل عليه كتاب من الرسل التابع لشرع من قبله ولم ينسخ منه شيئا نحو يوشع فتى موسى هو محل خلاف في أنه رسول أو نبي.⁶

وإما أن يكون وصفا ذاتيا للموضوع كقولنا الصدق في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام واجب.⁷

¹ الشيخ المجاوي ، القواعد الكلامية، ص08.

² أي ما يتعلق بالذات ويحمل عليها ويكون خارجا عنها (ثلاثة وهي ما يعرض للشيء لذاته، كالتعجب اللاحق للإنسان لذاته) أو ما يلحقه لارتباطه وتعلقه بمجموع أجزاء ذاته التي هي الحيوانية والناطقية معا (أو ما يعرض له جزئه كتحركه بالإرادة اللاحق له لحيوانيته) دون ناطقيته (أو ما يعرض له لمساويه كضحكه اللاحق له لتعجبه) أي المترتب على التعجب الذي لا يتصور إلا من الحيوان الناطق فهو مساو له لكونه لا يحصل إلا منه .

انظر حاشية البيجوري على جوهره التوحيد، ص130.

³ أي ذات الشيء ونفسه لأن التوحيد يبحث في ما يجب لذات الله ورسله وهما منزهان عن الكذب.

⁴ لأن الكتب ترتبط بالرسول وتعلق بمجموع أجزاء ذاتهم التي هي البشرية إضافة إلى النبوة.

⁵ إن مسائل النبوات تتعلق بعلم التوحيد وليست ذاته كما هو الشأن في الإلهيات.

⁶ من المسائل التي تتعلق بالنبوات تعلقا ذاتيا هي مسألة الاختلاف بين النبي والرسول.

⁷ الصدق مع الله " يعني تحقيق الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال.

ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ج488/01.

والصدق مع الرسول صلى الله عليه وسلم اتباع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله.
نفس المصدر السابق، ج02ص32.

فضيلته: يرى الشيخ المجاوي أن هذا العلم من أشرف العلوم لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وهذا العلم أشرف المعلومات وهذا العلم يتعلق صفات الله تعالى وصفات رسله على الوجه الصحيح المطابق للواقع ..¹

نسبته: أصل العلوم الدينية وأخصها على الإطلاق في نظر الشيخ المجاوي ، والسبب أن المفسر ينظر في الكتاب فقط والمحدث في السنة فقط والأصولي في الدليل الشرعي فقط والفقيه في فعل المكلف فقط، والمتكلم ينظر في الأهم وهو الوجود فيقسمه إلى قديم وحادث ويقسم الحادث إلى قائم بنفسه وهو الجوهر وبغيره وهو العرض وما شاكل ذلك².

تاريخ التوحيد

يبدو أن الشيخ المجاوي في هذا العنوان متأثراً بما كتبه محمد عبده في كتابه القيم : "رسالة التوحيد" والمقدمتان وإن اختلفتا في بعض الكلمات إلا أن مضمونهما واحد فأصل كلمة التوحيد اعتقاد أن الله عز وجل واحد لا شريك له، وسمي كذلك تسمية له بأهم أجزائه³، وقد انبنى عن هذه العقيدة عقائد أخرى كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ودعوة التوحيد كانت موجودة قبل الإسلام بل كانت القضية الأولى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بين الرسل وأممهم، قال الله -تعالى- محبراً عما أرسل به جميع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوجِيءُ إِلَيْهِ أَنْهَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء الآية 25) لكن الفارق بين دعوة الإسلام وغيره من الشرائع أنها لم تقتصر على ظاهر الكتب السماوية بل خاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه.

¹ - الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص10.

² الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص10.

³ محمد عبده، سالة التوحيد، ص22.

ومن هنا اتفق العقل والدين في سابقة هي الأولى من نوعها¹، كما تقرر بين العلماء أن من الدين ما لا يفهم إلا بطريق العقل، وأن الدين وإن جاء بشيء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

ولما دخل العرب في دين الله أفواجا، رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يصف الله بصفات منها ما يشبهها في الاسم عند البشر كالقدرة والاختيار والسمع والبصر والاستواء على العرش.... فحسب رأي الإمام محمد عبده ومن حدا حدوه كالشيخ المجاوي أن هذه المتشابهات في النقل هي التي فسحت المجال للعقل عند المتأخرين للتأويل خصوصا مع ما يتميز به الدين الإسلامي من دعوة للفكر والنظر أن كل نظر صحيح فهو مؤد إلى الاعتقاد بالله على ما وصفه بلا غلو في التجريد ولا دنو في التحديد² مع أن المعروف عن الصحابة هو تورعهم عن الخوض في آيات الصفات ولم يفرقوا بين كونها صفات ذات ولا صفات فعل، وإنما أثبتوا لله صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام، والصفات الخيرية كالوجه واليدين والتي يجب الاعتقاد بها مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل...

واستمر الأمر كذلك في عهد الخليفين أبو بكر وعمر حيث كانا يمثلان مرجعية للصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يوهم التشبيه، ثم حدثت الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه وكان من محركيها رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ أسلم وتشيع لعلي حتى زعم أن الله حل فيه وطعن على عثمان ودعا الناس إلى مبايعة علي وقال إنه أحق بالخلافة وأظهر الرفض عند حكم الحكمين في صفين.

ثم توالى الأحداث بعد مقتل عثمان، وحدث الاختلاف في أمر علي، وفي حال أصحاب الجمل وصفين، وفي حال الحكمين انتهى فيه أمر السلطان إلى الأمويين، فانشقت بذلك الوحدة الإسلامية وانقسمت عراها وتفرقت المذاهب في الخلافة، وأخذ كل حزب يؤيد رأيه وينصره على رأي خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل وغلا كل

¹ المجاوي، القواعد الكلامية ص14.

² - محمد عبده رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، دار المعارف بمصر، ط04. دت، ص25.

قبيل، فافترق الناس إلى شيعة وخوارج ومعتدلين، وغلا الخوارج فكفروا من عداهم ثم قال الشيعة في علي ما يقال في الإله، فتفرع عن ذلك خلاف كبير في العقائد¹.

وفي مقابل ذلك هناك طائفة ندبت نفسها للتعليم وفي مقدمتهم الحسن البصري (ت112هـ) وكان له مجلس في البصرة لتعليم العلوم، ومن تلامذته واصل بن عطاء (ت131هـ) وكان يحضر مجلسه فاختلف معه في مسألة الاختيار واستقلال الإنسان بإرادته وأفعاله الاختيارية ومسألة مرتكب الكبيرة، ولما لم يتب من قوله أمره الحسن البصري أن يعتزل مجلسه فهو أول من سمي معتزلياً، ثم امتد إلى إثبات صفات المعاني للذات الإلهية أو نفيها عنها، وإلى تقرير سلطة العقل في معرفة جميع الأحكام الدينية².

ثم استنبط المعتزلة من كتب اليونان مبادئ بنوا عليها أفكارهم ومعتقداتهم وإن كانت لا تتصل بأصل من أصول النظر وساندتهم الدولة العباسية التي كانت آنذاك في ريعان زهرتها وشبابها، وقد عرفت هذه الفتنة أيضاً بانتشار كثير من الأفكار الدخيلة نتيجة تقديم العباسيين لمن ليس له فضل سبق في الإسلام بل ومن غير المسلمين من الفارسيين، وانساق المتمسكون بمذهب السلف على الرد عليهم بالقوة، ثم جاءت محنة خلق القرءان فقال بها جماعة من الخلفاء، في حين تمسك جماعة بظاهر الكتاب وقالوا إنه مخلوق، ووجدت في تلك الأزمنة طائفة من الدهريين وأهل الحلول يسمون بالباطنية والإسماعيلية فأولوا القرءان تأويلاً لم يأذن به الله حتى ضلوا وأضلوا وتزندقوا فاتفق السلف ومخالفوهم على مقاومتهم³.

ثم جاء الإمام الأشعري (ت320هـ) فجدد في منهج علم العقيدة، إذ توسط بين السلف ومخالفهم وأثبت العقائد على النظر فارتاب فريق في أمره فقال بكفره جماعة ونصرته طائفة وسموا رأيه بمذهب أهل السنة والجماعة وضعفت الطائفة المتمسكة بالظاهر والطائفة المبالغة حتى لم يبق منهم بعد نحو قرنين إلا قليل يسكنون البلاد الإسلامية.

وكثر أتباع الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد (ت307هـ) وغيره وأخذ عنه القاضي أبو بكر الباقلاني (ت403هـ) فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبها ووضع

¹ - محمد عبده، رسالة التوحيد، ص 27.

² المجاوي، القواعد الكلامية، ص 16.

³ محمد عبده (مرجع سابق)، ص 30

المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار في ذلك، مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم، وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان الدليل يؤدي إلى بطلان المدلول وتسمى هذه الطريقة بطريقة المتقدمين وقد جاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية.¹

فالقيمة الكبرى لعمل الباقلاني كانت في التنهيج وفي بناء مذهب الأشاعرة الكلامي والاعتقادي بناء منظما لا من حيث الطريقة المنطقية الجدلية فحسب، بل من حيث وضع المقدمات التي تنبني عليها ومن حيث ترتيب هذه المقدمات بعضها ببعض.²

ولما جاء الإمام الغزالي (ت505هـ) خالف طريقة المتقدمين التي تبناها الباقلاني والسبب في ذلك انتشار المنطق وسبرهم لتلك القواعد والمقدمات بمعياره وحملهم ذلك على مخالفتها وسميت هذه الطريقة بطريقة المتأخرين³، فالمقدمات العقلية في رأيه لم يجئ بها كتاب أو سنة، وميادين العقل متسعة، وأبوابه مفتوحة وأن هناك إمكانية أن يتم الوصول إلى دلائل وبيئات من قضايا العقول ونتائج التجارب والقرائح لم يتجه إليه الأشعري، وليس من ضير في الأخذ بها ما دامت لم تخالف ما وصل إليه من نتائج وما اهتدى إليه من ثمرات فكرية. ولم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، ولم يدع لمثل ما دعا إليه، بل قرر أنه لا يلزم من مخالفة الباقلاني في الاستدلال بطلان النتيجة، وأن الدين خاطب العقول جميعا، وعلى الناس أن يؤمنوا بما جاء بالكتاب والسنة، وأن يقووه بما يشاءون من أدلة.

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص213.

² جلال موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص320.

³ نفس المرجع والصفحة.

المبحث الثاني : الإيمان والإسلام

أعظم المباحث الإلهية على الإطلاق وأهمها في حياة المسلمين هو معرفتهم الله سبحانه وتعالى بالاعتقاد الصحيح وما يتعلق ذلك من اثبات وجوده وتوحيده سبحانه في كل شيء، في أسمائه وصفاته وعبوديته وأنه لا رب سواه ولا إله غيره ولا يشاركه في ذلك أحد من المخلوقين ، ومن ثم كان واجبا على المكلفين معرفته سبحانه بما يليق به وهذا ما بينه الشيخ المجاوي في كتابه (القواعد الكلامية)

المطلب الأول : الإيمان والإسلام

من الكلمات ذات المعاني والمدلولات الكبيرة والتي تحتاج منا إلى معرفتها والإحاطة بها والمراد منها من خلال الفهم للسياق ، فرمما كان استخدام الكلمة أحيانا ضمن سياق ما يعطي معنى مختلفا عما لو كان في سياق آخر.

ولقد تعددت الآراء واختلفت الأقوال في معنى كل من الإسلام والإيمان وعلاقتها ببعضهما بين من يرى أنها متداخلتين فالإيمان لا ينفك عن الإسلام وبين من يراها مختلفتين فما هو رأي الشيخ المجاوي؟

معنى الإيمان عند الشيخ المجاوي

يعرف الشيخ المجاوي الإيمان بقوله : "هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلم ذلك بالضرورة أي اعتقاد صدقه عليه الصلاة والسلام اعتقادا جازما قاطعا مع الإذعان القلبي لذلك، وذلك مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وافتراض الصلاة وبقية العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج على المستطيع وتحريم قتل النفس المعصومة ظلما وأمثال هذه وأشباهاها"¹

والملاحظ على تعريف المجاوي أنه وافق الأشاعرة في قولهم بأن الإيمان هو التصديق معتمدين في ذلك على التفسير اللغوي لكلمة الإيمان : والتي تعني التصديق² . على خلاف الحنفية الذين يقولون بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق بمعنى أن الإقرار شطر منه وركن داخل

¹ المجاوي، القواعد الكلامية، ص12.

² - الإمام الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار لبنان للطباعة والنشر، ط01، 1987م ص154.

فيه كما هو المنقول عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه، وذهب جمهور الأشاعرة إلى أن النطق من القادر شرط في الإيمان خارج عن ماهيته التي هي التصديق كما علم من المواقف وشرح جوهرية التوحيد¹.

كما ربط بين الإيمان والعمل لأنه من مقتضيات التصديق القلبي الجازم، فالإيمان لا ينبغي أن يبقى حبيس النفس أو عبارة عن قناعات داخلية حيث تترجم إلى الكلمات المعروفة بالشهادة وإلى أعمال افترضها الله عز وجل على المؤمن، وعليه لا يمكننا التفريق بين الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وافتراض الصلاة والزكاة والصوم وتحريم قتل النفس.

وهذا التفسير هو الذي يشير إليه الشهرستاني بقوله: قال الأشعري الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب، أي أقر بوحداية الله تعالى، واعترف بالرسول تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه، حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك².

وقد بين سلطان العلماء العز بن عبد السلام سبب عدم إدراج الأشاعرة للعمل كون ذلك من ضروب المجاز، فالإيمان عبارة عن تصديق القلب حقيقة وعن العمل بما أوجب التصديق مجازا لأن العمل بمقتضى الإيمان من فوائده وثمراته وفروعه ومسبباته والعرب يتجاوزون إطلاق اسم المثمر على ثمرته واسم المسبب على سببه مثل قوله تعالى ﴿بِمَنْ إِعْتَبَدِي عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِعْتَبَدِي عَلَيْكُمْ﴾ ﴿البقرة الآية ١٩٤،

فسمى العقوبة عن الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء ومثله قوله تعالى ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿البقرة الآية 193، تجوز عن العدوان عن مكافأة الظالمين

فالإيمان عند الأشاعرة طرفان حقيقة ومجاز فهو حقيقة من جهة أنه تصديق ومجاز من جهة اختصاصه بالأمور الشرعية كما أن حقيقة الدابة ليس لما دب ودرج واختصاصها ببعض

¹ الجاوي، القواعد الكلامية، ص 130.

² الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت (لبنان) ط 02، ج 01، ص 139.

الدواب مجاز، واستعمال الشارع للإيمان في التصديق أغلب من استعماله في فوائده وثمراته وهو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق وأما استعماله في الطاعات والقلوب والألسنة والجوارح فدليلة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ فَلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الأنفال الآية 03

فجعل الوجع والتوكل وهما من أعمال القلوب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهما من أعمال الجوارح من جملة الإيمان لأنه نفى الإيمان عن من لم يتف بهذه الطاعات بقوله (إنما) وهي للنفي والإثبات.¹

حكم النطق بالشهادة : اختلف العلماء في النطق بالشهادتين للمتمكن منه وهو القادر عليه فذهب الجمهور من محققي الأشاعرة والماتريدية إلى أنها شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليهم من التوارث والتناكح والصلاة خلفه ودفنه في مقابر المسلمين، لأن التصديق القلبي وإن كان إيمانا إلا أنه باطن خفي فلا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه لتناط به تلك الأحكام فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإبائه بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية، أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن فيهما وأما الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى.²

وذهب البعض مثل الإمام الغزالي إلى أن ترك التلفظ بالشهادتين معصية فقط وقرنه بترك الصلاة وقال عنه إنه مؤمن غير مخلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر، كما استدل أيضا بظاهر تعريف الإيمان عند الأشاعرة والذي يعني التصديق وبظاهر قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله

¹ - العز بن عبد السلام، معنى الإسلام والإيمان والعلاقة بينهما، تحقيق إباد خالد الضباع، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر (الجزائر) ص19.

² حاشية الإمام البيهقوري على جوهر التوحيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ط01، 1422هـ-2002م، ص94.

تعالى "أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"¹، ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق بالواجب، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل بالواجب.²

وقد أيد الشيخ المجاوي مذهب الجمهور فقال بوجوب النطق بالشهادة للقادر³، واعتبر النطق بها شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، ومن امتنع لعذر فهو مؤمن عند الله تعالى وناج في الآخرة، لكن من امتنع من النطق بهما عنادا بعد أن عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى⁴

المطلب الثالث : أقوال العلماء في علاقة الإسلام بالإيمان

قبل بيان موقف الشيخ المجاوي من علاقة الإسلام بالإيمان يجدر بنا بيان اختلاف العلماء في مسمى الإيمان والإسلام اختلف جمهور الأشاعرة في الصلة بين الإسلام والإيمان إلى رأيين:

الرأي الأول: أنهما مختلفان ويمثل هذا الاتجاه الجويني⁵ والسبكي⁶ واللقاني⁷ فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن .

الرأي الثاني: أنهما مترادفان ويمثل هذا الرأي النسفي⁸ والإيجي⁹ والتفتازاني¹⁰

¹ البخاري، كتاب الإيمان، باب تفضل أهل الإيمان في الأعمال رقم (22) ص15.

² أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر 2005م، ج... ص139.

³ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص13.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ الجويني، العقيدة النظامية، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار سنة 1367هـ-1948م ص63.

⁶ السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط01، مطبعة عيسى الحلبي، سنة 1383هـ ج01، ص126.

⁷ اللقاني، تحاف المرید بجوهرة التوحيد، تعليق محمد يوسف الشيخ، ص38-40

⁸ أبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق وتعليق محمد الأنوار حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، ط01، 2011م ص1094.

⁹ انظر : العقائد العضدية بشرح جلال الدين الدواني(مصر) سنة 1316هـ، ج02، ص286.

¹⁰ سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، ج02، ص259-260

وقد انتصر الإمام أبو حنيفة للرأي الأول - تلازم الإيمان والإسلام - فالذي ورد في الفقه الأكبر برواية ابنه حماد ما حاصله أن الإسلام والإيمان بينهما فرق من ناحية اللغة، فالإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله، والإيمان هو التصديق كما تقدم تقرير مذهبه، فيطلق الإسلام على الأعمال ظاهرة والإيمان على التصديق.

وأما من ناحية الشرع فبين الإسلام والإيمان تلازم فلا يوجد إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا إسلام، وهذا يدل دلالة صريحة على المغايرة بين مسمى الإيمان والإسلام في اللغة لكنهما في الشرع متلازمان.¹

وقد أخذ هذا الرأي عن أبي حنيفة تلميذه الإمام الماتريدي فيعتبر - في كتابه التوحيد - أن الإسلام والإيمان شيء واحد في التحقيق، وأن الاختلاف في المعنى فقط إذ يقول: "وأما القول عندنا في الإيمان والإسلام إنَّه واحد في أمر الدين في التحقيق بالمراد وإن كانا قد يَحْتَلِفَانِ فِي الْمَعْنَى بِاللِّسَانِ وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ أَبَتْ أَنْفُسُ الْكُفْرَةِ التَّسْمِي بِالْإِسْلَامِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَأْتِي التَّسْمِي بِالْإِيمَانِ، أَوْ لَمَّا كَانَ مِنَ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ اسْمُ الَّذِينَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَدَلِكِ قِيلَ دَارَ إِسْلَامٍ وَدَارَ الْكُفْرِ وَلَمْ يَقُلْ دَارَ إِيْمَانٍ وَلَا تَكْذِيبٍ وَإِنْ كَانَ الْكُفْرُ تَكْذِيبًا"².

المطلب الرابع: علاقة الإسلام بالإيمان عند الشيخ المجاوي

يرى الشيخ المجاوي أنه من الصعب التفريق بينهما لأنهما مصطلحان في غاية التداخل حسبه فإذا كان الإيمان هو التصديق فإن الإسلام هو الخضوع والانقياد باطنا وظاهرا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم مجيئه به يقينا، وعليه فكل من الإيمان والإسلام المنجيين لا ينفك أحدهما عن الآخر³ موافقا بذلك رأي الحنفية.

وقد بين الإمام النووي الدليل الذي استندوا إليه في قولهم أن العلاقة بين الإيمان والإسلام علاقة تلازم، والمتمثل في دلالة كل منهما على مسمى الدين وذلك من حديث جبريل عليه

¹ محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصميعي، د.ط، د.ت، المملكة العربية السعودية، ص435.

² محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تحقيق د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية (الإسكندرية)، ص266.

³ المرجع نفسه، ص12.

السلام¹، حيث نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام . رضوان الله عليهم . بعد ذهاب جبريل إلى أن اختلف تفسير الإيمان عن الإسلام لا يقضي بالتغاير، بل كل هذا من الدين الذي أتى جبريل عليه السلام من أجل بيانه وتعليمه إياه لكم فقوله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فيه دلالة على أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً.²

المطلب الثاني صفات الله عز وجل :

اعتمد الأشاعرة في تقسيمهم للصفات على طريقتان :

طريقة المتقدمين: وتقسم الصفات إلى ما يلي:

الصفات النفسية: وهي التي لا تعقل الذات إلا بها وتتمثل في الوجود.

الصفات السلبية: وهي سلب كل ما لا يليق به سبحانه مثل البقاء والقدم والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية.

الصفات الذاتية : وهي صفات المعاني التي يستحقها سبحانه فيما لم يزل ولا يزال وهي سبعة مثل العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام.

الصفات المعنوية: وهي الصفات اللازمة للسبع السابقة الموجبة للذات وهي كونه تعالى حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً.

الصفات الفعلية : وهي التي تدل على أمور خارجة عن ذات الله عز وجل كالتخليق والترزيق وهو عليها لم يزل.

¹ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان . باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، ص 27.

² الإمام النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية (الأردن) على مسلم ص 83.

الصفات الخبرية أو السمعية : ما كان طريق اثباتها السمع والخبر مثل اليد والعين.¹

طريقة المتأخرين: اكتفوا بالصفات العشرين الأولى النفسية والسلبية والذاتية والمعنوية وهذا مذهب إليه السنوسي في أم البراهين² واللقاني في الجوهرية³ والحسن النوري في عقيدته.⁴

مذهب الشيخ المجاوي في الصفات: وصفات الله تعالى منقسمة إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: النفسية: وهي الوجود الواجب ، وهذا معنى قولهم (موجود لا لعلة)

القسم الثاني: سلبية: وهي خمس القدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه-أي : لا يحتاج إلى غيره- والوحدانية في ذاته وفي أفعاله أي الخير والشر كله فعله .

القسم الثالث صفات المعاني وهي سبع: القدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والعلم والكلام.

القسم الرابع المعنوية: وهو الصفات المعنوية ، وهي ملازمة لصفات المعاني وهي كونه تعالى حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلمًا.⁵

¹ انظر في هذا كله الارشاد للجويني ص 17، والتمهيد للباقلاني ص 198-299 والاعتقاد للبيهقي ص 69-70

² السنوسي ، أم البراهين ويلها شرح أم البراهين للملاي التلمساني ، تحقيق خالد زهري ، دار الكتب العلمية (لبنان) 2009م ص 57.

³ علي بن محمد التميمي ، تقريب البعيد إلى جوهرية التوحيد، تحقيق الحبيب بن طاهر د.ط، د.ت ص 25-26.

⁴ الحسن النوري، العقيدة النورية في معتقدات السادات الأشعرية، دراسة وتحقيق الشيخ الحبيب بن طاهر د.ط، د.ن، ص 45-46

⁵ المجاوي، إرشاد المتعلمين، دار زمورة للنشر والتوزيع(الجزائر)، تحقيق عادل بن الحاج همال الجزائري، ص 42.

المطلب الأول: الصفات الذاتية أو النفسية¹ (الوجود)

يعرفها الشيخ المجاوي بقوله : "وهي التي تدل على ذات الله ولا يتصور العقل وجود الذات بدونها وهي صفة الوجود"² موافقا بذلك رأي الحنيفة الذين يذهبون إلى القول بأن الوجود ليس زائد على ذات واجب الوجود تعالى كما في فوائد الإمام السمرقندي في أصول الدين وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري كما في أم البرهين وشرح التجريد، في حين ذهب الأشاعرة إلى أن الوجود زائد على ذات واجب الوجود كما في المواقف.³

فيجب على كل مكلف أن يعتقد أنه تعالى واجب الوجود وأن الوجود صفة نفسية فمعنى الوجود الذاتي أن وجوده لذاته لا لعلة، أي أن الغير ليس مؤثرا في وجوده تعالى وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها فهذا لا يقول به عاقل.⁴

وأما الأدلة التي استند إليها المجاوي في كالتالي:

أ- أدلة نقلية: فقد أرشد الله تعالى إلى وجوده بآيت مثل قوله تعالى إن في خلق السماوات والأرض... ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِلْأُولَى

الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ آل عمران الآية ١٩٠

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿١٦﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿١٦﴾ الواقعة الآية

٥٨ - ٥٩

¹ وسمي بالصفة النفسية لأنه هو عين الذات ونفس الذات، وذات الشيء حقيقته، أي أن الوصف به دل على نفس الذات دون معنى زائد عنها.

الإمام السنوسي، ثلاث عقائد أشعرية، دراسة وتحقيق د خالد زهري، دار أبي رزاق، الرباط (المملكة المغربية) ط01، 1433هـ- 2012م ص61.

² المجاوي، القواعد الكلامية، ص44.

³ المصدر نفسه، ص120.

⁴ -حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، ص105.

لأن فائدة هذا التأمل الوصول إلى الخالق عز وجل وصفاته، وهذا ديدن العقلاء إلا المكابرين الذين لا عبرة بمكابرتهم مثل الملاحدة الذين كان إنكارهم لله عز وجل نتيجة ظروف عاشوها كطغيان المادة وانحرف رجال الدين وكذلك اليهود الذين كفروا عنادا واستكبارا....

كما عاب القرآن على الذين عطلوا هذه الحاسة عن مهامها لهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُو۟لَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۗ أُو۟لَٰئِكَ هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٩﴾ الأعراف الآية ١٧٩

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ كسائر قلوب الناس خلقناها لهم ليفقهوا بها، ولكنهم وضعوا عليها أكمة وأقفاً تمنعها من الفهم فأضحوا ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ خلقناها لهم للإبصار والاستبصار، وللتفرقة بين النافع والضار، وللنظر إلى دلائل قدرته تعالى بعين الاعتبار، لكنهم وضعوا عليها غشاوة فعموا عن رؤية الحق، وأصبحوا ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ خلقناها لهم للاستماع إلى النصح والرشد، لكنهم صموا عن سماع الهدى؛ فأمسوا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فحق عليهم وصف ربحهم ﴿أُو۟لَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ سبيلاً من الأنعام.¹

ب- أدلة عقلية: لم يكتف الشيخ المجاوي عن اثبات وجود الباري بدليل العقل معتمداً في ذلك على مقدمتين وهما العالم حادث والحادث لا يستغني عن سبب يحدثه، أما المقدمة الثانية التي هي قولهم الحادث لا يستغني عن سبب يحدثه فضرورية ومعلوم أن الضروري لا يستدل لإثباته ولكن ينه عليه، وقد نبه عليها بأن اختصاص حدوث الحادث بوقت دون ما قبله وما بعده مفتقر بالضرورة إلى مخصص. وذلك الموجد هو الله سبحانه واجب الوجود.²

¹ محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، نشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ط06، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م ج01 ص206.

² - المجاوي، القواعد الكلامية، ص44.

المطلب الثاني الصفات السلبية أو التنزيهات

وهي التي يستحيل اتصاف الله بضعدها وهي خمسة : القدم، البقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالذات أي لا يحتاج إلى غيره والوحدانية في ذاته وفي أفعاله أي الخير والشر، وفكل صفة من هذه الصفات الخمس تضمنت انتفاء نقص لا يليق بذات الله فبالقدم انتفى العدم السابق، وبالبقاء انتفى العدم اللاحق، وبالمخالفة انتفت المماثلة، وبالقيام بالذات انتفى الإفتقار إلى المحل والمخصص، وبالوحدانية انتفى الشريك في الذات والصفات والأفعال، ولذلك سميت سلبية.¹

*القدم: يعرفها الشيخ المجاوي بأنها صفة سلبية سلبت عليه تعالى شيئاً لا يليق به وهو كون وجوده له بداية، فهي إذا عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود، فهو قدس بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء²، وقدمه تعالى مطلقاً لا بمعنى تطاول الزمن الذي هو من صفات الحوادث³

﴿كَالْعُرْجُونِ إِذْ قَدِمِ﴾ ﴿٣٨﴾ يس الآية ٣٩

وقد استدلل الشيخ المجاوي على إثبات صفة القدم له تعالى بأنه لو كان حادثاً لافتقر إلى محدث، وكل ما سبق من العدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب وهو محال.⁴ كذلك لو لم يكن قديماً لكان حادثاً والحادث يحتاج إلى محدث يحدثه فيلزم التسلسل والدور، والتسلسل والدور باطل عند العقل، فمحدث العالم واجب الوجود وهو قدس، والأول مستحيل في حقه تعالى لأنه وجوده سبحانه ليس في الزمان وليس مرتباً به إطلاقاً، إن الزمان أمر حادث لأنه من صفات الشيء المحدث.⁵

*البقاء: يعرفه الشيخ المجاوي هو استمرار الوجود أي لا آخر لوجوده تعالى فلا يلحقه العدم والفناء ولا يقضى عليه بالانفصال والانقضاء فهو باق دائم إلى غير نهاية⁶ . مؤيداً بذلك رأي

¹ الإمام السنوسي، ثلاث عقائد أشعرية (مرجع سابق) ص 62.

² القواعد الكلامية ص 45.

³ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 45.

⁴ - محمد عبده، رسالة التوحيد ص 43.

⁵ - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 50.

⁶ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 47.

الحقيقة في حين ذهب أبو الحسن الأشعري ومن تبعه إلى أنه صفة وجودية زائدة على الوجود كما في المواقف وشرح الجوهرة للقائي والمشهور أنه صفة سلبية كما في أم البراهين¹. والدليل العقلي الذي استند إليه الشيخ المجاوي هو أنه لو لم يكن صانع العالم واجب البقاء لأمكن أن يلحقه العدم لكن إمكان لحوق العدم له محال فينتج أن عدم وجود بقائه محال فثبت نقيضه وهو وجوب البقاء.

أما الدليل النقلى على بقاءه تعالى قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا بِارٍ ﴿١٢﴾ وَيَبْفَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٥﴾﴾ الرحمن الآية 26 وقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَّهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ القصص الآية 88

المخالفة للحوادث: يرى الشيخ المجاوي وجوب مخالفة الله تعالى للحوادث واستحالة اتصافه بصددها وهو المماثلة، وذلك بأن يكون تعالى مشابها لهذه الموجودات الحادثة في خاصية من خواصها التي من طبيعة نفسها. وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركيب والتولد عن الغير وولادة الغير والإتصال والإنفصال والحيوانية والنباتية والمعدنية والانتقال من حيز إلى حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعب وأمثال ذلك.²

ثم يقدم الأدلة العقلية فالله سبحانه لو شابه هذه الموجودات الحادثة في شيء من تلك الخواص لكان مثلها لأن الشيء الذي يشابه شيئا آخر في خاصية من خواصه يكون مثله البتة فلو كان الإله مثلا جوهرًا أي يختص بالكون في الحيز لكان متحركًا في حيزه أو ساكنًا وهما حادثان ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث والحكم بحدوثه ثابت³.

وما يقال عن هذه الصفات يقال عن لوازمها فكلها محال عليه تعالى كالجبهة والكبر والصغر والاتصال بالكيفيات المحسوسة كالحس بالظاهر أو الباطن من اللون والرائحة والصورة والعوارض النفسانية من اللذة والألم⁴...

¹ المجاوي، القواعد الكلامية ، ص 121.

² المصدر نفسه ، 49

³ نفسه، ص 49

⁴ نفسه ص 50

*القيام بالنفس: يرى الشيخ المجاوي أن هذه الصفة من الصفات الملازمة لله تعالى والتي تدل على رفع الافتقار عنه إلى المحل والمخصص.¹

أما الدليل العقلي الذي استعمله المجاوي هو: " أنه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنه تعالى ليس جوهرًا ولا جسمًا فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه لأن الاحتياج إلى المكان من خواص الجواهر والأجسام وثبت هناك أنه تعالى ليس عرضًا فلا يحتاج إلى ذات أخرى يقوم بها كما هو شأن العرض مثل الألوان والطعوم وغير ذلك وثبت أنه قديم فلا يحتاج إلى مخصص يخصصه وموجد يوجده فوجب إذا قيامه بنفسه واستحالة قيامه بغيره وهو المطلوب".²

الوحدانية: يعرفها الشيخ المجاوي بقوله عدم التعدد في الذات والصفات والأفعال، فالوحدانية في الذات عدم تركيبها تركيبًا وجوديًا من أجزاء أو مادة أو أعراض أو من صفات أو من غير ذلك فليس له والد ولا ولد ولا صاحبة ولا شريك في الملك ولا ولي من الذل ولا مثل ولا ند.

والوحدانية في الصفات أن لا يكون له صفات فأكثر من جنس واحد كقدرتين وعلمين وأن لا يكون لغيره قدرة كقدرته أو علم كعلمه.

والوحدانية في الأفعال أن لا يكون لأحد غير الله تعالى فعل من الأفعال، فالأفعال كلها خيرها وشرها خالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا معين، فهو المنفرد بالخلق والإبداع والمستقل بالإيجاد والاختراع،³ ولهذا ف: (لا إله إلا الله) معناها لا قديم في ذاته وصفاته وأفعاله إلا الله وهي على ثلاثة أوجه:

الأول: وحدانية الذات، فذات الله واحدة ليست مركبة من أجزاء وأنه لا شريك له، فهي نفي للتعدد متصلًا كان أم منفصل.

الثاني: وحدانية الصفات فليس لأحد من مخلوقاته صفة تشبه صفاته، أي أنها عبارة عن وجوب انفراده تعالى بصفاته وعدم إمكان اتصاف ذات بمثل صفاته عز وجل.

¹المجاوي، القواعد الكلامية ص 56.

² نفس المصدر والصفحة

³ - نفسه، ص 57.

الثالث : وحدانية الأفعال، فهي تعني الوحدة في الأفعال أي أن ليس لأحد غيره مثل فعله، بمعنى انفراده تعالى بالإيجاد والتدبير العام.¹

أما الأدلة العقلية التي استند إليها الشيخ المجاوي هي إنه لو تعدد كأن يكون هناك إلهان فإما أن يتفقا على وجود هذا العالم أو يختلفا فإن اتفقا فلا يمكن أن يوجداه معا لما يلزم عليه من اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محالف ولما يلزم عليه أيضا أن كلا منهما لم يوجد به بانفراده بل بمشاركة الآخر له وعليه فيكون هاذان الإلهان قد ركبا وجعلا إلهما واحدا ينسب إليه الإيجاد ولا ينسب لكل منهما بانفراده لأنه جزء الموجد لا الموجد المستقل وإله العالم الموجد مستقل له كمال القدرة وإن اختلفا بأن أراد أحد الإيجاد والآخر الإعدام فإما أن ينفذ مرادهما فيلزم اجتماع النقيضين أو ما في حكمهما وإما أن لا ينفذ مراد واحد منهما فيلزم عجزهما ويلزم أيضا عليه ارتفاع النقيضين وهما وجود الشيء وعدمه.

وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله²

المطلب الثالث: صفات المعاني أو الصفات الثبوتية أو صفات الكمال والجلال:

وتسمى أيضا بالصفات الوجودية لأن كل صفة منها موجودة في نفسها قائمة بوجود، أو أوجبت له حكما.

وهي سبع: والقدرة والإرادة العلم والحياة والسمع والبصر والكلام، أي أن الله تعالى متصف بمعنى كل هذه الصفات وتسمى أيضا بالصفات الوجودية لأن كل صفة منها موجودة في نفسها قائمة بوجود أو أوجبت له حكما.³

***القدرة:** يعرفها الشيخ المجاوي بقوله : "هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة"⁴ ، بمعنى صحة صدور الأثر والتمكن من الترك موافقا بذلك

¹ - العقيدة والفرق الإسلامية، د صبري خدمتلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون (الجزائر) ص168.

² المجاوي، القواعد الكلامية ص58 ، بتصرف

³ السنوسي (المرجع السابق) ص63

⁴ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص59.

رأي الحنفية كما في إشارات المرام للقاضي البيضاوي، وذهب الأشاعرة إلى أنها صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها كما في شرح الجوهرة وشرح المواقف وشرح العقائد للتفتازاني¹. ثم الدليل العقلي على قدرته أنه لو لم يتصف بها لاتصف بضعها وهو العجز لكن اتصافه بالعجز محال لأنه لو اتصف بذلك لما وجد شيء من العالم لكن عدم الوجود للعالم باطل ومحال وما أدى إليه على التدرج محال فثبت أن الله تعالى إله هذا العالم الذي أوجده من العدم بتلك العظمة.

والدليل النقلي على قدرته تعالى قوله ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٨٦) قال عمران الآية 189.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(٤٤) فاطر الآية 44.

وقوله ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِأَبْصَارِ تَوْبِكُونَ﴾^(٣) فاطر الآية 03. *الإرادة : صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها كل جائر ببعض ما يجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهي الكراهية.²

فالحقول المتجاورة تختلف محصولاتها كما وكيفا، والبذور المتجانسة تتفاوت فروعها حلاوة وحموضة، ولونا ووزنا في النبات، ولؤما ونبلا وذكاء وبلادة في الإنسان والحيوان ﴿وَفِي الْأَرْضِ فِطْعٌ مُّتَجَلِّوَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٍ وَنَخِيلٍ صُنُوفٍ وَغَيْرِ صُنُوفٍ تُسْفِي بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْبَلٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤) الرعد الآية ٤؛ والدليل العقلي الذي استند إليه المجاوي هو: أنه قد ثبت أن هذا العالم لم يحدث بذاته وإنما حدث بإرادة الله سبحانه وتعالى وحينئذ نقول إن حدوث العالم عنه تعالى إما أن يكون بطريق العلية والضرورة بدون إرادة واختيار وإما أن يكون بطريق الإرادة والاختيار أي أنه

¹ المجاوي، القواعد الكلامية ص 121.

² - المصدر نفسه، ص 59.

هو الذي أراد وجوده واختاره وعين له الوقت الذي يوجد فيه لا أن يكون حدوث العالم عنه تعالى بطريق العلية والضرورة بدون اختيار لأنه لو كان كذلك والله سبحانه قدس للزم أن يكون العالم قديماً لأنه حينئذ يكون معلولاً لله تعالى والمعلول يجب أن يتبع علته ولا يتأخر عنها وقد ثبت أن العالم حادث وجد بعد أن لم يكن فلم يكن حدوثه عن الله تعالى بطريق العلية والضرورة فلم يبق إلا أن حدوثه بإرادة الله تعالى واختياره وتخصيصه له الوقت الذي يوجد فيه فقد ثبت بهذا أن الله تعالى إله العالم مريد مختار.¹

أما الأدلة النقلية فهي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يسن الآية 81. وقوله ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج الآية 16.

***العلم:** يعرفه الشيخ الجهاوي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بما لأنه تعالى فاعل فعلا متقنا وكل من كان كذلك فهو عالم. أما الأدلة العقلية التي استند إليه هـ:

استعمل القياس مقدمتين كبرى وصغرى ونتيجة أما الكبرى فبالضرورة وبينه عليها بأن من رءا نقوشا حسنة أو سمع فصيحاً ينبئ عن معان دقيقة وأعراض صحيحة علم قطعاً أن فاعلها عالم. وأما الصغرى الله تعالى خالق لجميع العالم من الأرض والسماء ومن فيهما . النتيجة : بما أنه تعالى قادر أي فاعل بالقصد والاختيار ولا يتصور ذلك إلا بالعلم بالمقصود على أن ضده وهو الجهل نقص يجب تنزيه الله عنه.² والمقتضي للعالمية هو الذات بواسطة المعنى ونسبة الذات إلى الكل على السوية فلو اختصت عالمية ببعض دون البعض لكان ذلك لمنحصص وهو محال لامتناع احتياج الواجب في صفاته وكمالاته لمنافاته الوجوب والغنى المطلق.³

ومن أدلته النقلية قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النساء الآية 175 ومن خصائص العلم الإلهي أنه كامل لا تكتنفه حدود فهو يحيط بعدد ما في صحاري الأرض من رمال وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات، وعدد ما في الأشجار من ورقات، وعدد ما في

¹ - الجهاوي، القواعد الكلامية، ص 60.

² المصدر نفسه، ص 61.

³ نفسه، ص 62.

الأغصان من ثمار، وما في السنابل من حبوب، وما في رؤوس البشر وجلودهم من شعر، ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى، وما تحتاج إليه في وجودها من قوى متجددة، وما يعترها من أوصاف متغايرة، ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التي لا تدري عقولنا من كنهها قليلا، وهذا العلم من خصائص الذات المقدسة.¹

*الحياة: يعرفها الشيخ المجاوي بقوله: "صفة أزلية قائمة بذاته سبحانه وتعالى من ملزوماتها العلم والقدرة والحكمة والتي ثبت اثباتها لله تعالى".²

وتحقق الملزوم بدون تحقق اللازم محال، فما يتجلى للنفس من مثل الوجود لا ينحصر، وأكمل مثال في أي مراتبه ما كان مقرونا بالنظام والكون على وجه ليس فيه خلل أو تشويش فإن كان ذلك النظام بحيث يستتبع وجودا مستمرا وإن في النوع، كان أدل على كمال المعنى الوجودي في صاحب المثال.³

أما دليلها من السمع ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿البقرة الآية 253-254

*السمع والبصر: يعرفهما الشيخ المجاوي بأتهما صفتان أزليتان قائمتان بذاته تعالى تتعلقان بالموجودات فتدركانها إدراكا تاما لا على طريق التخيل والتوهم ولا على تأثير حاسة ووصول هواء⁴ موافقا بذلك رأي الحنيفة، في حين ذهب الأشعري وتابعوه إلى أنهما يتعلقان بكل موجود ذكره ابن الهمام يعني أنه تعالى يسمع ويرى في الأزل ذاته العلية وجميع صفاته الوجودية ويسمع ويرى في مالا يزال ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية، سواء كانت من قبيل الأصوات أو غيرها كما في شرح أم البراهين للسنوسي وشرح الجوهرة للإمام اللقاني⁵.

وقد ثبتت هاتان الصفتان حسب رأي المجاوي بطريقي العقل والشرع.⁶

¹ - محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار المعرفة (الجزائر) د.ط، د.ت، ص 89.

² - المجاوي، مصدر سابق، ص 63.

³ - محمد عبدة رسالة التوحيد، ص 45.

⁴ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 64-65.

⁵ المصدر نفسه، ص 122.

⁶ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 63.

أما العقل فقد سبق اثبات صفة الحياة له سبحانه وكل حي يصح اتصافه بالسمع والبصر، ومتى صح اتصاف حي بصفة فلا بد أن يتصف بها أو بضدها وضد السمع والبصر هو الصمم والعمى وهي صفات نقص تنزه الله عنها.

أما من النقل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى الآية 09.

والملاحظ على الشيخ المجاوي أنه اعتمد على الدليل العقلي في تقرير هذه الصفات .. والقاعدة أن كل صفة تتوقف عليها دلالة المعجزة كالقدرة والإرادة ونحوها من الصفات التي لا يتأتى الفعل بدونها- لا يكفي في صحة ثبوتها إلا الدليل العقلي ، والاستدلال عليها بالشرعي لا يصح ، لأنه يلزم عليه الدور ، فالوجود-مثلا- تتوقف عليه دلالة المعجزة فلا يصح أن يستدل عليه إلا بالدليل العقلي لأنك إذا استدلت عليه بالدليل الشرعي صار الوجود متوقفا على الشرع - أي ثبوت الرسالة بدلالة المعجزة- وثبوت المعجزة متوقفا على وجود الإله المرسل والمظهر للمعجزة والخالق لها لتثبت بها دعوى مدعي النبوة ، فيصير هكذا لا يثبت الوجود حتى تظهر المعجزة ولا تظهر المعجزة حتى يثبت الوجود فما من الصفات بهذه المثابة فلا يكفي الاستدلال عليه إلا بالعقل لا بالسمع.¹

المطلب الرابع : الصفات المعنوية: وهي ملازمة لصفات المعاني - منسوبة لها- وهي كونه قادرا ومريدا وسميعا وبصيرا وعالما وحيا ومتكلما.²

والفرق بينهما كما يقول الماللي " أن صفات المعاني واجبة الوجود قائمة بذاته العلية، وأما الصفات المعنوية فهي صفات توصف بها الذات، وليست موجودة، بل الموجودة صفات المعاني فقط دون المعنوية، فكونه تعالى قادرا عبارة عن قيام القدرة بذاته تعالى، وكونه تعالى مريدا عبارة عن قيام الإرادة بذاته تعالى والحاصل أن معنى الصفات المعنوية راجعة إلى صفات المعاني، ولم يقم بالذات العلية سوى المعاني"³

¹ أبو الحسن النوري، العقيدة النورية، ص 99.

² الشيخ المجاوي، إرشاد المتعلمين، دار زمورة للنشر، البويرة (الجزائر) طبعة خاصة 2001م، ص 43.

³ انظر شرح أم البراهين للماللي، ص 65-66 نقلا عن الشيخ السنوسي (مرجع سابق) ص 63.

المطلب الرابع: الكلام:

يعرفه الشيخ المجاوي بما يلي : "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت والآفة الباطنية¹ وليست من جنس الحروف والأصوات هو به تعالى طالب لفعل أو ترك مخبر لعباده بما كان وبما يكون بالنسبة لوقت وجودهم وهو قديم لأنه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى".²

أنواعه : يقسم الشيخ المجاوي الكلام إلى قسمين نفسي يعتبره الأصل ولفظي دليلا عليه ، ويعتبر رأي المعتزلة الذين قالوا بأن التكلم في حق الله تعالى هو إيجاد الأصوات والحروف في محل مخالف للغة من غير ضرورة دعوتهم لمخالفتها³.

ثم يبرهن على صحة رأيه ويعتبر أن حصر الكلام في اللفظي أي ما قام بالمتكلم من الحروف أقرب إلى المجاز منه إلى الحقيقة، صحيح إن المتبادر إلى الدهن عند قولنا تكلم زيد ونحوه لغة هو تلفظه بالحروف المنتظمة أي المعنى اللفظي للكلام دون النفسي فيكون الكلام حينئذ مشتركا لفظيا حيث اللفظ متحد (الكلام) والمعنى والوضع متعدد، إذ قد يستعمل لفظ الكلام للدلالة على الكلام النفسي أو اللفظي أو مشتركا معنويا مشككا⁴ إذ يتحد فيه المعنى

صفة أزلية - أي أنها لا بداية لها ولا نهاية، فكلام الإنسان له بداية بالميلاد، وله نهاية بالوفاة، أما كلام الله تعالى فلا بداية له ولا نهاية، قال تعالى (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَحٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَهَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ لقمان 26

- هذه الصفة قائمة بذاته تعالى - أي موجودة لا تتخلف ، فالله تعالى فعلا متكلم بكلام ، وهذا رد على المعتزلة الذين أنكروا أن يكون متكلما بكلام وإنما قالوا بأنه يخلق الكلام في غيره.

منزهة عن السكوت النفسي: أي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه.

منزهة عن الآفة الباطنية: بأن لا يقدر على ذلك كما هو الحال في الخرس والطفولية.

انظر جوهر التوحيد للبيجوري ص 130.

² - القواعد الكلامية، ص 63

³ المصدر نفسه ، ص 70

⁴ - ما كان مختلفا في أفراد كالنور فإن معناه في الشمس أقوى منه في القمر، وكالبياض فإن معناه في العاج أقوى منه في الثوب، ويقال للمعنى مشككا لأن الناظر إذا نظر في الأفراد باعتبار أصل المعنى ظنه متواطئا، وإذا نظر فيه باعتبار التفاوت ظنه مشتركا فحصل له التشكك.

واللفظ والوضع، فيكون الكلام نفسياً وهو ما يميل إليه الشيخ الجاوي بقوله " وكونه مشتركاً معنوياً مشككاً هو الأوجه."¹

فالإطلاق يكون حقيقة- حسب رأي الجاوي- إذا كان الوضع واحد بالنسبة للكلام اللفظي والنفسي، لكن الوضع يميل إلى النفسي أكثر منه إلى اللفظي، فالعبارات تسمى كلاماً لدلالاتها عليه وأن الوقوف على الكلام لا يمكن قط لغير المتكلم من المخلوقين إلا بما فأطلق عليها اسم ما هو مدلولها كما يطلق اسم القدرة والعلم على آثارهما.

ويشترط في الكلام أن يؤدي بالحروف ويعبر عن المعنى القائم بالنفس، وعليه فالسكوت والآفات المانعة منه كالخرس والطفولية والبهيمية لا يمكن أن يسمى صاحبها متكلماً بالرغم من أنه يستطيع أن يعبر عن مكنونات نفسه بطرق مختلفة.²

ورأي الشيخ الجاوي هو رأي المتأخرين من محققي أهل السنة (الماتريدية والأشعرية)³ في حين ذهب المتقدمون منهم كلامه تعالى بالمعاني المذكورة في الأزل، وقيل النسب الإخبارية والإنشائية أي متكلم بلا آلة ولا حرف دون المعاني اللغوية المعبر عنها بالألفاظ، فإنها جواهر وأعراض يستحيل قيامها بذاته تعالى، أي هو المعاني المدلولة والعبارات من غير أصوات ومن غير ترتب في الوجود وهذا هو مذهب السلف.⁴

ويقابله المتواطئ ما كان معناه مستويًا في جميع أفراده كالإنسان فإن معناه لا يختلف في أفراده وسمي بالمتواطئ لتواطئ أفراده أي توافقت فيها فإن أفراد الإنسان كلها متوافقة في معناه من الحيوانية والناطقية، وإنما الاختلاف بينهما بعوارض خارجية كالبياض والسواد والطول والقصر.

عبد الرحمن الأخصري، السلم المرونق، ص 16-17.

¹ - القواعد الكلامية، ص 70.

² أبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة، ص 464.

³ الإمام البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام، تحقيق وتعليق يوسف عبد الرزاق الشافعي، دار زمزم ط 01 1425 هـ- 2004 م، ص 143.

⁴ أشار الشيخ زادة إلى فارق طفيف بينهما فذهب الحنفية إلى أن القرآن كلام الله منه بد قولاً بلا كيفية كما يقول الطحاوي، وذهب الأشاعرة إلى أن كلامه أمر واحد متعدد الاعتبارات كما في شرح العقائد للدواني انظر : القواعد الكلامية، ص 122.

وهذا الرأي هو الذي انتصر له أبو المعين النسفي في (تبصرة الأدلة) حيث عرفه بقوله "الكلام هو المعنى القائم بذات المتكلم، وهو المعنى الذي يديره المتكلم في نفسه ويعبر عنه بهذه الألفاظ المترتبة من الحروف، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي وهو الصحيح المعول عليه عندنا"¹

ثم إن الدليل على أن الكلام ما بينا قوله تعالى

﴿وَيَقُولُونَ وَجَّ أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا

بِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ المجادلة الآية 09

أي يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم من الشتم في تحيتنا إياه.

وقال أيضا ﴿يُخْفُونَ وَجَّ أَنْفُسِهِمْ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران الآية 154

يعني من الكلام في قلوبهم لأنهم كانوا يقولون في قلوبهم.

وقال تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام ﴿بَأْسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ۖ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ يوسف الآية 77 هو والله أعلم إنما

قال هذا في نفسه، والدليل عليه قول أحد الشعراء:

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفم

أي أبدى من الفم ما يقول الفؤاد.²

¹ أبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي، تحقيق وتعليق د/ محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث

(مصر) ط 01، 2011م، ج 01، ص 463.

ص 463.

² المصدر نفسه، ص 464.

والمعقول يدل على ذلك أيضا وهو أن الأصوات والحروف الجارية على اللسان ما جعل منها دليلا على المعاني الثابتة في النفوس يعد كلاما وما لم يجعل منها دليلا عليها لم يعد كلاما، وكل عبارة أو لفظ حصل في محل لم يكن دليلا على ما في الضمير لم يتعلق به حكم وعد هديانا في نفسه فدل على أنها وضعت لإظهار الكلام لا أن تكون هي معتبرة لأنفسها.¹ وليس في الأدلة ما يدل على أن المقصود منها مجاز لأنه يتبادر عند إطلاق الكلام والتبادر علامة الحقيقة كما أنه لا يلزم من كون اللفظي دليلا على النفسي أن يكون إطلاق الكلام على اللفظي مجاز.

ومهما كان لا بد في مفهوم المتكلم من قيام المعنى أي إرادته وترجمته إلى الطلب والإخبار بنفسه ولو تلفظ لأن التلفظ فرع قيام ذلك المعنى بالنفس وفرع العلم به. والمعنى النفسي- في نظر المجاوي- وصف كمال ينافي العجز فوجب الاعتقاد أنه تعالى متكلم بذلك المعنى أي مسمع للكلام معينا، وأما كونه تعالى متكلم بالمعنى الآخر اللفظي وهو قيام الحروف بذاته تعالى لامتناع قيام الحروف به تعالى والقول بأن الحروف قديمة مكابرة للحس فلا يلتفت إليه.²

ثم يبين قدم المعنى القائم بذاته فالله عز وجل من صفاته القدم، والقديم بالقديم أنسب من الحادث بالقديم لاتحادهما في وصف القدم والأصل في القديم عدم الحوث وعليه يجب اثبات المعنى القائم بذاته لأن قيام الحوادث به باطل وهو ما يقتضي ثبوت المعنى القائم بذاته تعالى.³ فمعنى صفة الكلام في حقه تعالى ليست كمعناها في حق الحوادث فإن الكلم في حق الحوادث على ضربين لفظي ونفسي.

فاللفظي مركب من الحروف والأصوات ويلزمه التقدم والتأخر والتجدد والسكوت ونحو ذلك من التغيرات.

¹ نفسه، ص465.

² - القواعد الكلامية، ص71.

³ المرجع نفسه، ص68.

وأما النفسي الذي يتصف به الحادث فهو وإن لم يكن مركبا من الحروف والأصوات إلا أنه يعرض له من التغيرات ما يعرض للفظي من التقدم والتأخر والتجدد والانقطاع ونحو ذلك، وكل ذلك يشهد بحدوث النوعين من الكلام ويستحيل اتصافه تعالى بالحادث، فوجب إذا أن يكون كلامه جل وعلا مباينا للنوعين إذ لو مائل واحدا منهما لوجب له من الحدوث ما وجب له، فإذا كلامه جل وعلا الواجب له، صفة قديمة معبر عنه بالعبارات المختلفة، مباين في نفسه لجنس الحروف والأصوات منزه عن التقدم والتأخر والتجدد والسكوت واللحن والإعراب وسائر التغيرات متعلق بما تعلق به العلم من المتعلقات.¹

واختلف أهل السنة في كون الكلام النفسي مسموعا أم لا، فذهب الأشعري إلى أنه مسموع قياسا على الرؤية فكما تتعلق الرؤية بما ليس بلون كذلك السمع يتعلق بما ليس بصوت على وجه فيه خرق للعادة .

وأما أبو منصور الماتريدي فإنه استحال سماع ما ليس بصوت وقد أول سماع موسى لله عز وجل بأن سمع صوتا دالا على كلام الله على وجه فيه خرق للعادة أيضا.

وقد انتصر الشيخ الجاوي لرأي الماتريدي لأن السمع من العلم ما يكون إدراك صوت وما ليس بصوت قد يخص باسم الرؤية أو غيرها.²

وأما قيامه بذات الله تعالى أي اعتماده على نفسه فيها دون احتياجه إلى معين فقد وصف الله تعالى نفسه بالكلام في آيات كثيرة ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء الآية 163.

مذاهب الفرق في صفة الكلام:

-مذهب الحنابلة والمعتزلة: ذهب فريق إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم وبالغوا حتى قال بعضهم جهلا الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف وهو قول باطل بالضرورة.³ وذهب إلى ذلك بعض الحنابلة.⁴

¹ الشيخ السنوسي، المنهج السديد، ص 267.

² - نفسه، ص 69.

³ الجاوي، القواعد الكلامية، ص 66.

⁴ ملا علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص 58.

ووفي المقابل قالت المعتزلة : كلامه هو الحروف والأصوات الحادثة وهي غير قائمة بذاته،
فمعنى كونه متكلماً عندهم أنه خالق للكلام في بعض الأجسام لزعمهم أن الكلام لا يكون
إلا بحروف وأصوات.¹

ثم يعدل الشيخ المجاوي مذهب المعتزلة فيسميه بالكلام اللفظي ويضيف إليه قسم آخر وهو
الكلام النفسي فيقول: الذي قالوه لا ننكره نحن بل نقول به ونسميه كلاماً لفظياً ولكننا نثبت
أمراً وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ونقول هو الكلام حقيقة فهو قسم قائم بذاته تعالى
وهو غير العبارات كما قدمناه إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام ولا يختلف ذلك
المعنى النفسي وهو غير العلم أيضاً إذ قد يخبر الرجل بما لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشك فيه.
ومن قوله بأن العبارات تختلف باختلاف الأزمنة يزيح الشبهة ويجب عن سؤال مشهور
وهو أنه قد ورد الإخبار في كلام الله بلفظ الماضي كثيراً نحو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴿١﴾﴾
﴿وَقَالَ مُوسَى ﴿٢﴾﴾ ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ ﴿٣﴾﴾ والإخبار عما لا يوجد يعد كذباً والكذب
محال عليه تعالى.

والجواب إن إخبار الله لا يتصف أزلاً بالماضي والحال والمستقبل لعدم الزمان وإنما يتصف
بذلك بحسب التعلقات فيقال قام بذات الله تعالى إخبار عن إرسال نوح مطلقاً وذلك الإخبار
موجود أزلاً باق أبداً، فقبل الإرسال كانت العبارة الدالة عليه إنا نرسل وبعد الإرسال إنا أرسلنا
فالتغير في لفظ الخبر لا في الإخبار القائم بالذات، وهكذا كما تقول في علمه تعالى إن القائم
بذاته تعالى أزلاً العلم بأن نوحاً مرسل وهذا العلم باق أبداً فقبل وجوده علم الله أنه سيوجد
ويرسل وبعد وجوده علم بذلك العلم أنه وجد وأرسل فالتغير في المعلوم لا في العلم.²

مذهب الأشاعرة:

فرق الأشاعرة إلى بين الكلام النفسي واللفظي والسبب الذي دفعهم إلى ذلك هو غلو الحنابلة
الذين قالوا بأن كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة ويزعمون أنها قديمة، وبالغ بعضهم
حتى زعم قدم هذه الحروف التي نقرأها والرسوم، بل تجاوز جهل بعضهم لغلغلاف المصحف، فيجب

¹ حاشية البيجوري على جوهر التوحيد، ص 130.

² - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 68.

— حسب رأيهم— اثبات صفة الكلام على ما يليق به سبحانه كسائر صفاته فهو تعالى متكلم بكلام ليس بحرف ولا صوت، هو به تعالى طالب لفعل أو ترك أو مخبر لعباده بما كان وبما يكون بالنسبة لوقت وجودهم وهو قديم لأنه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى.

والغرض من الكلام هو مطالبة العباد بالفعل أو الترك أو إخبارهم بما كان وبما يكون بالنسبة لوقت وجودهم وهو قديم لأنه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى: إشارة إلى أن الكلام متنوع في الأزل إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ونداء والأولان والرابع والخامس من أنواع الطلب وتنوعه هذا لا ينافي كونه واحدا لأنها ليست أنواع حقيقية وإنما هي أنواع اعتبارية تحصل له باعتبار تعلقه بالأشياء.¹

فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلا أمر ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلا نهي ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلا خبر، ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة وعد ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار وعيد إلى غير ذلك، فبالنسبة لغير الأمر والنهي تعلق تنجيزي قديم، وأما بالنسبة للأمر والنهي فإن لم يشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك وإن اشترط فيهما ذلك كان التعلق صلوحيا² والمأمور والمنهي تنجيزي حادثا بعد وجودهما.³

مذهب ابن تيمية ورد الشيخ المجاوي عليه

مذهب ابن تيمية: ذهب إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات لكن سمي ذلك قولاً له وسلم بأنه حادث وقال قائم بذاته لتجويزه قيام الحوادث به وزعم أن كلامه هو قدرته على التكلم وهو يثبت قدم القدرة فهو يرى أن الله سبحانه ينادي بصوت فقد نادى مسلم موسى عليه السلام وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت، ويرى أن الآثار مستفيضة بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت، أو بحرف.⁴

¹ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 66.

² - الإرادة الصلوحية هي التعلق الأزلي القائم بذات الله الصالح المتعلق بالممكنات والتنجزية هي تعلق الإرادة بمراد من المرادات.

انظر: الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 84.

³ - حاشية البيهقوري على جوهرة التوحيد، ص 130.

⁴ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 12، 304-305.

فمن أقواله: "وجمهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وإن الباء والسين والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تنزل ولا تزال"¹

وقال فيه أيضا ما نصّه: "وفي الصحيح: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان" فقلوه: إذا تكلم الله بالوحي سمع يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفي كونه أزليًا، وأيضًا فما يكون كجر السلسلة على الصفا، يكون شيئًا بعد شيء والمسبوق بغيره لا يكون أزليًا"².

وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية: قال السلف إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا لم ينزل متكلما إذا شاء، فبينوا أن كلام الله قديم أي جنسه قديم لم ينزل، ولم يقل أحد منهم إن نفس الكلام المعين قديم، ولا قال أحد منهم القرآن قديم، بل قالوا إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه، وكان منزلا منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزليا قديما بقدم الله وإن كان الله لم ينزل متكلما إذا شاء فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض.³

وقد أثر ابن تيمية برأيه هذا في العديد من العلماء فنسبوا الحرف والصوت لله عز وجل وفي مقدمتهم يأتي تلميذه ابن القيم الذي يقول عنه المحقق الكوثري: كان أتبع لشيخه من ظله وقد أفنى عمره في خدمة آرائه التي جمعها في قصيدة نونية بلغها ستة آلاف بيت تقريبا، وكان إخوانه وتلاميذه يخفونها خوفا من أهل العلم حتى وقعت في يد شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي السبكي، فكتب عليها كتابة سماها (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل) وقد وضع العلامة الكوثري تكملة لهذا السيف وأجاد كل الإجابة.⁴

¹ مجموع فتاوى 5/ 556-557.

² مجموع فتاوى 6/ 234

³ انظر: مجموع الفتاوى ج 12-54.

⁴ الشيخ محمد زاهد الكوثري، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر) ص 08

يقول ابن القيم في نونيته: (والله ربي لم يزل متكلماً، هو قول ربي كله بعضه لفظاً ومعنى، ما هما خلقان)

ومن المتأثرين به من المتأخرين¹، والمقتفين أثره عبد الله بن يوسف الجديع الذي يقول: "ومن اعتقاد السلف في كلام الله تعالى أنه مؤلف من الحروف إن شاء جعلها عربية وإن شاء جعلها عبرانية، وإن شاء جعلها غير ذلك فهو المتكلم بحروف القرءان والتوراة والإنجيل وغيرهما من كلامه" ثم استدل ببعض الآيات التي تخبر أنه أنزل الكتب بلغات الرسل وبلغات أقوامهم لأجل أن تقوم الحجة عليهم به إذ لو كان بغير لغتهم ما فقهوه² منها قوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ

وَإِنجِيلَ ﴿٢٠٦﴾ مِّن قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٢٠٧﴾﴾ قال عمران الآية 2- 04.

¹ كثير من طلبة العلم يأخذون مذهب الحنابلة من اختيارات ابن تيمية وكتبه وهذا خطأ علمي ومنهجي للأسباب التالية:
- إن ابن تيمية لم يكن يلتزم مذهب الإمام أحمد في فتاويه بل كان يجتهد بحسب ما يراه.
- إن كتب الحنابلة المعتمدة والمحررة- في الفقه والعقيدة- موجودة ومنتشرة وفيها من المسائل المترتبة ما لا يوجد في فتاوى ابن تيمية واختياراته.

- إن شروط الاجتهاد توفرت في الإمام أحمد بلا منازع حتى صار مرجعية لأهل عصره، بخلاف ابن تيمية رحمه الله.
و أقوال الإمام أحمد بن حنبل في المسائل أكثر دقة وأكثر شمولاً لأبواب الفقه وأكثر اتباعاً للنصوص من أقوال ابن تيمية.
ولقد تباينت الآراء حوله بين معظم له ومقلد من شأنه، القول الصحيح فيه: أنه عالم فقيه له دراية كبيرة بالأحاديث ومعرفة واسعة بأقوال الفقهاء وكل ما رمي به من افتراءات كالقول بأنه تعلم العقيدة من أحد اليهود وأنه يكيد للإسلام وأهله، وأنه يقول بتناسخ الأرواح..... ولكن لا يعني أن كل كلامه صحيح، فله شذوذات فقهية وعقدية لم يقل بها الإمام أحمد بن حنبل ولا الحنابلة ولا أهل الحديث فينبغي الحذر منها دون الطعن في نيته ودينه منها: قوله بعدم وقوع الطلاق في الحيض والطلاق بالثلاث، وقوله بفناء النار والقدم النوعي وإمكان أن يكون الله محلاً للحوادث فهذا لم يقل به أهل السنة، ومنها ما خالف فيه الإمام أحمد كإنكار التوسل والحجاز وإطلاق لفظ الحد والجسم على الله.

فكلام ابن تيمية ليس مقدماً على كلام أئمة الإسلام، فهو لم يصل إلى مرتبة الإمام أحمد في علم الحديث رواية ودراية ولا إلى مرتبة الإمام الشافعي في الأصول واللغة ولا إلى مرتبة الإمام أبي حنيفة في فقه أهل العراق ولا مرتبة مالك في فقه أهل المدينة ولا مرتبة جعفر الصادق وزيد بن علي في فقه آل البيت.

وأما من أنصفه وعرف قدره بلا إفراط ولا تفريط فهم قلة على رأسهم أئمة الحنابلة كالمرادوي والذهبي وابن رجب وابن النجار الفتوحيوالبهوتي والسفاريني وأئمة المذاهب الأخرى كابن حجر العسقلاني والسبكي والعيني الحنفي والمزي وابن كثير....

انظر: محمد عز الدين الغرياني، مرجع سابق من ص12-15 بتصرف

² عبد الله بن يوسف الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية، وكشف أباطيل المبتدعة الردية، دار الإمام مالك الرياض (المملكة العربية السعودية) ط02، 1416هـ-1995م، ص157.

وأما إثبات الصوت فقد استدل بتكليمه لموسى ﴿وَأَنَا إِخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ طه الآية 12، ولا يسمع إلا الصوت وربنا تعالى قد خاطبنا باللسان العربي الذي نفهمه وليس فيه سماع يحصل من غير صوت.¹ كما وصف كلام الله تعالى بأنه متبعض متجزئ فالتوراة بعض كلامه وجزء منه والإنجيل كذلك والقرآن كذلك وهو أبعاض وأجزاء، وسور وآيات وكلمات.²

وهذا الرأي ناتج عن عدم التوفيقبين العقل والنقل، فالشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، وكل لفظ يرد في الشرع مما يسند إلى الذات المقدسة أو يطلق اسما أو صفة لها وهو مخالف للعقل وجب تأويله³، والحرف والصوت من صفات الحوادث التي يجب تنزيه الله عز وجل عنها.

رد المجاوي على فتوى ابن تيمية في مسألة خلق حروف القرآن.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في جزء أحاب فيه عن فتيا رفعت إليه ما نصه:
وأما [الحروف] هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ فالخلاف في ذلك بين الخلف مشهور، فأما السلف فلم ينقل عن أحد منهم أن حروف القرآن وألفاظه وتلاوته مخلوقة، ولا ما يدل على ذلك، بل قد ثبت عن غير واحد الرد على من قال: إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.
وقالوا: هو جهمي.

ومنهم من كفره، وفي لفظ بعضهم تلاوة القرآن، ولفظ بعضهم الحروف.
وممن ثبت ذلك الشافعي وأحمد بن اسحاق بن راهويه، والحميدي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وهشام بن عمار، وأحمد بن صالح المصري. ومن أراد الوقوف على نصوص كلامهم فليطالع الكتب المصنفة في السنة، مثل [الرد على الجهمية] للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم، وكتاب [الشريعة] للآجري و[الإبانة] لابن بطة، و[السنة] للالكائي، و[السنة] للطبراني،

¹ نفس المرجع السابق، ص 162.

² نفسه، ص 187.

³ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 49.

وغير ذلك من الكتب الكثيرة، ولم ينسب أحد منهم إلى خلاف ذلك، إلا بعض أهل الغرض نسب البخاري إلى أنه قال ذلك.

وقد ثبت عنه بالإسناد المرضي أنه قال: من قال عني أبي قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق، فقد كذب. وتراجمه في آخر صحيحه تبين ذلك. وهنا ثلاثة أشياء:

أحدها: حروف القرآن، التي هي لفظه قبل أن ينزل بها جبريل، وبعد ما نزل بها، فمن قال: إن هذه مخلوقة فقد خالف إجماع السلف، فإنه لم يكن في زمانهم من يقول هذا، إلا الذين قالوا: إن القرآن مخلوق؛ فإن أولئك إنما عنوا بالخلق الألفاظ، وأما ما سوى ذلك فهم لا يقرون بنبوته، لا مخلوقًا ولا غير مخلوق، وقد اعترف غير واحد من فحول أهل الكلام بهذا، منهم عبد الكريم الشهرستاني مع خبرته بالملل والنحل؛ فإنه ذكر أن السلف مطلقًا ذهبوا إلى أن حروف القرآن غير مخلوقة، وقال: ظهور القول بحدوث القرآن محدث، وقرر مذهب السلف في كتابه المسمى بـ [نهاية الكلام].

الثاني: أفعال العباد، وهي حركاتهم التي تظهر عليها التلاوة، فلا خلاف بين السلف أن أفعال العباد مخلوقة؛ ولهذا بدعوا من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأن ذلك قد يدخل فيه فعله. الثالث: التلاوة الظاهرة من العبد عقيب حركة الآية، فهذه منهم من يصفها بالخلق، (وأول من قال ذلك فيما بلغنا حسين الكرابيسي¹، وتلميذه داود الأصبهاني²، وطائفة، فأنكر ذلك عليهم علماء السنة في ذلك الوقت، وقالوا فيهم كلامًا غليظًا، وجمهورهم وهم اللفظية عند السلف الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، أو القرآن بألفاظنا مخلوق، ونحو ذلك.

وعارضهم طائفة من أهل الحديث والسنة كثيرون، فقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، والذي استقرت عليه نصوص الإمام أحمد وطبقته من أهل العلم: أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع، ومنهم من ينفي عنها الخلق هذا هو الصواب عند جماهير أهل السنة، ألا يطلق واحد منهما، كما عليه الإمام أحمد وجمهور السلف؛ لأن كل

¹ فقيه شافعي سنة ثمان وأربعين وقيل: سنة خمس وأربعين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء ج 12 ص 82.

² فقيه ظاهري (ت 297). انظر سير أعلام النبلاء، ج 13 ص 99.

واحد من الإطلاقين يقتضي إيهامًا لخطأ؛ فإن أصوات العباد محدثة بلا شك، وإن كان بعض من نصر السنة ينفي الخلق عن الصوت المسموع من العبد بالقرآن، وهو مقدار ما يكون من القرآن المبلغ)

فإن جمهور أهل السنة أنكروا ذلك وعابوه، جريًا على منهاج أحمد وغيره من أئمة الهدى) وقال النبي صلى الله عليه وسلم "زينوا القرآن بأصواتكم"¹.
وأما التلاوة في نفسها، التي هي حروف القرآن وألفاظه، فهي غير مخلوقة، والعبد إنما يقرأ كلام الله بصوته، كما أنه إذا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات" فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قد بلغه بحركته وصوته، كذلك القرآن لفظه ومعناه كلام الله تعالى ليس للمخلوق فيه إلا تبليغه وتأديته وصوته.

وما يخفى على لبيب الفرق بين التلاوة في نفسها، قبل أن يتكلم بها الخلق، وبعد أن يتكلموا بها، وبين ما للعبد في تلاوة القرآن من عمل وكسب، وإنما غلط بعض الموافقين والمخالفين، فجعلوا البابين بابا واحدًا، وأرادوا أن يستدلوا على نفس حدوث حروف القرآن بما دل على حدوث أفعال العباد وما تولد عنها، وهذا من أقبح الغلط.

وليس في الحجج العقلية، ولا السمعية، ما يدل على حدوث نفس حروف القرآن، إلا من جنس ما يحتج به على حدوث معانيه، والجواب عن الحجج مثل الجواب على هذه سواء لمن استهدى الله فهداه²) انتهى

هذه الفتوى كما وردت في الأصل غير أنها في كتاب الشيخ المجاوي (القواعد الكلامية) أتت مبتورة من العبارات التي تحتها سطر ولست أدري لماذا حذفها الشيخ المجاوي وعدم بيان موقفه منها، مع العلم أن هناك من المحققين من اعتبر أن رأي الكرابيسي هو الصواب فالإمام

¹ أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم) ولقد حكم عليه الشيخ الألباني بأنه منكر مقلوب في سلسلة الأحاديث الضعيفة ج 11 ص 521 بلفظ (زينوا أصواتكم بالقرآن) وأشار لصحته بلفظ زينوا القرآن بأصواتكم ، لأن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا وهذا في (سلسلة الأحاديث الصحيحة 2/270)

² القواعد الكلامية، ص 74. والفتوى منقول من مجموع الفتاوى ج 12 ص 574.

الذهبي مثلاً يقول "ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي، وحرره في مسألة التلفظ، وأنه مخلوق هو حق، لكن أباه الإمام أحمد لئلا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن، فسد الباب، لأنك لا تقدر أن تفرز التلفظ من الملفوظ الذي هو كلام الله إلا في ذهك¹".

وقد أراد ابن تيمية من خلال هذه الفتوى أن يستدل على قدم حروف القرآن وألفاظه وأهم الأدلة التي ذكرها هي:

1- استشهاده ببعض العلماء الذين ردوا على من قال ألفاظ القرآن مخلوقة ومن بينهم الإمام البخاري.

2- عدم تفرقه بين التلاوة والمتلو فكلاهما شيء واحد

3- استشهاده ببعض متكلمي الأشاعرة (عبد الكريم الشهرستاني) الذي ذهب إلى القول بأن حروف القرآن مخلوقة في كتابه نهاية الإقدام.

هذه أهم الأدلة التي استند إليها ابن تيمية في قوله بقدم حروف القرآن في هذه الفتوى ومن المآخذ التي يمكن أن تؤخذ عليها نذكر:

الدليل الأول: استشهاده ببعض العلماء الذين ردوا على من قال ألفاظ القرآن مخلوقة ومن بينهم الإمام البخاري، ويرد عليه بما يلي:

إن العلماء الذين استشهد بهم معظمهم محل نظر حيث تكلم فيهم أئمة الحديث ونقد الرجال نذكر منهم:

- **ابن بطة:** صنف في خانة الكذابين يقول عنه الحافظ بن حجر: وقفت لابن بطة على أمر استعظمته، واقشعر جلدي منه.²

- **ابن أبي حاتم:** من العلماء غير متخصصين والرواية التالية تؤكد ذلك:

قال الإمام البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الزاهد البوشنجي يقول: دخلت على أبي عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، فأخبرته بما جرى

¹ انظر سير أعلام النبلاء، ج 12 ص 82.

² لسان الميزان 4-113 وتاريخ بغداد 10-375 نقلا عن الآيات المتشابهة ص 113.

بنيسابور بين أبي بكر بن خزيمة وبين أصحابه، فقال "ما لأبي بكر والكلام، إنما الأولى بنا أن لا نتكلم فيما لم نتعلمه"¹.

فهذه العبارة من ابن أبي حاتم يعترف فيها بأنه يجهل علم الكلام وكان الأولى به أن لا يخوض فيه، ولكنه مع ذلك خاض فيه فزلت قدمه.

الإمام الشافعي: من العلماء مكذوب عليهم مثل: فاعتقاده المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع مروى بطريق ابن كادش والعشاري وأولهما كان كذابا يضع الحديث كما جاء في الميزان والثاني عرف بقله الضبط والإتقان.²

الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه: فهؤلاء العلماء لا تدل عباراتهم صراحة على أن الحروف والألفاظ قديمة³، فيروي البيهقي في الأسماء والصفات أن الإمام أحمد جيء بركة فيها مسائل وفيها إن لفظي بالقرآن غير مخلوق وأمر أن يضرب منها ما كرهه أو أنكره فضرب على موضع لفظي بالقرآن غير مخلوق، وكتب: القرءان حيث يصرف غير مخلوق.

ويقول عنه محمد فوران أنه قال لأبي طالب: حكيت عني أي قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ قال إنما حكيت عن نفسي، فقال له لا تحك هذا عنك ولا عني، فما سمعت عالما يقول هذا، وقال له: القرآن كلام الله غير مخلوق حيث يصرف، فقلت لأبي طالب وأبو عبد الله يستمع إن كنت حكيت هذا لأحد فاذهب حتى تخبره أن أبا عبد الله قد نهي عن هذا.

قال: الشيخ: فهاتان الحكايتان تصرحان بأن أبا عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه بريء مما خالف مذهب المحققين من أصحابنا، إلا أنه كان يستحب قلة الكلام في ذلك وترك الخوض فيه مع إنكار ما خالف مذهب الجماعة.⁴

وإلى هذا ذهب إسحاق بن راهويه الذي قال لا ينبغي أن يناظر في هذا القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.

¹ البيهقي، الأسماء والصفات، ص 259.

² الغرياني، الآيات المتشابهة. 119.

³ الغرياني، الآيات المتشابهة. ص. 120.

⁴ البيهقي، الأسماء والصفات. ص 256.

وهناك رواية أخرى تفيد أن المقصود من قول أحمد بن حنبل : من قال لفظي بالقرءان مخلوق يريد به القرءان فهو كافر فهذا تقييد حفظه عنه ابنه عبد الله وهو قول يريد به القرآن، فقد غفل عنه غيره ممن حكى عنه في اللفظ خلاف ما حكينا حتى نسب إليه ما تبرأ منه .¹

ومن مثل هذا اللفظ الموهم ظن كثير من أصحاب أحمد أن كل ماله تعلق بالقرءان قديم، وقد قال البخاري في خلق الأفعال، فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة.²

هذه بعض الأسماء التي استشهد بها ابن تيمية والتي سجلنا عليها بعض المآخذ، لكن حسب رأي المجاوي هناك بعض الآثار الصحيحة التي تذهب إلى القول بأن كلام الله هو الحروف المؤلفة والأصوات المقطعة وأنه حال في الألسنة والصدور والمصاحف لكن هذا ليس مبرراً ومسوغاً للقول بأن حروفه وألفاظه غير مخلوقة.³

الدليل الثاني : عدم التفريق بين التلاوة والتمتو

من المآخذ التي تؤخذ على ابن تيمية عدم التفريق بين التلاوة والتمتو واعتبارهما شيئاً واحداً فكما يجب اثبات القدم للتمتو كذلك يجب اثباتها للتلاوة التي هي حروف القرءان وألفاظه حيث يقول :

"وأما التلاوة في نفسها، التي هي حروف القرآن وألفاظه فهي غير مخلوقة، والعبد إنما يقرأ كلام الله بصوته، كما أنه إذا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات" فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قد بلغه بحركته وصوته، كذلك القرآن لفظه ومعناه كلام الله تعالى ليس للمخلوق فيه إلا تبليغه وتأديته وصوته.

¹ نفسه. ص 257.

² البيهقي (مرجع سابق) ص 256.

³ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 75.

ويقول أيضا في غير هذا الموضوع : فالكلام صفة المتكلم والقول صفة القائل وكلام الله ليس باثنا منه بل أسمعه جبريل ونزل به على الرسول صلى الله عليه وسلم.¹ وكثيرا ما يحتجون بقول الطحاوي (منه بدأ)² والتي تعني عنده لا من بعض مخلوقاته (وإليه يعوذ) أي فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف منه حرف³ . والظاهر أن ابن تيمية فصل (كلمة منه بدأ) عن الكلمة التي تليها وهي (قولا) والعبارة الكاملة كما وردت في الأصل هي "وإن القراءان كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا"⁴

مما أدى إلى تفسيره للكلمة خلاف مقصود قائلها، فكلمة قولا متعلقة بكلمة (منه بدأ) بمعنى أن الكلام لما بدأ من الله تعالى بدأ منه قولا لا معنى فقط أي حال بدو القرآن كان قولا وهو حال من الضمير في بدأ أي ظهر على سبيل القول لا على سبيل إيجاء المعنى فقط، فالقول يطلق على الحرف والمعنى، وقد ذكر الإمام الطحاوي ذلك ردا على القائلين بأن القرآن معنى ولفظ وادعوا بأن المعنى أوحاه الله إلى جبريل ثم عبر عنه جبريل بلفظ وقالوا المعنى من الله واللفظ من جبريل، والحق أن اللفظ والمعنى من الله تعالى .

(بلا كيفية) أي ليس صوتا ولا حرفا، ولكن حال بدوه كان قولا بمعنى أنه لم يكن مجرد معنى فقد رد الإمام الطحاوي في نفس الوقت على المجسمة وعلى من قال إن اللفظ من عند جبريل عليه السلام.⁵

وقد رد عليه الشيخ المجاوي : بتفريقه بين قراءة القارئ وكلام الله تعالى وبين صوت القارئ وكلام الله تعالى وما في المصحف من نقش وكلام الله تعالى.

ثم يرد بالدليل العقلي على من قال بقدوم حروف المصحف فيقال له هل تكلم الله بهذه الحروف دفعة واحدة أم على التعاقب، فإن كان الأول تحصل منه أنه غير هذه الكلمات التي

¹ مجموع الفتاوى، ج12، ص561.

² أبو جعفر الطحاوي، متن العقيدة الطحاوية، ص12.

³ ابن تيمية المصدر السابق .

⁴ أبو جعفر الطحاوي، نفس المصدر السابق.

⁵ الشيخ سعيد فودة، الشرح الكبير للعقيدة الطحاوية، 569-570.

نسمعها لأن التي نسمعها حروف متعاقبة فحينئذ لا يكون هذا القرآن المسموع قديماً، وإن كان الثاني فالأول لما انقضى كان محدثاً لأن ما ثبت عدمه امتنع قدمه والثاني لما حصل بعد عدمه كان محدثاً ظهر بطلان ما ادعاه.¹

وقول الحنابلة بأنه حروف غير مخلوقة قائمة بذاته باطل أيضاً لأن الحروف تتوالى ويقع بعضها مسبوقاً ببعض وكل مسبوق حادث، ولأن الحروف لا تصدر إلا من الآلات وهي الحلق والشفة فيلزم التحسيس تعالى الله عنه.

ومن المعلوم أن الحروف لا تتوقف عن الحلق والشفة فيمكن صدورهما بغير ذلك ولكن العلماء يذكرون هذه الأمور بناح على المعتاد الظاهر من خلق البشر، والقاعدة المستمرة فيه أن الحروف يلزمها مكان مركب لتقوم فيه بغض النظر إذا كان مركباً من حلق وشفة وغير ذلك من أنحاء التركيب والمراد هنا نفي التركيب سواء كان ذلك على الوجه أو غيره.²

والتمييز بين التلاوة والتمتلو هو مذهب البخاري ومسلم وكثير من محققي الأشاعرة والماتريدية جاء في الأسماء والصفات :

"كان البخاري يفرق بين التلاوة والتمتلو ومحمد بن يحيى كان ينكر التفصيل، ومسلم بن الحجاج رحمه الله كان يوافق البخاري في التفصيل، ثم تكلم محمد بن أسلم الطوسي في ذلك بعبارة رديئة فقال فيما بلغني عنه: الصوت من المصوت كلام الله، وأخذ عنه فيما بلغني محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله، وعندني أن مقصود من قال ذلك منهم من نفى الخلق عن التملو من القرآن، إلا أنه لم يحسن العبارة عما كان في ضميره من ذلك، فتكلم بما هو خطأ في العبارة والله أعلم".³

وقد حدا حدو الإمامين البخاري ومسلم اللذين فصلا بين التلاوة والتمتلو العديد من المحققين منهم عبد الله بن المبارك الذي يقول: "لا أقول القرآن خالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله تعالى ليس منه بيئات، قلت هذا هو مذهب السلف والخلف من أصحاب الحديث أن القرآن كلام الله عز وجل وهو صفة من صفات ذاته ليست بيئاته منه، وإذا كان هذا هو أصلهم في القرآن فكيف يتوهم عليه خلاف ما ذكرنا في تلاوتنا وكتابتنا وحفظنا، إلا أنهم في ذلك على طريقتين، منهم من فصل بين

¹ - الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 77.

² الشيخ سعيد فودة، الشرح الكبير للعقيدة الطحاوية، ص 578.

³ البيهقي، الأسماء والصفات، ص 257.

التلاوة والمتلو كما فصلنا، ومنهم من أحب ترك الكلام فيه مع إنكار قول من زعم أن لفظي بالقرءان غير مخلوق".

فإلى الرأي الأول ذهب المحقق الكوثري الذي يقول "الفصل بين التلاوة والمتلو هو الصواب الذي لا محيد عنه بعد أن ذاع الخلاف فما في ألسنتنا مخلوق وحادث وما قام بالباري سبحانه غير مخلوق فالتلاوة هنا بمعنى الحاصل بالمصدر والمتلو إنما يطلق على ما قام بالباري غير مخلوق" وهو مذهب جمهور أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية¹.

الدليل الثالث : استشهاده ببعض متكلمي الأشاعرة (عبد الكريم الشهرستاني) الذي ذهب إلى القول بأن حروف القرءان مخلوقة في كتابه (نهاية الأقدام)

يوضح الشهرستاني الفرق بين رأيه ورأي الحنابلة الذين جعلوه حجة وسند في قولهم في أن كلام الله يحل في الأشياء، فهو يعتقد أن المعنى واحد أزلي وهم يعتقدون أنه متعدد بتعدد الأشياء التي يحل فيها كذلك رده عليهم في ادعائهم أن القرءان هو المقروء بتفريقه بين اللفظ والمعنى وبين الكتاب والقرءان وأن احترام الكتاب لا لذاته بل لما هو موجود فيه فيقول:

"بالاتفاق بيننا وبين الخصم كلام الله تعالى غير ما حل في اللسان من تحريك الشفتين واللسان، والحلق بل هو معنى آخر وراء ذلك، فنحن نعتقد أن المعنى واحد أزلي وأنتم تعتقدون مثل هذا كثير حادث فانقطع الاستدلال بما يعرفه أهل الإجماع وكما أن كلامه أزلي واحد عندنا وليس ذلك بين أظهرنا كذلك هو كلام آخر في محل آخر، وليس ذلك بين أظهرنا عند الخصم فصار الاتفاق بالمقدمات المشهورة المعهودة لا اليقينية المقبولة المشهودة وتبين أن إطلاق لفظ القرآن على القراءة والمقروء باشتراك اللفظ، وقد يسمى الدليل باسم المدلول ويطلق لفظ العلم على المعلوم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء أي بمعلومه وقال إن قرءان الفجر كان مشهودا الصلاة والقراءة فيها .

والجواب الحق أن الآيات التي جاء بها جبريل عليه السلام منزلا على الرسول صلى الله عليه وسلم كلام الله كما أن الشخص الذي تمثل به جبريل وتراءى وظهر له سمي جبريل حتى يقول هذا كلام الله وهذا جبريل، لأن ما أشير إليه بهذا وهذا هو مظهره وأنت تقول كلامك هذا صحيح وغير صحيح ولا تشير إلى مجرد العبارة دون المعنى، بل تشير إلى العبارة على أنها مظهر المعنى وإلا فالصحة

¹ نفس المرجع السابق، ص 255.

والفساد إنما يدخلان على المعنى دون اللفظ، والصواب والخطأ يرد على اللفظ دون المعنى، وقد تكون العبارة سديدة لغة ونحوا، ويكون المعنى غير سديد وبالعكس من ذلك، ثم يشار إلى العبارة ويراد به المعنى .

كذلك قولنا هذا كلام الله وكلام الله بين أظهرنا ولا يمسه إلا المطهرون وقوله يتلونه حق تلاوته ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلْكَوتِهِ﴾ البقرة الآية 120 وقوله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة الآية 16 راجع إلى العبارة وقوله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة الآية 19 ﴿إِنَّهُ لَفُرْعَانٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ الواقعة الآية 77-78 ولو كان الكتاب من حيث هو كتاب هو القرآن لما قال في كتاب وفي آية أخرى ﴿يَتْلُوا صُحُبًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ البينة الآية 2-3 فتارة كان القرآن في كتاب وتارة كان الكتاب في القرآن ومن أدرك الطرفين على حقيقتهما سهل عليه التمييز بين المعنيين، ثم احترام الكتاب لأجل المكتوب كاحترام البيت لأجل صاحب البيت¹ ومن المآخذ التي يمكن أن تؤخذ عليه أيضا :

إصداره لتقسيمات لا معنى لها فيقول مثلا: وهنا ثلاثة أشياء:

أحدهما: حروف القرآن، التي هي لفظه قبل أن ينزل بها جبريل، وبعد ما نزل بها.....
الثاني: أفعال العباد، وهي حركاتهم التي تظهر عليها التلاوة.....
الثالث: التلاوة الظاهرة من العبد عقيب حركة الآية... ويقول أيضا " وما يخفى على لبيب الفرق بين التلاوة في نفسها قبل أن يتكلم بها الخلق وبعد أن يتكلم بها وبين ما للعبد في تلاوة القرءان من عمل وكسب. "

فالتقسيم الأول معقول جدا وهو الذي يشير به إلى القرءان قبل النزول أما الثاني والثالث فلامعنى لهما فلا فرق من التلاوة الظاهرة من العبد عقيب حركة الآلة وبين ما للعبد في تلاوة القرآن من عمل وكسب فكلاهما واحد وإنما هناك شيئان فعل القارئ وكلام الله تعالى .

¹ الشهرستاني، نهاية الأقدام، 302.

يقول الشيخ المجاوي في رده: فإن الذي تعقله الألباء أن ليس قبل تكلم الخلق تلاوة ولا بعد تكلمهم تلاوة، وإنما التلاوة تكلمهم والمتلو القرآن والصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى المدلول عليها بالتلاوة قال تعالى ﴿آتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ العنكبوت الآية 45 ففعله صلى الله عليه وسلم تلاوة لا أن فعله شيء والتلاوة شيء آخر غيره¹. ويمكن القول أن ابن تيمية استعمل التقسيم في غير محله فالموضع الذي يستحق التقسيم لم يقسم فيه، في حين أجرى تقسيم في شيئين لهما نفس المعنى.

ويرى الشيخ المجاوي بأن الكلام يضاف إلى أول من يتكلم به والناس بعده يؤدون ذلك بحركة الألسنة فالقرآن الكريم كلام الله تعالى لأنه أول من تكلم به وهو بهذا الاعتبار قدم غير مخلوق، وقراءتنا له بحركة ألسنتنا عبارة عن دلالة عليه وبالتالي فهي محدثة . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو)² فنقوش المصحف والسواد الذي في البياض دلالة على القرآن وليس القرآن نفسه³ ويشفع لهذا الرأي تفسير البخاري للحديث حيث بين أن المراد بالنهاي عن السفر بالقرآن السفر بالمصحف خشية أن يناله العدو لا السفر بالقرآن نفسه⁴. ثم يبين ما أجمع عليه علماء السنة (الأشاعرة والماتريدية) في وصف القرآن وهي العبارات التي كثيرا ما ردها محققوهم :

"القرآن الذي هو كلام الله مكتوب في مصاحفنا بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه محفوظ في قلوبنا بألفاظ مخيلة مقروء بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة مسموع بناذاننا أيضا غير حال فيها، ليس حالا في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والآذان بل هو معنى قائم بذاته تعالى بلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه كما يقال النار جوهر محرق ويذكر باللفظ ويكتب بالقلم ولا يلزم منه كون النار صوتا وحرف وذلك أن للشيء وجودا في الأعيان ووجودا في الأدهان ووجودا في العبارة ووجودا في الكتابة، فالكتابة تدل على العبارة وهي تدل على ما في الأدهان وهو يدل على ما في الأعيان فحيث

¹ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية ص77.

² رواه مسلم، كتاب الإمامة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم رقم (1869) ص748.

³ الشيخ المجاوي، المرجع السابق ص75.

⁴ فتح الباري 6/133-134.

يوصف القرآن بما هو من لوازم القدم كما في قولنا القرآن غير مخلوق فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة كما في قولنا قرأت نصف القرآن أو المخيلة كما في قولنا حفظت القرآن أو الأشكال المنقوشة كما في قولنا يحرم على المحدث مس القرآن"¹

المبحث الثالث الكسب والاختيار

يشكل موضوع القدر وأفعال العبادوما أثير حوله من شبه أحد المقومات الأساسية في بنية الدرس الكلامي، حيث عرف نقلة نوعية وتطورا ملحوظا مكنته من التجاوب مع المستجدات التي حثت وقتئذ، فبعد الإكراهات التي أجبرت المسلمين على التخلي عن صفة التفويض التي عرفوا بها في عهد النبي صلى الله عليه والصحابة من بعده تعددت المفاهيم وتنوعت الآراء في موضوع القدر واختلفت، فمن قدرية قائلين بجزية الإنسان المطلقة وسلطته على أفعاله إلى جبرية نافين لاختيار الإنسان.

وقد انبثق عن هذين الرأيين المتباينين موقف وسط وهو أن فعل الإنسان مزيج بين قدرة الله وفعل الإنسان وحتى هذا الرأي لم يسلم من الخلاف، فقد انقسم أصحابه إلى مثبت لتأثير قدرة الإنسان على فعله وناف لها فما هو موقف الشيخ الجاوي من المسألة؟ وماهي أدلته؟

المبحث الأول: أسباب الاختلاف في القدر: إن الاختلاف الحاصل بين الفرق الإسلامية

حول موضوع القدر يرجع إلى عدة أمور أهمها :

المطلب الأول: تعليل أفعال الله عز وجل

الآراء في المسألة

¹-الإمام البيضاوي، إشارات المرام، 175-176.

هذه المسألة هي الأصل في اختلاف الفرق الإسلامية في موضوع القدر بين من يرى أن أفعاله تعالى معللة بالمقاصد والغايات، فأبي فعل من أفعاله إلا ويكون من ورائه مصلحة وغرض وهو ما يسمى بالعلة الغائية ومن ينفي عنه ذلك، وقد تفرعت عنها مسائل أخرى مثل التحسين والتقبيح القدرة والاستطاعة... وقبل بيان الآراء فيها يحذر بنا تعريفها فماذا تعني؟

يعرفها الإمام الغزالي : هي السبب والمؤثر الذي أثر في وجود الشيء فلكل معلول علة ولكل أثر مؤثر ولكل سبب مسبب ودليل ذلك التناسق والانسجام الموجود بين المخلوقات، فالمظاهر الجزئية للكون ترتبط بعضها ببعض بعلة غائية من شأنها أن تثبت التنسيق الموجود في تركيب العالم وأجزائه من الذرة إلى المجرة.¹

هذا هو التعريف العام للعلة الغائية وقد خصها الشيخ البوطي بالإنسان فعرفها فقال: "الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان ويتجه إلى تحقيقه، فيدفعه ذلك إلى تنفيذ الوسائل والأسباب التي توصله إلى ذلك الغرض".²

فالغرض الذي قام في ذهنه لتحقيق تلك الوسائل والأسباب هو العلة، ومن أجل أن هذا الغرض هو في الحقيقة غاية يستهدفها الإنسان عند مباشرته الأسباب أطلق عليه العلماء: (اسم العلة الغائية)³.

1 ومجمل كلامه في تعريف العلة الغائية : أن تتوق نفس الإنسان إلى شيء معين فيرسمه كهدف ويلتمس كل الأسباب والسبل الموصلة إليه. وقد انقسمت الآراء في المسألة إلى رأيين:

الرأي الأول: أنه خلق المخلوقات وأمر المأمورات لا لعدة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب إلى السنة من أهل

¹ - الإمام الغزالي الاقتصاد في الاعتقاد، شرح وتحقيق وتعليق د/ إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ط01 1423هـ-2003م، ص43-44 بتصرف.

² - د/ محمد سعيد رمضان البوطي، كبري اليقينيات الكونية، ص142.

³ - المرجع نفسه.

الكلام والفقہ وغيرهم، وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وهو قول الأشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس الظاهرية كابن حزم وغيره.¹

وقد استدلل الإمام الرازي على صحة هذا المذهب بالأدلة التالية:

- إن جميع الأغراض، يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن، والله تعالى قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداءً من غير شيء من الوسائط.

- من الأمور المتفق أنه لا خالق إلا الله وإذا كان الأمر كذلك كان الخير والشر والكفر والإيمان حاصلًا بإيجاده، وهذان الأمران كفيلا أن لا يكون إيجاده للأشياء وخلقه لها متوقف على مصلحة أو غرض.²

وقد أضاف الشيخ البوطي أدلة أخرى مفادها:

- إن وجود العلة الغائية في أفعاله يتنافى مع صفات الكمال له سبحانه فتصبح الإرادة مشوبة بنوع من القسر والإكراه، كما تفقد القدرة والكمال المطلق معنهما.

إن كان خلق الله عز وجل للعالم لغرض لكان هذا الغرض قديماً ولشارك الله في الألوهية وهذا باطل، ولو كان حادثاً لزم اتصاف الله بالنقص واستكمالاً بهذا الغرض تعالى الله عن ذلك.³

وجمهور الأشاعرة وإن نفوا التعليل إلا أنهم أثبتوا المصلحة والتي يمكن أن يختص بها الله كما يختص بها الإنسان لذلك عرفوها بتعريفين أحدهما يختص بالإنسان والآخر بالله تعالى.

فالتعريف الأول الذي يختص بالإنسان : الإحاطة المجردة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة والجليلة والحكم عليها.. بأنها كيف ينبغي أن تكون حتى تتم الغاية المطلوبة منها.

¹ - ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى (الإرادة والأمر) دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان) ج01، ص326.

² - الإمام فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا، طبع مكتبة الكليات الأزهرية، ص352..

³ - الشيخ البوطي، مرجع سابق، ص145.

وأما التعريف الثاني الذي يختص بالله : أن تضاف إليها القدرة على إيجاد الترتيب والنظام وإتقانه وإحكامه فيقال حكيم من الحكمة وهو العلم.¹

وقد رد الشيخ مصطفى صبري الإدعاء القائل بأن نفي التعليل عن أفعال الله عز وجل يستدعي العبث، وقد نسب هذا الإدعاء للأشاعرة أناس ممن جعلوا غمط علماء الكلام حقهم ولا سيما الأشاعرة منهم ديدنا لهم كابن رشد وابن تيمية وابن القيم وصدر الدين الشيرازي وسيلة في مذهبهم هذا... فاتهموهم بإخلاء أفعال الله عن الحكمة اللازم لإخلائها عن الأغراض والعلل الغائية وبالتالي فهي عبث، والعبث ما لا يفيد فائدة لا ما لا يبني على علة وغرض، فيمكن أن يوجد الغرض والعلة في ذهن الفاعل ولا توجد الفائدة كما إذا أخطأ الإنسان في اعتقاده فلم يترتب على فعله ما لأجله كان قد أقدم على الفعل، وقد ينعكس الحال فتوجد الفائدة والغاية مترتبة على الفعل من غير أن تكون غرضاً وعلة غائية سبقتا إلى ذهن الفاعل وساقته إلى الفعل .

ثم يضيف : والحاصل أن المصلحة في فعل الله لا تتصور أن تكون دافعه إليه بل تابعة له وهذا كما نقول إن الله تعالى لا تتخلف الحكمة عن أفعاله ولا نقول إن فعله لا يتخلف عن الحكمة تنزيهاً له عن شائبة الإيجاب والاضطرار...

فأفعاله لا تتبع الحكمة بل الحكمة تتبع أفعاله وكيف لا وهو خالق الحكمة والمصلحة.²

أما الآيات والأحاديث الموهمة لثبوت العلة والأغراض لله تعالى بسبب استعمال لام التعليل كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿الذاريات الآية 56﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿الأنعام الآية ٥٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْفِيَهُ، مِمَّا خَلَفْنَا نَعْلَمًا وَأَنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿الأنعام الآية ٤٨﴾ الفرقان الآية 48-49.

¹ - الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص171.

² - مصطفى صبري موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي بيروت (لبنان) ط02 1401هـ-1981م، ج 03، ص05.

فليست على ظاهرها من التعليل العقلي الذي نتصور إذ لو كانت كذلك لاقتضى الأمر أن يكون الله جل جلاله مستكملاً ألوهيته بعبادة الناس له ولذلك احتاج إليها فخلق الناس من أجلها، ولاقتضى الأمر أنه احتاج إلى إحياء البلاد بالنبات وسقي الناس، فلم يكن بد لتحقيق ذلك من إنزال المطر، وهذا التصور محال بالبدهة فالله هو الخالق للعلة والمعلول وربط بينهما من العلية والسببية أيضاً.¹

وذهب المعتزلة إلى وجوب تعليل أفعال الله عز وجل ومخلوقاته لأن عدم التعليل هو عين السفه، لأن أفعاله تعالى إما أن ترجع بالنفع عليه أو على غيره، ولما تأكد بطلان الأول وجب الثاني، لأنه لو انعدما كلاهما لكانت أفعاله سفها وعبثا سبحانه يقول الشهرستاني: "الحكيم لا يفعل فعلاً إلا للحكمة وغرض الفعل من غير غرض سفه وعبث، والحكيم من يفعل أحد أمرين إما أن ينتفع أو ينفع غيره فلا يخلو فعل من أفعاله من صلاح"²

لكن هذه الحكمة التي يقصدها المعتزلة مخلوقة منفصلة عنه لا ترجع إليه ويجب أيضاً تعليلها حتى يصلون إلى نتيجة مفادها كون العباد خالقين لأفعالهم وقد عقب الشهرستاني عن موقفهم في تعليل أفعال الله "يا الله من حكمة ما أشرفها ومن سر ما أبدعه تعبت عقولكم من شدة التعمق في استخراج المعاني، فقد عاد حكمة الله تعالى في خلق السماوات والأرض بما فيها إلى أن يكون التذاذ المكلف بثواب يناله على عمله أكثر من التذاذ بتفضل ينله على غير عمل، إنا إذا فحصنا عن الأغراض كان الغرض من خلق العالم هو الاستدلال وكان الغرض من الاستدلال حصول المعرفة وكان الغرض من حصول المعرفة وجوب الثواب وكان الغرض من الثواب حصول التفرقة بين لذتي المقابلة والعطية."³

وذهب البعض إلى أن فعل الله تعالى لعلة وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف⁴ وأن الحكمة قد يعلمها العباد

¹ الشيخ البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 146.

² - الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 196.

³ - الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 196.

⁴ السفاريني، لوامع الأنوار، ص 275.

وقد تغيب عنهم، يقول ابن القيم -رحمه الله- " الله سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصالحة وحكمة، هي الغاية المقصودة من الفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمه بالغة لأجلها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا في مواضع لا تكاد تحصى.¹ منها:

- التصريح بلفظ الحكمة . بلفظ الحكمة ﴿يُوتِيهِ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة الآية 268

التعليل بأدوات التعليل المختلفة:

-بلام التعليل. ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ .النساء الآية 164.

-بأداة كي الصريحة في التعليل ﴿كَعَ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ

﴿سورة الحشر الآية 7

ب لعل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة الآية 183 .

ويرى الماتريدي أن الله منزّه عن العبث وأن أفعاله تعالى تكون على مقتضى الحكمة لأنه الحكيم العليم لكنه قصدها غير مجبر عليها ولا ملزم لأنه مختار مرید فعال لما يريد.²

رأي الشيخ المجاوي في تعليل أفعال الله.

وافق الشيخ المجاوي الأشاعرة في نفيهم تعليل أفعال الله عز وجل فاقتران الأسباب بمسبباتها في نظره مجرد اقتزان عادي، مثل سبب الأكل لحصول الشبع فالشبع حقيقة هو الله وإنما الأكل مجرد سبب، وكان بإمكان الله عز وجل أن يشبع الإنسان ابتداء من دون أكل وهو ما عبر عنه بقوله «فكما أنه تعالى جعل للقوى والطباع الموحودة في المخلوقات تأثيراً تاماً بالنسبة إلى ما هي أسباب له، كذلك خلق في العبد قدرة واستطاعة فيكسب العبد أفعاله التي قضاها الله وقدرها وأرادها فصارا

¹ ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، دار التراث مصر (القاهرة) ص 380.

² أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص 170.

قدرة العبد تأثير لتأثير الأسباب العادية مثل سبب الأكل لحصول الشبع، و إنما المؤثر حقيقة هو قدرة الله «¹ و الله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها لحصول الغاية لحكم منها :

- 1- إن الكون يمشي وفق نظام دقيق وسنن كونية لا يمكنه أن يتخطاها .
- 2- إن الأخذ بالأسباب التي ربطها الله عز وجل لمسبباتها تعلم الإنسان الجد والسعي والعمل وتبعده عن التقاعس والتخاذل والتواكل .
- 3- في ربط الأسباب بمسبباتها دلالة على الإتيان والإحكام والبعد عن السفه والعبث.
- 4- أن يدرك الإنسان قدرة الله وفي مقابل ذلك عجز وضعفه، فأحيانا يربط الأسباب بمسبباتها كل ويلتمس كل المسجل الموصلة إلى أهدافه فلا يحصل له مراده، فيذل وينكسر ويخضع لعظمة الله عز وجل .

المطلب الثاني: الحسن والقبح : يرتبط بالعنصر السابق ارتباطا وثيقا بحيث يعتبر نتيجة حتمية له وفي ما يلي الآراء فيه:

الآراء في المسألة

ذهب الأشاعرة إلى أنهما مفهومان اعتباريان وليس موجودان ذاتيان وسبيل ادراكهما الشرع وليس للعقل أو الوجدان أي دور في الحكم على الأشياء، بل قد يقبح الشرع ما تستحسنه النفس والعكس فمعيار الحسن والقبح عندهم ليس صفة الشيء أو جنسه أو مايجر من فائدة ومصلحة بل الشرع هو الذي يخبرنا بذلك وهو ما أشار إليه الجويني بقوله "العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع، وأصل القول في ذلك أن الشيء لا يحسن لنفسه وجنسه وصفة لازمة له وكذلك القول فيما يقبح وقد يحسن في الشرع ما يقبح مثله المساوي في جملة أحكام صفات النفس".²

¹ - الشيخ المجاوي، تحفة الأخبار، ص 53 .

² - الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق وتعليق/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، نشر مكتبة الخانجي (مصر) 1369هـ-1950م، ص 258.

وذهبت الجهمية إلى أنهما مفهومان يدركان بالعقل وليس الشرع حيث وضع الجهم بن صفوان قاعدته المشهورة " إيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع"¹

وأما الحنابلة فقد وافقوا المعتزلة في قولهم: إن للأفعال حسنا وقبحا ذاتيين يمكن إدراكه بالعقل، وخالفوهم حين قالوا بترتب التكليف والعقاب على ذلك الحكم العقلي، وكذلك خالفوهم حين أوجبوا على الله ما حسنته عقولهم وحرموا عليه ما قبحته عقولهم، وخالفوهم في أن تلك الأفعال لم تثبت لها صفة الحسن والقبح إلا بخطاب الشرع، وأنها في ذاتها ليست حسنة ولا قبيحة، ووافقوهم في قولهم بأن التكليف والعقاب موقوف على خطاب الشرع، وفي إثباتهم للحسن والقبح الشرعيين.

قال ابن القيم رحمه الله وقال كذلك: (والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما] أي بين الحسن والقبح الذاتي المدرك بالعقل، وترتب الثواب والعقاب عليهما] وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضاره، والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحا موجبا للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع)²

وبين شيخ الإسلام أنواع الحسن والقبح في الأفعال فقال:

(قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

- أحدها: أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك

كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن وقبيح وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا

¹ - عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط02 1413هـ - 1992م، ص74.

² - ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ج01، ص245.

يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسولا، وهذا خلاف النص ..

-النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا وإذا نهي عن شيء صار قبيحا واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع

و النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به.¹

فحسب رأي ابن تيمية أنه يمكن للعقل أن يكشف عن قبح أشياء وحسنها لكن لا بد من تأييده بالعقل وهذه هي وظيفة العقل فمصدر الشريعة هو الوحي وما العقل إلا مؤيد لها ووسيلة لفهمها وإدراكها ولذا يقدم عليهما عند التعارض يقول ابن تيمية " إذا تعارض العقل والشرع وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما يخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر العقل"²

وقد علل ذلك بقصور العقل واختلاف المدارك لذلك فأحكامه نسبية ليست ملازمة للشيء بخلاف الأحكام الشرعية التي تمتاز بالدقة والحكمة وقد عبر عن ذلك بقوله فكون الشيء معلوما بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليست صفة لازمة لشيء من الأشياء، ليست صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيدا قد يعلم بعقله ما لم يعلمه بكر بعقله وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجمله في وقت آخر"³

فالشرع والعقل متلازمان متكاملان لا ينفك أحدهما عن الآخر إلا أن الشرع يمكن أن يستقل بأشياء وهي الأمور الغيبية التي تخصه تعالى كالذات والصفات وأحكام العبادات وصنوف الابتلاءات والاختبارات فهذه لا يجوز البحث في عللها أو الحكمة وليس للعقل سلطان

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج08، ص433.

² - ابن تيمية، دره تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، د.ط، د.ت، ج01، ص138.

³ - المرجع نفسه ج01، ص144.

عليها لأنها فوق طاقته وهو ما أشار إليه محمد جواد مغنية بقوله " فالدين غير محصور في ما يدركه العقل بل يتعداه إلى أمور غيبية يؤمن بوجودها كل من آمن بالله ورسوله، ولكن الدين في جميع أحكامه وتعاليمه لا يعلم الناس ما يراه العقل محالاً أو مضراً وبالتالي فليس كل ما هو حق يجب أن يثبت بطريق العقل ولا كل ما يثبت بالعقل يكون باطلاً".¹

موقف الماتريدية : أقام الإمام الماتريدي نظرياته في العقائد على المأثور من مذهب شيخه الإمام أبو حنيفة النعمان (ت150هـ) زعيم مدرسة أهل الرأي، وقد انعكس ذلك على نظريته لحسن القبح والأشياء فبعد أن أوجب النظر العقلي لمعرفة الله تعالى بين أن العقل يمكنه أن يدرك حسن الأشياء وقبحها في النوع المختلف فيه مستقلاً عن السمع أو النقل، وهذا في بعض المسائل التي تحتاج إلى نظر من أجل استخراج العلل والحكم منها ثم القياس عليها كالصدق الذي يعوذ بالضرر على النفس ولا يتعداها إلى المسائل التوقيفية كحسن صوم آخر يوم من رمضان وقبح صوم أول يوم من شوال فإنه يدرك بالشرع.²

لكن هذا لا يترتب عليه ثواب أو عقاب ما لم يرد فيه نص لأن " الحسن والقبح مدلولان بالأمر والنهي إجمالاً فيما يدرك عقلاً لا موجبان بهم"³ فالأمر التي يحكم العقل بحسنها وقبحها لا بد لها من علامة ودليل حتى يترتب عليها الثواب والعقاب ألا وهو الأمر والنهي، بخلاف الأشاعرة الذين نفوا أي دور للعقل في الحسن والقبح وقالوا بأن أوامر الشرع ونواهيه هي الموجبة للحسن والقبح فالحسن هو ما أمر به الشرع والقبح هو ما نهي عنه الشرع.

وقد وضع المجاوي الفرق بين المعتزلة والماتريدية فالمعتزلة رتبوا على التقسيم أن ما يدرك بالعقل حسنه يكون واجب الفعل بالعقل وما أدرك العقل قبحه يكون منهي عنه، أما الماتريدي فلم يسر في الخط نفسه بل قال إنه ولو كان العقل يدرك فلا تكليف إلا بالشرع.⁴

رأي الشيخ المجاوي

¹ - محمد جواد مغنية، الإسلام والعقل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، مارس 1967م، ص 237.

² - الإمام البيضاوي، إشارات المرام من عبارات الإمام، ص76.

³ - المرجع نفسه، ص76.

⁴ نفسه، ص170.

ذهب الشيخ المجاوي إلى أنهما مفهومان اعتباريان وسبيل ادراكهما الشرع وليس العقل بدليل تفرقه بين الصفات الاعظمية الثابتة المتأصلة في الانسان والتي لا يستطيع تغييرها بحال كاللون والطول والعرض، وبين الصفات المتغيرة كالأفعال الاختيارية التي تترك أثرها على نفس الانسان بحسب ما يترتب عليها من الثواب والعقاب، فما ترتب عليه ثواب دلالة على أنه حسن وما ترتب عليه عقاب دلالة على أنه قبيح¹، وفي ذلك أمانة على اعتبارية الحسن والقبح وسبيل ادراك الحسن والقبح في الأشياء هو الشرع وليس بعقل في نظرة الشيخ المجاوي، وقد استدل ببعض النصوص الدالة على الأثر التي تترك الأفعال على اختلافها على نفس الانسان، فالأفعال الحسنة لها أثر محمود وعلى العكس من ذلك الأفعال المسيئة،² فنحن نعرف حسن الفعل وقبحه من خلال الأثر الذي يتركه على النفس وسبيل ذلك النصوص الشرعية التي من بينها :

1- أخرج الترمذي عن ابن مسعود قال رسول الله (ص): نظر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فربّ مبلغ أو عن من سامع³.

عن أبي هريرة رضي الله عنه رسول صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى يعلوا قلبه،⁴ و هو الزان الذي ذكره الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

المطففين: ١٤

¹ - الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص 66.

² - المصدر نفسه بتصرف ص 66.

³ أخرجه الترمذي في سننه (أبواب العلم) باب ما جاء في الحديث على تبليغ السماع رقم 2656.

انظر : جامع الترمذي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) ط01، 1996م ص393/ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/298) برقم (1721)

⁴ سنن الترمذي، أبواب فضائل القرءان، باب ومن سورة المطففين، رقم (3334).

انظر جامع الترمذي، مرجع سابق، ج05، ص359. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم (11594)

انظر : السنن الكبرى للنسائي، تحقيق وإشراف، شعيب الأرنؤوط، ص328.

المطلب الثالث : الاستطاعة أو القدرة : من المسائل المؤثرة في الاختلاف في القدر من حيث كونها مصاحبة للفعل أو قبله أو بعده، ولقد تباينت آراء الفرق الإسلامية في ذلكوفي ما يلي أهمها:

الآراء في المسألة

مذهب الأشاعرة: ذهب الأشعري إلى أن القدرة أو الاستطاعة مصاحبة للفعل ولا يجوز أن تكون قبله أو بعده لأنها عرض والعرض لا يبقى زمانين يقول الإمام الأشعري " الفعل لا يخلوا أن يكون حادثا مع الاستطاعة في حال حدوثها أو بعدها، فإن كان حادثا معها في حال حدوثها فقد صح أنها مع الفعل للفعل، وإن كان حادثا بعدها وقد دلت الدلالة على أنها لا تبقى وجب حدوث الفعل بقدرة معدومة، ولو جاز أن يفعل في حال هو فيها عاجز بقدرة معدومة لجاز أن يفعل بعد مائة سنة من حال حدوث القدرة، وإن كان عاجزا في المائة سنة كلها بقدرة عدمت من مائة سنة وهذا فاسد"¹

فهذا مذهب الأشعري ومذهب تلاميذه من بعده كالباقلاني والجويني "القدرة الحادثة عرض من الأعراض عندنا وهذا حكم جميع الأعراض عندنا"².

قول الجهمية: وهو أنه ليس للعبد استطاعة ولا قدرة لا قبل الفعل ولا بعده بل له قدرة شكلية غير مؤثرة أصلا وتسمى فعلا له تجوزا.³

قول المعتزلة والشيعة: وهو أن الله مكن الإنسان من الاستطاعة وهذه الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضده وهي غير موجبة للفعل.⁴

قول الحنابلة: وهو أن للعبد قدرتان فهناك استطاعة للفعل بمعنى الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات وهي مناط الأمر والنهي وهي المصححة للفعل.⁵

¹ - الأشعري، اللمع، ص 227.

² - الإرشاد، الجويني، ص 217.

³ - الملل والنحل للشهرستاني ج 01. ص 73.

⁴ - القاضي عبد الجبار، شرح لأصول الخمسة، ص 396.

⁵ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 08 ص 129.

ومثالها قوله تعالى والله عى الناس ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^١ آءال عمران الآية 96

الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل وهذه هي الاستطاعة المقارنة للفعل الموجبة له¹

ومثالها قوله تعالى ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾

﴿هود الآية 20.

قول الماتريديّة: وافقوا الحنابلة في أن للبعد قدرتان :

الأولى: سابقة للفعل ويقصد بها سلامة الأسباب وصحة الآلات وهي ليست مخلوقة للفعل وإن كان لا يقوم إلا بها، بل هي من النعم والمن التي أنعم الله بها على عباده وقد يصادها ويأخذها منه متى شاء، ومن واجب الإنسان أن يشكر الله عليها وسبيل ذلك أن يتأمل فيها بعقله ويشكر المنعم ويتزجم ذلك إلى توحيده وإفراده بالعبادة الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه وما سوى ذلك يعتبر كفران للنعم وعدم استعمال العقل في إدراك كنهه.²

والثانية : وهي المقصودة وهي المصاحبة للفعل . وقد عبر عن ذلك الشيخ أبو منصور الماتريدي بقوله : " الأصل عندنا في المُسَمَّى باسم القُدْرَةِ أَنَّهَا عَلَى قَسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا سَلَامَةٌ الْأَسْبَابِ وَصِحَّةُ الْأَلَاتِ وَهِيَ تَتَقَدَّمُ الْأَفْعَالَ وَحَقِيقَتُهَا لَيْسَتْ بِمَجْعُولَةٍ لِلْأَفْعَالِ وَإِنْ كَانَتْ الْأَفْعَالُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِهَا لَكِنَّهَا نِعْمٌ مِنَ اللَّهِ أَكْرَمُ بِهَا مِنْ شَاءٍ ثُمَّ يَسْتَأْدِيهِمْ شُكْرُهَا عِنْدَ احْتِمَالِهِمْ دَرَكَ النِّعْمِ وَبَلُوغَ عُقُولِهِمُ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا إِذْ ذَلِكَ حَقُّ الْقَوْلِ فِي الْعُقُولِ وَهُوَ الْقِيَامُ بِشُكْرِ الْمُنْعَمِ وَمَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ النِّعْمِ وَالنَّهْيَ عَنِ كُفْرَانِ الْمُنْعَمِ وَالْجَهْلَ بِحَقِيقَةِ النِّعْمِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَحْتَمَلْ أَحَدُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيَ ابْتِدَاءً بَلَا سَبَقَ مَا فِي الْعَقْلِ لُزُومَ شُكْرِهِ وَاتَّقَاءَ كُفْرَانِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهْوَالِ الثَّانِي مَعْنَى لَا يَقْدِرُ عَلَى تَبْيِينِ حُدُودِ شَيْءٍ يُصَارُ إِلَيْهِ سِوَى أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا لِلْفِعْلِ لَا يَجُوزُ وَجُودُهُ بِحَالٍ إِلَّا

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 08 ص 129.

² - الإمام البيضاوي ، إشارات المرام، ص 55.

وَيَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ عِنْدَمَا يَقَعُ مَعَهُ، وَعِنْدَ قَوْمٍ قَبْلَهُ أَعْنَى فِعْلِ الْاِخْتِيَارِ الَّذِي يَمْتَلِكُهُ الْتَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَبِهِ يَسْهَلُ الْفِعْلُ وَيَخْفُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ¹

ويستحيل حسب الإمام البيضاوي أن تكون القدرة الثانية قبل الفعل لأنها عرض والأعراض لا تبقى زمانين، فلو لم يحتج إلى وجود قدرة مقارنة للفعل لكان العبد في فعله مستغنيا عن الله تعالى وإعطائه القدرة وقت الحاجة إلى القدرة ضرورة احتياج المعلول إلى العلة.²

كما أنها تصلح للضدين الخير والشر النافع والضار الحسن والسيء على حسب اختيار الإنسان ورغبته، فلو كانت القدرة تصلح للخير فقط أو للشر فقط لكان تكليفا بلا طاقة وللزم الجبر.³

ويلاحظ من هذه الأقوال كيف أن الجهمية نفوا الاستطاعة مطلقا فقالوا بالجبر، والمعتزلة جعلوا الاستطاعة قبل الفعل وجعلوها للعبد حيث يقدر على الفعل والترك والأشاعرة نفوا قدرة العبد قبل الفعل وأثبتوا القدرة مع الفعل ونسبها للفعل، أما الحنابلة فأثبتوا نوعي الاستطاعة.

القدرة والاستطاعة عند الشيخ المجاوي:

انتقد الشيخ المجاوي كثيرا من أهل السنة الذين جعلوا القدرة واحدة ملازمة للفعل فبناء على ما ذهبوا إليه فالتكليف بغير المقدور واقع لأن التكليف وهو الطلب الإلزامي لما فيه كلفة يكون قبل وجود الفعل المطلوب بالضرورة ثم يأتي الفعل بعدها وفي ذلك يقول " والمراد بتلك القدرة التي بها الفعل قدرة جزئية مندرجة تحت مطلق القدرة الكلية تخلق تلك القدرة مع الفعل لا قبله وهي القدرة المستجمعة لشرائط التأثير وهي عرض جزئي فالمتقدم على الفعل الممكنة والتأخر عنه الامتثال والقدرة المذكورة مع الفعل لا قبله إذ كان الفعل عند أهل السنة إنما هو أثر قدرة الله سبحانه"⁴

¹ - الإمام أبو منصور الماتريدي، كتاب التوحيد، ص 256

² - الإمام البيضاوي (المرجع السابق) ص 245.

³ - الإمام البيضاوي، إشارات المرام ص 247.

⁴ - الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية ص 100.

ويزيد الشيخ المجاوي الأمر توضيحا بقوله " وهذه القدرة شرط التكليف مقدمة عليه ضرورة وهي عند أهل السنة عبارة عن سلامة الآلات وصحة الأسباب بناء على أن من كان كذلك فإن الله يخلق له القدرة عند الفعل كذا أجرى سبحانه العادة "¹

كما أشار الشيخ المجاوي إلى ما انتهى إليه الإمام الجويني في نظرية الكسب في كتابة العقيدة النظامية التي ألفها بعد الإرشاد، ثم ذكر قولان له في القدرة متعارضان أحدهما (الإرشاد) وثانيها في (النظامية)، ثم أشار إلى القول المشهود عند الأشاعرة² فصارت الأقوال ثلاثة:³

1- (القول المشهور) القدرة الحادثة مؤثرة بالإيجاب من غير استقلال .

أي أن التأثير يحصل من خلال اجتماع القدرة الحادثة مع قدرة الله من دون أثر لتأثير الحادثة في المقذور هو المشهور عند الامام الأشعري .

2- ما جاء في النظامية أنها تؤثر بالاختيار من غير استقلال.

فحاصل الفعل أنه يحدث من خلال اجتماع مؤثرين قدرة الله وقدرة الانسان فتأثير الانسان يمكن في الكسب وتأثير الله يمكن في الخلق والايجاد على عكس ما ذهب إليه الامام الأشعري في الرأي السابق الذي فيه نوع من الخبر .

3- إن الخالق هو الله وأن الحوادث بقدرته ثم أزال الشيخ المجاوي التعارض الموجود بين هذه الأقوال عندما وافق ما ذهب إليه سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد فصارت القدرة عنده قسمان:⁴

الأولى: القوة العقلية التي يمكن تعلقها بالضدين ويتخلف مقورها عنها وتكون سابقة على الفعل .

الثانية: القوة المستجمعة لشرائط التأثير الملازمة للفعل .

¹ - المصدر نفسه..

² الشيخ المجاوي، تحفة الأخبار بتصرف، ص 64 .

³ المصدر نفسه.

⁴ الشيخ المجاوي، تحفة الأخبار بتصرف، ص 64 .

المطلب الرابع: تكليف ما لا يطاق¹: هذه المسألة متفرعة عن المسألة الأولى وقد اختلفت آراء الفرق الإسلامية فيها ورد ذلك إلى أمرين:²

- ما يرجع إلى الفعل المأمور به وهذا ما يتعلق بالقضاء والقدر.

- ما يرجع إلى جواز الأمر بالشيء وهذا فيما يتعلق بمسائل الأمر والنهي

فمن قال بجواز التكليف بما لا يطاق إذا تعلق الأمر بالقضاء والقدر فذلك مما يباه العقل والشرع لأن فيه معارضة الإرادة الكونية لله تعالى، أما من قال بجواز التكليف بما لا يطاق إذا تعلف الأمر بالأمر والنهي فجائز وفي ما يلي تفصيل للآراء الفرق الإسلامية في المسألة.

الآراء في المسألة

- جواز تكليف ما لا يطاق مطلقا وهو قول الجهمية.³

- عدم جواز تكليف ما لا يطاق وهو قول المعتزلة⁴، إذ يستحيل في نظرهم أنم يكلف الله تعالى عباده بما لا طاقة لهم به لأنه قبيح خال من العاقبة الحميدة والله تعالى حكيم لا يفعل إلا ما له عاقبة حميدة ومن أدلتهم أيضا تنزيه الله تعالى عن صدور كل نقص منه فهو القائل

¹الحال: قسمه الأسنوي خمسة أقسام:

محال لذاته: أي لحقيقته ومفهومه، كالجمع بين الضدين أو النقيضين ويعرف بالمحال العقلي.

محال عادي: أي اقتضت العادة عدم حصوله، وإن كان ممكنا عقلا كطيران الإنسان في السماء وحمل الجبل العظيم.

محال لظروء مانع: كتكليف المقيد بالجري، أو إلزام المقعد بالمشي.

محال لتعلق علم الله تعالى بعدم حصوله، كتكليف من علم الله أنه لا يؤمن، فالإيمان باعتبار ذاته ممكن، ولذلك وقع، ولكن حصوله ممن علم الله أنه لا يحصل منه محال، لأنه لو وجد لانقلب علم الله جهلا وذلك محال.

محال لعدم القدرة عليه وقت التكليف به: ومع كونه ممكنا عند الامتثال لوجود القدرة عليه، مثل التكليف كلها على رأي الأشعري، فإنه يقول القدرة على الفعل لا توجد إلا عند المباشرة، ويقول في ذلك: إن التكليف يتوجه قبل المباشرة، فيكون الشخص مكلفا بغير المقدور.

- العلامة أبو النور زهير ج02، ص176 وما بعدها. نقلا عن مناهج الأدلة ص171.

² - عبد الرحمن محمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، دار الوطن (الرياض) ط02، 1418هـ-1997م، ص188.

³ - الشهرستاني، الملل والنحل، ج01، ص15.

⁴ - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص396.

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة الآية 286. ووافقهم في ذلك

الماتريدية.¹

وذهب الأشاعرة إلى جواز تكليف ما لا يطاق جائز لكنهم قسموا الفعل الذي لا يطاق إلى قسمين عبر عنهما الإمام الأشعري بقوله " ما لا يطاق على نوعين الأول هو ما لا تسطيعه لأنك اخترت ضده وصرفت جهدك إليه وهذا النوع من الجائز أن يكلفك الله به لأن عجزك عنه نشأ عن اختيارك ضده فهو جبر على ضد مبني على الاختيار له، وهذا الجبر لا يسلب الإرادة أو المسؤولية والنوع الثاني من الأفعال التي لا تطاق هذا النوع تعجز عنه لعدم القدرة أصلا عليه وهذا النوع لا يكلف الله به أحد من بني الإنسان.²

ويزيد الأشعري المسألة توضيحا فيقول: " فإن قال قائل أليس قد كلف الله الكافر بالإيمان؟ قلنا له نعم، فإن قال أفيستطيع الإيمان؟ قيل له لو استطاعه لآمن، فإن قال أفكلفه مالا يستطيع؟ قيل له هذا الكلام على أمرين: إذا أردت بقوله أنه لا يستطيع الإيمان لعجزه عنه أي عجزا كلياً فلا، وإن أردت أمه لا يستطيعه لتركه واشتغاله بضده فنعم.³

ويرى أحد الباحثين أن التكليف بما لا يطاق قبيح من وجهة نظرنا نحن لأن عقولنا الصغيرة لا ترتفع إلى مستوى قدرة الله المطلقة، وهو في حقيقته يدخل ضمن المجازات التي يقدر عليها الباري وإن كان ذلك لا يستلزم حصولها فعلا فهي تبقى صحيحة كأمر نظري جائز عقلا وليس كل المجازات مما يستلزم التحقيق.⁴

موقف الشيخ المجاوي

وافق الشيخ المجاوي الأشاعرة في إمكانية وقوعه عقلا وليس شرعا وأن تعلق الإرادة بمعصية لم يوجبها عليه لا ينف التكليف، فقال في معرض رده عن شبهة آثارها المعتزلة مفادها: "إذا كان لا يقع في الوجود إلا مراده تعالى كما ذهبتم إليه وقد أمر العبد بما لم يرد وقوعه فقد كلفه

¹ البيضاوي، إشارات المرام، ص 286. وانظر أبو زهرة، تاريخ المذاهب ص 171.

² - الأشعري، اللمع، ص 16.

³ - الأشعري (اللمع) ص 16..

⁴ جلال موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 241.

بما لم يقدر على فعله، وتكليفه بذلك ثم عقابه على عدم فعله في التحقيق ليس إلا إرادة تعذيبه ابتداءً بلا مخالفة وهذا تكليف بما لا يقدر عليه ثم عقابه لكونه لم يفعله، وهو أمر في نظر العقل غير لائق فيجب تنزيه الغني عن العالمين عنه.¹

يقول في الجواب عنهم: إن تجويز الأشاعرة للتكليف بما لا يطاق لا يعني الجبر وسلب الاختيار، فتعلق إرادة الله بفعل العبد من شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه لا غير دون الإيجاد، الذي يعتبر من خصائص القدرة.²

وقد وضع الشيخ البوطي المسألة بمثال والله المثل الأعلى: الأستاذ عندما يريد أن يمتحن طلابه، فإن إرادته لا بد أن تسري إلى أي من النتيجتين اللتين لا يمكن أن يتجاوزهما الامتحان (النجاح أو السقوط) فإن نجح الطالب فإرادة من أستاذه الذي أراد امتحانه، وإن رسب فإرادة من أستاذه أيضاً، ونحن نعلم بالبدهة أن الطالب الراسب لا يملك أن يقول لأستاذه محتجاً إنك إذ أردت امتحاني فقد أردت النتيجة التي انتهت إليها وهي الرسوب، ونظراً إلى أن رسوبي كان إذن بإرادتك فقد كنت مقهوراً تحت سلطان إرادتك هذه التي أجبرتني على السقوط.³

المطلب الخامس وجوب فعل الأصلح: هذه المسألة متفرعة عن مسألة التحسين والتقيح العقليين وفيها قولان:

القول الأول: أنه لا يجب على الله فعل الأصلح بل له أن يفعل ما يشاء وهو قول جماهير المسلمين أشاعرة وماتريدية وحنابلة فقد جاء في شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني "وما هو الأصلح للعبد فليس بواجب على الله تعالى وإلا لما خلق الله الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة، ولما كان له منة على العباد واستحقاق شكر في الهداية، وإفاضة أنواع الخيرات لكونها أداء للواجب ولما كان امتنان الله على النبي عليه السلام فوق امتنانه على

¹ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 105.

² - المصدر نفسه، ص 106. يتصرف.

³ - الشيخ البوطي، الإنسان مسير أم مخير، طبع دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت (لبنان) ط 10، 1435هـ - 2014م، ص 81.

أبي جهل عليه السلام لعنه الله إذ جعل لكل منهما غاية مقدرة من الأصلح، ولما كان لسؤاله تعالى العصمة والتوفيق وكشف الضراء والبسط في الخصب والرخاء معنى لأن ما لم يفعله في حق كل واحد فهو مفسدة له يجب على الله تعالى تركها ولما بقي في قدرة الله تعالى بالنسبة لمصالح العباد شيء إذ قد أتى بالوجوب"¹

وذهب المعتزلة إلى وجوب فعل الأصلح إذ جاء في الملل والنحل للشهرستاني:

"واتفقوا أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الأصلح واللفظ ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلاً"²

ثم يعقب التفتازاني على رأيهم بقوله: "ولعمري إن مفسد هذا الأصل: أعني وجوب الأصلح، بل أكثر أصول المعتزلة أظهر أن يخفى وأكثر من أن يحصى وذلك لقصور نظرهم في المعارف الإلهية ورسوخ القياس الغائب على الشاهد في طباعهم وغاية تشبثهم في ذلك أن ترك الأصلح يكون بخلاً وسفهاً"³

وهناك مناظرة وقعت بين الأشعري وأستاذه أبي علي الجبائي حيث قال الأشعري لأستاذه: "ماذا تقول في ثلاثة إخوة عاش أحدهم في الطاعة وأحدهم في المعصية، ومات أحدهم صغيراً؟ فقال: يثاب الأول بالجنة، ويعاقب الثاني بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب، قال الأشعري: فإن قال الثالث: يارب لو عمرتني فأصلح، فأدخل الجنة كما دخلها الأول، قال الجبائي: يقول الرب: كنت أعلم أنك لو عمرت لفسقت وأفسدت، فدخلت النار، قال: فيقول الثاني: يارب لم لم تمتني صغيراً، لئلا أذنب، فلا أدخل النار كما أمت أخي، فبهت الجبائي، فترك الأشعري ومذهبه إلى المذهب الحق وكان هذا أول ما خاف في الأشعري المعتزلة"⁴

موقف الشيخ المجاوي: وافق الشيخ المجاوي الجمهور في قولهم عدم وجوب الأصلح لله تعالى، فذكر في معرض حديثه عن النبوة وأنها جائزة وليست واجبة لأنها من متعلقات القدرة، لكن الإيمان بالأنبياء واجب لأن الله أيدهم بالمعجزة كما بين بطلان مذهب المعتزلة الذين قالوا بوجوبها وبنوها

¹ - سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص 235.

² الشهرستاني، الملل والنحل، ص 39.

³ سعد الدين التفتازاني، مرجع سابق، ص 235.

⁴ - حاشية البيجوري على جوهر التوحيد ص 182.

على وجوب الصلاح والأصلح،¹ ويقول أيضاً "فاصطفى الله الحكيم الرحيم لطفاً ورحمة من غير وجوب عليه ولا عنه الأنبياء من نوع البشر المكرمين وجعلهم من خواص عباده مطالع أنوار اليقين، وبعثهم بالمعجزات مبلغين ومبينين ومبشرين ومنذرين"²

هذا ملخص الخلاف في المسألة وأثر ذلك في الاختلاف في القدر أن المعتزلة بقولهم لفعل الله للأصلح قالوا بخلق الله لأفعاله على خلاف الجمهور

المطلب السادس: الإرادة هل تستلزم الرضى والمحبة: لهذه المسألة علاقة بمسألة تعليل أفعال الله ومسألة التحسين والتقيح العقليين :

تعريف الإرادة والرضى: إن الإرادة هي قرار العقل بفعل أو تصرف ما، بقطع النظر عن كونه مرغوباً أو غير مرغوب إلى نفس المرید فهي قرار مصلحي تدعوا إليه الحكمة، أما الرضا فهو حبالي شيء والرغبة فيه وقد يصاحبه حال من السرور والفرحة، وقد يجتمعان في مطلوب واحد وقد ينفك كل منهما عن الآخر فتتفرد الحكمة عن الرضى.³

وقد بين الشيخ الجاهلي أن بينهما عموم وخصوص فالإرادة أعم فهي منفكة عما إذا تعلقت بما يتبعه تبعه ومواخذة، أما الرضى أخص فهو ترك الاعتراض على الشيء لإرادة وقوعه، أما المحبة أخص منهما جميعاً فهي إرادة خاصة وهي ما لا يتبعها تبعه ومواخذة.⁴

وقد ثبتت صفة الإرادة لله عز وجل بالنصوص القاطعة مثل قوله عز وجل ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً﴾ ﴿١١﴾ الفتح: ١١

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨١﴾ يس: ٨٢

أدلتها والفرق بين الكلمتين

¹ - القواعد الكلامية ص 110

² - المرجع نفسه، ص 109.

³ - محمد سعيد رمضان البوطي، الإنسان مسير أم مخير ص 75-76 بتصرف.

⁴ الجاهلي، القواعد الكلامية، ص 103.

كما ثبتت صفة الرضا له عز وجل بمثل ذلك من الآيات ذات الدلالة القاطعة من مثل قوله عز وجل ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر: 08 ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة: ٨

﴿يَحْلِبُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة: ٩٦

وقد نبه الشيخ البوطي عن الفارق بين الكلمتين فالآيات التي أثبتت الإرادة لله تعالى أوضحت تعلق إرادته عز وجل بكل ما يجري في الكون وما يفعله الناس من خير أو شر، في حين أن الآيات التي أثبتت صفة الرضى له سبحانه وتعالى أوضحت تعلق رضاه ببعض الأمر دون البعض الآخر.¹

موقف الشيخ المجاوي من التلازم بين الأمر والرضى والمحبة وردوده على المعتزلة

يرى الشيخ المجاوي أن فعل العبد وإن كان كسبا فهو واقع بمشيئة الله وإرادته فهو تعالى مريدا لما نسميه شرا من كفر وغيره كما هو مريد للخير من إيمان وغيره ولو لم يردده لم يقع وسائر المعاصي والقبائح واقعه بإرادة العبد على خلاف إرادة الله تعالى.²

وعليه فلا تلازم بين الأمر والرضا والمحبة حسب رأي الشيخ المجاوي أي أن الله تعالى يريد المعاصي أي أنه يريد المعاصي لن لا يرضى بها ولا يحبها.

ثم يرد على المعتزلة الذين أقروا التلازم بين الإرادة والرضا والمحبة وتمسكوا بظاهر بعض النصوص مثل قوله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ غافر الآية 31 وقوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الزمر: ٧ وقوله ﴿فَلِإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْبَحْشَاءِ﴾ الأعراف 28 وقوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْبَغْسَادَ﴾ البقرة الآية 203 .

¹ - الشيخ البوطي، (مرجع السابق) ص 77.

² - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 101.

وقوله ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر: ٧

ففي قوله تعالى (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) وما بمعناه هو أنه سبحانه نفى إرادة ظلم العباد أنفسهم فليس المنفي في الآية إرادة ظلم بعضهم بعضا فإنه كائن ومراد، وأما الجواب عن تمسكهم بقوله تعالى (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وقوله أيضا (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقِبْسَادَ) فهو أنه لا تلازم بين الرضى والمحبة وبين الإرادة كما ادعاه القوم إذ قد يريد الواحد منا ما يكرهه ألا ترى أن المريض يريد تعاطي الدواء وهو يكره تعاطيه لبشاعة طعمه أو مرارته

والجواب عن تمسكهم بقوله تعالى (فَلِإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْبَحْشَاءِ) فهو إنه لا تلازم بين الأمر والإرادة إذ قد يأمر الأمر بما لا يريد كالمعتذر لمن يلومه في ضرب عبده لمخالفة أمره فيأمره بحضرة من لومه ولا يريد المأمور به ليظهر صدقه لمن لومه فقد تحقق انفكاك الأمر عن الإرادة فالمعاصي واقعة بإرادته تعالى لا بأمره ورضاه ومحبته.¹

كما تمسك المعتزلة ببعض الأدلة العقلية لإرادة القبيح قبيحة وإرادة الظلم من العبد وعقابه عليه ظلم والظلم عليه تعالى محال وتعذيب المملوك ذي الإحسان على ما أحسن به من فعله مراد سيده ظلم. وقد رد الشيخ المجاوي ادعاءهم فالقبيح لا ينسب إلى الله عز وجل لأنه ليس من كسبه، والظلم يعتبر إذا كان من غير اختيار أما إذا كان بالاختيار فلا يعتبر ظلما بل هو عدل وحق، وتعذيب المملوك ذي الإحسان وإن كان جائز عقلا فهو غير واقع شرعا.²

ومعظم الأدلة العقلية التي تمسك بها المعتزلة مبنية على التحسين والتقبيح العقليين وهو أمر لا يعول عليه خاصة في ما تعلق بالأحكام الشرعية وهو جوهر الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة، صحيح يمكن للعقل أن يدرك حسن وقبح بعض الأشياء كصفات الكمال وصفات النقص وهذا مما لا نزاع فيه وتعذيب الله عباده على أفعالهم وإن كان مراد يعتبر ظلما عقلا إلا

¹ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 103.

² المرجع نفسه، ص 104.

أنه ممنوع شرعاً، فخطأ المعتزلة أنهم حكموا العقل في أمر ليس من اختصاصه، لأن ذلك يعتبر نقصاً في حقه تعالى تنزه الله عنه.¹

المبحث الثاني : مذاهب الناس في القدر وموقف علماء المسلمين من كسب الأشعري

المطلب الأول أقسام المحدثات: تنقسم المحدثات إلى قسمين : أجسام وأفعال وقد أجمعت الأمة قاطبة مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم على أن الأجسام بما فيها الإنسان والحيوان من خلقه وصنعه وتدييره فهو المتصرف فيها بالخلق والرزق والإحيا والإماتة وهذا هو عين توحيد الربوبية ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قَابَئِي يُوَفِّكُونَ﴾ الزخرف: ٨٧

وأما أفعال العباد فيقسمها الشيخ المجاوي وإلى:

- أفعال طبيعية تحصل بطبيعة الجسم لأن الله عز وجل فطره وطبعه عليه كخرق الماء عند وقوف العبد عليه وكسقوط التمر عند رميه..
 - أفعال لا إرادية لا شعورية كالنمو وهضم الغذاء...
 - أفعال لا إرادية شعورية كالصحة والمرض.
 - أفعال إرادية لكن من غير اختيار كجذب اليد عند ملامسة النار.
- فهذه الأقسام الأربعة لا تأثير فيها إلا الله².
- بقي قسم واحد من هذه الأقسام وهي الأفعال الإرادية التي تسبق بالاختيار فهذا القسم اختلف فيه فمنهم من قال بالقدرة ومنهم من قال بالجبر ومنهم من قال بالكسب وفي مايلي أهم هذه الأقسام:

المطلب الثاني مذهب الجبرية ورد الشيخ المجاوي عليهم

وزعيمه الجهم بن صفوان وذهبوا إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في أفعاله وأن المؤثر في فعله هو قدرة الله فقط فالعبد كالريشة المعلقة في الهواء تميلها الرياح يمينا وشمالا بلا قدرة أو إرادة.

¹ - نفس المرجع السابق، بتصرف.

² - الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار في ما يتعلق بالكسب والاختيار، دار زمورة للنشر والتوزيع (الجزائر) دراسة وتحقيق د/ عبد الرزاق دحمون، ط 01 2011م، ص 39.

أدلتهم: استدلال الجبرية على موقفهم هذا بعلم الله الأزلي والذي يأتي بعده الإرادة ثم يأتي بعده التقدير، بحيث يتعذر أو يستحيل تخلف مراد الله فالإنسان بذلك هو مجبور يقول الشيخ المجاوي "وذلك لأن الله تعالى علم أفعال العباد في الأزل وفصلها وقدرها وخلق قدرة العبد عليها وميله إليها واختياره إياها بحيث يستحيل تركها لأنه يجب وقوع ما أراده الله، ويتعذر تخلف مراده عن إرادته، فأنكروا عند ذلك حكمة الله في خلقه وأمره فإذا حدث الذنب من أحدهم وعوقب يقول: لا ذنب فيما فعله، وإنما الفاعل سواه والمحرك غيره"¹

منهج رد المجاوي على الجبرية: استعمال أدلة منطقية عقلية وهي:

المنع²: فالقول بالجبر نقيض عدم الكسب كما أن وجود الله يقتضي أو يستلزم إلزاما منطقيا وجود شريك لله، فللمسألة هنا رأيان إما الجبر وإما الكسب فإذا ثبت الجبر انعدم الكسب والعكس ومعظم الأدلة التي استند إليها القائلون بالجبر ضعيفة واهية...

النقض³: أي نقض وإبطال أدلة الجبرية فلو افترضنا أن الإنسان مجبر في أفعاله ولا إرادة له ولا قدرة، فهذا يقتضي بطلان الأمر والنهي والعقاب والمدح والذم...

المعارضة⁴: إثبات الكسب بالمعنى الذي سنذكره.

¹ - الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار في ما يتعلق بالكسب والاختيار، ص39.

² - المنع: طلب الدليل على إحدى مقدمات الدليل المستدل به على التصديق، إذا لم يتم صاحب التصديق على هذه المقدمة دليلا.

انظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، د.ت، ص692.

³ - النقيض: ادعاء السائل بطلب دليل المعلل مع استدلاله على دعوى البطلان إما بتخلف الدليل عن المدلول أو بسبب استلزام المحال.

نفس المرجع السابق، ص 705.

⁴ - المعارضة: إبطال السائل ما ادعاه واستدل عليه بإثباته نقيض هذا المدعى، أو ما يساوي نقيضه أو الأخص من نقيضه.

نفس المرجع السابق، ص699.

الإلزام¹: إلزامهم بالتوبة والعدول عن هذا الرأي فإن رفضوا وضجوا وصاحوا عذبوا وعوقبوا وقيل لهم إن تعذينا إياكم من الله ونحن مجبرون فإن لم تعذرونا بالقدر فكيف تحتجون به²
المطلب الثالث : مذهب القدرية ورد الشيخ المجاوي عليهم.

أدلتهم: استدلال المعتزلة على مذهبهم في القدر بأدلة عقلية مفادها :

- 1- حتى تثبت مسؤولية الإنسان تجاه أفعاله لا بد من أن تكون له حرية مطلقة فالقول بالكسب في نظرهم هو نوع من الجبر إذ كيف يمنع الله عز وجل عباده من الإيمان ثم يأمرهم به وينهاهم عن الكفر وقد حملهم عليه...
- 2- لو لم يكن العبد مستقلا في أفعاله لبطل المدح والذم والثواب والعقاب ...
- 3- لو كانت القبائح منسوبة لله يلزم نسبة القبيح لله.
- 4- إن صحة استناد بعض الأفعال إلى العبد واستحالة إسناده إليه تعالى كالسرقة والزنا أمارة على أن الفعل مخلوق للعبد.³

ورد عليهم الشيخ المجاوي أن الأفعال الصادرة من العبد والقائمة به يسند كل منهما إلى العبد كسبا، فيقال أعطى زيد ومنع وأكل وشرب وقام وإلى الله خلقا والفرق بين الكسب والخلق أن الكسب وقوع الفعل في محله بالقدرة الحادثة والخلق وقوعه بالقدرة القديمة لا في محلها، لكن ينبغي أن لا يفرد بالنسبة إليه إلا الخير فلا يقال خالق الزنا ولا يذكر الشر إلا مع الخير، فيقال خالق الزنا والعفة تأدبا مع الله عز وجل ولا يستدعي ذلك نسبة القبائح إلى الله - تعالى عن ذلك- كما زعمت المعتزلة - وإنما يجب نسبتها إليه لو كانت بكسبه فهناك صفات يصح إسنادها إلى العبد ويستحيل إسنادها إليه تعالى مثل صفات الجمادات كبياض الحجر مثلا، فهذه الصفة أعطاها الإنسان للحجر لذلك فإنها تنسب إليه ولا يقال إن الله هو خالقها.⁴

¹ - تسمى الدلالة على اللازم التزاما إن التزم ذلك اللازم في العقل، أي بأن لزم من تصور الملزوم في الذهن تصور ذلك اللازم فيه.

الأخضري، السلم المرونق، ص13.

² - الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص40.

³ - المجاوي، تحفة الأخيار، ص42.

⁴ - المصدر نفسه، ص42-43 بتصرف.

المطلب الرابع: آراء الباحثين حول موقف الإمام الأشعري في الكسب

تباينت آراء الباحثين في موقفهم من مذهب الإمام الأشعري في القدر إلى آراء أهمها

الرأي الأول: عدم تأثير القدرة المحدثة في محلها: وهو ما ذهب إليه الشيخ الأشعري في كتابه (اللمع) حيث لا يرى تأثيراً للقدرة في محلها بل القدرة والمقدور حصلاً بخلق الله تعالى¹ مما أضفى عليه نوع من الغموض الذي يكمن في صعوبة التمييز بينه وبين الجبر، فما دام فعل الإنسان بخلق الله تعالى وكذلك قدرته بخلق الله فكيف نفسر الثواب والعقاب؟ لذلك سمي الأشاعرة بالجبرية المتوسطة فلا مناسبة في ترتب الثواب والعقاب إلا في كون الإنسان محلاً ومظهراً لتلك الأفعال.

وهذا ما أيده شيخنا المجاوي إذ يقول "ذهب الشيخ الأشعري إلى أنه لا تأثير لقدرة العبد إلا في كون الفعل كسباً، إذ الفعل الذي لا يكون مقارناً لقدرته، كحركة الارتعاش لا يوصف بكونه كسباً، ولا تأثير لها بالنسبة لذات الفعل، نعم لها دخل فيه على سبيل الشرطية" فلا أثر لقدرة العبد في الفعل فالمؤثر فيها هو قدرة الله فقط، لكنها في الوقت نفسه شرط لوقوع الفعل إذ لو انعدمت لا تعدم الفعل فلا يقع بقدرة الله وحدها وفي الوقت نفسه آثار الفعل لا ترجع لله بل للعبد فتسمى كسباً للعبد وخلقاً لله".²

فالشيخ الأشعري ينفي تأثير القدرة الحادثة في الفعل في حين يشترطها لحصول الفعل إذ لا يقع الفعل بقدرة الله وحده، ثم يبين السبب الذي من أجله نفى التأثير إذ يستند إلى الدليل التالي:

لو أثرت قدرة العبد في الحدوث لأثرت في حدوث كل محدث حتى تصلح لإحداث الألوان والطعوم والروائح، وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام، فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة، غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها، أو معها

¹ انظر الأشعري (اللمع) ص 74.

² - المجاوي (مصدر سابق) ص 45.

الفعل الحاصل إذا أَرادَه العبد وتجرد له، ويسمى هذا الفعل كسبا، فيكون خلقا من الله تعالى إبداعا وإحداثا، وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته.¹

ورأي المجاوي يتفق مع رأي الشهرستاني الذي لم يثبت أثرا لتأثير القدرة في محلها عند الإمام الأشعري إذ جاء على لسانه في قوله:

" ثم على أصل أبي الحسن لا تأثير للقدرة للحادثة في الإحداث " ². وهذا رأي أتباع الأشعري من أمثال الباقلاني والجويني (في الإرشاد)

وحتى الدليل³ الذي استند إليه القائلون بتطور مفهوم الكسب أو بتأثير القدرة الحادثة فمقطوع الدلالة عن المراد حسب رأي الشيخ المجاوي لأنه نقل قول أهل الاعتزال وأبطله.

¹ الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ط 1412هـ-1992م، ص 45.

² - الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 78.

³ جاء في الإبانة ما يلي: "أما بعد: فإن كثيرا من الزائعين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين.

وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله صلى الله عليه وسلم.... زعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وردا لقول الله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) من

فأخبر تعالى أنا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله أن نشاءه.

ولقوله: (ولو شاء الله ما اقتتلوا)، ولقوله تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)، ولقوله تعالى: (فعال لما يريد) من، ولقوله تعالى مخبرا عن نبيه شعيب صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا، وسع ربنا كل شيء علما)، ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم.

وزعموا أن للخير والشر خالقين، كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله كما قالت المجوس. وأنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم من دون الله عز وجل، ردا لقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل لا أملك نفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله)، وإعراضا عن القرآن، وعمما أجمع عليه أهل الإسلام.

وزعموا أنهم منفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله عز وجل بالقدرة عليه"

أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق د. فوقية حسين محمود دار الأنصار - القاهرة ط 01، 1397 ص 17.

الرأي الثاني: تأثير القدرة الحادثة في محلها: وقد انفرد به الشيخ زاهد الكوثري الذي يرى أن مذهب الإمام الأشعري هو تأثير القدرة في محلها وهو الرأي الذي استقر عليه وقد عبر عنه المحقق الكوثري مرات عديدة في كتابه (الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار) وهذا في سياق رده عن الشيخ مصطفى صبري المنافع عن الرأي الأول فيقول مثلاً "وهذا الرأي المنسوب إلى الأشعري لكون مآله الجبر وارتفاع المسؤولية، والمحققون الذين ذكروهم هم من الماتريديين الذين يرون بطلان الرأي المنسوب إلى الأشعري، وليس هذا برأي الأشعري فلا يتحصل به كسب وإن سموه كسباً، وإنما رأيه هو ما في الإبانة وعامة كتبه من تأثير قدرة العبد في فعله بإذن الله استقلالاً وذكر صاحب (شفاء العليل) أن الأشعري قال في عامة كتبه: معنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب كما في (اللمعة) وارتفاع المسؤولية عن المكروه هما مقتضى السنة وارتفاع التكليف عن لا يطبق مقتضى الكتاب فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!¹

ويقول أيضاً: " وقد عول ابن عساكر على أن مذهبه هو ما في (الإبانة) من تأثير قدرة العبد على فعله بإذن الله وعليه جرى إمام الحرمين وهو التحقيق عندهم كما في (اللمعة) و (الأجوبة العراقية) وأما مذهب إمام الحرمين في آخر أمره فهو تأثير قدرة العبد على فعله بإذن الله وعد كثير من المحققين هذا تحقيق مذهب الأشعري أيضاً كما كما في (اللمعة) وكون هذا هو التحقيق من مذهب الأشعري موافق لما هو المصرح به في عامة كتبه خصوصاً (الإبانة) على ما ذكره ابن القيم في (شفاء العليل) والكوراني في (قصد السبيل) وقد ناصر هذا الرأي الألوسي في (الأجوبة العراقية) بل ألف العلامة أحمد بن محمد المقدسي الدجاني كتاباً في مناصرته وسماه (الانتصار لإمام الحرمين في ما شنع به عليه بعض النظار)

¹ زاهد الكوثري، الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار، (المطبعة الأزهرية للتراث) ص15.

وقد رد الألوسي على أبي القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين وعلى السنوسي اعتراضهما عليه ببسط في الأجوبة العراقية، فكان الأجدد بالأستاذ المدعي للانتماء إلى الأشعري أن لا يتحمل على إمام الحرمين في المسألة بدون حجة ناهضة.¹

فالمحقق الكوثري يقر بتأثير القدرة في محلها عند الأشعري ويرى أن هذا مذهب العديد من المحققين من أمثال الألوسي في (الأجوبة العراقية) ابن القيم في (شفاء العليل) والكوراني في (قصد السبيل) مخالفاً بذلك رأي رأي الشيخ المجاوي الذي لا يرى تأثيراً للقدرة الحادثة. واستشهد ببعض المحققين الذين استشهد بهم الكوثري في معرض حديثه عن تأثير القدرة في مقدورها، والرأي الذي نميل إليه ونراه عين الصواب هو رأي الشيخ المجاوي.

صحيح إنه وردت للإمام الأشعري نصوص تدل في ظاهرها على تأثير القدرة الحادثة في مفعولها لكن في الأصل تدل على العكس وهو عدم التأثير، لأن الإمام الأشعري لم يحمل الباء في قوله (يكون الفعل بقدرة محدثة) على السببية وإنما على المصاحبة وهو مذهب الكثير من المحققين من بينهم الكوراني وابن القيم واللذان استشهد بهما المحقق الكوثري في معرض حديثه عن تأثير القدرة في محلها عند الكوثري. لكن الشيخ المجاوي يخلفه ويثبت لابن القيم وإبراهيم الكوراني والقوشجي نصوصاً تبين أن لا تأثير للقدرة في محلها وفي ما يلي أهمها:

- ابن القيم : ذكر عنه الشيخ المجاوي قوله : " قال الأشعري والباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة كون الفعل كسباً، دون كونه موجوداً أو محدثاً، فكونه كسباً وصف للموجود بمثابة كونه معلوماً"²

ثم يعقب عنه الشيخ المجاوي بقوله : فهذا نص على أنه لا أثر عنده للقدرة الحادثة في مقدورها، كما أنه لا أثر للعلم في معلومها، إنما أثرها في وصف المقدور بكونه كسباً إذ لو تكن القدرة الحادثة كما في حركة المرتعش، لم يوصف الفعل بكونه كسباً، إذ الكسب يقارنه الفعل في القدرة، فهذا الكلام من الأشعري يحمل (الباء) في قوله المذكور في عامة كتبه (الكسب)

¹ زاهد الكوثري، الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار، (المطبعة الأزهرية للتراث) ص15، ص27-28.

² ابن القيم، شفاء العليل، ص122.

وقوع الفعل بقدرة حادثة على المصاحبة، لا على السببية، ولو لم يحمل إلا على السببية يكون هذا بيانا لرجوعه عنه أي عن قوله المذكور في عامة كتبه، الشيخ الكوراني عن ابن القيم أنه ذكر في كتابه (شفاء العليل) الذي استقر عليه رأي الأشعري أن القدرة الحادثة لا تأثير لها¹.

ومما يدل على ذلك أيضا إنكار ابن القيم على الأشعري رأيه هذا حيث قال " اضطربت آراء الأشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا... إلى أن قال : قلت : الذي قاله الإمام في (النظامية) أقرب إلى الحق مما قاله الأشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما."²

وحسب رأي الشيخ الجاوي أن ابن القيم لم ينكر على الأشعري إلا لما رأى أن كلامه هذا محتمل، وأن كلامه المقطوع الدلالة، دال على عدم تأثير القدرة الحادثة في أصل الفعل، لا بالاستقلال كما قال أهل الاعتزال ولا بدونه كما قال الإمام ولو لم يكن كلامه مقطوعا به لما صاغ له هذا التشنيع³.

-**ابراهيم الكوراني**⁴: أيد رأي ابن القيم السالف مما يضيف عليه مزيدا من القوة حسب رأي الجاوي الذي يقول " ولا يمكن أن يجعل من هذا القول قولاً أولاً مرجوحاً عنه لما نقله الشيخ الكوراني عن ابن القيم أنه ذكر في كتابه (شفاء العليل) الذي استقر عليه رأي الأشعري أن القدرة الحادثة لا تأثير لها⁵.

-**القوشجي**⁶: جاء عنه في شرح التجريد أن الكسب عند الأشعري يقارنه الفعل بقدرته الحادثة من غير أن يكون لها تأثير فيه⁷.

¹ الشيخ الجاوي، تحفة الأخيار، ص 47.

² ابن القيم، نفس المرجع والصفحة.

³ الجاوي، تحفة الأخيار، ص 49.

⁴ ابراهيم بن الحسن بن شهاب الدين الكوراني الشافعي (ت 1101 خ-1690م) انظر الأعلام للزركلي 166/1

⁵ ابن القيم، شفاء العليل، 122-123-141

⁶ فلكي ورياضي وفقه حنفي أصله من سمرقند (ت 879هـ 1474م).

الأعلام للزركلي، ج 05، ص 09

⁷ الشيخ الجاوي (مرجع سابق) ص 48.

الرأي الثالث: تطور موقف الإمام الأشعري من الرأي الأول إلى الثاني (الأستاذ العمري

مرزوق) يرى بعض الباحثين أن مفهوم الكسب ولم يبق بالحالة التي ظهر عليها وممن ذهب إلى ذلك الأستاذ الباحث العمري مرزوق في كتابه (نظرية الكسب عند الأشاعرة) حيث يرى أن مفهوم الكسب في هذه المرحلة أصبح خلاف ما كان عليه في بداية نشأة هذه النظرية إذ أصبح القائلون بالكسب يعتقدون بتأثير القدرة الحادثة في مقدورها ولا يعني أن الفهم السابق قد ألغى بل صحح¹ مستدلاً بقول الأشعري " فإن قال : فهل اكتسب الإنسان الشيء على حقيقته كفرًا باطلاً وإيماناً حسناً ؟ قيل له هذا خطأ، وإنما معنى " اكتسب الكفر " أنه كفر بقوة محدثة، وكذلك قولنا " اكتسب الإيمان " معناه أنه إيمان بقوة محدثة"²

فهذا هو الدليل الذي استند إليه الباحث في قوله بتغير مفهوم الكسب عند الأشعري وإن كان هذا الأخير قد عقب عن ذلك واعتبر بأن هذا الاكتساب لا يكون على الحقيقة، لأن الفاعل على الحقيقة هو الله، لكن الباحث أصر على رأيه في تغير مفهوم الكسب عند الأشعري مستدلاً بعدم وجود دليل ينفي التأثير الكلي للقدرة الحادثة.³

المطلب الخامس : تحقيق مذهب الأشعري

إن الرأي الذي نميل ونراه صواباً من وجهة نظرنا هو الرأي الأول، ومن الردود التي يمكن أن توجه للقائلين بتطور نظرية الكسب وتغير موقف الإمام الأشعري هو كيفية تفسير تلك الحملة اللادعة من الانتقادات التي طالته⁴ من الأتباع وليس من الخصوم، فهذا الإمام الجويني يقول: " أن قائلًا لو قال العبد مكتسب وأثر قدرته الاكتساب، والرب تبارك وتعالى مخترع وخالق لما

¹ - د/العمري مرزوق نظرية الكسب عند الأشاعرة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة العربية، ط01، 2011م ص97.

² الأشعري، اللمع، ص47.

³ - د/العمري مرزوق(المرجع السابق) ص97.

⁴ - انظر:المرجع السابق ص252 وما بعدها .

العبد مكتسب، قيل له فما الكسب؟ وما معناه؟ وأديرت هذه الأقسام المقدرة على هذا القائل فلا يجد عنها مهريا".¹

فإذا لم يكن للقدرة الحادثة تأثير في محلها فأين كسب الإنسان؟ وعن أي شيء يحاسب؟ ومن المعلوم أن الإمام الجويني كان من الموالين للإمام الأشعري في نظريته للكسب وهذا في كتابه (الإرشاد) ثم عدل عن ذلك في (العقيدة النظامية) فلماذا لم تطله هذه الانتقادات مثل ما طالت الإمام الأشعري، فهذا هو التحقيق في نظرة الإمام الأشعري للكسب، وفي نظرنا إن هذا الرأي محترما لقي قبولاً عند عدد ليس بالقليل من العلماء بل وحتى الهيئات الرسمية والجامعات العريقة كالقرويين فقد جاء في أرجوزة عن جامع القرويين للحاج أحمد ابن شقرون قوله:

للأشعري مذهب سديد مفضل عندهم محمود
حل به مشكل أفعال العباد على طريق الكسب في كل مراد
إذ وحدة الله بذات وصفات وفي الفعال ثبتت أي ثبات
وليس للمخلوق في الأفعال سوى اقتران قدرة الفعال
لأنه الفاعل لا سواه وللعبد الكسب لا سواه
وذاك كاف في ترتب الثواب وفي ترتب قوارع العقاب
فلذ به تنج من الخصام وكثرة الفارغ من كلام
فالجبر والقدرة والتأثير مدخولة وشأنها خطير

يبين صاحب هذه الأبيات أن للإمام الأشعري رأي صائب في مسألة أفعال العباد حل به مشكلة أفعال العباد وفحواه مقارنة القدرة الحادثة للفعل وهذا كاف في ترتب الثواب والعقاب،

¹ - الجويني (العقيدة النظامية) ص 11.

واختار علماء القرويين هذا الرأي واعتمدوا عليه في عقيدتهم ، أما القول بتأثير القدرة الحادثة فهو رأي دخيل لا أصل له.¹

وهو المذهب هو الذي تبناه علماء الجزائر منهم عبد الرحمن الديسي الذي يقول:

والجائز الفعل على الإسجال فاقطع به نياط الاعتزال

واقسم به ظهور أهل الفلسفة الخابطين في ظلال وسفه

وتستحيل ضدها عليه سبحان من مصيرنا إليه

يحمل الديسي الجائز والمستحيل من الأفعال وبين بأنها جائزة على السجال أي على الإطلاق، والفعل هو ما يصدر عن الفاعل فيشتمل أفعال الله تعالى الخاصة به كالخلق والرزق، وأفعال العباد التي لهم بها اختيار سواء كانت توصف بالقبح أو الظلم والشر والكفر أو بالعدل والإحسان والخير والإيمان، فنسبة الأفعال إلى العباد صحيحة لغة وشرعا من حيث الكسب لا الإيجاد الحقيقي.

بمعنى أن أفعال الإنسان خلقها الله وما للإنسان إلا مكتسبا لها فهو ليس مخترعا لأفعاله وإنما الفاعل الحقيقي هو الله.²

وهو رأي البيجوري في جوهره التوحيد.الذي يقول " فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور باطنا مختار ظاهرا فالعبد في نظره مجبور في صورة مختار"³

وهو رأي الإمام السنوسي إذ جاء في كتابه المنهج السديد "واعلم أن الكسب الذي أثبتته أهل السنة للعبد المختار ونطق به القرءان عن تعلق القدرة الحادثة بالفعل في محلها من غير تأثير..... وهذا رد على المعتزلة القائلين بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال الموجدة معها، إما مباشرة أو تولدا، وذلك معنى الكسب عندهم، وهذا الكسب الذي قال به أهل السنة رضي الله تعالى

¹ الحاج أحمد ابن شقرون، أرجوزة من نحر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، طبع بأمر من الملك الحسن الثاني، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1414هـ-1994م، ص23.

² تأويل المسائل الكلامية عند الديسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع فلسفة التأويل، إعداد الطالبة، هالة بقاش، إشراف د بهادي منير 2011-2012م ص42.

³ البيجوري، حاشية على جوهره التوحيد، ص 177.

عنهم هو درجة وسطى بين مذهب الجبرية والقدرية، وكثيرا ما يتوهم من لا علم عنده أن معنى الكسب كون القدرة الحادثة لها تأثير ما، وهو تفسير فاسد، متفرع على مذهب القدرية (مجوس هذه الأمة)¹

وتم يضيف "فإن التأثير الذي يفسر به الجاهل معنى الكسب إن أراد به أن القدرة الحادثة تؤثر في حال الفعل، كما يحكيه بعضهم عن القاضي والأستاذ فلا خفاء في فساد ذلك القول، وإنكار نسبه لهذين الإمامين على الوجه الذي يفهمه ذلك الجاهل، وقد قال الشريف شارح الأسرار العقلية ما نسب للقاضي والأستاذ في هذه المسألة إنما صدر منهما على وجه المناظرة والإلزام للخصوم، وإلا فحاشا للقاضي والأستاذ أن يعتقد أثرا لغير القدرة القديمة، كيف وقد نقل القاضي الإجماع في مواضع من كتبه على كفر من نسب الاختراع لغير الله تعالى².

واختاره أيضا العلامة عبد الرحمن الثعالبي إذ جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان الآية 30، نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في نفوسهم، ولا يَزُدُّ هذا وجود ما لهم من الاكتساب.³

لكن وبالرغم من القبول الذي لقيه عند علماء المسلمين يبقى في حاجة إلى صقل أو تهذيب حتى يتوافق مع مقتضيات العقل ويزول عنه اللبس والخفاء فلا إفراط ولا تفريط ويبقى الحل الوسطي هو الراجح وهو الذي اهتدى إليه جلال موسى الذي يقول:

"ويبقى رأي الأشعري في حاجة أدلة أخرى لتقوى وتصمد أمام التيارات المختلفة والاعتراضات التي يمكن أن توجه إليها، وإنما يكفي الأشعري فخرا أنه اهتدى إلى هذا الحل الذي ينفي الغرور عن العبد بوصفه خالقا لأفعاله حرا في اختياره، فهو حل وسط يبعث على التواضع من العبد ويصحح مسؤوليته عن فعله ويشعره بحاجته المستمرة إلى التفكير في خالقه تفكيرا متجددا تحكمه الحاجة والضرورة كلما أراد فعلا، وسنرى أن من تلامذة الأشعري من

¹ السنوسي، المنهج السديد، ص 258.

² المرجع نفسه، ص 258-259.

³ عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن تحقيق، الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت (ص 535).

قام بصوغ نظريته في الكسب صوغاً آخر يتفق ومقتضيات المذهب، لكن من الخطأ الجسيم الذي يقع فيه الكثيرون ممن يتابعون أعداء الأشعري في تشويه أفكاره القول بأن نظريته في الكسب مما يستهان به أو من الأمور التي تبعث على الرثاء وأنها لا تقوم على أساس ففي رأيه خطأ يحتاج إلى تصحيح وسيكون هذا التصحيح من تلاميذه¹.

المبحث الثالث: تحقيق مفهوم الكسب عند الشيخ المجاوي

المطلب الأول: تطور مفهوم الأشعري في الكسب (عند تلامذته):

لم يبق مفهوم الكسب بالمفهوم الذي ظهر عليه عند الأشعري بل تطور عند تلامذة الأشعري ومر بمراحل إلى أن وصل إلى ذروته مع الإمام الجويني وأهم الأسماء التي أشار إليها الشيخ المجاوي هي :

الباقلائي: حاول أن يضيفي بعض الليونة على منهج شيخه أبو الحسن فأثبت للقدرة تأثيراً معنوياً على وجه مخصوص وهو ما عرف عند المتكلمين بكونه حسناً أو قبيحاً أو بالمصطلحات الشرعية طاعة أو معصية².

يقول الشهرستاني " ولم يثبت شيخنا أبو الحسن رحمه الله للقدرة الحادثة صلاحية أصلاً لا لجهة الوجود ولا لصفة من صفات الوجود فلم يلزمه التعميم والتخصيص، وأما القاضي أبو بكر الباقلائي فقد أثبت لها أثراً كما سندكره ولكنه يرى جهة الوجود عن التأثير فيه فلم يلزمه التعميم. " ³

ثم يقدم الباقلائي الأدلة التي تثبت تأثير القدرة في كون الفعل كسباً وطاعة ومعصية " الإنسان يحس من نفسه تفرقة ضرورية بين حركتي الضرورية والاختيارية كحركة المرتعش وحركة المختار، والتفرقة لم ترجع إلى نفس الحركتين من حيث الحركة لأنهما حركتان متمثلتان بل إلى كونها حركة وهو كون إحداهما مقدوره مرادة وكون الثانية غير مقدوره وغير مراده، ثم لم يخل

¹ جلال موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص 242.

² - المجاوي، مرجع سابق، ص 15.

³ - الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 72.

الأمر من حالين: إما أن يقال تعلقت القدرة بأحدهما تعلق العلم من غير تأثيراً أصلاً فيؤدي ذلك إلى نفي التفرقة فإن نفي التأثير كنفى التعلق في ما يرجع إلى ذاتي الحركتين والإنسان لا يجد التفرقة فيهما وبينهما إلا في أمر زائد على وجودهما وأحوال وجودهما، وإما أن يقال تعلقت القدرة بأحدهما تعلق تأثير لم يخل الحال من أحد أمرين:

إما أن يرجع التأثير إلى الوجود والحدوث، وإما أن يرجع إلى صفة من صفات الوجود، والأول باطل بما ذكرناه، لأنه لو أثر في وجود لأثر في كل وجود، فتعين أنه يرجع التأثير إلى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود"¹

فالإنسان يفرق بين الحركات الضرورية غير المقدوره وليست مراده كحركة المرتعش والحركات الاختيارية المقدوره المراده كحركة المختار ومجرد التفريق بينهما فيه دلالة على أنه للإنسان كسب..... وهذا لا يخلو من أمرين إما أن يكون هذا التأثير ذاتاً أو صفة والتأثير الأول باطل لأنه لو استطاع الإنسان أن يؤثر بقدرته تأثيراً وجودياً ذاتياً لاستطاع أن يخلق من عدم وهو باطل.²

ثم يوضح الشهرستاني كيف تصبح هذه الصفة محلاً للثواب والعقاب فيقول " فتضاف تلك الحالة إلى العبد كسباً وفعلاً ويشترك له منها اسماً خاص مثل قام وقعد وكتب ثم إذا اتصل به أمر ووقع على وفق الأمر سمي عبادة وطاعة فإذا اتصل به نهي ووقع على خلاف الأمر سمي جريمة ومعصية ويكون ذلك الوجه هو المكلف به وهو المقابل بالثواب أو العقاب"³

فكل فعل يحدث بالاختيار مثل القيام والقعود والمشي والكلام ينسب للإنسان كسباً والله خلقاً، ومن المعلوم أن جميع أفعال الإنسان لا بد وأن يتعلق به حكم شرعي فإذا أتى الفعل موافقاً للأمر سمي طاعة واستحق صاحبه الثواب وإذا كان الأمر على خلاف ذلك سمي

¹ - المرجع نفسه، ص 72.

² - نفسه.

³ - الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 72.

معصية واستحق صاحبه العقاب، فالكسب في نظر الإمام الباقر لا ينصب إلى ذات الفعل بل إلى ما يترتب عنه من ثواب وعقاب.

إمام الحرمين الجويني : لإمام الحرمين ثلاثة أقوال في الكسب وهي :

القول المشهور: وهي أن القدرة الحادثة مؤثرة بالإيجاب من غير استقلال إذ جاء في شرح المقاصد:

ثم المشهور فيما بين القوم والمذكور في كتبهم أن مذهب إمام الحرمين، أن فعل العبد واقع بقدرته وإرادته إيجابا كما هو رأي الحكماء

وحاصل ما في الإرشاد : أن الخالق هو الله وأن الحوادث تحدث بقدرته¹، فقد جاء فيه قوله: " فالوجه القطع بأن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلا، وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها، إذ العلم معقول تعلقه بالمعلوم مع أنه لا يؤثر فيه وكذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لا تؤثر في مؤثرها"².

وجاء في لمع الأدلة : الرب سبحانه متفرد بخلق المخلوقات فلا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فالله تعالى محدثه والدليل على تفرد تعالى بالخلق قوله تعالى ﴿أَقِمْنَ يَخْلُقْ كَمَسَ لَا يَخْلُقُ أَقْبَلًا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل آية 17... ووجه الاستدلال بالآية أن الله تعالى تمدح بالخلق وأثنى على نفسه بذلك ولو شاركه فيه لبطل التمدح³.

وكذلك قوله ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَبَاغِبْدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام الآية 103

﴿فَلِإِنَّ اللَّهَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْفَهْرُ﴾ الرعد الآية 17

¹ الإمام الجويني، الإرشاد، ص 109.

² المرجع نفسه، ص 110.

³ الإمام الجويني، لمع الأدلة، ص 120.

ثم الدليل من حيث العقل على أن الرب تعالى منفرد بالإيجاد والاختراع أن الأفعال دالة على علم فاعلها والأفعال الصادرة من العباد لا يحيطون بمعظم صفاتها ولو كانوا خالقين لها لكانوا محيطين بجمل صفاتها¹.

وحاصل ما في النظامية أنها تؤثر بالاختيار من غير استقلال .

ثم يبين موقفه من الجواب الذي اعتاده الأشاعرة الذين عندما يسألون عن كيفية تعلق الثواب والعقاب بالإنسان بالرغم من أنه ليس لقدرته تأثير فيتحججون بقدره الله المطلقة وهذا الجواب في نظره كلمة حق أريد بها باطل فيقول:

(.....) فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا لأثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا وإذا طوب بمتعلق طلب الله الفعل تحريما وفرضا، ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال: لله أن يفعل ما يشاء، ولا يتعرض لاعتراض علتة المتعرضون لا يسأل عما يفعل ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ الأنبياء الآية 23، فقيل له ليس لما جيئت به من حاصل كلمة حق أريد بها باطل، نعم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقض الصدق وقد فهمنا بطرقات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته - طالب عباده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم إلا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع .

ومن زعم أنه لا أثر للقدره الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبه العبد كوجه مطالبته بأن يثبت في نفسه ألوانا وإدراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال إلى التزام الباطل والمحال، وفيه إبطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون - عليهم الصلاة والسلام -

فإذن لزم المصير إلى القول بأن القدره الحادثة تؤثر في مقدورها، واستحال بطلان القول بأن العبد خالق أعماله، فإن فيه الخروج عما درج عليه سلف الأمة واقتحام ورطات الضلال.

ولا سبيل إلى المصير إلى وقوع فعل العبد بقدرته الحادثة والقدره القديمة، فإن الفعل الواحد يستحيل حدوته بقادريين إذ الواحد لا ينقسم فإذا وقع بقدره الله استقل بها وسقط أثر القدره الحادثة وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها إلا مرشد موفق إذ المرء بين أن يدعي الاستناد وبين أن

¹ المرجع نفسه ، ص 121 .

يخرج نفسه عن أن يكون مطالباً بالشرائع، وفيه إبطال دعوى المرسلين -عليهم الصلاة والسلام - وبين أن يثبت نفسه شريكاً لله في إيجاد الفعل الواحد، وهذه الأقسام بجملتها باطلة، ولا ينجي من هذا الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى

فنقول قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع، والفعل المقدر بالقدرة الحادثة واقع بها قطعاً، ولكنه يضاف إلى الله خلقاً وتقديراً، فإنه وقع بفعل الله، وهي القدرة الحادثة، وليست القدرة فعلاً للعبد، وإنما هي صفته، وهي ملك لله وخلق له، فإذا كان موضع الفعل خلقاً لله فالواقع مضاف إلى الله خلقاً وتقديراً، وقد ملك الله العبد اختياراً يصرف به القدرة الحادثة، فإذا أوقع بالقدرة شيئاً آلا الواقع إلى خلق الله، من حيث أنه وقع بفعل الله، ولو اهتدت الفرقة الضالة إلى هذا لم يكن بيننا ولا بينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا.....¹

وأشار الشيخ إلى تحقق المنافاة بين ما في (الإرشاد) وبين ما في (النظامية) - إلى قوله - إن ما في (النظامية) قوله الأخير حيث قال: "والحق ما ذكره الإمام في (النظامية) التي ألفها بعد (الإرشاد) ويمكن التوفيق بينهما بجعل القدرة المذكورة في مقابلة المشهورة عبارة عن القدرة المستجمعة لشرائط التأثير، فإن مقدورها لا يتخلف عنها، ولا يمكن تعلقها بالضدين، وجعل القدرة المذكورة في النظامية عبارة عن القوة العقلية التي يمكن تعلقها بالضدين ويتخلف مقدورها عنها، وإلا لزم اجتماع الضدين".²

القول الثالث: للأستاذ³

ذهب إلى أن قدرة العبد شطر من المؤثر ففعله واقع بمجموع القدرتين على أن يتعلق المجموع بالفعل نفسه ويؤثر في ذاته، قال العلامة عبد الحكيم في حاشيته على الخيالي وإنما هو بمعنى قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير فإذا انضمت إليها قدرة الله صارت مستقلة بتوسط هذه الإعانة وهذا قريب من الحق وإن اشتهر في الكتب الكلامية أنه جعل كل منهما مؤثر تاماً، وتجويز

¹ الجويني، العقيدة النظامية، ص 45.

² الشيخ الجاوي، تحفة الأخيار، ص 64.

³ الإسفراييني الشافعي (ت 418هـ) انظر طبقات الشافعية 4/256.

اجتماع مؤثرين على أثر واحد باطل بخلاف ما ذكرنا فإنه دخول مقذور تحت قدرتين إحداهما قدرة الاختراع والأخرى قدرة الاكتساب فإنه جائز وإنما المحال اجتماع مؤثرين مستقلين على أثر واحد¹

وقد أشار أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت 606هـ): إلى هذا الترتيب في تفسيره لقوله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة البقرة آية 141، في المسألة الخامسة: «الآية دالة على أن العبد مكتسب، وقد اختلف أهل السنة والمعتزلة في تفسير الكسب، أما أهل السنة فقد اتفقوا على أنه ليس معنى كون العبد مكتسباً دخول شيء من الأعراض بقدرته من العدم إلى الوجود، ثم بعد اتفاقهم على هذا الأصل ذكروا لهذا الكسب ثلاث تفسيرات، أحدها: وهو قول الأشعري رضي الله عنه، أن القدرة صفة متعلقة بالمقدور من غير تأثير القدرة في المقدور، بل القدرة والمقدور حصلاً بخلق الله تعالى، كما أن العلم والمعلوم حصلاً بخلق الله تعالى، لكن الشيء الذي حصل بخلق الله تعالى وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب.

وثانيها: أن ذات الفعل توجد بقدرة الله تعالى، ثم يحصل لذلك الفعل وصف كونه طاعة أو معصية، وهذه الصفة حاصلة بالقدرة الحادثة، وهو قول أبي بكر الباقلاني.

وثالثها: أن القدرة الحادثة والقدرة القديمة إذا تعلقتا بمقدور واحد وقع المقدور بهما، وكأنه فعل العبد وقع بإعانة الله، فهذا هو الكسب، وهذا يعزى إلى أبي إسحاق الإسفراييني، لأنه يروى عنه أنه قال الكسب هو الفعل الواقع بالمعين.

أما القائلون بأن القدرة الحادثة مؤثرة، فهم فريقان:

الأول: الذين يقولون بأن القدرة مع الداعي توجب الفعل، فالله تعالى هو الخالق للكل، بمعنى أنه سبحانه وتعالى هو الذي وضع الأسباب المؤدية إلى دخول هذه الأفعال في الوجود،

¹ سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد ص 224، ص 50.

والعبد هو المكتسب، بمعنى أن المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به، وهذا مذهب إمام الحرمين رحمه الله تعالى اختاره في الكتاب الذي سماه بالنظامية.

الفريق الثاني: من المعتزلة وهم الذين يقولون القدرة مع الداعي لا توجب الفعل، بل العبد قادر على الفعل والترك، متمكن منهما، إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهذا الفعل هو الكسب¹.

وقد أشار إلى ذلك أيضا السيد محمد البرزنجي² " المشهور عند الأشاعرة عدم تأثير الأسباب في مسبباتها والتحقيق عندهم هو أن للأشياء أسبابا تؤثر فيها بإذن الله تعالى " واختاره أيضا العلامة الكوراني فقال " إن ما يفعله العباد هو ما يفعله الله بهم، وأن أعمالهم مخلوقة لله لا يقدر في كلية (لا خالق إلا الله) لأن القدرة واحة بالذات، كما يقتضيه توحيد الصفات، متعددة بالنسب والاعتبارات بحسب الظواهر والتعينات فلا تعارض بين الآية المفيدة صدور الأفعال من العباد وبين الآيات الناطقة بأنها من خلق الله³

المطلب الثالث : شروط تفسير الكسب عند الشيخ المجاوي: اعترف الشيخ المجاوي بأن مسألة الكسب لم تخل من غموض بل هي من معضلات المشكلات التي حارت فيها أفكار المتقدمين وتباينت آراؤهم فيها ما بين مائل إلى ما يقرب من الجبر، ومائل إلى ما يقرب من القدر وأهل السنة وسط بين هذا وذاك "ذهب كثير من المحققين منهم إلى أن العبد ليس بمطلق ولا بوثق، وأن الله تعالى خلق للعبد قوة بها صح تكليفه، وأنها تؤثر فيما تعلق به مشيئته من أفعاله الاختيارية بعون الله إذا شاء لا مستقلا، وأن الله تعالى خلق أفعال العباد بالعباد مراعاة للحكمة، وأن العباد كاسبون لها بإذن الله لا باستقلال، وأن قدرة العبد مؤثرة في نفس الفعل تأثيرا عاديا بإذن الله تعالى " ⁴.

¹ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية-بيروت- 1421هـ - 2000 م الطبعة: الأولى ج4 ص 71- 72.

² هو محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسيني البرزنجي فقيه شافعي له (أثمار السلسيل في شرح أنوار التنزيل للبيضاوي) (ت 1103هـ-1691م) انظر الأعلام للزركلي 203/06.

³ الشيخ المجاوي ، تحفة الأخيار، 54

⁴ الشيخ المجاوي ، تحفة الأخيار ، ص50.

فإن الله تعالى خلق الأسباب وربطها بمسبباتها والحصول على الأشياء يقتضي إلتزام مسبباتها وهذا لحكمة لا حاجة فالله تعالى غني عن العالمين كامل في ذاته وصفاته، فهو تعالى بحكمته ينبت النبات بالماء وينزل الماء بالسحاب، ويثير السحاب بالريح مع قدرته على ذلك ابتداء من غير ربط الأسباب بمسبباتها والشيء الذي وجد بسبب قد ينسب إلى الله الخالق مثل يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿٨﴾ فاطر الآية 08 مع أن المتسبب في الهداية هو الإنسان فهو الذي يطلب أسبابها وقوله ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٢﴾ الليل الآية 03 والمتسبب في ذلك أيضا هو الإنسان.

وقد ينسب للإنسان مثل قوله تعالى ﴿عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٩﴾ الشورى الآية 49 وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم " ¹ مع المعروف أن الهداية بيد الله تعالى ².

فتأثير قدرة الله تعالى في مقدرها تختلف اختلافا جذريا عن تأثير القوى والطباع الموجودة في المخلوقات فهذه الأخيرة لها تأثير تاما بالنسبة إلى ما هي أسباب له فالعلاقة بين السبب والمسبب علاقة وجوب، أما القدرة التي خلقها الله في العبد فلها تأثير عادي بالنسبة لمسبباتها مثل سبب الأكل لحصول الشبع، وإنما المؤثر حقيقة هو قدرة الله تعالى إذ القدرة الحادثة التي وجدت بها الأفعال إنما هي من خلقه تعالى، فالكسب على هذا القول يحصل للعبد بقدرته المؤثرة بإذن الله ما تعلق به مشيئته التابعة في التعلق به لمشيئته الله ³.

ثم يستشهد بقول البيضاوي في شرحه لقوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ البقرة الآية 22 " خروج الثمار

¹ أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رقم (2406) ص 940.

² الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص 50.

³ الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص 50-51.

بقدرته ومشيتته، لكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في إخراجها ومادة لها، كالنطفة للحيوان، بأن أجرى عاداته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما، وأودع في الماء قوة فاعلة، وفي الأرض قوة قابلة، يتولد من اجتماعها أنواع الثمار، وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد، كما أبدع نفوس المواد والأسباب، ولكن في إنشائها مدرجة من حال إلى حال منافع وحكم يجدد فيها لأولي الأبصار عبرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك إلا في إيجادها دفعة.¹

لكنهم على اختلاف تأويلاتهم لمفهوم الكسب أجمعوا على أمور ثلاثة هي:

- **لا فعل حقيقة إلا لله وللعبد بالله:** يحتاج الإنسان للقيام بأي فعل إلى قوة وهذه القوة مصدرها الله عز وجل فمن أنواع الذكر قول المؤمن (لا حول ولا قوة إلا بالله) أخرج ابن مردويه والخطيب والديلمي من طريق ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبريل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أخبرني جبريل أن تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله أنه لا حول عن معصية الله ولا قوة عن طاعة الله إلا بعون الله.

وأخرج بن حاتم عن زهير بن محمد أنه سئل عن تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: لا تأخذ ماتحب إلا بالله ولا تمتنع مما تكره إلا بعون الله² وقوله صلى الله عليه وسلم "إن الله صانع كل صانع وصنعه".³

¹ ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ ج 01 ص 55.

² السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (القاهرة) ط 01، 1424هـ-2003م ج 09، ص 548.

³ - مسند البزار، رقم (2837) ج 07 ص 258.

رواه الحاكم في المستدرک، کتاب الإيمان، ج 01، ص 75. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان)

وقد اقتضت حكمته عز وجل أن يفعل أشياء بالتوسط مثل قتال الملا ئكة مع المؤمنين من أسباب انتصارهم في غزوة بدر وقوله تعالى ﴿وَهَزَمَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَلَّفْتُ

عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ مريم: 24

.. كما أن العباد يفعلون بالله ما شاء الله أن يفعلوه ففي دعاء الاستخارة وقد جاء في الأثر قول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن استخلف لقد توليت أمرا عظيما ما لي من طاقة ولا يد إلا بقوته"

وقال الحافظ بن حجر في (فتح الباري) في حديث الاستخارة¹ عند قوله وأستقدرك : أي أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة، ثم قال في قوله " فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم " ما نصه إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده، وليس للعبد إلا ما قدره الله له²

-الاعتقاد بأن للعبد كسبا به صح نسبة الأفعال إليه: فالقول بأنه لا فعل حقيقة إلا لله، وللعبد بالله لا ينفي قدرة الإنسان وغلا لكان هذا هو عين الجبر الذي يتعارض مع العقل والسمع، فهناك قدرة واحدة قديمة إلهية ذات نسبتين : نسبة وجودها وقيامها بذات المولى وتنسب إليها الأفعال حقيقة على وجه الخلق والاختراع، ونسبة ظهورها في محل العبد ..³

-المؤثر الحقيقي هو الفاعل المختار : استعمل الشيخ المجاوي طريقة السبر والتقسيم حتى وصل إلى أن المؤثر الحقيقي هو الفاعل المختار، فأوجه التأثير تتلخص في أشياء ثلاثة هي العلة والطبيعة والإنسان ومن شروط التكليف الاختيار فهذا قيد تخرج به الطبيعة لأن تأثيرها متوقف على وجود الشروط وانتفاء الموانع كما تخرج العلة لأنها إذا وجدت وجد المعلول فيبقى المؤثر الحقيقي هو الإنسان، لأن الله عز وجل خلقه ووضح له طريق الجنة والنار..⁴

¹ أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ، رقم (6382) ص 1590.

² - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (186/11)

³ - المجاوي ، تحفة الأخيار ، ص 55.

⁴ - المجاوي ، تحفة الأخيار ، ص 55.

فهذه النقاط الثلاثة قدرة الله عز وجل وكسب الإنسان وسعيه واختياره شرط لتفسير الكسب تفسيراً صحيحاً، فهو في نظر الشيخ المجاوي ليس من المسائل التي يستحيل إدراك كنهها، ولا ينبغي التشنيع على من أحدث قولاً في المسألة بفهم ما أتاه الله إياه وانتصر لإمام من أئمة السنة بدلائل بينة واضحة شريطة التزامه بالنقاط الثلاثة المجمع عليها عند جمهور أهل السنة .

وهذا التفسير الذي اهتدى إليها الشيخ والذي نراه جامعاً لجميع الذين أثبتوا الشروط الثلاث بدءاً من الإمام الجويني الذي ثار على سالفه الإمامين الأشعري والباقلاني وأثبت للقدرة تأثيراً في محلها في (كتابه العقيدة النظامية) لذلك أشاد به في هذه الأبيات:

إذا ما كنت ذا فهم وبحث مع العلماء وحيلتك الكلام
فسر في الكسب سير أبي المعالي إلى نحو نحى هذا الإمام
بقلة سالكيه لا تبال فليس عليك في هذا ملام
وأيده وحققه وإلا تنكب لا يفطرك الزحام
فهذا النصح من شيخ كبير خبير بالمسالك يا غلام¹

ثم يستشهد الشيخ المجاوي بجملة من العلماء الذين فسروا الكسب على منوال الجويني أهمهم :

الإمام أبو حنيفة : ورد عنه في الفقه الأكبر قوله " وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها"² يفسر الشيخ المجاوي قوله ب " أي حصلها

¹ نفس المصدر والصفحة.

² الإمام أبو حنيفة، متن الفقه الأكبر موجود ضمن كتاب شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري، تحقيق مروان محمد الشعار، دار النفائس دمشق (سوريا) ط02 1430 هـ-2009 م ص17.

وأوقعوها بقدرتهم التي خلقها لهم وإرادتهم التي جعل الله فيهم وبتمكين الله تعالى إياهم منها، ولو لم يكن ذلك التمكين لما قدروا على شيء، قال تعالى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿الكهف الآية 83﴾.

والقول بأن معناه : أنها عند اقترائها بالقدرة يسمى كسبا، لا يقبله قلب من له أدنى فهم .

(والله خالقها) أي بقدرة العباد لأن قدرتهم التي هي صفتهم ليست فعلا لهم وإنما هي ملك لله وخلق له، فإذا كان ما وقع به الفعل خلقا لله كان الواقع به مضافا إليه تعالى خلقا، كما تقدم في قول إمام الحرمين، وليس مراده بكونه تعالى خالقا لها : أنه أجرى عليهم هذه الأمور بقدرته الأزلية.¹

الإمام أبو محمد البطلوسي² : ورد عنه قوله " الأمة مجتمعة على قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي هذا إثبات حول وقوة للعبد، لا يتمان إلا بمعونة الله إياه، ثم إذا اعتبرت حالة العبد من جملة الإضافة إلى الاستطاعة المخلوقة والأمر والنهي الواقعين عليه وجدته في صورة المفوض إليه " ثم قال " لا فاعل في الحقيقة إلا الله، وأن كل فاعل غيره إنما يفعل بمعونة من عنده، ولو وكل إلى نفسه لم يكن منه فعل البتة "

المطلب الثالث علاقة الكسب بالهدى والضلال عند الشيخ المجاوي

تعني الهداية توفيق الله للعبد وخلق دواعي الهداية له وإقداره عليها³ وهو من المواضيع الهامة في باب القدر يقول عنه ابن القيم " الهدى والضلال قلب أبواب القدر، فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يتلوه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال"⁴

¹ الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص61.

² هو عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي أبو محمد، عالم باللغة والأدب (ت 521هـ-1127م) انظر وفيات الأعيان (96/3)

³ ابن القيم، شفاء العليل، ص65.

⁴ ابن القيم، شفاء العليل، ص65..

ولقد تباينت آراء العلماء المسلمين ونظرتهم لعلاقة الكسب بالهدى والضلال على حسب موقفهم من قدرة العبد وتأثيرها في فعل الإنسان، فمن نفى تأثيرها في فعله يذهب إلى القول إلى أن الهدى والضلال من الله وليس لكسب الإنسان علاقة بذلك ويستشهد أصحاب هذا الرأي ببعض الآيات والأحاديث التي توهم الجبر وذلك مثل ما مر معنا مع الشيخ مصطفى صبري.

أما الشيخ المجاوي الذي أثبت للقدرة تأثيرا في مقدورها فيرى أن لكسب الإنسان دور في الهدى والضلال ويتمثل في أخذه بأسبابها بالإيمان (الهدى) في نظره إقرار وتصديق من العبد وتوفيق من الله والكفر (الضلال) إنكار وجحود من العبد وخذلان من الله .

يقول الشيخ المجاوي في شرحه للمقطع التالي من الفقه الأكبر لأبي حنيفة (خلق الخلق سليما من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم)¹ " أي بعدما خلق فيهم القدرة التي تمكنوا بها من كل منهما، فكفر بعد ذلك من كفر بفعله وإنكاره وجحوده بخذلان الله إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله إياه ونصرته، فإيمان المؤمن بفعله الذي تمكن منه بقدرة أعطاه الله إياها، وكذلك كفر الكافر على حسب إرادة الله فقدرته الحادثة، إلا أن الأول إنما فاز بما فاز بعون الله تعالى، والثاني وقع بخذلان الله وعدم نصرته"²

فتوفيق الله عز وجل للعبد من الأسباب المهمة في العمل الصالح بعد القدرة التي خلقها الله عز وجل في الإنسان فقلما يكون بدونها فإن للشيطان مع الشهوة الغالبة وهوى النفس موانع تشبه الأمور الحاملة على ترك العزم قهرا لقوة استيلائها على الإنسان فلا يغلب إلا بمعونة التوفيق مع العلم أنه يقع منه تعالى تفضلا لا وجوبا ليس لأحد على الله أن يوفقه لأنه لا يجب على الله شيء بل إذا أعلم الله العبد طريقي الخير والشر وخلق المكنة من كل منهما له فقد أعذر إليه وعدم التوفيق وهو الخذلان هو أن يدعه مع نفسه لا ينصره ولا يعينه عليها³ .
ومن عدل الله عز وجل أن جعل التوفيق قسما:

¹ الإمام أبو حنيفة، متن الفقه الأكبر مأخوذ من (شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري) ص 17.

² الشيخ المجاوي، تحفة الأخيار، ص 61.

³ الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 99.

أحدهما عام لجميع الخلق البر والفاجر والمتمثل في نصب الأدلة والأقدار وإرسال الرسل
وتسهيل الطرق ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

والثاني لمن التمس سبله أي لمن علم منه الهداية وطريق الاستقامة وهو بدوره ينقسم إلى
قسمين :

الأول : فطري لا دخل للإنسان فيه كالاتدال في المزاج والذي يرجع إلى عوامل خلقية
وكذلك خلقية كالتحلي بالفضائل التي تأمرنا بها الشريعة، وكذلك التربية من الوالدين أو من
المحيط والتي لها دور كبير في تقويم السلوك.

الثاني: كسبي في حالة البلوغ وكما العقل يحتاج الإنسان إلى قوي استمداد التوفيق والذي
يعني أن لا يكله إلى نفسه مما هي عليه من الاستقلال والاستبداد والخذلان لأن هذه المرحلة
هي مثار القوة الغضبية والحيوانية والشهوانية.¹

المبحث الأول الرؤية:

أجمع أهل السنة إن الله تبارك وتعالى يرى يوم القيامة وورد أيضا اثباتهما في الكتاب العزيز قال
تعالى ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٦٧﴾﴾ القيامة آية 21-22

أبوجه حسنة ناعمة ناظرة إلى ربها بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وقال تعالى للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة وقال بعض المفسرين الحسنى الجنة وزيادة النظر إلى وجهه الكريم²، وقد
منعت رؤيته في الدنيا لهيبة الجلال، فإن كان في اليوم الموعود فإنه يبرز لعباده المؤمنين في الجمال
والجلال والأنس ينظرون إليه فتعود أنوار النظر عليهم فتتجدد لهم قوة يقدرون به عن النظر
إليه.³

وقد وقع خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ثبوت رؤية الله عز وجل فقد أثبتتها الأشاعرة
ونفاها المعتزلة وقبل تحديد جوهر الخلاف يجذر بنا تحديد مفهوم الرؤية .

المطلب الأول : معنى الرؤية عند الشيخ المجاوي

¹ الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 406-407 بتصرف.

² الشيخ المجاوي، القواعد الكلامية، ص 07.

³ الشيخ المجاوي، مواهب الكبير المتعال (مخطوط)، ص 05.

يعرفها الشيخ الجاوي بأنها: "الإدراك المشتمل على الزيادة فليس المقصود من الرؤية مجرد الانكشاف الحاصل بالعلم بل هو أمر أكثر من ذلك "

فنحن نعلم أن بلاد الصين موجودة، وهذا العلم حاصل بالتواتر القريب من الضروري، فهناك إذن انكشاف حاصل عندنا بذلك، ولكننا إذا سافر إلى تلك البلاد، ورأيناها رأي العين، ازداد هذا الانكشاف وقوي هذا الإدراك، والأمر نفسه بالنسبة للشمس فمثلا إذا رأيناها ثم أغمضنا العين فإننا نعلم الشمس عند التغميض علما جليا، لكن في الحالة الأولى أمرا زائد¹، وهذا الإدراك المشتمل على زيادة نسميه رؤيا وهي تشبه العلم اليقيني في الوضوح والانكشاف.

جوهر الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة: لا خلاف بين المعتزلة في وقوع الانكشاف بالعلم ولا بين الأشاعرة في وقوع الانكشاف بالبصر لكن الإشكال الذي طرحه المعتزلة هو أن كل مرئي لا بد أن يكون متحيز في مكان والله تعالى منزه عن المكان، وتفسير الأشاعرة للرؤيا يتعلق في الدنيا إلا بقبالة لمن هو في جهة ومكان، فكيف تتم رؤيته في الآخرة مع التنزه عن الجهة والمكان؟

المطلب الثاني : تفسيرات الأشاعرة للرؤية:

تباينت تفسيرات وتأويلات الأشاعرة لمفهوم الرؤية محاولة منهم لإزالة الإشكال الذي طرحه المعتزلة، وقد فسرها الشيخ الجاوي بأنها " نوع كشف وعلم للمدرك يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالعادة فجاز أن يخلق هذا القدر العلم بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الإدراك من غير مقابلة بجهة معها مسافة خاصة ومن غير إحاطة بمجموع المرئي²"

شرح مصطلحات التعريف:

من غير مقابلة : إشارة إلى دفع قول المعتزلة أن من شرائط الرؤية مقابلة المرئي للباصرة في جهة من الجهات، فالله عز وجل قد يخلقها لهذه الحاسة أصلا كما وقع لنبيه عليه الصلاة

¹ - المصدر نفسه، ص111.

² - الشيخ الجاوي، القواعد الكلامية، 113.

والسلام فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه (سوا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري)¹ وكما أننا نرى السماء ولا نحيط بها وكما يرانا الله تعالى فإنه يرانا من غير مقابلة في جهة باتفاق من المعتزلة وأهل السنة، ثم يلزم المعتزلة برأيه الذي انتهى إليه وهو أن الرؤية نوع علم خاص يخلقه الله تعالى في الحي غير مشروط بمقابلة ولا غيرها مما ذكر بقوله: إذا أقرتم بأن الله يرانا من غير مقابلة والرؤية نسبة خاصة بين رائئ ومرئى فإن فرض أن تلك النسبة تقتضي عقلا كون أحدهما في جهة اقتضت أن طرفها الآخر كذلك، وهذا أمر معلوم عندكم أنه جائز في حق الخلق مستحيل في حق الله تعالى، وإذا ثبت ذلك في حق الله يجب أن يثبت في حق الخلق لا اشتراكهما في نسبة التعلق وإن لم يحصل ذلك بأن فرض اللزوم في أحد الطرفين وعدمه في الآخر فتحكم محض في كيفية الرؤية من الله عز وجل.²

معها مسافة خاصة : إشارة إلى رد قولهم إن من شرائط الرؤية عدم غاية البعد وعدم غاية القرب، فإن المبصر إذا التحق بسطح البصر بطل إدراكه بالكلية ولذا لا يرى باطن الأجفان .

من غير إحاطة لمجموع المرئي : إشارة إلى نفي كون الرؤية تستلزم الإحاطة بالمرئي³ .

حقيقة الرؤيا عند الأشاعرة : ذهب الشيخ الأشعري إلى أنها رؤيا حقيقة بالأبصار ودليل ذلك اقتران النظر بذكر الوجه⁴ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناظر...). وقد وافقه في ذلك الجويني⁵

وذهب الآخرون إلى أن حقيقة الرؤيا مرجعها إلى العلم لا إلى الرؤية البصرية من بينهم الشهرستاني الذي فسر الرؤيا بالعلم حيث قال وصار المعنى كالعلم أو هو من جنس العلم وقد

¹ رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم ذوي الفضل وتقريبهم من الإمام، رقم 434 ص 169 ورواه البخاري، كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها رقم 718. انظر صحيح مسلم (مرجع سابق)

² - الشيخ الجاهلي، القواعد الكلامية، 113.

³ - المرجع نفسه، ص 114.

⁴ - الإبانة عن أصول الديانة، ص 55.

⁵ - الجويني، الإرشاد، ص 172.

تقرر الإتفاق على جواز تعلق العلم¹ به. ووافقه الباقلاني الذي يقول وهذا كما نقول إنا نعلم ربنا ولا نقول إنا نحيط بربنا، فكما كانت الإحاطة معنى يزيد على العلم كذلك الإدراك معنى يزيد على الرؤية وهذا صحيح لأن نجمع ﴿بِعَالَمٍ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِيكُمْ﴾ ﴿٢٠﴾ محمد: 20

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ ﴿١٧﴾ طه: 107
 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ الأنعام: ١٠٣ فنقول معلوم ولا يحاط به ومرئي لا يدرك²

أما الشيخ أبو منصور الماتريدي فقد فسر الرؤيا (سترون ربكم يوم القيامة في قوله صلى الله عليه وسلم كما ترون القمر لا تضامون)³ برؤية القلب وهي العلم فقد سئل هل رأيت ربك فقال بقلبي قيل فلم ينكر على السائل السؤال وقد علم السائل أن رؤية القلب هي العلم وأنه قد علمه وأنه لم يسأل عن ذلك وقد حذر الله عز السؤال عن أشياء قد كفوا عنها بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْفُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَقَبًا اللَّهُ عَنَّا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ المائدة آية 103، وأيضا أن كلا يجمع على العلم بالله في الآخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس وذلك علم العيان لا علم الاستدلال وكثر الآيات لا تحقق علم الحق الذي لا يعتري ذلك دليله قوله

¹ الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 201.

² -، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني، الإنصاف في ما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبع دار التوفيق النموجية ط 02 1421 هـ-2000 م، ص 177.

³ أخرجه مسلم : كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم 182 ص 87. وأخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) رقم 7437.

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وما ذكر من استعانة الكفرة بالتكذيب في الآخرة وإنكار الرسل وقولهم لم نمكث¹.

وذهب معظم الأشاعرة إلى أن الرؤية هي قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة ولا في حيز وإن رؤية الله ممكنة عقلا وأن العقل لا يحيل رؤية العباد رهم وإنما الرؤية هي قوة يجعلها الله في الإنسان متى شاء وكيفما شاء بدون كيف ولا حصر، وهي ليست كرؤية الأشياء والأجسام بالرغم من أن الله ليس بشيء ولا جسم ولا متحيز في مكان وليس في جهة فإنه من الممكن أن ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر كما ورد في الأحاديث².

ويرى الإمام البيضاوي أنه يرى بلا تشبيه لعباده في الجنة بخلق قوة الإدراك في الباصرة من غير تحيز ومقابلة ولا مواجهة ولا مسامته³.

وقد وافق الشيخ المحاوي الأشاعرة⁴ في إجازتها عقلا حين استند إلى قول الآمدي " أجمع الأئمة من أصحابنا على رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة وأنها جائزة عقلا ".⁵

وقد خالف في ذلك غيرهم ولم يجزها كابن تيمية الذي قال " فالصحابه والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة عيانا بالأبصار، وأن لا أحد يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها"⁶

وقد استند إلى الـ دليل الآتي : الرؤية من الأمور الجائزة شرعا لأنها لا تؤدي إلى محال فوجب أن لا يصرف لفظ النظر عن ظاهره⁷ تع في قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة مؤيدا بذلك رأي السنوسي الذي قال " وأما الاستدلال بطريق العقل فلا شك أن العقل إذا خلي ونفسه لم يحكم

¹ - كتاب التوحيد للماتريدي، ص 80 .

² - الغزالي، الإقتصاد في الاعتقاد ص 65-66.

³ - الإمام البيضاوي، إشارات المرام، ص 201.

⁴ - انظر التمهيد للباقلاني ص 301، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة للحوييني 191.

⁵ - القواعد الكلامية، ص 112.

⁶ - مجموع فتاوى ابن تيمية 2/366-367.

⁷ - القواعد الكلامية، ص 113.

بامتناع رؤيته تعالى، بل يجوزها ما لم يقيم له برهان على الامتناع، ولم يوجد ذلك بعد شدة البحث عليه¹

وقد زاد الشيخ السنوسي دليلا آخر وهو: أن الرؤية تتعلق بالأجسام والأعراض وبواسطتها تحصل التفرقة بين الأجسام بعضها ببعض وبين الأعراض وهذه إما موجودة أو ممكنة أو حادثة أو معدومة فالحدوث عبارة عن الوجود بعد العدم، والإمكان عبارة عن صحة الوجود والعدم، ولا بد للحكم المشترك من علة مشتركة بين جميع ما تتعلق به الرؤية فهي لا تتعلق بالمعدومات لكونه لا ترى ولا بالحادثات لكونها لا تستغرق جميع ما في الكون والأمر نفسه بالنسبة للممكنات، فتتبعين الموجودات فعليه الرؤية تتعلق بكل موجود والله تعالى موجود فتتعلق به الرؤية.²

وهذا ما وضحه الإمام الغزالي بقوله " إن الله تعالى مرئي لوجوده ووجوده ذاته إذ أن رؤية الله ليست لفعله ولا لصفة من صفاته لأن كل موجود ذات واجب أن يكون مرئيا كما أنه واجب أن يكون معلوما، أي أن الله تعالى من حيث ذاته ووجوده مستعد لأن تتعلق الرؤية به أي واجب ورؤيته بالقوة لا بالفعل وبالتالي فإن رؤية الله جائزة ممكنة عقلا"³

المطلب الثالث: موقف الشيخ المجاوي من رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم الله تعالى

في الدنيا

اختلف أهل السنة في جواز رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم الله تعالى في الدنيا فمنهم من أثبتها ومنهم من نفاها وهذه الأقوال الواردة في ذلك.

ذهب ابن عباس في المشهور عنه وأنس بن مالك وأبو هريرة رضي الله عنه إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه في ليلة الإسراء يعني رأسه، وقالت به طائفة من التابعين منهم كعب الأحمبار والحسن البصري وكان يخلف عليه وعطاء وعكرمة وعامة أصحاب ابن عباس وعروة بن الزبير.⁴

¹ - الشيخ السنوسي، المنهج السديد في شرح كفاية المريد، ص300.

² - المرجع نفسه.

³ - الغزالي، الإقتصاد في الاعتقاد، ص65.

⁴ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الغنية في مسألة الرؤية، تحقيق أبي بلال العدني، مرتضى بن أحمد بن ..، تقدم فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الإمام، ط دار الآثار للنشر والتوزيع ط1429، 01هـ-2008م، ص15.

وذهب الآخرون إلى أنه رأى ربه وهو رواية بن عباس وهو قول أبي ذر عبد الله بن الحارث
وابراهيم¹

وذهبت عائشة إلى أنه صلى الله عليه وسلم لم يره في الدنيا أصلا ولم يثبت عنها اثبات رؤية
الفؤاد إلا في خير لا يحتج بإسناده، بل اشد إنكارها على من أطلق أن محمدا رأى ربه حتى قالت
من قال ذلك فقد أعظم على الله الفرية.²

وقد انتصر الشيخ المجاوي لرأي ابن عباس الذي اثبتها بقوله " والحق أنه لا مانع من هذه الرؤية
وإن لم تك رؤية حقيقية ولا خلاف عندنا أنه تعالى ترى ذاته المقدسة والمعتزلة حكموا بامتناع رؤيته
عقلا لذي الحواس"³

ومن الأدلة التي تثبتها سؤال موسى لها إذ لا يسأل نبي كريم من أولي العزم الرب جل وعلا ما
يستحيل عليه، فهل المعتزلي النافي للرؤية يكون أعلم بالله سبحانه وتعالى من نبيه موسى عليه السلام
حيث علم المعتزلي ما يجب لله ويستحيل عليه ما لا يعلمه نبيه موسى عليه السلام مع أن المقصود
من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدعوة إلى العقائد الحقة والأعمال الصالحة⁴، إضافة إلى أن
رؤية الله علقت على أمر ممكن وهو استقرار الجبل وكل ما علق على الممكن فهو ممكن، إذا فرؤية الله
ممكنة لقوله تعالى ﴿وَجُودَ يَوْمَ يَمِيزُ نَاصِرَةً ﴿٦٦﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاصِرَةً ﴿٦٧﴾﴾ القيامة الآية 22.

وعن أبي سعيد الخدري قال: «قُلْنَا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في
رؤية الشمس والقمر إذا كان صَحْوًا؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما
تضارون في رؤيتهما»⁶ أي: لا تزدحمون على رؤية الله تعالى، كلُّ يراه وهو في مكانه؛ لأنَّ الناسَ كما يرون
الشمسَ والقمرَ من غير زحام وهما مخلوقان فكيف بالخالق

علي بن حجر العسقلاني، الغنية في مسألة الرؤية (مرجع سابق) ص16.¹

² - المصدر نفسه، ص18.

³ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص112.

⁴ - المصدر نفسه، ص113.

⁵ - البيجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص195.

⁶ - سبق تخريجه، انظر ص204.

ومن الشبه التي أثارها المعتزلة : أن الرؤية في الشاهد لا تنفك عن حصول المقابلة في الجهة والمسافة بين الرائي والمرئي وحصول الإحاطة من الرائي ببعض المرئيات، وحصول إدراك الصورة أي صورة المرئي فليكن في الغالب كذلك وأنه باطل لتنزه الباري تعالى عن ذلك فانتفت الرؤية في حقه تعالى لانتفاء لازمها.

ويجب الشيخ المجاوي عن ذلك بأن الملازمة تتعلق بالأجسام أما غيرها فيجوز أن تتخلف عنها الإحاطة والمسافة وغيرهما فالعلاقة بينهما ليست علاقة العلة بالمعلوم، وعليه فرؤية الله عزو جل لا تشترط فيها الإحاطة والمسافة وغيرهما..ومن هنا تبطل شبهة التي أثارها المعتزلة في اشتراطهم حصول المسافة والمقابلة والإحاطة والصورة في رؤية الله عز وجل.¹

ومن خلال عرضنا للآراء العقيدية للشيخ نجد المنهج الأشعري متمثلاً أبرز تمثيل حيث يقوم على العقل إلى جانب النقل وتجلى ذلك في مصادر العقيدة عنده وفي منهجه على الاستدلال على العقائد ، غير أنه مما ينبغي الإشارة إليه أنه يميل أحياناً إلى رأي الماتريدية ، وبالرغم من انتمائه الأشعري وفي هذا دلالة على تقارب المذهبين الأشعري والماتريدي² وتداخلهما ويزيدنا يقينا بأنهما المذهبان المعبران عن وسطية أهل السنة ، فالغاية التي قصدها كل من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي

¹ - المجاوي، القواعد الكلامية، ص 115.

تطرق العديد من المحققين إلى بعض الاختلافات الفرعية بين الأشاعرة والماتريدية ولعل أهمها

- كتاب العقد الحوهرى في الفرق بين قدرة العبد وكسبه عند الماتريدي والأشعري للشيخ خالد النقشبندى (مخطوط).

-مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية لابن كمال باشا .

رسالة في الخلافات بين الحكماء والمتكلمين ل عبد الله بن عثمان الشهير بمسئجي زادة.

-الرسالة الوجيزة الجزئية في بيان الفرق بين الأشعرية والماتريدية لعمر الهانفي الفاروقى.

-نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين صنفه الإمام العلامة عبد الرحمن شىخي (زادة).

والرسالة الأخيرة هي التي لخصها العلامة المجاوي في مؤلفه ولعلها تعد الأشمل من مجموع الكتب والرسائل التي تطرقت لهذا الموضوع ، وقد احتوت على أربعين مسألة

وقد تطرق المجاوي في مؤلفه (القواعد الكلامية) إلى العديد منها ، فعرضناها ثم بينا لأبي المذهبين ينتصر .

واحدة ، ألا وهي الدفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة (سواد الأمة) ضد هجمات المبتدعة وأوهامهم ، فلا غرو أن تتمثل الغاية الواحدة في معتقدات واحدة .

وهناك أمر آخر ساعد المذهب الماتريدي على الانتشار في الجزائر ألا وهو تواجد العثمانيين فيها لفترة ليست بالقصيرة وإقرار السلطة الحاكمة ثنائية المذهب وتقبل الجزائريين لذلك لأنهما ينبعان من مشكاة واحدة على خلاف المذاهب الأخرى التي تعتبر تهديدا صريحا للمرجعية الدينية في الجزائر.

**الفصل الثالث: الآراء الإصلاحية للشيخ المجاوي ويضم
المباحث التالية:**

المبحث الأول: الشيخ المجاوي والتصوف

المبحث الثاني: آراء الشيخ المجاوي في (التصريف في الكون) (الكرامة)

المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي

المبحث الرابع : في المجال التعليمي والتربوي.

المبحث الرابع : في المجال (الاقتصادي، نقد وتقييم)

المبحث الأول: الشيخ المجاوي والتصوف

مثل ما كانت للشيخ المجاوي آراء في العقيدة وعلم الكلام كانت له آراء كذلك في مجال الإصلاح التربوي السلوكي (التصوف) الاجتماعي والتربوي (التعليمي) والاقتصادي . والمعروف عن الأولى أنه اتبع فيها منهج الأسلاف ولم تكن له اجتهادات تميز بها لا من ناحية المنهج ولا من حيث المضمون، إلا إذا استثنينا طريقة عرضه فإنها لم تكن على منهج القدامى حيث غلب عليها الاختصار لأنها كانت لغرض تعليمي، فهل كانت الثانية -آراؤه في الإصلاح- مثل الأولى أم أنه كانت له آراء تجديدية اتسم بها؟ ولمعرفة ذلك نقوم ببسطها لمعرفة حجم الإضافة فيها.

المطلب الأول:

تعريف التصوف: تبنى الشيخ المجاوي تعريف ابن خلدون للتصوف الذي عرفه قائلا : " اعلم أن التصوف علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية، وأصله أن طريقة القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهي طريق الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والانقياد لقواعد الإسلام والعمل بمقتضاها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق والخلوة والعبادة¹.

ولذلك عرفوا علم التصوف وحددوه بحد جامع مانع فقالوا :

(التصوف تجريد القلب عما سوى الله تعالى، والإقبال عليها بالكلية)

وقد كان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة². ولقد اختار الجزائريون على غرار بلاد المغرب العربي منهج التربية والتزكية الروحية وذلك لمجموعة الأسس والمرتكزات أهمها البعد عن الخرافات والانحرافات التي جنح إليها بعض المتصوفة

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص49.

² المرجع نفسه، ص49.

نتيجة تأثرهم ببعض المذاهب والنحل الدخيلة، وهذه المزية هي التي تكون قد دفعت الجزائريين إلى تبنيه واتخاذ مرجعية في التركيبة الروحية وتهذيب السلوك.¹

ويمكن رد عوامل انتشار التصوف في الجزائر إلى العوامل التالية:²

عوامل فكرية: وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعلمهم على المجتمع الجزائري فنجد من بينهم أحمد بن يوسف الراشدي بمليانة (937هـ) وعبد الرحمن الثعالبي، ومحمد التواتي البجائي³، وشعيب السنوسي، والشيخ أبي مدين⁴... إضافة إلى تأثير العلماء الجزائريين بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الحياة الفكرية بعد محاولة الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

عوامل سياسية: سقوط الأندلس وهجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم في الوسط الجزائري إضافة إلى سقوط الدولة

¹ مولود محمول، المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيجل (الجزائر) ط01، 2015م، ص44.

² طيب جاب الله (مرجع سابق) ص137.

محمد البشير بن محمد الطاهر البجائي الأصل، شيخ القراء بالديار التونسية
³ الأعلام ج06 / 53

⁴ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني ويلقب بشيخ الشيوخ ولقبه ابن عربي بمعلم المعلمين 509 هـ 1126 - في قطنيانة، 594 هـ 1198 - في تلمسان (فقيه و متصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس، تعلم في إشبيلية و فاس وقضى أغلب حياته في بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره، فوشى به البعض عند يعقوب المنصور الموحد بمراكش، فبعث إليه الخليفة للقدوم عليه لينظر في مزاعم حول خطورته على الدولة الموحدية، وفي طريقه مرض وتوفي نواحي تلمسان، وبني سلاطين بني مرين بضرجه مسجداً ومدرسة.

انظر: الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (لبنان) ط02، أفريل 1989م ص22.

الموحدية والتي كانت تمثل دولة قوية في مواجهة الغزو الإسباني ولأسباب عدة داخلية وخارجية ضعفت وتدهورت حالتها. (التصوف هروب من الواقع)

عوامل اجتماعية: انتشار البدخ والترف عند فئات المجتمع وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم وقد حارب الصوفية هذا الانحراف مما انعكس على انتشار طرقهم.

المطلب الثاني: أهميته في التغيير

لم يهمل الشيخ المجاوي هذا العنصر الجوهرى في حركته للتغيير كما هو شأن كثير من الحركات الإسلامية التي لم تعطه العناية اللازمة كما هو الحال مع غالبية أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ما بعد، والذين اتخذوا في ما بعد موقفا متحفظا منه¹ مع أن النهج الرباني لا يستثنيه من ذلك بل يعطيه الأولوية²، فقد تكرر الفلاح في القرآن الكريم بصيغة قد أفلح في ثلاث مواضع وارتبط بتحقيقه بالتزكية والتطهير وهي :

قوله تعالى ﴿فَدَ أَفْلَحَ مَسَ زَكَّيْهَا﴾ ﴿٦﴾ الشمس الآية 09، فقد نيط الفلاح بتزكية النفس، وأن جميع الكمالات تنفرع عنها.

وقوله أيضا ﴿فَدَ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَبْوَابِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَسِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاؤْتِيكَ هُمْ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

¹ انظر مقالنا: العلاقة بين الحركة الصوفية والإصلاحية (ابن باديس، الطاهر العبيدي نموذجاً) مجلة العلوم الإسلامية ،

جامعة عمار ثليجي بالأغواط العدد 09، ص

² إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المملكة المغربية ط01، 1433هـ- 2012م ص 124.

﴿وَلِيكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْهَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون﴾
الآيات من 1-11، فهذه الأفعال المذكورة من صلاة وزكاة وغيرها معرضة للضياع والزوال إذا لم تكن من ذات الإنسان وإن اتخذت مظهر العبادة ويقظة القلوب وحياتها، ومفاضلة الأعمال وحصانتها هي من تجليات التزكية والتطهير.

وقوله ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿العلق﴾ الآية 19 ، فالإتصال القلبي لا يتم إلا بطهارة القلب وتزكياته وهذا هو سبيل الفلاح.¹

والإصلاح المتمثل في التزكية هو دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ لما بنى البيت العتيق دعا الله أن يبعث في هذه الأمة رسولا بأهداف وأغراض معلومة، وبترتيب معلوم وهو:

1- يتلوا عليهم آياته.

2- يعلمهم الكتاب والحكمة.

3- يزيكهم.

وجاءت الاستجابة من الله سبحانه وتعالى لدعوة إبراهيم عليه السلام في ثلاث مواضع قدمت التزكية على التعليم في جميعها وهي ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿البقرة﴾ الآية 129.

وقد قدمت التزكية على التعليم لبيان أن العلم النافع يحصل بالتزكية وليس العكس، وليشعرنا أيضا أنها ملزمة أيضا لكافة الناس : المتعلم منهم وغير المتعلم، والدين كما هو معلوم جاء للقارئ والأمي والأمة فيها العالم والمتعلم والأمي، فهذا الدين إنما نزل في حقيقته لتزكية القلوب وإصلاحها.²

¹ إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة ، ص 119-120-121 بتصرف.

² نفس المرجع نفسه ص 127-129 بتصرف.

ويمكن رد الميول الصوفية للشيخ المجاوي إلى ما يلي:

أسباب وراثية: فمثل ما كان لعائلة الشيخ المجاوي دور في تنشئة العلمية كان له دور كذلك في ميوله الصوفية ونخص بالذكر جده -محمد بن عبد الكريم المجاوي(ت1267هـ)- الذي كان من كبار المتصوفة يقول عنه محمد علي دبور: "كان الشيخ محمد بن عبد الكريم المجاوي مع عبقريته العلمية من كبار الصالحين، وكان متصوفا زاهدا لا رغبة له إلا في العلم والتدريس"¹ وقال عنه أحد تلامذته الفقيه العلامة السيد أحمد بن حسون قاضي وازان: "الشيخ محمد بن عبد الكريم المجاوي له ذهن يكشف الغامض الذي لا يخفى، ويعرف رسم المشكل وإن كان قد غفا، أبصر الخفيات بفهمه، وقصر فكره على خاطره ووهمه، فجاء بالناذر الذي أعجز، وتلون في حلل الكلام الطويل والموجز، مع جمعه لأوصاف المكارم، التي لم ينادمه في تعاطيها منادم، ولم يوازها فيها بحر زاخر، ولا قمر زاهر.... يأتيه الأشياخ فيما يستشكلونه من الغوامض، فيزيل ما خالج قلوبهم من العوارض"² وكشف الغامض ومعرفة المشكل ورؤية الخفي الذي يعجز عن رؤيته العامة كلها من إلهامات الصوفية.

ولعل ذلك يرجع إلى تأثير جامع القرويين الذي يجمع بين تلقينه للعلوم الاهتمام بالتربية السلوكية والتصوف وقد جاء في أرجوزة الحاج ابن شقرون:

وجامع منذ زمان سالف فهرية بنته للمعارف

مشتغلا بالدرس والتصوف متزيا بالعلم والتعرف³

¹ محمد علي دبور، نخضة الجزائر الحديثة وثورته المباركة، مطبعة البعث قسنطينة 1978، ج02، ص75.

² المرجع نفسه، ص84.

³ الحاج ابن شقرون، أرجوزة من نهر الآس، ص15.

ملامح التوجه الصوفي عند الشيخ المجاوي

أ- مفهوم التزكية عنده: من ملامح التوجه الصوفي عند الشيخ المجاوي هو عمله على تزكية الأنفس والتي لا تقف عند طلب العلم وجمع المعلومات ولا تؤخذ علما بل تقوم على صقل النفوس البشرية

1- بالقول المؤثر 2- بالحال : وهذه أهم تجلياتها عند الشيخ المجاوي

التربية بالقول المؤثر¹ :

وقد اتصف الشيخ المجاوي بهذه الصفة (التأثير في الجماهير) فكانت له شخصيته الخطابية القوية تنبع من أعماقه وهي نتيجة غيرته وشجاعته فنرى فيها ذلك الحماس المتأجج الذي يؤثر في الجماهير، ويكسوها بروح الواعظ الخطيب، فيقر في نفوسهم ما يريد²، وكان الناس يجوبون دروسه، ويعجبون بفصاحته، ويتسابقون إلى المساجد، التي يعظ فيها، فتكتظ بالجماهير تراهم مطرقين خاشعين بدرس الشيخ، وعيونهم تندى من الدمع، وقلوبهم تخفق من شدة التأثير.³

التربية بالحال⁴ : هو التأسي الحسن بالقدوة كما جاء في المصطلح القرآني، وركز عليها الشرع كثيرا لأن تأثير المواقف العملية على نفس المتلقي أبلغ بكثير من الحديث والخطب والعظات؛ فهي تكتسب برهان صدقها من حدوثها وتحققها في شخص الواعظ، لذلك كان تفاعل المري مع القيم التربوية وتمثله بها أبلغ الأثر في نفس المتلقي من كثير من الكلمات بدون

¹ إسماعيل راضي، مرجع سابق، ص 130.

² محمد علي دبور (مرجع سابق) ص 91.

³ المرجع نفسه ص 93.

⁴ ركز عليها الشرع كثيرا نظرا لتأثير المواقف العملية على نفس المتلقي فهي أبلغ بكثير من الحديث والخطب والعظات؛ لأنها تكتسب برهان صدقها من حدوثها وتحققها في شخص الواعظ، لذلك كان تفاعل المري مع القيم التربوية وتمثله بها أبلغ الأثر في نفس المتلقي من كثير من الكلمات بدون أن يصاحبها عمل ظاهر للمري، ومن النصوص الدالة عليها قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ الاحزاب 21 وقد حفظ التراث التربوي الإسلامي الحكمة القائلة (حال رجل في ألف رجل خير وأقوى من مقال ألف رجل في رجل) وقد أدرك الحكماء أهمية القدوة في شخص المري، فكثرت في ذلك أقوالهم ، يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود " من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه"

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ط دار الكتب المصرية 1343هـ-1925م، ج 02 ص 179.

أن يصاحبها عمل ظاهر للمربي، ولهذا السبب اعتمدتها المدارس التقليدية في تدريسها واعتنت بها بالتوازي مع التلقين وقد جاء في أرجوزة الحاج ابن شقرون والتي يتكلم فيها عن جامع القرويين:

يعلمون الناس بالسلوك وبالمقال الزاخر المسبوك¹

فجميل أن نفتدي بالصالحين في لباسهم، لكن كل تشبه لا يصحبه عمل فليس بتشبه إنما هو تلبيس....²

ولم يكن الشيخ المجاوي بأقل حالا من هؤلاء ومن ذلك إخلاصه وتفانيه في خدمة بلاده وتواضعه حيث كان يختلط بالعامية في وعظه ودروسه وكانوا يستفتونه في أمور الدين، ويطلعونه على أسرارهم وأمراضهم، وكانت الخاصة تزوره في مجالسه، فيتفاوضون في أمراض الأمة، فعرف أمراضها والطرق الناجعة لعلاجها³. وقد خص تلاميذه وطلبته بمعاملة خاصة فكان يحتك بهم خارج الدرس، ويعتني بشؤونهم وسيرتهم، وإذا رأى في أحدهم اعوجاجا في خلقه قومه بحكمته وبراعته، وكان يعتني بالتربية الدينية في تلاميذه، ينفخ فيه بروحه، ويصبغهم بصلاحه، فصار تلاميذه يشتعل في عيونهم ما يعيون شيخهم عبد القادر من بريق الوطنية والغيرة على الدين⁴.

فالمعلم في نظر الشيخ المجاوي معلم بعمله قبل علمه وقد استشهد بالحديث التالي " أشكل على الصحابة رضي الله تعالى عنهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس الذين قالوا لا إله إلا الله قالوايا رسول الله قدخفي علينا أمر المؤمن من المنافق بهذه الجملة، فقال عليه السلام " ألا أدلكم على المؤمن من المنافق؟ أما المؤمن إذا قال لا إله إلا الله أتبعه بالعمل الصالح، وأما المنافق إذا قال لا إله إلا الله أتبعه بالفجور"⁵

وحتى وإن كان الحديث لا أصل له إلا أن ما يهمننا قيمة العمل وارتباطه بالعلم عند الشيخ

المجاوي

¹ الحاج ابن شقرون، مرجع سابق، ص15.

² الشيخ زروق، عدة المرید الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الله الغرياني، دار ابن حزم ط01، 1427هـ-2007م ص18.

³ محمد علي ديبوز، مرجع سابق، ص92.

⁴ نفسه، ص100.

⁵ لا أصل له ولم أعثر عليه ضمن مضان كتب الحديث.

ومن الدلائل على التوجه الصوفي لدى الشيخ المجاوي التزامه بأصول الطريقة وهي:

أ- الشيخ: أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ المريد شيخا له يرشده إلى زوال الصفات الذميمة التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته ولم يكن للأوائل ما يسمى بالمشيخة وإنما عرف عنهم الصحبة واللقاء فكان الأدنى منهم إذا لقي الأعلى استفاد منه أحوالا لأن الأحوال مورثة.¹

والشيخ في اصطلاح الصوفية: " هو الإنسان الكامل الجامع لكل المراتب الألوهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود.²

فيجب على المريد أن لا يأخذ أوراده عن كل مخلط بل يأخذها عن شيخ كامل فذلك اشترطوا في المرشد أن يكون عالما بما يحتاج إليه المريدون من الفقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبه التي تعرض للمريد في البداية، وأن يكون عالما بكاملات القلوب وآدابها، وآفات النفوس وأمراضها، وكيفية حفظ صحتها واعتدالها، وأن يكون رؤوفا بالمسلمين عموما وبالمريدين خصوصا وان يكون ناصحا لهم فينظر في حال من يصحبه منهم إن رآه قابلا للسلوك سلكه وحسن له الطريقة، وعلى ترك الأسباب أعانه، وأعطى لكل ما أمكن إعطاؤه من المال وغيره، وإن رآه غير قابل لذلك رده إلى حرفته أو إلى تعاطي شيء من الأسباب فإن الله تعالى لا يحب العبد البطل³ "

- وقد استدل الصوفية على وجوب الشيخ في سلوك الطريق بالكتاب والسنة والحجج العقلية

فمن من كمال التقوى وجود الاستقامة التي تعني حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة ولا يتم أمرها إلا بشيخ راسخ أ وأخ صالح يدل عليها لقوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ الأعراف الآية 199.

¹ الشيخ زروق (مرجع سابق) ص55.

² المجاوي، شرح منظومة في آداب المريدين للإمام المنزلي، ص19.

³ المصدر نفسه، ص37.

وقوله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان آية 63، وقوله ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت آية 34

ومن السنة اختلاف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة فقد نهى عبد الله بن عمر بن مسعود عن الصوم وأقر عليه حمزة بن عمر الأسلمي، وقال في ابن عمر نعم الرجل لو كان يقوم من الليل، وأوصى أبو هريرة بأن لا ينام إلا على وتر وأمر أبو بكر برفع صوته في صلاته وعمر بالإخفاء، وتفقد عليا وفاطمة لصلاتهما من الليل وعائشة تعترض بين يديه فلم يوقظها، وأعلم معاذاً بأن من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة وأمره بإخفاء ذلك على كل الناس، فهذه كلها تعليمات منه صلى الله عليه وسلم في مقام الاستقامة فتحصل مما تقدم أن من يريد التقوى لا يحصل له المراد إلا بصحبة شيخ ناصح يريه ويوصله إلى ربه تعالى¹.

واستدلوا بالحديث الشريف والذي أورده السهروردي: "والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحيون عباد الله إلا اللهويفشون على الأرض بالنصيحة"². وقوله صلى الله عليه وسلم "خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته، وزاد في عملكم منطقته وذكركم الآخرة عمله"³

¹ المجاوي ، مواهب الكبير المتعال (مرجع سابق) 30.

² أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، تحقيق السعيد بن بسبوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (لبنان) ط01، 1413هـ -1993م، ص20.

قيل عن أبي الدنيا : قال عنه ابن أبي حاتم سئل أبي عنه فقال بغدادى صدوق، وقال الخطيب وكان ابن أبي الدنيا يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء.

وقال عنه الحافظ بن كثير : كان صدوقا حافظا ذا مروءة، وقال الذهبي : كان صدوقا أدبيا إخباريا، كثير العلم حديثه في غاية العلو. انظر، كتاب الأولياء (المرجع السابق) ص06

³ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، ص17. وشرحه الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير دراسة وتحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام بالرياض ط01 1432هـ -2011م رقم 4047 ج06 ص11

والحجة العقلية التي استعملوها هي أن السالك إلى الله تعالى عن طريق الكتاب والسنة من غير شيخ مرشد، كالمريض إذا كلف نفسه معالجة نفسه ومداواتها، فإن شفي بذلك لا يكون كمن أسلم نفسه المريضة إلى طبيب حاذق لأنه لا يهتدي لطريق الصلاح بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب في العلم¹.

فعملية التربية محتاجة إلى المرابي المزكي، ولا تزكية بغير مزك وهي شيء غير العلم فهناك فرق بين من يعطي علم التزكية ومن يعطي حال التزكية، كالفرق بين علم الصحة وحالة الصحة ولا يستطيع المريض أن يطب نفسه بقراءة كتب الطب بل يحتاج إلى طبيب آخر يكشف خفايا علله ويطلع على ما عمي عليه من دقائق مرضه.²

وعند تتبعنا لسير العلماء واستقصاء أخبارهم لا نكاد نجد عالما كبيرا ولا محققا شهيرا إلا وكانت له صحبة صوفية نال الحظوة بسبب الانتساب إليها، وهذا ما ينطبق على الشيخ المجاوي الذي ورث الطريقة عن أبيه (القادرية) فورث عنه سلوكا وتربية كما ورث عنه علما فنال شرف التدريس في قسنطينة والتي كانت أنداك حاضرة علمية بدعوة من أحفاد الأمير عبد القادر، الذين حموه من مضايقات الفرنسيين ويسروا له سبل النجاح فذاع صيته فيها لدرجة أفلقت سلطات الاحتلال مما اضطرها لتدبير مكيدة حولت بها جهوده إلى الجزائر وهذا خشية منها إلى تحقيقه نتائج أكبر.

وقد ذكر الشيخ المجاوي الخصال التي يجب أن يتحلى بها الشيخ وهي " التورع عن المحرمات والمكروهات، ترك ما لا يعنيه، العفة عن الكبائر، حسن الخلق، ستر عيوب الناس، المعرفة بأحوال الشريعة، الديانة، معرفة الأحكام الدينية، الشفقة، الصدق، الإنصاف، النصيحة للخلق، مخالفة هوى النفس، التواضع، حسن الصحبة"³

وقال فيه أخرجه عبد بن حميد والحكيم عن ابن عباس ورواه أبو يعلى بلفظه قال الهيثمي : فيه مبارك بن سنان وثق وبقية رجاله رجال الصحيح، لكنه ذكر أيضا في موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، إعداد علي حسن الحلبي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (الرياض) المملكة العربية السعودية ط01، 1419 هـ - 1999 م ص 429 رقم (1250)

¹ عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص24.

² د/إسماعيل راضي(مرجع سابق) ص132.

³ شرح العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي.. من ص61-64 بتصرف.

ب- المريد : هو سالك الطريق الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه، فيسلك طريقه كما يرسمه له الشيخ حتى يصل إلى غايته وقد امتلأت كتب التصوف بالحديث عن آداب المريدين وشروطهم ووضعوا لذلك قواعد كثيرة وأساسا يجب أن يلتزم بها سالك الطريق أو المريد، فمن واجبات المريد نحو الشيخ الطاعة التي بها يكون كماله وبقدر الانقياد والسمع لما يرد عليه يسموا لأعلى المراتب¹ كما أوصاه باتباعه بصدقه ومحبته.²

وقد: ذكر الشيخ المجاوي جملة من الآداب التي يجب على المريد أن يعامل بها إخوانه هي :

"المحبة والطاعة والسعي لقضاء الحاجة والإعانة على النجاح والنصيحة واحترام الصغير وتوقير الكبير وعدم الاعتراض في الأفعال والأحوال والأقوال، وتشجيع الجنائز وحفظ العرض والستر والصفح والدعاء والإخلاص في المحبة واجتناب الحسد والافتداء بالمقدم"³

هذه بعض الآداب التي تضبط علاقة المريدين بشيوخهم، والتي كان من الواجب أن يتحلى بها المريد ولكن لم تلبث أن انحرفت نتيجة الغلو في الشيخ إلى حد التقديس ومن أسباب ذلك: اعتقاد المتصوفة أن الشيخ هو الواسطة بين الله والمريدين، وهو أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي، يقول السهروردي: (كلام الشيخ بالحق من الحق، فالشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي)⁴

فالشيخ في المعتقد الصوفي عنده إسناد متصل، ويعتقد الصوفية أن الشيخ قد أخذ عهداً عن شيوخ سابقين، وأن شيوخه أخذوا عن شيوخ، وهكذا إلى الجنيد إلى الرسول ... ومن هؤلاء الشيوخ من يقنع بأن يكون مجرد شيخ في الطريقة، ومنهم من ينفصل عن طريقته السابقة، ويؤسس له طريقة خاصة باسمه، ويؤلف ويبتدع لها من ثم أذكارة خاصة ومشاعر خاصة ... ولكنه لا يعترف بالتأليف والابتداع، وإنما يزعم لأتباعه ومريديه أنه قد أخذ هذه

¹ المجاوي، شرح منظومة آداب المريدين (المنزلي) ص51.

² المصدر نفسه، ص71.

³ نفسه، ص59-60.

⁴ عوارف المعارف، السهروردي (ت632هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ- ج5، ص265.

الأذكار من الحضرة الإلهية هكذا، أو من حضرة الرسول، أو من الخضر ... المهم أنه لا بد أن يكون للذكر الخاص صلة بالوحي الخاص، والإلهام، وأن يكون للذكر الخاص هذا فضل عظيم لم ينله الأولون، ويستحيل أن يناله الآخرون.

وبالطبع فإن هذا الشيخ الذي ينفرد بطريقة خاصة لا بد أن يجعل لنفسه من الشرف والمنزلة ما يؤهله لأن يتبعه الناس، ويأخذوا عنه، فيروي لنفسه من الكرامات والفضل، والعلوم والكشف، ما يتضاءل أمامه كل منازل الأنبياء والمرسلين، ولذلك فإن اتخاذ الشيخ في الطريق الصوفي ليس هو مجرد اتخاذ معلم قد اشتهر بالعلم والعمل والصلاح بل هو اتخاذ شيخ خاص له كرامات، وكذلك له منهج خاص بتسليك المريدين، وله كذلك حقوق خاصة.

إن في هذا التبجيل الكبير للشيخ سرًا قد لا يعرفه الكثير، أشار إليه الجيلي، حين ذكر أن الإنسان الكامل - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - يظهر في صورة الأولياء، في كل زمان ومكان، وعلى ذلك فإن المرید يتعامل في حقيقة الأمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الإنسان الكامل، الذي هو . في نظرهم . من نور الله، ومحل نظر الله تعالى، ومنه خلق العالم، وهو أول موجود، فلذا كان من الواجب أن يوقره وينزل طاعته منزلة طاعة الله.

يقول الجيلي: (اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود في أوله وآخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كائنات فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي له هو محمد وكنيته أبو القاسم ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله فغي كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي¹ ولست أعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم وكنيت أعلم أنه الشيخ

وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه في الصور المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور

¹ - شيخ الجيلي، توفي سنة 796هـ، انظر ترجمته في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص للعلامة أبي العباس الشرحي الزبيدي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط01، 1406هـ 1986م ص101.

وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع الاسم إلا على الحقيقة المحمدية،
ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه، قال الشبلي لتلميذه:
أشهد أبي رسول الله، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله.

فإذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صورة الآدميين، فيلزمك
إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك
الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه وسلم، لما أعطاك الكشف شأن محمد صلى الله عليه
وسلم متصورة بتلك الصورة، فلا يجوز لك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن
تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل... وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال
يتصور في كل زمان بصورة أكملهم، ليعلي شأنهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن
حقيقتهم¹.

فالشيخ إذاً في مقام رسول الله أو في مقام الإنسان الكامل والموجود الأول، الذي يمتاز
بألوهية المعدن والمنشأ والمعدن، ولذا فإنه يستحق الطاعة المطلقة كطاعة الله تعالى حتى ولو كان
فيها حتف المرید، وقد أقر الشيخ المجاوي هذه الاعتقادات فوجد في شرحه بعض الزلات
والسقطات ومن أمثلتها قوله:

قوله "يجب على المرید أن لا يحقر شيخه، وكرره تأكيداً لتعظيم الشيخ و(الجهول) من لا
معرفة له بأسرار الطريق وأحوال القوم، ويجب عليه أيضاً أن يعتقد وصول شيخه لدرجة أهل
الكمال، ومعنى الوصول أنه لما نفخ إسرافيل عليه السلام الفلاح في الأرواح فإذا خرجوا من
ظلمة النفس ورفعت أقدامهم فما وضعت إلا في حضرة الملك الحق و(الوصول) مصدر وصل،
ك: وعد، ومصدره القياس: وصلا والوصول عند القوم هو الوحدة الحقيقية الواصلة بين
البطون والظهور، وقد يعبر عن سبق الرحمة بالحببة المشار إليها بقوله تعالى في الحديث القدسي "

¹ عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، تحقيق صلاح بن محمد بن عويصة، منشورات دار الكتب
العلمية، بيروت (لبنان) ط1418 01هـ-1997م، ص210-211.

فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق¹ وقد يعبر عنه بقيمومة الحق للأشياء، فإنها تصل الكثرة بعضها ببعض حتى تتحد وبالفصل تتفرق وحدتها، والله أعلم².

ولم يكتف الصوفية بهذا التعظيم بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك حين أوجبوا على المرید تصور صور الشيخ في الفكر وهي ما يعرف ب(الخارقة) وهي في نظرهم أفضل من الذكر، لأن الشيخ واسطة في الوصول إلى جانب الحق عز وجل، وكلما ازداد وجوه المناسبة مع الشيخ تزداد الفيوضات من باطنه، ويصل عن قريب إلى مطلوبه - إن شاء الله تعالى - واللازم في المرید أن يفنى في الشيخ ثم يصل بالفناء في الله تعالى³.

والمبالغة في تعظيم الشيخ انجر عنه أيضا المبالغة في تعظيم الطريقة حيث ذكر بعض ما يناله المنتسب للطريقة من غير نصوص تدل على ذلك منها : أنه يأمن من الخزي في الدنيا ومن سكرات الموت وسؤال الملكين وكذا من أهوال الجزاء، بشرط أخذهما عن إمام مرشد كامل⁴.

وكذلك قوله "أن الشيخ رضي الله عنه أخذ العهد الثابت القطعي عن الله تعالى أن مریده لا يموت إلا تائباً، كما ذلك مشاهد بشرط استعمال الآداب وعدم النكث للعهد، قال سيدي عمر البزار رضي الله عنه : ضمن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه لمریده إلى يوم القيامة لا يموت أحد منهم إلا على توبة خالصة ولو كان على سبيل مكروه وهذه كرامة ما أجلها وقد تقدم هذا كما أنه قال رضي الله عنه : " فو الله إني لأحضر له عند المصائب والشدائد كلها في الدنيا والآخرة، وأحضر له عند نزع الروح وسكرات الموت، وأطرد عنه الفتن، ونرد عنه جواب منكر ونكير في سؤال القبر، وأحضر له عند الحشر والنشر، وعند

¹ قال ابن تيمية في الحديث : ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ن (الفتاوى 376/18) وتبعه الزركشي وابن حجر، انظر : تمييز الطيب من الخبيث ص(142) وقال الألباني لا أصل له، انظر السلسلة الضعيفة (96/1)، رقم : (66)

² المجاوي، شرح منظومة آداب المریدين (المنزلي) ص47.

³ المصدر نفسه، ص60.

⁴ نفسه، ص61.

الموقف وعند المرور على الصراط، وعند الميزان ووزن الأعمال وعند أهوال القيامة كلها، ويكون رفيقاً لي في الجنة في أعلى عليين، بجوار جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

وقوله كذلك " يا طالبا عين الصواب والسداد، وقاصدا الخلاص من العذاب، اتبع طريقة سيد الأقطاب الغوث الرباني، والهيكل الصمدي سيدي عبد القادر الجيلاني فإنك ان اتبعته وصدقت في محبته ومحبة أولاده ومريديه تسق من كأس اليمين، أي تسقى من الحوض النبوي الذي لا يسقى منه إلا أهل اليمين"²

لذلك أشار بعض الباحثين إلى ضرورة طلب العلم والاهتمام بالفرائض أولاً ثم بالنوافل ثانياً ثم بالتعلم ثالثاً وأن يجتنبوا الغلو وتجاوز الحد في الدين ولا يحملوا الناس جميعاً على طريقة واحدة في التصوف، وأن لا يرفعوا هامات الأولياء ومناماتهم وشطحاتهم إلى درجة الوحي الذي قد انقطع، وأن يغربلوا كتب الطريقة بميزان الكتاب والسنة، وإن لم يفعلوا فإنهم يقعون عرضة للقدح والذم"³.

مع العلم أن انحراف التصوف قد عاجله علماء من قبل، فهذا العلامة عبد الرحمن الأبخري⁴، فقد ألف قصيدة القدسية التي خصصها لمتصوفة زمانه وانحرافاتهم طبعت بمصر سنة 1348هـ حيث كشف فيها عن حال المتصوفة المخادعين باسم الدين، وأهل الأهواء والبدع

¹ المحاوي، شرح منظومة آداب المريدين (المنزلي) ص70.

² المصدر نفسه، ص71.

³، انظر رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات إخراج لجنة جاعية الصوفية في مدينة الورد (نيجيريا) برئاسة الحاج محمد بن إبراهيم . القادري و مساعدة الحاج علي أبو بكر جبتا التجاني القادري { دط . دت . ص 12-13.

⁴ ولد حوالي سنة 920هـ-1504م في منطقة تدعى (تلفال) في قلب الأوراس، أمه تدعى حدة أما أبوه فيدعى محمد الصغير الأبخري من تلاميذ الشيخ أحمد زروق الفاسي وأحد علماء عصره حيث ترك عدة تأليف أهمها : (حاشية على الشيخ خليل) في الفقه المالكي، وله كتاب في (التصوف الإسلامي) هاجم فيه من سماهم (الدجاجلة) الذين انحرفوا عن نهج الشرع القويم وللحد كذلك (محمد بن عامر الأبخري) تأليف أو أكثر في الفتاوى الفقهية .

و هذا الوسط العلمي أثر في الشيخ عبد الرحمن فجعله يمتاز بالنبوغ حيث برع في أكثر الفنون العربية والإسلامية معقولها ومنقولها ومن أهم تأليفه: (السراج في الفلك)، (السلم المرونق في المنطق)، (المنظومة القدسية)، (الفريدة الغراء في التوحيد) (رجز في علم الحساب)، (مختصر في فقه العبادات)، (نظم الدرّة البيضاء في الحساب والفرائض).

انظر محمد الصالح رمضان، أقطاب السلفية في الجزائر، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر-2007م ص34-35.

وغيرهم من المنحرفين والمشعوذين، وفيها يتجلى منهجه السلفي السني فقد قال فيما يخص الذكر الشرعي:

ومن شروط الذكر أن لا يسقطوا بعض حروف الاسم أو يفرطوا
في البعض من مناسك الشريعة عمدا فتلك بدعة شنيعة
والرقص والصراخ والتصفيق عمدا بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب في الأذكار الذكر بالخشوع والوقار
فواجب تنزيه ذكر الله على اللبيب الذاكِر الأواه
على كل ما تفعله أهل البدع ويقتدي بفعل أرباب الورع
فقد رأينا فرقا إن ذكروا تبتعدوا وربما قد كفروا
خلوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا في أعظم الأسماء
ويصف متصوفة زمانه بقوله:

قد ادعوا مراتب جليلة والشرع قد تجنبوا سبيله
ونبذوا شريعة الرسول فالقوم قد حادوا عن السبيل
لم يقتدوا بسيد الأنام فخرجوا عن ملة الإسلام
لم يعملوا بمقتضى الكتاب وسنة الهادي إلى الصواب
قد ملكت قلوبهم أوهام فالقوم إبليس لهم إمام

ثم يتعرض للمتصوف الحقيقي فيصفه بقوله:

واعلم بأن الولي الرباني لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد لأصلها وفرعها

والشرع نور الحق منه قد بدا فانفجرت منه ينابيع الهدى
وقال بعض أولياء الله السالكين بصراط الله
من ادعى مراتب الجمال ولم يقم بأدب الجلال
فأرفضه إنما الفتى دجال ليس له التحقيق والكمال
ومن يجلى بجلي المعالي وبحُدود الله لم ييال
ففر منه إنه شيطان مخادع ملبس خـوان¹

ج-العهد: إن الغاية من التصوف والانتساب للطريقة هي مجاهدة النفوس وقهرها والمراد
إتباعها في الأمر الجائز، وقال الشيخ المصنف هي فعل المأمورات وترك المنهيات وقيل ترك
المألوفات والعادات ذلك وتحمل مشاق الصبر والأذى في سبيل ذلك، وقطع الطريق أمام حب
الرياسة والمحمدة والجاه². عن جابر قال " قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم غزاة
فقال صلى الله عليه وسلم قدمتم خير مقدم من جهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل : يا
رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال مجاهدة العبد هواه"³

وتختلف المجاهدات باختلاف البواعث وأن الباعث وإن كان طلب النجاة فقط فهي مجاهدة
التقوى والورع وإن كان طلب الفوز بالسعادة والدرجات العلى في الدار الآخرة فهي مجاهدة
الاستقامة، وإن كان الباعث طلب المعرفة برفع الحجاب في الحياة الدنيا فهي مجاهدة الكشف .
أما الأولى فلا يضطر فيها المرید للشيخ أما الثانية والثالثة فتفتقر للشيخ افتقار وجوب واضطرار
لا يسع غيره .⁴

¹ انظر محمد الصالح رمضان (مرجع سابق) ص 42-43.

² المجاوي، المصدر، ص 99.

³ أخرجه البيهقي فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى رقم (373) ص 165.

الإمام البيهقي ، كتاب الزهد الكبير ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية ، ط 01، 1408هـ -
1987م.

⁴ انظر : ابن خلدون، شفاء السائل، وتهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر بيروت (لبنان) دار
الفكر دمشق (سوريا) ط 01، 1417هـ-1996م ص 122.

وقصد توثيق المرید علی التزام خصال التقوی الذي هو فعل الواجبات وترك المحرمات ألزم المرید أخذ العهد والذي يعني الوقوف عندما حده الله تعالى لعباده، فلا يفقده حيثما أمر ولا يوجد حيث نهي¹، مستندين لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ.²

وقد جعل أئمة الطريق هذا الحديث أصلا في أخذ العهد إذ كان بعد تقرير الإيمان، ومقصده التوثيق بمقتضيات الإيمان حتى لا يخل بها، وفيه من السماح ما لا خفاء به، وهو خلاف ما يلزمه هؤلاء الجماعة من المشاق وبينون عليه من ضيق النطاق.³

في كيفية أخذ العهد والمبايعة في الطريقة القادرية العلية

"هو أن يجلس المرید أولا تجاه الشيخ ملاصقا ركبته بركبتي شيخه، واضعا يده اليمنى بيد شيخه اليمنى بعد صلاة ركعتين نفلا لله تعالى، ثم يقرأ الفاتحة لحضرة الأستاذ الأعظم سيدنا محمدصلى الله عليه وسلم ولجميع إخوانه من النبيين والمرسلين والآل والأزواج والصلحاء أجمعين، ولأئمة الدين ومشائخ السير والسلوك خصوصا مشائخ الطريقة القادرية والأقطاب والغيوث رضوان الله عليهم أجمعين، ثم يقول الشيخ لمريده: قل استغفر الله، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا الحي القيوم وأتوب إليه، أشهد الله وملائكته ورسله بأني تائب إلى الله، منيب إليه، وأن الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا، وأن العهد عهد الله ورسوله، وأن اليد يد شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد القادر وأشهد بأني أحل الحلال وأحرم الحرام، وألزم الذكر والطاعة بقدر الاستطاعة، ورضيت بحضرة شيخنا المشار إليه شيخنا، ومشايخه مشايخ لي، وطريقته طريقة لي، والله على ما نقول وكيل.

ثم يقرأ الشيخ (ثلاث مرات سرا) يا واحد يا ماجد، انفحننا بنفحة منك

⁵ المجاوي شرح منظومة آداب المریدین للمنزلي، ص 99.

¹ المرجع نفسه، ص 100.

² أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم 18 ص 14.

³ الشيخ زروق (مرجع سابق) ص 133.

ثم يقرأ آية المبايعة وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَمَنْ سُنُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح الآية 10.

ثم يقول الشيخ لمريده اسمع مني كلمة التوحيد (ثلاث مرات)، وقل أنت مثلها وغمض عينك، فإذا قالها يوصيه بالوصايا اللازمة، والإكثار من التلاوة لها قياما وقعودا، مراعيًا لحقوقها ومن جملة الوصايا تقوى الله وطاعته، ثم يدعوا الشيخ لتلميذه¹

والغرض من أخذ العهد على المريد أن يحافظ على الواجبات والآداب الشرعية، ويراعي ما يلقنه له شيخه من الأذكار والأوراد والمجاهدات حالا بعد حال، ولا يهملها ولا يغفل عنها، فالمقصود بالعهد عند الصوفية هو التأكيد على السالك والمريد بالانتقال من حياة الغفلة وغلبة الشهوات إلى حياة التوبة والمراجعة للنفس، والبحث عن عيوبها، والإقبال على الله، فيتحقق بهذا العهد التأكيد على الانتقال من حال إلى أخرى، ومن مرحلة إلى مرحلة جديدة.

فلا بد لكل مسلم من البيعة ليسير مع شيخ يركيه ويرشده حتى وإن كان عالما، فلا يكف عند الصوفية في سلوكهم إلى طريق الله سبحانه وتعالى بمجرد العلم، فمجرد قراءة كتب التصوف عندهم - بلا معاناة لتهديب النفس ومجاهدتها - إنما تعد متعة ذهنية، وثقافة عقلية، قد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقا إلى الضلالة، أما المنح الروحية من الله تعالى فهي نتيجة الجهود والأعمال، فالصوفية أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال، وعندهم لم ينل المشاهدة من ترك المجاهدة.

وفي ذلك يقول الإمام السهروردي: "فالمرید الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته، وتآدب بآدابه، يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید، كسراج يقتبس من سراج، وكلام الشيخ إلى المرید بواسطة الصحبة وسماع المقال، ولا يكون هذا إلا لمرید حصر نفسه مع الشيخ، وانسلخ من إرادة نفسه، وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه، فبالتألف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية، والطهارة الفطرية، ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأدبا بترك

¹ الجاوي، شرح منظومة آداب المریدین للمنزلي، ص 50-51.

الاختيار، وحتى يرتقي من ترك الاختيار مع الله تعالى، ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ، ومبدأ هذا كله الصحبة والملازمة للشيخ والخرقة (العهد) مقدمة ذلك".¹

وينبغي على المرید إذا أخذ العهد من شيخه أن يلتزم ما أمره به الشيخ من قواعد وأصول مؤسسة عند القوم... ويتخلق بأخلاق المریدین بأخلاق المحبوبین.²

ومن أهم التزامات المرید في الطريقة هو المحافظة على الأوراد وتعني مجموعة الأعمال الصالحة التي تعمر بها الأوقات، وتنكف بها الجوارح عن الوقوع في المكروهات أو ما يعينه الشيخ لتلميذه في السلوك من الأذكار.³، فهي من أجل أسباب السلوك والقرب وأعلى مناصب أولياء الألباب، ومفتاح باب النفحات، وهو العمدة في الطريق الموصلة، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام ذكره قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ذُكْرُوا لِلَّهِ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ الأحزاب الآية 41-42.

والذكر على ثلاثة أنواع: ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالروح، فبالأول يتوصل إلى الثاني وبالثاني يتوصل إلى الثالث الذي هو الغاية القصوى، وحقيقة الذكر أن تذكر الله وأنت ناس لكل شيء سواه.⁴ ويعرفه الصوفية بـ "التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق"⁵

ويرى المجاوي أن للذكر آداب يجب على المرید أن يتحلى بها قبل الشروع فيه وهي: الوضوء، صلاة سنته، طهارة الباطن من أمراض المعاصي المتعلقة بالقلب وحفظه من دخول الخواطر، وأن يتجرد من القيود والعلائق، ويزكي نفسه عن الشهوات وحب الدنيا واتباع الهوى.⁶

كما يجب على الذاكر أن يخرج من قلبه كل موجود سوى الله تعالى كالمخلوقين والتعلق بالدنيا وغيرها، إذ يجب على المناجي ربه الحضور وهو من جملة الآداب التي يتلبس بها الذاكر

¹ - عوارف المعارف (مرجع سابق) 109/1.

² المجاوي شرح منظومة آداب المریدین للمنزلي، 48.

³ المصدر نفسه، ص 49.

⁴ نفسه، ص 18.

⁵ ابن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، مطبعة السعادة، ط 01، ص 03.

⁶ المجاوي (مرجع سابق) ص 32.

حالة الذكر، إذ يشترطون نفي كل موجود عن القلب سوى الله تعالى ، وغاية ذلك أن يغيب إحساسه ويحصل له الحق الذي هو فناء وجود العبد في ذات الحق ،، كما أن الحو هو فناء أفعاله في فعل الحق، وأما الطمس فهو فناء الصفات في صفات الحق، فالأول لا يرى في الوجود شيء إلا للحق، والثاني لا يرى لشيء فعلا إلا للحق، والثالث لا يرى صفة إلا للحق¹.

ولذلك أمر المريد بالإكثار من قول لا إله إلا الله والتي تحتوي على ركنان وهما :

الأول : النفي. والثاني : الإثبات .ف(لا إله) تنفي العبادة عن كل ما سوى الله و(إلا الله) تثبت جميع العبادات لله وحده.

ومعناه لا معبود بحق إلا الله وغير الله إن عبد فباطل² ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الحج الآية

62. ﴿بَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْبِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مَتَفَلِّبَكُمُ وَمَثْوِيَكُمُ﴾ محمد الآية 19..

فالإنسان عندما ينفي عن قلبه كل ما سوى الله يكون تأثير إلا الله بالقلب ويسري إلى الأعضاء بحيث لا ترى إلا أنت ورايك فتراقبه حق المراقبة، بأن تتخذ ذكره دأبا، وما عنده كنزا تنفق منه في ظاهر أمرك وباطنه.³

وهو المقصود بقوله : استقبل واذكر بالصدق واتبع نهج السالكين

فعلينا أن نذكر الله بصدق أي بحضور القلب ونقتدي بالسالكين في ذلك أي أولياء الله مثل سيدي عبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي... الذين عاشوا النبوة لكن دون وحي، فليس شي أشد وأشق في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ

¹ المجاوي، شرح منظومة آداب المريدين للمنزلي، ص 34-35.

² محمد بن عبد الوهاب الوصابي، لا إله إلا الله معناها أركانها دلالتها منطوقها ومفهومها شروطها نواقضها مقتضاها، دار المحسن للنشر والتوزيع (الجزائر)، ط01، 1430هـ-2009م ص10.

³ المجاوي(مرجع سابق)، ص35.

المعاني، وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى، وهو موضع الإخلاص، فلا بد حينئذ من حضور القلب وفراغه من الشواغل والعلائق، والجلاء عند ظهور الذات لذاته في ذاته، والاستجلاء ظهورها لذاته في تعيناته¹.

ولذلك جاء في الحديث "من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة"² وهذا إشارة إلى عمل القلب وتحقيقه بمعنى الشهادتين فتحقيقه بقول (لا إله إلا الله) أي أن لا يأله القلب غير الله حبا ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، وتحقيقه بأن محمد رسول الله بأن لا يعبد الله بغير ما شرع الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم³.

ثمرة الذكر اللساني هي الترقى إلى الذكر القلبي لأنه هو المطلوب من الذكر اللساني، الذي يحصل به مقصود الذاكر، وهو تحقق ناره ونوره يعني أن نار الذكر تحرق جميع الأخلاق الذميمة، ونوره يثمر الأخلاق الحميدة وينبتها في القلب كما ينبت الماء العشب وهو ما يشير إليه صاحب المنظومة الرحمانية بقوله:

واعلم يا أخي المطلوب وضع الاسم في القلوب

يحصل به المرغوب نوره والناريا

فناره تخلينا من رذائل كليا

ونوره تحلياً بالفضائل مروياً⁴

والذكر بهذا المعنى من شأنه أن يفعل عقيدة المسلم بعد أن تجردت من فاعليتها وأصبحت عبارة عن قناعات لا أثر لها في الواقع فتوفر الدافع الداخلي لدى جماهير الشعب المتعطشة إلى انتفاضة القلب، كي تنتصر على ما أصابها من جمود.¹

¹ الجاوي، شرح منظومة آداب المريدين للمنزلي، ص 29.

² أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (لبنان) 1416هـ-1996م ج 07 ص 312 وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف 1915هـ-1995م رقم (2355) ج 05، ص 470.

³ الحافظ بن رجب الحنبلي، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ط 04، المكتب الإسلامي بيروت لبنان. ص 21.

⁴ انظر المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن باشتارزي القسنطيني (ت 1252هـ) تحقيق ودراسة الدكتور عبد المنعم القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع (الجزائر) ط 01، 1437هـ-2016م ص 311.

سلسلة الطريق: (السند): وهي عبارة عن اثبات يبين شيوخ الصوفي في المشرب الذي ينتهي اليه وميله واتجاهاته وصارت بعد تكوين الطرق الصوفية شجرة تبين نسبة كل منها، وتحدد أسلاف الطريقة، وقد ذكر الشيخ عبد القادر المجاوي سند الطريقة الرحمانية في كتابه مواهب الكبير المتعال . والتي تبدأ ب:

سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهرى مجاورة ، الإسماعيلي عرشا، القحطولي قبيلة الزواوي إقليما مؤسس الطريقة الرحمانية الخلوتية الرحمانية بالجزائر. هو الغوث الأكبر والمرابي الأشهر ولد ما بين 1126-1133هـ في وطن بني اسماعيل من قبائل جرجرة وسافر إلى مكة سنة 1152هـ ، وأثناء عودته استقر بالأزهر الشريف وأخذ الطريقة الخلوتية ثم قام بنشرها في كل من السودان والهند ثم عاد مؤخرا إلى الجزائر ، بعد غياب طويل دام ثلاثون سنة ليقوم بنشر الطريقة الخلوتية التي سميت بالرحمانية نسبة إليه توفي عام 1208هـ.²

وهو عن سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري (صاحب ورد السحر): شيخ الطريقة والحقيقة ومربي المريدين، الإمام المسلك الخلوتي سيدي مصطفى البكري بن كمال الدين بن عبد القادر محي الدين الصديقي الحنفي الدمشقي البكري، العارف الرباني صاحب الكشف و العوارف والمعارف والتأليف التي اشتهرت شرقا وغربا وذاع صيتها في الناس عربا وعجماء، ولد بدمشق عام 1099هـ وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام... وأخذوا عنه توفي بمصر عام 1162هـ.

وهو عن سيدي عبد اللطيف الحلبي: صاحب الأحوال والكرامات والجد والاجتهاد في العبادات الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الخلوتي، نزيل دمشق ولد في حلب وخرج منها

¹ مالك بن نبي وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، مصر ط01، 1959م ، ص55.

² انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي، سلسلة مشائخ ومقادم الطريقة الرحمانية وأعلامها، بحث منشور في الموقع :

وسافر وطاف وأخذ عن شيخه مصطفى الأردوي في مصر، وأقام عنده ثم نزل دمشق وأقام بها، واشتهر وساد إلى أن توفي بدمشق سنة 1121هـ¹.

وهو عن سيدي مصطفى أفندي الأدرنوي: نجل الشيخ سيدي قراباش تربى عند والده وذاع صيته واشتهر بالوعظ والارشاد، انتقل سنة 1104هـ إلى اسطنبول وكان يعظ ويرشد السالكين وكان واسع العلم محدثا واقفا على العلوم العربية له من المؤلفات (شرح الفصوص) و(ديوان شعر) توفي 1114هـ باسطنبول.²

وهو عن سيدي علي قرا باشا الولي: شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة الشيخ علي علاء الدين العربي-نسبة إلى عربيكير بلد في شمال الأناضول-المعروف بقراباش (أي الأسود الرأس) الولي، حصل على العلوم في الأستانة ثم رحل إلى قسطنطينية (تركيا)، وأدرك سيدي عمر الفؤادي، وتربى عند الشيخ اسماعيل الجورومي، وأخذ عنه الخلافة، ثم سكن الأستانة ونشر بها الطريقة وهو رئيس فرع القراباشلية من الخلوتية، توفي أثناء عودته من الحج سنة 1097هـ³.

وهو عن سيدي إسماعيل الجرومي، سمي بالجورومي نسبة إلى جوروم بلد في الأناضول وتلقى التصوف عن سيدي عمر الفؤادي توفي سنة 1070هـ بقسطنطينية.⁴

وهو عن سيدي محي الدين القسطنطيني: من كبار العارفين تولى الإرشاد بخانقاه في قسطنطينية توفي سنة 1000هـ⁵.

عن سيدي شعبان القسطنطيني: أصله من طاش كبرى بلدة في ولاية قسطنطينية سميت باسم قنطرة معمولة من حجر هناك وإليه تنسب الطريقة الشعبانية توفي 976هـ⁶.

وهو عن سيدي خير الدين التوقادي: أجل خلفاء سيدي جمال الخلوتي أصله من توقاد بلد في أواسط الأناضول وسكن (قونرابا) وتوفي في أسكندرا وتوفي بها سنة 940هـ¹.

¹ انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي، سلسلة مشائخ ومقادم الطريقة الرحمانية (مرجع سابق)

² المرجع نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ .

⁶ نفسه.

عن سيدي جلي سلطان الأقسراي الشهير بجمال الخلوتي: ولد الشيخ في أماسيا من بلاد الأناضول الوسطى و(جلي) في لغة الأترك تعني (الرباني) وسلطان يستعمل في كبار الأولياء عندهم استخلفه شيخه وبعثه إلى الروم لإرشاد المريدين وكان بناء الزاوية المعروفة (قوجة مصطفى سلطان) في الأستانة لأجله ، توفي سنة 899هـ وفي رواية 912هـ من آثاره (تفسير سورة الفاتحة) (تفسير سورة الضحى إلى آخر القرآن) (شرح الأربعين القدسية) (شرح الأربعين النووية) (جامعة الأسرار والغرائب) (زبدة الأسرار)..²

وهو عن سيدي محمد بهاء الدين الأردنجاني: قدوة الأولياء الواصلين وعمدة الصلحاء السالكين، ولد في (كثر ليج) من ملحقات أرزنجان وتوفي فيها سنة 879هـ.³

وهو عن سيدي يحيى الباكوي: صاحب الكشف والتحقيق والتدقيق الحنفي الخلوتي الصوفي ولد بمدينة شماخي ولاية شروان بالجنوب الشرقي من القوقاسوأما نسبه الباكوي فيلى (باكو) بلدة في سهل بحر الخرز في منتهى جبل القوقاس من ولاية شروان توفي سنة 868هـ.⁴

وهو عن سيدي صدر الدين عمر الخياوي (خياوة مشكى) اسم قرينتين مثقارتين بالقوقاس وإليها ينسب الشيخ سيدي صدر الدين ، كان أميا نساجا لكنه صاحب كشف ومجاهدات وكانت وفاته في حدود 832هـ.⁵

وهو عن سيدي عز الدين الشرواني: مرشد الزاهدين وسند المتقين توفي سنة 815هـ.⁶

وهو عن سيدي محمد مبرام الخلوتي: ملاذ السالكين وملجأ المريدين توفي في حدود سنة 780هـ.⁷

¹ انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تازي، سلسلة مشائخ ومقادم الطريقة الرحمانية (مرجع سابق)

² المرجع نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

⁷ نفسه.

وهو عن سيدي عمر الخلوتي: القطب الأشهر صاحب الكشف الأنور توفي في حدود سنة 730هـ¹.

وهو عن سيدي محمد الخلوتي: تاج الأتقياء إليه تنسب الطريقة الخلوتية توفي في حدود سنة 665هـ².

سيدي إبراهيم الزاهد الكيلاني: توفي رضي الله عنه في حدود سنة 653هـ³.

وهو عن سيدي جمال الدين التبريزي المعروف بابن الصيدلاني وسمي بالتبريزي نسبة إلى تبريز قاعدة أذربيجان بإيران توفي في حدود سنة 640هـ⁴.

وهو عن سيدي شهاب الدين محمد الشيرازي: قدوة السالكين وفخر الورعين شهاب الدين محمد بن محمود التبريزي توفي سنة 629هـ⁵.

وهو عن سيدي ركن الدين محمد الزنجاني، : ويقال الزنجاني (بلد يقرب من سهرورد) توفي 516هـ⁶.

وهو عن قطب الدين الأبهري: حجة العارفين وعمدة الزاهدين توفي في حدود سنة 590هـ⁷. وهو عن أبي النجيب السهروردي: عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عموية بن سعد البكري، أبو نجيب السهروردي نسبة إلى بلدة قرب زنجان أحد أعظم مشائخ الصوفية من أهم كتبه (عوارف المعارف) توفي سنة 563هـ⁸.

وهو عن سيدي عمر البكري⁹ :

¹ انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي، سلسلة مشائخ ومقادم الطريقة الرحمانية (مرجع سابق).

² المرجع نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه .

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

⁷ نفسه.

⁸ نفسه.

⁹ لم أعثر له على ترجمة.

وهو عن سيدي وجيه الدين القاضي: عم سيدي السهوردي: كان مقدم الصوفية في الرباط المعروف بسعادة الخادم بيغداد ، ولد سنة 455هـ وتوفي سنة 532هـ.¹

وهو عن سيدي محمد البكري، (930-994هـ) (1524-1588م)

محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الدين: من علماء المتصوفين، له شعر جيد. مولده ووفاته بمصر.²

وهو عن سيدي ممشاد الدنيوري: أحد كبار المشائخ العارفين كان رأسا عظيما في الزهد والديانة والورع (ت 299هـ)³

عن سيدي أبو القاسم الجنيد: صاحب المقامات الفاخرة والكرامات الظاهرة، رئيس الطريقة وينبوع مورد الحقيقة بن محمد القواريري سيد الطائفة البغدادية أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه بالعراق، كان فقيها يبيني على مذهب أبي ثور (ت 240هـ) صاحب الإمام الشافعي ، توفي رحمه الله سنة سبع وتسعين ومائتين، وقبره بيغداد.⁴

عن خاله أبو الحسن سري بن المغلس السقطي: (153-251هـ) لقب بالمغلس لأنه يضل في بيته ولا يخرج منه إلا للصلاة، إمام البغداديين وشيخهم في وقته، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، اشتهر بكثرة البكاء والتضرع إلى المولى والفرار من مواطن الراحة، وكثرة الوله ووجل القلب،⁵ ومن كلامه " من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز"⁶

انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي، سلسلة مشائخ ومقادم الطريقة الرحمانية وأعلامها

¹ المرجع نفسه.

² نفسه.

³ (مرجع سابق)

⁴ أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتب العلمية (بيروت) ط 01، 1418هـ. ص 49.

⁵ السلمى، (طبقات الصوفية).

⁶ أبو النصر السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق وتقديم عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة النقي بيغداد 1960م. ص 322.

عن أبي محفوظ سيدي معروف الكرخي بن فيروز : من المشهورين بالزهد والورع والفتوى، بحباب الدعوة يستشفى بقبره، كان يقول " من أراد الله به خيراً فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدبهم، وهو صبي. وكان المؤدب يقول له قل: "ثالث ثلاثة"، فيقول معروف: "بل هو الواحد الصمد!"، فضربه على ذلك ضرباً مفرطاً، فهرب منه فكان أبواه يقولان: "ليتته يرجع إلينا، على أي دين كان، فنوافقه إليه!"، فرج عليهما، فذق لباب، فقليل: "من"، قال: "معروف!"، فقالا: "على أي دين"، قال: "دين الإسلام"؛ فأسلم أبواه.¹ توفي معروف في بغداد سنة 200 هـ الموافق 815 م ودفن فيها.²

عن أبي سليمان سيدي داود بن نصير الطائي: أخذ الحديث عن عروة بن هشام (ت763 هـ) والأعمش (ت147 هـ) وعبد المالك بن عمير (ت136 هـ) وغيرهم، وعنه روى أبو نعيم وابن عليّة وجماعة، قيل عن سبب زهده أنه كان يجالس أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فقال له يوماً: يا أبا سليمان أما الآداب فقد أحكمتها، فقال له: فما بقي؟ قال: العمل بما علمناه فاعتزل وتزهد، وانقطع وتعبد حتى صار رأساً في المجاهدة، وكان إذا خرج مشى في الطريق المهجورة البعيدة، فيقال له الطريق من هنا أقرب، فيقول فر من الناس فرارك من الأسد ومكث وحده أكثر من ستين سنة فقليل له: أما تستوحش، فقال: حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا، توفي سنة اثنين وستين ومائة.³

عن سيدي حبيب العجمي : قدوة الزاهدين وتاج العارفين، كان من أبناء الملوك فأدركته العناية الربانية فصار من أهل السلوك، ولزم مجلس وعظ الحسن البصري، فأقبل على الآجلة وتحول عن الأخلة، وله من المناقب الكثيرة والكرامات الشهيرة، منها أنه كان يرى بالبصرة يوم التروية وبعرفة عشية عرفة، ونزل بأهل البصرة قحط فاشتري طعاماً بنسيئة وفرقه على المساكين، وخاط كيساً وجعله تحت رأسه فلما حل الأجل وأتوه طالبين أخذ الكيس فوجده مملوء دراهم ففضى جميع الدين، ودخل الحسن مسجداً يصلي المغرب فإذا حبيب يصلي بالناس فلم يصل

¹ السلمي، (المرجع السابق) ص54.

² القشيري، المرجع سابق، ص29.

³ نفسه ص34.

خلفه لكونه يلحن لعجمة في لسانه فرأى تلك الليلة في النوم يقال له لو صليت خلف حبيب لغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، ورئي في النوم بعد موته فقيل له ما حالك، فقال هيهات ذهبت العجمة وبقيت النعمة مات سنة 119هـ.¹

عن أبي سعيد الحسن البصري : ولد زمن عمر وسمع عثمان، روى عن ابن عباس وغيره، كان كبير الشأن رفيع الذكر، رأسا في العلم والعمل، غلب عليه الخوف حتى أن النار لم تخلق إلا له، وكان يقول " ذهبت المعارف وبقيت المناكر" وقال " يستعان على خاطر الشيطاني بالذكر والقراءة " وعلى خاطر النفساني بالصوم والرياضة، وإذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل وولد، ومن شرط التواضع أن لا ترى الفضل لنفسك على أحد، وإذا أراد الله بعبد خيرا أمات عياله وجرده للعبادة²، مات سنة 110هـ.³

عن أمير المؤمنين وابن عم سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : مآثره أفرد الكلام عليها بالتأليف⁴، ومن كلامه " لا تكن ممن يرجوا الآخرة بدون عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي لم يشبع وإن منع لم يقنع، يعجز عن شكل ما أوتي ويتنغي الزيادة في ما بقي، ينهى عما يأتي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكم عليها لغيره، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقوم على

¹ سير أعلام النبلاء، ج6 ص 144/143

² أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج136/02

³ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج136/01

⁴ منها كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للشريف الرضي، وكتاب مناقب الأسد الغالب لشمس الدين بن الجزري، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب لأبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي (ت871م) وجمعت أقواله كلها في كتاب (نهج البلاغة).

ما يوبقه من حوبه¹ وآخر ما تكلم به ﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ وَمَنْ

يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٩﴾ الزلزلة الآية 7-8

توفي مقتولا سنة 40 هـ .²

عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (571م-734م) قدوة الأولياء والمرسلين، وملجأ الأولين والآخرين صاحب المقام المحمود والحوض المورود بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.³

عن روح الأمين سيدنا جبريل المكين عليه الصلاة والسلام، وهو تلقى عن رب العزة جل جلاله

فهذا سند الطريقة الرحمانية ذكره الشيخ الجاوي من الشيخ عبد القادر الأزهري إلى النبي صلى الله عليه وسلم والملاحظ عليه ما يلي:

صعوبة الحصول على تراجم بعض شخصيات السند خاصة بعد الإمام الجنيد، والكثير منهم لم يعرف ميلاد وفاته بالتدقيق والبعض لم يعثر له على ترجمة أصلا مثل عمر البكري وقد اعتمدت على مرجع واحد يتمثل في مطوية كتبها مقدم الطريقة الرحمانية وهو بدوره اعتمد في ترجمة العديد من الشخصيات على كتاب (البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوئية) للكوثري ، أما بعد الإمام الجنيد فكلهم عدول ثقات وقد دلت كتب التراجم والطبقات عن ذلك .

¹ نصح البلاغة، الحكمة 142 ج04، ص38.

² انظر حلية الأولياء، (مرجع سابق) ص61.

³ ابن هشام، السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت (لبنان) ط01، 1410هـ-1990م، ص11.

ومما يلاحظ عن طريق انتقال الخلافة في الطريقة الرحمانية أنها لم تكن بالوراثة ولا بالقرابة بل المعيار هو العلم والتقوى والورع وهو ما عرف عن مشائخها، لكن بمرور الزمن تغير الحال وأصبحت الخلافة وراثية فضاع السر وتزعم الطرق جهال وأصبح الكثير من العلماء يتحرجون من الانتساب إليها فما الذي سيضيفه الشيخ الجاهل للطريقة؟
فمن المؤكد أن إضافته تكمن في الخرافة والدروشة .

ويرى الشيخ ابن مهنا -نقلا عن الشيخ محمد بن أبي حمزة- أن ثلاثة لا يفلحون في الغالب ابن الشيخ (شيخ الطريقة) وزوجته وخادمه، ولننقل كلامه عن ابن الشيخ فقط لأنه هو الذي يتولى شؤون الزاوية بعد أبيه.

أما ابنه فإنه يفتح عينيه على تقبيل المريدين يده وحمله على أعناقهم والتبرك به ويطيعونه في كل ما يطلبه يتكبر نفسه ويرفع من حبه الرئاسة صغره فتتوالى عليه الصفات المظلمة فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ويتجراً على الأكابر وينفي مشيختهم عليه.¹

2- ما يتعلق باتصال السند فهذا ما لم يذكره الشيخ المجاوي، وقد تكلم العلماء في سماع علي من الحسن البصري، وقد نقل الشيخ مبارك المليي² ذلك عن الإمام السخاوي صاحب (تمييز الطيب من الخبيث)

وعدم اثبات صحة السند فتح المجال واسعا أمام بعض الدخلاء الذين لا غرض لهم سوى تحقيق بعض الأغراض الشخصية، فأصبح من السهل تأسيس طريقة وذلك بأن يدعي شخص المشيخة ويتكبر لها نسبا مزعوما ويربطه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أدى إل كثرة الطرق وتفرعها وصعوبة التمييز بين الأصيل والدخيل منها.

فالأصول السالفة الذكر (الشيخ والمريد والعهد والسند) أمور مجمع عليها عند أهل السنة غير أنه اختلف في البعض منها التصرف في الكون، التوسل التبرك فما هو موقف الشيخ المجاوي منها .

¹ سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني (مرجع سابق) ص 69.

² مبارك المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 423.

هذه أهم أصول الطريقة المجمع عليها عند الصوفية ، وقد أشار إليها الشيخ المجاوي في شروحه وزيادة على ذلك هناك أشياء أخرى يمتاز به المتصوفة مثل التصرف في الكون، التوسل، التبرك فما هو موقف الشيخ المجاوي منها؟

الجمعة الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

المبحث الثاني : موقف الشيخ المجاوي من التصرف في الكون، التوسل، التبرك

المطلب الأول :التصريف في الكون (الكرامة)

تعريفه :التصريف كرامة من الله لأوليائه بعد مآثمهم، وتكون باستجابة دعائهم بعد التوسل بهم في أمر -من اختصاص الله عز وجل-

مصطلحات التعريف

الولي : هو العارف بالله وصفاته المواظب على الطاعات، المحتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والمعاصي¹، وجاء في معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني أن الولي هو: من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال.²

الكرامة : هي أمر خارق للعادة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة، وهي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين على الإتيان بمثله.³

و لا تنقطع الكرامة بالموت في نظر كثير من المحققين⁴ بل تستمر لما بعده، فيجوز وقوعها للأولياء في الحياة وبعد الممات كما ذهب إليه جمهور أهل السنة وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول بنفيها بعد الموت بل ظهورها حينئذ أولى لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار، ولذا قيل من لم تظهر كرامته كما كانت في حياته فليس بضادق.⁵

¹ سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، مكتبة المدينة للطباعة والنشر كراتشي (باكستان) ط02، 1433هـ-2012م ص317

² عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق د/ عبد العالي شاهين ط01، 1413هـ-1992م ص79.

³ نفسه .

⁴ مبارك المليي، مرجع سابق ص 350. نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال، لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الحموي الحسني، تقلد وتحقيق وتعليق د/ محمد سلطان عبد الرحيم، نشر دار جوامع الكلم (القاهرة) مصر ص63.

⁵ البيجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص252.

آراء العلماء في الكرامة : للعلماء ثلاثة آراء في الكرامة وهي:

الرأي الأول : يرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ خرق العادة، وقد جنح إلى هذا الرأي الإمام الصنعاني، في رسالته "الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف" ومما جاء فيها : "واعلم أن إعطاء المؤمن الكرامات بإجابة الدعوات وتيسير الطلبات وتسهيل المتعسرات وتحقيق المشقات أمر حق لا شك فيه ولا يخالف فيه مؤمن إذ كل مؤمن قد جرب من إجابة الدعوات وتيسير الطلبات أمر لا شك فيه، لكن هذا لا يختص به طائفة معينة بل هو حاصل للمؤمنين إذا أخلصوا النيات وأقبلوا على الله تعالى إقبال صدق وثبات ووثوق بتيسير المطلوبات ومراعاة لمواقع الإجابات¹.

لذلك أنكر عليه أهل العلم واعتبره قد غلط غلطا كبيرا وهو في رأيه قول باطل يخالف الأدلة الصريحة في الكتاب والسنة، ويخالف النقول الثابتة المأثورة عن سلف الأمة بل هو مأخوذ عن المعتزلة ومن تأثر بهم كأبي إسحاق الإسفرايني² وغيره³.

الرأي الثاني : أثبتوا الكرامات وأنها تجوز بخوارق العادات لكنهم فرقوا بين الكرامة والمعجزة، فالكرامات في نظرهم دون المعجزات، ولذلك أبطلوا تصرف الأولياء في الكون، وإلى هذا ذهب القاضي عياض الذي يقول "وفيه إن الكرامات تجري على أيدي الأولياء بخرق العادة وغيرها في أمتنا وغيرها خلافا لمن ذهب من شيوخنا أنها لا تصح في أمتنا منها ما كان من خرق العادات وقلب الأعيان وإنما يصح في مثل إجابة الدعوة وأن زمن بني إسرائيل كان زمن خرق عادة وأيام نبوة ولا نبي بعد محمد وهذا لا تحقيق ورائه"⁴.

¹ الإمام الصنعاني، في رسالته "الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف" تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط01، 1421هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة. ط، د.ت، ص 64.

² كان الإمام أبو إسحاق الإسفرايني رحمه الله يقول: "المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن العقل المحكم لما كان دليلا في كونه عالما لم يوجد إلا ممن يكون عالما، وكان يقول: الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء فأما جنس ما هو معجزة الأنبياء فلا" الرسالة للقشيري ص108.

³ الإمام الصنعاني، نفس المرجع السابق، ص25.

⁴ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج08، ص13. نقلا عن حكيم باشا، القاضي عياض وجهوده العقديّة في مبحث الإلهيات والنبوات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 1430-1431هـ-2009-2010م، ص 110.

وهذا الذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يرى أن هناك فرقا بين الولي والنبى وكذلك المعجزة والكرامة فيقول " ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامة أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم، وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقول"¹

وقد مال إلى هذا الرأي أيضا الشيخ مبارك الميلي في رسالة(الشرك ومظاهره) " وبعد فنحن نثبت كرامات الأولياء، ولا نقيدها من ناحية العقل قدرة الله بنوع منها، ولكننا نقيدها من طريق الشرع بغير ما أعلمنا الله أنه من خواص الألوهية، حتى لا تغلو فيها غلوا ينتهي إلى الشرك والعياذ بالله"²

وأيده الشيخ محمد رشيد رضا : " فالمعجزة يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات، والكرامة تختص ببعضها وهو الصحيح"³

الرأي الثالث : فلم يفرقوا بين الكرامة والمعجزة فما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي وهو الذي رجحه الجويني إذ ورد عنه قوله " والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات"⁴ وهذا الذي مال إليه كثير من الصوفية الذين يعتقدون بتصرف الأولياء في الكون كما يجيزون التوسل والتبرك بهم كنتيجة حتمية لموقفهم من الكرامة، فأصحاب الرأي الثالث الذين تساوت عندهم المعجزات والكرامات أجازوا التوسل والتبرك بالأولياء في حين منعه الآخرون الذين لم ترتق عندهم الكرامات إلى درجة المعجزات .

و المقصود بتصرف الأولياء هو استجابة دعائهم: التي أخبر عنها الله في الحديث القدسي المتفق عليه عند البخاري وسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

¹ ابن تيمية، النبوات، مراجعة وتحقيق الشيخ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع د.ط، د.ت ص17.

² الشيخ مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 187.

³ الشيخ محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب (الجزائر) ط03، 1352هـ، ص213.

⁴ الجويني (الإرشاد) ص 317 .

: إن الله تعالى قال : "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب..... الحديث ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" ¹

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى " إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ولم يتعاضم على خلقي، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي فقطع نهاره في ذكري، ولم يبت مصرا على خطيئة، يطعم الجائع، ويكسو العاري ويرحم الضعيف، ويؤوي الغريب، فذاك الذي يضيء وجهه كما يضيء نور الشمس، يدعوا فألبي، ويسألني فأعطي، ويقسم علي فأبر قسمه أجعل له في الجهالة علما، وفي الظلمة نورا أكأله بقوتي واستحفظه بملائكتي" ².

وإضافة إلى التصرف في الكون هناك العلم بالغيب وهو من الكرامات الذي تفره بعض الصوفية كعلم الخمس التي استأثر الله بعلمها، وكذلك العلم بحقيقة الروح ³، وقد أنكر البعض عليهم ذلك منهم الشيخ مبارك الميلي واعتبرهم قد هدموا بكرامتهم أصلين عظيمين من أصول الدين المقررة ⁴، لأن الله عز وجل استأثر بهما، فيقول في ذلك:

ففي رأيه أنه ليس للأرواح إلا التأثير المعتاد في الحياة ولا تأثير لها في عالم الملكوت بعد الموت كما أنه من تمام توحيد الله توحيد التوجه إليه والاستعانة به والذي يقتضي نفي أي واسطة.

وتبعه في ذلك الشيخ محمد رشيد رضا الذي يرى أن دعوى تصرف الأنبياء والصالحين في الكون قول على الله بغير علم، وافتراء على الله بكونه شرعا لم يأذن به الله، وهو أشد أنواع الكفر بإذن الله، لأن ضرره متعدد بما فيه من إضلال الناس باعتقاد باطل يتبعه عبادة باطلة غير مشروعة وحيثه في ذلك أن الكرامات لا تتوالى ولا تتكرر ويمنع إظهارها حتى لا تصير في حكم العوائد ⁵.

¹ أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع رقم (2502) ص 1617.

² ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول، تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير رقم (86) ص 141 وضعفه الألباني رحمه الله سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف (الرياض) ط 01، 1412هـ-1992م ج 02، ص 365

³ أحمد الحموي (المرجع السابق) ص 81.

⁴ مبارك الميلي (رسالة الشرك ومظاهره)، ص 187-189.

⁵ الشيخ محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي (مرجع سابق) ص 216.

فهذه أهم ضوابط الكرامة عند الشيخ محمد رشيد وهي في نظره رأي المحققين من الصوفية وعلماء الأصول والكلام، وقد غابت هذه الضوابط والقيود عن بعض العلماء فقالوا بتصريف الأولياء في الكون لذلك أجازوا دعاءهم والاستغاثة بهم¹ وهو في رأيه نوع من الشرك يساوي التكذيب بآيات الله وعدم الإيمان بها.²

لكن الأمر في نظر القائلين بالتصريف في الكون على خلاف ما يعتقد الشيخان (مبارك الملي، محمد رشيد رضا) إذ يزيل الشيخ الحموي الإشكال القائم من أن تصريف الأولياء بعد مماثمتهم يعتبر شركاً في الألوهية.

يفسر الحموي ذلك بقوله: "إن تصريف الأولياء في حياتهم وبعد مماثمتهم إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته، لا شريك له في ذلك خلقاً وإيجاداً أكرمهم الله تعالى به وأجراه على أيديهم وبسببهم خرقاً للعادة، تارة بإلهام، وتارة بمنام، وتارة بدعائهم، وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم، وتارة بالتوسل إلى الله تعالى بهم في حياتهم وبعد مماثمتهم مما هو ممكن في القدرة الإلهية ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والإيجاد والاستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلاً عن غيرهم، فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبس في الدين والتشويش على عوام المسلمين، فلا يظن بمسلم بل ولا بعامل توهم ذلك فضلاً عن اعتقاده.³

ثم يحقق القول في الأخبار بالمغيبات عن طريق الكشف⁴ فيقول:

"من جملة الكرامات الإخبار ببعض المغيبات والكشف، وهو درجات تخرج عن حد الحصر، وذلك موجود الآن ولا يعارضه قوله تعالى ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا

¹ الشيخ محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي ص 214.

² المرجع نفسه، ص 215.

³ أحمد الحموي مرجع سابق، ص 70.

⁴ الكشف: بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين ومنه ما هو عقلي أي يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج ومنه ما هو نفساني وهو ما يرتسم في النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاجية بأزمة الرياضات والمجاهدات ومنه ما هو رباني وذلك بطريق التجلي أو بالعروج.

د/رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون ط 1999 01 م ص 790- 791

﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنِ إِرْتَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا

﴿٦٧﴾ الْجَنِّ الْآيَةَ 26-27، لأننا لا نعلم عموم الغيب فيجوز أن يختص بحال القيامة بقرينة السياق

أو المراد سلب العموم نحو لم يقيم كل إنسان لعموم السلب نحو كل إنسان لم يقيم ولا يعارضه أيضا قوله تعالى ﴿فَلْ لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ النمل الآية 67

ووجه عدم المعارضة إن علم الأولياء إنما هو بإعلام من الله لهم، وعلمنا بذلك إنما هو بإعلامهم لنا وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة المنزهة عن التغيير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام.

فعلم الله لا يشاركه فيه أحد فلا يعلم الغيب إلا هو، ومن سواه إن علموا جزئيات منه فبإعلام الله تعالى واطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب وعلمهم تعزيره صفات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام....¹

وقد وافقه في ذلك ابن خلدون الذي أقر علم الأولياء للغيب بإعلام الله لهم وأما الكلام في إخبار القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وإن مال بعض العلماء على إنكارها فليس ذلك من الحق²، وما احتج به أبو إسحاق الإسفراييني من أئمة الأشعرية، على إنكارها لالتباسها بالمعجزة على وفق ما جاء به قالوا: ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقذور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال، مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة، وقد وقع للصحابه وأكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور.³

¹ أحمد الحموي (مرجع سابق) ص 90.

² موقف الشيخان مبارك المليبي ومحمد رشيد رضا السابق.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 404.

وقد أقر تصرف الأولياء في الكون بعض علماء السلفية المعاصرة فقد أجاب الشيخان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين في فتوى عن سؤال وجه إليهما مفاده

هل للأولياء كرامة، وهل لهم أن يتصرفوا في عالم الملكوت في السموات والأرض، وهل يشفعون وهم في البرزخ لأهل الدنيا أم لا؟

فأجابا بما يلي: "الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد من عباده الصالحين حيا أو ميتا إكراما له، فيدفع به عنه ضرر، أو يحققه نفعاً، أو ينصر به حقاً، وذلك الأمر لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل كل ذلك إلى الله وحده قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ فَلِإِنَّمَا آيَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ العنكبوت آية 50.

ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السموات والارض إلا بقدر ما آتاهم من الأسباب كسائر البشر من زرع زبناء وتجارة ونحو ذلك مما هو من جنس أعمال البشر بإذن الله تعالى ولا يملكون أن يشفعوا وهم في البرزخ لأحد من الخلق أحياء وأمواتا، قال الله تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّيْبَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الزمر آية 41 وقال ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّيْبَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الزخرف آية 86.

وقال ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة آية 255 ومن اعتقد أنهم يتصرفون في الكون أو يعلمون الغيب فهو كافر لقول الله عز ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ النمل آية 65 وقوله سبحانه أمراً نبيه صلى الله عليه وسلم ببيان الحق في المسألة ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ

اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ الأعراف الآية 188.¹

رأي الشيخ المجاوي

يمكن ضم رأي الشيخ المجاوي إلى أصحاب الرأي الثالث الذين لم يفرقوا بين المعجزة والكرامة والدليل على ذلك إقراره بتصريف الأولياء في الكون والذي يعد أرقى صور الكرامة، فقال بالأقطاب² إذ جاء في قوله أثناء حديثه عن أنواع الأولياء المتصرفين: " وأما أنواع الأولياء المتصرفين، فمنهم : قطب الأقطاب، وقطب الإرشاد، وقطب البلاد، وقطب المتصرفين، وهم الكلمات الجامعة الإلهية"³

وبعد عرضنا لأدلة الفريقين المحيزين والممانعين، فإننا نرجح رأي الممانعين بالرغم من جلاء أدلة المحيزين وهذا لعدة اعتبارات منها:

- الاحتياط في الدين ودفع الشبه خصوصاً وأن الأمر يتعلق بالاعتقاد.
- حفظ جناب التوحيد وسد ذريعة الإشراف بالله، وهذا من الأصول التي قررها الإمام مالك، قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: " اعلم أن الحرف الذي يدور عليه المذهب إنما هو حماية الذرائع"⁴ ولذلك منعوا التبرك بالأشجار والأحجار والقبور حماية لجناب التوحيد.⁵

¹ فتاوى مهمة لعموم الأمة، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين مركز الدعوة والإرشاد، سلسلة توعية الحجاج، المملكة العربية السعودية ط01 1413 هـ ص34.

² القطب: وهو الغوث - باعتبار إلتحاء الملهوف إليه - عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرائيل عليه السلام.

د/رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ص761

³ المجاوي، شرح منظومة (آداب المريدين) للمنزلي، ص 72 .

⁴ محمد عبد الله الحمادي، أصول العقيدة التي قررها الأئمة المالكية، دار الإمام مالك (الجزائر)، ط01، 1435هـ-2014م ص77.

⁵ المرجع نفسه ص 86.

وقول الشيخ زروق "وأما التمسك بالأموال فهو من قلة الاعتقاد في الأحياء، وذلك من نقص الهمة، اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة بالزيارة لطلب الزيادة، فمدد الميت أقوى من مدد الحي، لأنه في بساط الحق".¹

أنواع الأولياء المتصرفين عند الشيخ المجاوي وموقف ابن خلدون من ذلك.

أفاض الشيخ المجاوي في الحديث عن الأولياء المتصرفين فذكر منهم :

(أربعة) الأوتاد، الإمامان (سبعة)، الأبدال (إثنا عشر) النقباء (ثمانية) النجباء (ثلاثة) ختم الأولياء (تلاثمائة رجل من الأولياء على قلب آدم) ومشربه وعلمه يدعون بدعائه (أربعون على قلب نوح عليه السلام) (سبعة) غير الأبدال السبعة على قلب إبراهيم عليه السلام (خمسة على قلب جبريل عليه السلام) (ثلاثة) على قلب ميكائيل، واحد على قلب إسرافيل (عشرة) رجال الغيب، (ثمانية عشر) قائمون بحقوق الله (ثمانية) رجال القوة (خمسة) رجال العطف واللين (أربعة) رجال الهيبة والجلال، (أربعة وعشرون) رجال الفتح، (سبعة) رجال المعارج العلى، رجال التحت الأسفل (ثلاثة) أصحاب رحمة ولين ومقامات واستمدادات (ثلاثة) الإلهيون والرحمانيون (واحد) رجل الاستطاعة (واحد) مركب من جنسين (واحد) له اتصال معنوي بجميع العوالم، رجلي الغنى (عشرة) رجال التحكيم والزوائد (خمسة) رجال الاشتياق، رجال الأيام الست، الملامتية، رجال الماء، الأفراد، رجال محدثون²

يرى ابن خلدون أنسب هذا التقسيم هو تأثير المتصوفة المسلمين - في مراحلهم المتأخرة - بالإسماعيلية (التأخرين من الروافض) القائلين بالحلول فتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان.³

¹ الشيخ زروق (مرجع سابق) ص 188.

² شرح المجاوي لمنظومة العلامة (المتزلي) في آداب المريدين من ص 71-78 بتصرف

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 403.

ويرى ابن خلدون أن هذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وهو بعينه وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الروافض ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنه أزهّد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو اثبات، وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والروافض ومذاهبهم في كتبهم.¹

فهذا موقف ابن خلدون من هذه التقسيمات، مع العلم أن ابن خلدون ليس من المعادين للتصوف بل من المنصفين له، فقد أقر الإخبار بالمغبات والتصرف في الكائنات كما سبقت الإشارة إليه، واعتبر الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات من المتشابه الذي ينبغي أن لا نتعرض له والتمس العذر لشطحاتهم لأنهم أهل غيبة وحس.²

فالتقسيم الذي اعتمده الشيخ الجاوي لا دليل له وحتى إن وجد الدليل فعبارة عن أحاديث ضعيفة أو لا أصل لها أو آيات لا تدل دلالة مباشرة على المعنى، وحسب الشيخ مبارك المليبي فإن أحسن الأحاديث الواردة في ذلك والأبدال قد وردت فيهم أحاديث بعضها تعددهم ثلاثين وبعضها تعددهم أربعين، ولا تخلو أسانيدنا من مقال، وأحسنها حديث علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح يعني -ابن عبيد- قال ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين. قال لا: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "البلاء بالشام وهم

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 303.

² نفسه، ص 404.

أربعون رجلا، كلما مات رجل، أبدل الله رجلا مكانه، يستسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب¹

وقد بين الحديث أن كونهم أبدالا لأن من مات منهم خلفه آخر، وما نسب إليهم من السقي والانتصار وصرف العذاب هو من باب رحمة الله للأشرار بطاعة الأخيار لا من باب التصريف في الكون، ففي مجمع الزوائد (باب لولا أهل الطاعة هلك أهل المعصية) وساق حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " مهلا فإن الله تبارك وتعالى شديد العقاب، فلولا صبيان رضع، ورجال ركع، وبهائم رتع، صب عليكم العذاب صبا، أو أنزل عليكم العذاب²

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب (الحجة على تارك المحجة) بسنده عن أحمد بن حنبل أنه قيل له : هل لله في الأرض أبدال ؟ قال : نعم : قيل من هم ؟ قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال، فما أعرف لله أبدالا، نقله في الحاوي³.

¹ أخرجه أحمد في المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ج2 (رقم 896) ص231 .

وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن شريحا لم يدرك عليا كما قال غير واحد من الحفاظ. وصفوان بن عمرو السكسكي وإن كان ثقة من رجال مسلم - ذكر له النسائي حديثا منكرا في عمار بن ياسر، وحديث الباب باطل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال " وأحاديث الأبدال التي رويت عن غير واحد من الصحابة، أساسيدها كلها ضعيفة لا ينتهض بها الاستدلال في هذا المطلب "

² أخرجه البزار في كشف الأستار كتاب المواعظ باب إذا ذكرتم الله فانتهوا ج4 ص66 رقم(3212)

انظر : كشف الأستار عن زوائد البزار، لعلي ابن أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت.

والطبراني في الأوسط (ج7، ص134 رقم (7085)

انظر المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر (القاهرة) 1415هـ-1995م.

وأبو يعلى في المسند ج11 ص511 رقم (6633)

مسند أبي يعلى الموصلي، اسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق (سوريا) ط1، 1407-1987م.

كلهم من طريق إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعا. وهذا إسناده ضعيف جدا لإبراهيم بن خثيم (متروك) كما قال النسائي وقال أبو زرعة (منكر الحديث) وقال ابن معين: " كان الناس يصيحون به: لا شيء وكان لا يكتب عنه، وقال في موضع آخر " ليس بثقة ولا مأمون" كما في اللسان وغيره.

³ انظر: السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) 1403هـ-1983م، ص253.

وقد فسر الشيخ مبارك المليبي كلمة الأبدال الواردة في الحديث بالطائفة الظاهرين على الحق والمجددين للدين على رأس كل مئة سنة، وليسو أبدال الصوفية الذين يعتقد فيهم علم الغيب، والتصرف في الكون، والدلال على الله، من غير أن يعرفوا بعلم وإتقان عمل¹.

المطلب الثاني التوسل :

تعريفه : يعرفه الشيخ الطاهر بن عاشور بقوله² " التوسل مأخوذ من الوَسِيلَةُ : هي مَا يُقَرَّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ بِالْعَمَلِ بِأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ

ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ المائدة آية 37، أَي كُلِّ مَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ، أَي يُنِيلُكُمْ رِضَاهُ وَقَبُولَ أَعْمَالِكُمْ لَدَيْهِ..

وفي الحديثِ القُدْسِيِّ: " مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ"³

اختلاف العلماء في حكمه وسبب الخلاف

ولقد تباينت آراء العلماء : في حكم التوسل بجاه النبي صلي الله عليه وسلم وبغيره من الصحابة والصالحين بين مجيزومانع انطلاقا من مفهوم هذا الحديث والذي يعد العمدة في ذلك، قال أبو عيسى الترمذي : "حدثنا محمود بن غيلان عثمان ابن عمر شعبة عن أبي جعفر عن عمار بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلي الله عليه وآله وسلم فقال ادع الله أن يعافيني، قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك : قال : فادعه : قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء : " اللهم إني

¹ مبارك المليبي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 421-422.

² محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير : الدار التونسية للنشر (تونس) 1984 هـ، ج 06، ص 186.

³ أخرجه البخاري ، كتاب الرقائق، باب التواضع ، رقم (6501) ص 1617.

أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أني توجهت بك إلي ربي في حاجتي هذه لتتقضى لي اللهم فشفعه في¹

ومرد الاختلاف راجع إلى تحديد المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : أسألك وأتوجه إليك بنبيك وقوله أيضا إني أتوجه بك لأن لهما معنيان متغايران وهما :

-يحتمل أن يكون المعنى على ظاهره، فالسؤال والتوجه والتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم نظرا لمقامه عند الله .

-يحتمل أن يكون علي تقدير مضاف هكذا بدعاء نبيك في العبارة الأولى وبدعائك في العبارة الثانية، لأنه إنما سأله أن يدعو له، فيكون التوسل بدعائه، ولقوله فشفعه في أي أقبل دعاءه لي وجملة فشفعه معطوفه علي جملة أسألك وجملة إني توجهت بك معترضة بين المتعاطفين .

رأي ابن باديس وحجته

رجح الإمام ابن باديس الرأي الأول بقوله:"الراجع هو الوجه الأول الذي يجير السؤال بذات النبي صلى الله عليه وسلم وآله نظر لمقامة العظيم عند ربه لوجهين":

الأول :أن ذلك هو ظاهر اللفظ ولا موجب للتقدير ولا منافاة بين أن يكون في قوله أسألك وأتوجه إليك بنبيك وقوله إني توجهت بك قد سأله بذاته , وفي قوله اللهم شفعه في قد سأل قبول دعائه له وسؤاله .

الثاني : إنه لما كان جائزا السؤال من المخلوقين بما له من مقام عظيم فلا مانع من أن يسأل الله تعالى بنبيه بحسب مقامه العظيم عنده.² وفي ذلك يقول الدكتور محمد الدراحي:

¹ ابن ماجه في سننه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب العربية رقم (1385) ج01، ص441. والترمذي في سننه رقم (3578) ج05، ص569.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، دراسة وتحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة (الرباط) رقم (659) ص417.
² انظر مجالس التذكير الشيخ عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ص43.

"فمسوغات الترجيح التي اعتمدها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله في ترجيح الرأي القائل بجواز التوسل بذات النبي الكريم، ومقامه العظيم عند الله تعالى أمران :

1-الأول : لغوي وهو إجراء التركيب على ظاهره وعدم اللجوء إلى التقدير، فقوله : "أسأله وأتوجه إليك بنبيك" وقوله : " إني أتوجه بك " ظاهر وصريح في جواز التوسل بذات النبي الكريم وجاهه.

2- القياس : وقد ذكره جمهور المجوزين للتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومؤداه أننا نرى المقربين من الملوك والرؤساء والأمراء شفاعتهم مقبولة لقرهم منهم، فكذلك لا مانع من يسأل الله بنبيه بحسب مقامه العظيم عنده"¹

رأي الألباني وحجته

يرى الشيخ الألباني أن هذا الحديث لا حجة فيه على التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع ألا وهو التوسل بالدعاء لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه. والأدلة على ذلك من الحديث نفسه كثيرة، وأهمها:

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له، وذلك قوله: "أدع الله أن يعافيني"، فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم، لأنه يعلم أن دعاءه صلى الله عليه وسلم أرحى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه².

ثانياً: أن النبي صلى الله عليه وسلم وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، فأصر الأعمى على الدعاء وهو قوله: "فادع" فهذا يقتضي أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له.³

¹ انظر محمد دراجي , الإمام عبد الحميد وجهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة (الجزائر) ط01، 2012م ص80.

² الشيخ الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، تحقيق محمد عبد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (الرياض) ط01، 1421هـ- 2001م ص 70 بتصرف.

³ - المرجع نفسه 70 بتصرف.

ثالثاً: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أن يقول: "اللهم فشفعه في" وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم في، أي اقبل دعائه في أن ترد عليّ بصري، والشفاعة لغة تعني الدعاء.¹

فهذه الوجوه - حسب رأي الشيخ الألباني - دالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات، فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه: "اللهم إني أسألك، وأتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم" إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك، أي على حذف المضاف، وهذا أمر معروف في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَفْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يوسف آية 82، أي أهل القرية وأصحاب العير. ونحن والمخالفون متفقون على ذلك، أي على تقدير مضاف محذوف.²

والملاحظ على الشيخ الألباني أنه مع حمله لمعنى التوسل بمعنى الدعاء إلا أنه يبدي بعض الليونة ويلتمس العذر لأصحاب الطرف الثاني وهم الذين حملوا الحديث على ظاهره أي التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، فيقتصره على ذاته دون غيره من الأولياء والصالحين فيقول:

"على أنني أقول: لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته صلى الله عليه وسلم، فيكون حكماً خاصاً به صلى الله عليه وسلم، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأنه صلى الله عليه وسلم سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته لله، فعليه أن يقف عنده، ولا يزيد عليه كما نقل عن

¹ الشيخ الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، ص 71.

² نفسه، ص 75.

الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى. هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف، والله الموفق للصواب"¹.

وهذا الذي توقف عنده الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي رجح القول بجواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه قصره عليه ولم يتوسع فيه ليلحق به كل ذي مقام عند الله من العلماء والصالحين وغيرهم.²

كما أكده أيضا محمد دراجي الذي يرى أن التعويل الكبير على ظاهر الحديث، أما القياس فلا يعول عليه كثيرا لأنه من قياس الشاهد على الغائب والله عز وجل أبوابه مفتوحة لكل داع أو سائل أو مستغفر.³

رأي الشيخ المجاوي

بعد هذا العرض لآراء محققي الإسلام في مسألة التوسل يمكن أن نضم صوت الشيخ المجاوي إلى العلماء الذين توسعوا وأجازوا التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، وألحقوا به التوسل بسائر الأنبياء والصالحين كالإمام الشوكاني وغيره إذ جاء في كتابه (مواهب الكبير المتعال) "حقق لي يارب سؤالي وطلبي بجاه نبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه والآل"⁴ فأضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة والآل، والتي تعني الموالين والأنصار والأتباع ويدخل في ذلك الأهل والعشيرة من باب أولى، يقول الإمام القرطبي:

"وَأَلِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ قَوْمُهُ وَأَتْبَاعُهُ وَأَهْلُ دِينِهِ. وَكَذَلِكَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هُوَ عَلَى دِينِهِ وَمَلَّتِهِ فِي عَصْرِهِ وَسَائِرِ الْأَعْصَارِ سَوَاءٌ كَانَ نَسِيبًا لَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ وَمَلَّتِهِ فَلَيْسَ مِنْ آلِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَإِنْ كَانَ نَسِيبَهُ وَقَرِيبَهُ خِلَافًا لِلرِّافِضَةِ حَيْثُ قَالَتْ إِنَّ

¹ نفسه.

انظر: مجالس التذكير الشيخ عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ص43. ط01 1983 ص 38 وما بعدها بتصرف. وانظر محمد دراجي، الإمام عبد الحميد وجهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة (الجزائر) ط01، 2012م ص78.

² المصدر نفسه.

³ محمد دراجي، مرجع سابق ص80.

⁴ المجاوي، مواهب الكبير المتعال، ص74.

آل رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَطُّ. دَلِيلُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى " وَأَعْرَفْنَا ءَالَ بِرْعَوْنَ ﴿٤٦﴾ " [البقرة: 50] "أَدْخِلُوا ءَالَ بِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾" [غافر: 46] أَيَّ آلٍ دِينِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ وَلَا بِنْتُ وَلَا أَبٌ وَلَا عَمٌّ وَلَا أُخٌ وَلَا عَصْبَةٌ. وَلَأنَّهُ لَا خَوْفَ أَنْ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُوَحَّدٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا لَهُ وَلَا جِلَّ هَذَا يُقَالُ إِنَّ أَبَا هَبٍ وَأَبَا جَهْلٍ لَيْسَا مِنْ آلِهِ وَلَا مِنْ أَهْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةٌ وَلَا جِلَّ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ابْنِ نُوحٍ " إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿٤٦﴾ " [هود: 46]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ [أَلَا] إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي فُلَانًا لَيْسُوا [بِ] بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ آلُ مُحَمَّدٍ أَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ خَاصَّةٌ¹ لِحَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ (قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ بَجِيدٌ)².

و آل النبي صلى الله عليه وسلم أعم من آل بيته ، فقد خصصهما الحديث السابق بأزواجه وذريته، لكن إذا أُطلقت آل النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يشمل أهل بيته وأزواجه وذريته وأتباعه على دينه لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ إِصْلَافِيَّ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ءال عمران آية 33 ويدخل الصحابة في ذلك من باب أولى وكذلك الأولياء والصالحون، وقد قال الله تبارك وتعالى في قوم فرعون وجنوده وأتباعه ﴿وَأَعْرَفْنَا ءَالَ بِرْعَوْنَ ﴿٥٥﴾﴾ الأنفال 55

وقال فيهم أيضا ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ بِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر آية 46].

¹القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ط02، 1384هـ - 1964م، ج01 ص381.
²أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب موالاته المومنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم رقم (215) ص102.

وليس هذا خاصاً بفرعون وقربته ، وإنما هو عام فيه وفي جنوده وأتباعه¹ ، لقوله تعالى :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَالِفِينَ﴾ القصص آية 08

رأي الإمام الشوكاني وحجته

في مقابل الرأي الذي يقصر التوسل على النبي صلى الله عليه وسلم نجد من العلماء من توسع في مفهومه ولم يقصره على ذات النبي صلى الله عليه وسلم بل ألحق به الأولياء والصالحين عملاً بمقتضى القياس ويأتي في مقدمتهم العلامة الشوكاني الذي جاء في كتابه (تحفة الذاكرين) قوله "ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين"²

المطلب الثالث: التبرك

وما يقال عن التوسل، يقال عن التبرك³ بالأولياء والصالحين : فالشيخ أجازه أيضاً نظراً لتغلغل الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري والتي تقر هذه المعتقدات فقد ورد عنه قوله " لما رأيت التأليف من أعمال الخير وقد حض عليه ذووا الصلاح بادرت إليه ليحصل لنا ببركاتهم النجاح"⁴

وهذه سمة كانت تطبع المصلحين قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي الجمع بين الطرقية كمقوم وازن من مقومات المجتمع الجزائري وبين الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي

¹ محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، ط السادسة، رمضان 1383 هـ 1964 م ، ص63.
² الإمام الشوكاني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت (لبنان) ط01، 1408هـ-1988م ص50.

³ قال الراغب: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرْيَأِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الاعراف95 وسمي بذلك لثبوت الخير فيه بثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير... و لما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك، وفيه بركة.

انظر : مبارك المليي ، رسالة الشرك ومظاهره، ص142.

⁴ الشيخ المجاوي ، مواهب الكبير المتعال، ص02.

الذي يقتضيه واقع المجتمع الجزائري، وما آلت إليه الطرق الصوفية من انحراف بسعي من قوات الاحتلال.

وهو ما ينطبق على الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني الذي عاصر الشيخ المجاوي في قسنطينة، فبالرغم من انتقاده للخرافات والمشعوذين إلا أنه كان من الذين لا يمانعون في زيارة أولياء الله والتبرك بهم، كما كان لا ينكر الكرامات من أولياء الله الصادقين ويقول بزيارة القبور، وكان متأثراً بطريقة الولي الصالح أبي الحسن الشاذلي¹، وفي الوقت نفسه نادى بترك البدع التي حاربها العلامة عبد الحميد بن باديس في ما بعد.²

ومما تجذر الإشارة إليه أن جمعية العلماء المسلمين خالفت أسلافها -الشيخ المجاوي ورفاقه- في العديد من المسائل بحكم تأثر الأسلاف بالطريقة التي كانت متأصلة في المجتمع الجزائري وتحفظ غالبية أعضاء جمعية العلماء منها، مما انجر عنه عدم اتفاق الأسلاف مع الأخلاف في العديد من الجزئيات ومن بينها مسألة التبرك، فبالرغم من تأييد العلامة مبارك الملي في رسالته الشهيرة (الشرك ومظاهرة) - وهي الرسالة المعبرة عن الآراء العقدية لغالبية أعضاء الجمعية ومن بينهم الشيخ ابن باديس - موقف الشيخ المجاوي في جواز التبرك الذي تقره الصوفية عموماً إلا أنهم قصروا ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته منقطعاً بموته وجعلوا له شروطاً أهمها:

1- أن يكون التبرك بفعل طاعة مشروعته كالصلاة ودعاء ورجاء القبول وزيادة الأجر لا بحمل تراب أو بخور وغيرها من أجزاء المكان المتبرك به أو الأشياء الموضوعة فيه، نعم ثبت عن الصحابة أنهم تبركوا بالتمسح بفضله وضوئه والتدليك بنخامته، بل منهم من شرب دم

¹ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي إليه تنتسب الطريقة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد 571 هـ بقبيلة الأحماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، توفي الشاذلي بوادي حميشة بصحراء عيذاب متوجهاً إلى مكة في أوائل ذي القعدة 656 هـ.

انظر الأعلام: 305/04

² سليمان الصيد، مرجع سابق ص 74.

حجامة ولكن لم يرد أنهم فعلوا نحو ذلك مع غيره صلى الله عليه وسلم من خلفائه الراشدين وأهل بيته الطاهرين فيكون هذا الضرب من التبرك مقصورا على ذاته الشريفة منقطعا بموته .
2- أنه لا يحمل المتبرك غيره على التبرك ولا أن يدعو إليه، فلا ينصب شيئا للعموم يتبركون به.

3- أن يتفق له المرور بمكان التبرك لا أن يقصد إليه من بعيد ويقترح السفر من أجله .
4- أن يكون من المعرفة بدينه بحيث لا تضله خطرات النفس ولا نزعات الشيطان ولا أن يكون ضعيف الإيمان قليل المعرفة.

وقد أجاز العلامة المليي أيضا التبرك بذكرى الأنبياء والصالحين وآثارهم لأن ذلك مما يزيد الموحدين خشوعا وتعريفا بتقصيرهم في طاعة خالقهم فتخلص بذلك عبوديتهم لله تعالى وحينئذ تكون الإثابة على عبادتهم أسمى وقبول دعائهم أرجى وطمعهم في تنزل الرحمة أقوى، وروايات نفي التبرك غير معارضة لروايات اثباته بهذا المعنى لأن النافين إنما يقصدون الاحتياط على عقائد العامة أن تزيع¹.

الإنتماء الطريقي للشيخ المجاوي: من خلال العرض السابق يتجلى لنا بوضوح الميول الصوفية لدى الشيخ المجاوي لكن الطريقة التي يتبعها تبقى محل تساؤل، فلم يؤثر عنه مبايعة لشيخ معين ولا التزام أورد طريقة معينة، وإن كانت الدلائل تدل على أنه من مناصري الطريقة القادرية²، فللشيخ المجاوي مؤلفان في التصوف :

¹ مبارك المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 156 .

² من أقدم الطرق الدينية في الجزائر وتنسب للشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد أنشأت في بغداد بالعراق في القرن الثاني عشر الميلادي، وبالرغم من أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لم تطأ قدماه أرض شمال إفريقيا إلا أن طريقته عرفت انتشارا وذبوعا بفضل أتباعه.

أما في الجزائر فيعود الفضل في نشرها إلى الشيخ سيدي أبي مدين (1126م-1198م) الذي تعرف على الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة بالمشرق، ثم قفل إلى بجاية لمواصلة التدريس بها، وقد تتلمذ عليه أيضا عدة مشايخ أبرزهم عبد السلام بن مشيش (1228م).

انظر داود بولحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي، دار القدس العربي، وهران (الجزائر) ط 2009 01 ص 25 بتصرف

الأول (موهب الكبير المتعال) وهو شرح لقصيدة العلامة سيدي عبد الرحمن باشتارزي المنتسب للطريقة الرحمانية وكانت بطلب من ابن الشيخ.

أما الثاني : (شرح لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي) وكان من تلقاء نفسه وليس نزولا عند رغبة أحد ولم يكن هذا الاختيار اعتباطيا أو عفويا بل يمكن أن نلتبس منه مناصرة الشيخ عبد القادر المجاوي للطريقة القادرية، زيادة على ذلك إفاضة الشيخ المجاوي في الحديث عن مزايا الطريقة ومناقب الشيخ سيدي عبد القادر المجاوي وكيفية أخذ العهد في فيها ومنها علاقة المصاهرة التي تربط الأمير عبد القادر المنتسب للطريقة القادرية بالشيخ المجاوي، وقد أسلفنا الحديث عن فضل عائلة الأمير على الشيخ المجاوي فهم الذين مهدوا له الطريق للتدريس في مدينة قسنطينة .

كل هذه الأدلة يمكن أن نلتبس منها التوجه الطريقي للشيخ المجاوي إلا أنها ليست يقينية وما يهمنا ليس التصوف كطريقة بل كمبدأ وأخلاق وسلوك وتربية أو تصوف بدون طريقة لماذا؟ لأن هذه الأخيرة بمرور الزمن غلبت عليها السطحيات أو اهتمت بالشكل وأهملت المضمون فأنحرفت عن أصلها فأصبح كثير من العلماء يتخرجون من الانتساب إليها .

أما التصوف الداعي إلى تركية الأنفس وتطهيرها من الرذائل، التصوف الذي يعمل على تفعيل العقيدة وربطها بواقع الإنسان، التصوف الذي يدعوا إلى العمل والهادف إلى التغيير فهو الأساس .

المبحث الثاني: آراؤه في الإصلاح الاجتماعي

شغلت الآفات الاجتماعية التي عمت المجتمع الجزائري بتشجيع من سلطات الاحتلال اهتمام الشيخ المجاوي واستنفذت جل طاقته ووقته ونستطيع من خلال استقراء جهوده أن نطلق عليه لقب المصلح الاجتماعي بامتياز لأنه أدرك الغرض من مساعي سلطات الاحتلال وعملها على زرع أخلاق وقيم تتنافى مع مبادئ المجتمع الجزائري، لذلك لم يتوان في التصدي لها مبرزاً آثارها السلبية على المجتمع ومن أهم جهوده في مجال الإصلاح الاجتماعي هو محاربة (البدع، الآفات الاجتماعية، أمراض النفوس) وفي نفس الوقت دعا إلى التحلي بجملة من الصفات التي من شأنها تقوية الروابط الاجتماعية تحت شعار (التصفية والتحلية)

المطلب الأول: محاربة البدع

قبل التطرق إلى بعض البدع التي حاربها المجاوي يجدر بنا بيان مفهوم البدعة عند الشيخ المجاوي وحكما .

تعريف البدعة ومذاهب العلماء فيها

تعريف البدعة لم يرد للشيخ المجاوي تعريف للبدعة إلا أنه من خلال تقسيمه لها نستنتج أنه من الوسطيينالذين لم يغالوا في مفهومها والبدعة عند التيار الوسطي تعني: وعرفها الشيخ زروق : هي إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه، سواء كان بالصورة أو الحقيقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"¹

مذاهب العلماء فيها: المقصود من الإحداث تغيير حكم المحدث من الإباحة إلى الندب مثلا وليس مطلق الإحداث، إذ قد تتناوله الشريعة بأصولها فيكون راجعا إليها أو بفروعها فيكون مقيسا عليها، ولقد اختلف العلماء في حكم البدعة ففريق يرى أنها لا تكون إلا محرمة أو مكروهة لأنها إن قويت شبهتها لا يصح أن يبلغ بها التحريم، وإن ضعفت شبهتها جدا

¹ رواه مسلم، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم (1718) ص672.

كانت محرمة لا سيما إن كانت في مقابلة منصوص عن الشارع ومخالفة لأصل الملة أو خارجة عن قواعد الأحكام الشرعية.¹

وقسمها بعضهم لأقسام الشريعة اعتبار بمطلق الإحداث².

فمذاهب العلماء في تقسيم البدعة مذهبان: قسم الموسعين وهم الذين حصروها في أقسام الشرع الخمسة، وقسم المضيقين وهم الذين حصروها في الكراهة والتحرير³

مذهب الشيخ المجاوي

يمكن إدراج رأي الشيخ المجاوي ضمن رأي الموسعين في مفهوم البدعة والدليل على ذلك تقسيمه للبدعة بحسب أقسام الحكم الشرعي الخمس وهو المعتمد عندهم إذ جاء في كتابه (اللمع): "البدعة تعترها الأحكام الخمسة فالواجب كتدوين كتب العلم خشية الضياع، وضبط حروف القرآن ونقطه خشية التحريف، والمستحب كوضع الكراسي في المسجد للتدريس عليها لأجل إسماع البعيد عن المدرس، والجائز كاتخاذ المناخل والمغاريب للأكل، والمكروه كتزويق قبلة المسجد، وتم أشياء لم تكن في عهد السلف الصالح مع أنها جائزة أو مستحبة أو واجبة، والبدعة التي تجتنب إنما هي التي تقتضي قوانين الشرع كراهتها أو حرمتها، فلا ينبغي التوقف في ذلك".⁴

وهذا الرأي هو الذي نميل إليه مع احترامنا لأصحاب الرأي الآخر والتماس العذر لهم وشعارنا القاعدة "نتعاون في ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا في ما اختلفنا فيه" أما أن نجعل من اختلافنا حول هذا المفهوم مدعاة للقطيعة وتبديع بعضنا لبعض، بل والتفسيق والتكفير فهذا الأمر لا يخدم إلا الأعداء، وقد عانت منه الأمة الإسلامية كثيرا وما زالت تعاني وللأسف ولم يسلم منه حتى العلماء فأهدرت الطاقات وأضيعت الأوقات في أمور كنا في غنى عنها .

¹ الشيخ زروق، عدة المرید الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الله الغرياني، دار ابن حزم ط01، 1427هـ-2007م ص38.

² علي محفوظ، (مرجع سابق) ص39.

عبد الإله بن حسين العرفج، مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، دراسة تأصيلية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان (الأردن) ط02، 2012م 1433هـ ص87 وما بعدها.

⁴ الشيخ المجاوي (اللمع) ص194.

لذلك شغلت هذه القضية اهتمام الدعاة المخلصين الغيورين على الدين والوطن وقد أعجبتني كثيرا عبارة أحدهم والتي يقول فيها " وإذا لم يتفق العلماء على معنى واضح للبدعة الشرعية المذمومة فليس أمامهم إلا أن يعذر بعضهم بعضا وأن يحرصوا اختلافهم في إطار المحاورة والمناقشة، وأن لا يتعدوه إلى اختلاف القلوب وتفرق الكلمة، وبالتالي سوف تجنب الأمة الإسلامية هدرا كبيرا في الوقت والطاقة والجهد، وسوف يتفرغ العلماء والدعاة والمثقفون والمفكرون إلى خدمة العلوم الإسلامية، وبناء القادة الريانيين وتأهيل الأئمة المصلحين والنهوض بالأمة الإسلامية من جديد".¹

ويرى الأستاذ مالك بن نبي أن هذا الجدل العقيم من السمات المرضية التي سادت الثقافة الإسلامية المعاصرة وانعكست سلبا على مناهج التغيير، فملتجادلون لا يبحثون عن حقائق وإنما عن براهين ولا يستمع الجادل إلى محدثه بل يغرقه في طوفان من الكلام²، وهذا ما جعله يعيب على جمعية العلماء صراعها مع الطريقة الذي بدد طاقات فكرية لدى أعضائها المصلحين وألهاهم عن أهدافهم الحقيقية.³

ونحن لا ننكر انحراف بعض الطرق الصوفية وبثها أنواعا من الخرافات والبدع في المجتمع فهذه أمور تستحق المحاربة، لكن أن يصل الأمر إلى تبديع الطريقة ذاتها أو ما تقوم عليه كالعهد والذكر الجماعي وغيرها من الأمور الخلافية فلا.

فالبدعة لها شروط أهمها:

- أنها لا توجد غالبا إلا مقرونة بمحرم صريح أو آيلة إليه أو يكون تابعا لها.
- أنها لا توجد غالبا إلا في الأمور المستغربة غير المألوفة في الدين وفي الكيفيات من المندوبات وتوابع الأعمال وما تميل إليه النفوس وتستحسنه كالذكر والتلاوة والصوم والسلوك والتربية وغيرها .

¹ عبد الإله بن حسين العرفج، مرجع سابق، ص63.

² مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية 1964، ص57.

³ مالك بن نبي وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، مصر ط01، 1959م، ص174.

-أنها لا توجد غالباً إلا مسندة لوجه الشريعة أو معنى من الحقيقة يلتبس على قليل العلم
فيتحير أو يسلم، ويروج على الجاهل فيظنه ديناً من حيث لا يعلم، وما غره بذلك إلا شبهة
الأصل وتسليم من يعتقد فيه الأصل.¹

أسباب البدع: يرى الشيخ المجاوي أن البدع ترجع إلى عدة أسباب أهمها:

-عدم التوفيق بين الشريعة والحقيقة: الشريعة والحقيقة منهجان يكمل كل منهما الآخر،
فلا تصوف إلا بفقهِ إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل
إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بالإيمان إذ لا يصح واحد منهما من دونه فلزم الجمع لتلازمهما
في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال إلا بها، ومنه قول
الإمام مالك -رحمه الله- من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق،
ومن جمع بينهما فقد تحقق²

فاقتحام الكثيرين للتصوف بدون فقه هو الذي جنى عليه وصبغه بصبغة تتنافى مع جوهره
الحقيقي .

- حب الرياسة والظهور: مع العجز عن إدراك أسبابها فيدفعهم ذلك إلى ابتكار أشياء
تستميل القلوب، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو بعض الخوارق والعجائب لكون النفوس مجبولة
على استحسان الغريب فينقاد إلى جهله ووهمه ويتمادي في غيه بقدر التفات الناس إليه.³
ويتجلى هذا في كثير من مشائخ الطرق غير المؤهلين الذين فهموا المشيخة على أنها منصب
ومكانة اجتماعية ومصالح، وغابت عنهم الوظيفة الأساسية للشيخ وهي تربية المريدين والأخذ
بأيديهم كونه حجر الأساس في الطريقة .

- البعد عن السنة: التي تقابل البدعة: ففي رأي الشيخ المجاوي أن الابتعاد عن دين الله
المتمثل القرآن والسنة أهم أسباب البدع والضلالات التي يتخبط فيها المجتمع لذلك بدأ هذا
الكتاب بجملة من الأحاديث الحاثئة على اتباع السنة....¹

¹ عبد الإله بن حسين العرفج، (مرجع سابق) ص 40.

² د/عبد الحميد الجياش، التصوف الإسلامي بين الحقيقة والواقع، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، مكتبة الزهراء للنشر والتوزيع (ليبيا)
ط01، 2009، ص12.

³ الشيخ زروق، مرجع سابق ص 47.

فمختلف تصرفات الإنسان في حياة محاطة بسياج رفيع يجب على الإنسان أن لا يخترقه وأن تكون أعماله على وفقه وذلك هو معنى الإسلام فالله عز وجل لما علم بقصور عقل الإنسان وعجزه عن إدراك ما ينفعه في الدارين بين له ذلك في القرآن والسنة، وقد اشتملا على جميع الأحكام المتعلقة بحياته

وعليه فعدم التقيد بنصوصهما أو أي تجديد أو ابتكار لا يستند إلى نصوصهما يكون خروجاً من السنة إلى البدعة.

- الجهل : فهو من الأسباب الهامة المساهمة في تفشي وانتشار تلك البدع والخرافات في المجتمع وسبيل محاربتها هو نشر العلم وهو ما عبر عنه الشيخ المجاوي بقوله ولا تتمحق - البدع - إلا بطول الزمان وتناسي أصولها ورواج سوق العلم².

وهو في نظره من أسباب تفوق الأمم وعلو كعبها في الدنيا فيقول في ذلك "فمن نظر إلى تسابق الأمم في ميدان هذه الحياة لا يجد سبباً لفوزهم إلا العلم فهو منير السبل وكشاف الحقائق، ولا بد أن يعرف الإنسان ما هو العلم الذي يسود به وكيف يصل إليه"³.

ولا يقصر الشيخ المجاوي مصطلح العلم على الديني منه بل الديني أيضاً حيث كانت له آراء جريئة في العلوم البحتة ومن ذلك رده على الرأي القائل بتلبس الشيطان بالإنسان فهذا الرأي في نظره مخالف لنواميس الطبيعة وقوانينها، إذ لا تسمح قواعد الجسمين - وهما جسم الإنسي، وجسم الجنى، أن يتحدا أن يتحدا أو يشغلا حيزاً واحداً، ولا أن يجتمعا ويتحدا معاً لاختلاف مادتهما من جهة الخلقة وتباين فطرتهما الأصلية، فالأول مخلوق من التراب والثاني من النار لقوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٢﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنَ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٣﴾ الرحمن آية رقم 13-14 فإذا تخللت النار أجزاء التراب احترق الجسم واحتدم وانتهى أمره إلى العدم

¹ الشيخ المجاوي، (اللمع) ص 101.

² نفس المرجع السابق، ص 198.

³ نفسه، ص 110.

وإن قال قائل إن الجني يتحول حسبما شاء- على زعمهم - أحيانا كالحوانات الضارية، وأخرى كالمألوفة، وتارة كالدخان، وحيناً كالهواء، وبواسطة تحوله إلى هذا الأخير يتوصل إلى التلبس بمن أراد.

قلت إن بدن الإنسان يشتمل على مسام عديدة تستشرب وتستنشق كلما مر فيها، فإذا تلبس بهذه الصورة شربته المسام ودخل في أجزائها، فلا يعود يرجع بالثاني إلى جسم واحد، ويرى ويسمع ويعقل كأصله إلا بعد تحليل الجسم الذي حصل التداخل فيه بإحدى الآلات التحليلية، وهذا الأمر بعيد الوقوع¹.

هذا وإذا أسر بعض من يعتقد بهذه الأوهام على صدقها، متمسكا على ذلك بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ البقرة آية 275، أهديه قائلًا إن الغرض المقصود بالآية الشريفة - والله أعلم- ضرب مثل للذين هجم الوهم عليهم بجيشه العرمرم فأولد عنهم الاعتقاد بهذه الأباطيل، فضرب الله مثلا بهذه الآية الشريفة، وليس الغرض منها اثبات هذه الأوهام الكاذبة، وتقرير هذه العبارات الفارغة التي لا صحة على وجودها ولا دليل على صدقها².

ومما يدل على تأكيد الشيخ المجاوي على دور العلم في مكافحة البدع دعوته للعلوم العقلية حتى لا يقع الإنسان ضحية هذه الأوهام والأباطيل "وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث هي ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني مذ كان عمران الخليفة، وتسمى هذه العلوم : علم الفلسفة والحكمة، وهي مشتملة على أربعة علوم :

الأول علم المنطق، والثاني الطبيعي، والثالث العلم الإلهي، والعلم الرابع يشتمل على أربعة علوم تسمى التعاليم، وهي " الهندسة ، والإرتماطيك، والموسيقى، وعلم الهيئة"³.

¹ الشيخ المجاوي، (اللمع) ص202.

² المصدر نفسه، ص202.

³ -نفسه، ص222.

وعليه يمكن القول أن العلم والدين هما وسيلتان مهمتان لمكافحة البدع في نظر المجاوي حيث يقول:

"وغير خاف أن الدين والعلم هما الوسيلة إلى السلم والأمن والراحة والسلامة، ولكن لا تأثير لشيء منهما في نفسه، وإنما المؤثر هو الله بواسطتهما، فتقوم الطباع البشرية دفعة معجزة، وهذه المعجزة بينة قاطعة على وجود أزلي قدير، وحكيم رحيم"¹.

أنواع البدع : تطرق الشيخ المجاوي إلى العديد من البدع التي سادت عصره أهمها:

- (الزار) عبارة عن حفلة عظيمة يجتمع فيها الأخلاط من الناس، ومفادها أن مجموعة من النسوة يسخرن الجن عن طريق أعمال محرمة كالسجود لغير الله، وتقديم القربان للجان، وأكل الدم واللحوم الميتة، ومصاحبة الرجال بواسطة شيخها، والتوجه للمحظورات من غير علم زوجها.² .. وأصل هذه العادة من المشرق ونشرها فيه الاسترقاق والعبيد، لأنها دواؤهم في سودانهم، ومنه تسربت إلى إفريقية لانتقال العبيد والزنج، وفشوا الرق في أزمانه الأولى.³

والغرض منها دفع المضار التي تلحق بالإنسان، فعوض اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء يقيم وليمة إكراما واحتفاء بالجن ينوع فيها من الملابس والمصوغات تنفيذا لرغائبهم التي أعلنوها على لسان الأسياد وما ذبح الدجاج ونحر التيوس والديوك ما هو إلا توسلا للأسياد في إزالة مرض أو شفاء علة واستتصال كربة لا غير.⁴

ومن أسباب انتشارها هو الجهل وقد عبر الشيخ عن ذلك حين قال " ويعلم كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية الحاضرة أو الغابرة ممن تقمصوا بقميص العلوم وتدنثروا بدثار المنطق والفهوم، إلا من ختم الله على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، أن الزار ما هو فخاخ كيد نصبته أيدي زعيماته وشيخاته لاقتناص أفراد العقيلات إلا قليلا منهن"⁵.

¹ الشيخ المجاوي، (اللمع) ص 198.

² المصدر نفسه، ص 199.

³ نفسه، ص 198.

⁴ نفسه، ص 200.

⁵ نفسه، ص 199.

-احتفال المسيد: وهو أن يجتمع الناس يوم السبت في أوقات معينة من السنة في موضع يقال له (المسيد) حيث يخرج الناس بطولهم وشقاشقهم، ويشترى كل رجل أو امرأة فؤادا من ضأن أو ماعز ويذهب به إلى المكان المسمى " المسيد" - من أديرة الكهنة الأولين-ويذبحه هناك، ثم تأتي النسور فتأكل ذلك الفؤاد فيفرح صاحبه بذلك، ويقول سادتنا الأولياء أقبولوا علينا، وأكلوا من قرباننا، ويزعمون أنهم ما نالوا صحة ولا رزقا إلا بسبب أكل الأولياء والنسور ذلك الفؤاد.¹

-احتفالية سيدي محمد الغراب: ويقال عنه أنه لما كان في حياته تشكل في صورة غراب وطار، ثم نزل بذلك الموضع على سبيل الكرامة لتثبت بعض ولاة عصره بمعاقبته على جور أنكره، ولما مات قبر هناك، وبذلك الموضع حوضاء يسمونه (البرمة)، فتذهب النسوة إلى هذا المكان ومعهن بعض المأكولات يصببها في الحوض ويسبحن باختلاط مع الرجال، فتأتي السلاحف ويحطن بما رمته النسوة فيزغردن ويرقصن زاعمات بأن السلاحف من الجنون، ويطلبن منها ما يشأن معتقدين بأن النفع والضرر بيدها، وأن الأرزاق وقضاء الحاجات مكنونة في زوايا قشورها.²

-"الغابة" "عين فريحة" "وميمون" "بابا مرزوق" وهي أماكن يقصدها الناس من أجل رمي النشرة وهي عبارة عن ذبح سردوكأو دجاجة ونشر فتات الطمينة، ويعتقدن أنهم إن فعلن ذلك يذهب ما بهن من الأمراض، لاعتقادهن أن الجن المردة يحفظن من التجأ بهم وتقرب لحماهم واستجار بهم.³

- عدم ذكر اسم الله أثناء الذبح: ارضاء للجن فيقولون " السادة" أو " هذوك الناس" إجلالا للمقام.⁴

¹ الشيخ المجاوي، (اللمع) ص209.

² المصدر نفسه، ص109.

³ نفسه، ص212.

⁴ نفسه، ص213.

-شجرة السدر: حيث قدسها الناس وعلقت الخرق بأغصانها لاعتقادهم باجتماع أولياء الله تحتها¹.

- "دار الطبول" : وهي دار اتخذها العبيد مسرحا يجتمعون فيها بطبولهم وكبراهها يسمونها "البانقة" ومعها قباقيب من حديد، فتأتب إليها النساء بقصد الرقص، ويزعمن بأن العبيد لهن سيطرة على الجن، وعندهم هناك امرأة سودانية مسنة سموها " العريفة" في عنقها سلسلة، ويدها طبق به حقق مملوءة بالبحور، ويدها دبوزة مكسوة بالحرير والحز والديباج، فتذهب المرأة التي جاءت لدار الطبول إلى خزانة مملوءة بالتصاوير، يسمونه "الأسياذ" فتسجد المرأة للأسياذ ويديرون على رأسها(الدبوزة)، وتمكنهم على الأقل بمبلغ "دورو" وشيء من السكر والمعجون وغيره، ثم تذهب للرقص، فمنهن من تشرب الدم المسفوح من الطيور، ومنهن من تشرب غيره من النجاسات المحرمة، ومنهن من تأكل (العذرة)، لأنهن يزعمن أن عفريتتا يسمى "جاطو" سكناه الكنيف والأمكنة النجسة ودواؤه داؤه.²

-من البدع ترك الناس لسنة صلاة الاستسقاء إذا حبس عنهم المطر ويعمدون إلى مغرفة كبيرة ويجعلون لها غشاء كتان ويخططون خطين مقوسين كحاجبين وشبه عينين بسواد، ويطوفون بها ويطلبون الشتاء، فهم يتركون السنة ويتبعون البدعة³.

آثار البدع في المجتمع:

يرى الشيخ الجهاوي أن للبدع آثار عدة في المجتمع الجزائري أهمها مخالفة السنة واتباع البدعة دليل ضعف الإيمان وذلك مما يفقد الإنسان سنده المعنوي المتمثل في دعم الله عز وجل وفي ذلك يقول الجهاوي "فأقل ما يخسره هذا البدعي قوة العزيمة بالاعتماد على من تحيط قوته بالأكوان كلها، وأدنى ما يفقده ركون النفس إلى سندها الأكبر عند نزول الشدائد، وأخف ما

¹ الشيخ الجهاوي، (اللمع) ص215.

² المصدر نفسه، ص216.

³ نفسه، ص249.

يصيبه من الفساد تشتت الأهواء عليه واطرابه بين دواعيها، ويتصف هذا بأوصاف رديئة نشأت عن مخالفة السنة واتباع البدعة"¹

كما أن هذه الطباع إذا استأصلت في النفوس واستحكمت فيها يصعب تغييرها خاصة إذا توالى عليها السنوات والأجيال، حتى أن المهتمين لا يستطيعون التخلص منها نهائيا لأنها موروثه عن الأسلاف ومتأصلة فيهم، ويصلون حد الافتخار بها، ويضرب في ذلك مثلا عمل البعض على القتل والسلب والنهب من أجل غاية سامية وهي مساعدة الآخرين من الفقراء والمحتاجين.²

المطلب الثاني: محاربة الآفات الاجتماعية وأمراض النفوس والدعوة إلى الأخلاق الحميدة

محاربة الآفات الاجتماعية

لقد كان من أهداف سلطات الاحتلال محاربة عادات وأخلاق الجزائريين واستبدالها بعادات وأخلاق دخيلة تجسيدا لمفهوم الاستعمار وإيمانه بدور الأخلاق في النهوض بالمجتمع لذلك عمل جاهدا على نشر الآفات الاجتماعية في المجتمع وسخر في ذلك كل إمكاناته، ومن أهم الآفات الاجتماعية وأخطرها التي دعمها الاستعمار وحاربها الشيخ المجاوي هي:

الخمر: وتسمى في شرعنا الإسلامي بأمر الخبائث لأنها أصل كل الشرور، وقد قامت سلطات الاحتلال بتشجيع زراعة الكروم التي أخذت حيزا كبيرا من الأراضي الزراعية وكذلك تشجيع الجزائريين على تعاطي الخمر حيث كانت توزع عليهم بسخاء في المقاهي والحانات فأقبلوا عليها وأولعوا بها وخسروا أموالهم في اقتنائها الأمر الذي زاد من حدة الفقر وتردي المستوى المعيشي، وزاد أيضا من حدة الجرائم المرتكبة، لذلك لم يتوان الشيخ المجاوي في محاربتها مسخرا لذلك علمه وقلمه، فيرى أن من أسباب انتشارها الجهل وعدم الاعتناء بالعلوم

¹ الشيخ المجاوي، (اللمع)، ص102.

² المصدر نفسه، 195.

الدينية¹، والخمر كغيرها من الأشياء التي تبدأ صدفة أو عن طريق التشبه بالأصدقاء حتى تصل حد الإدمان فلا يستطيع التوقف عنها فيضيع عقله وماله ودينه وكلها من المقاصد الضرورية.² ويشير الشيخ المجاوي إلى أهمية العقل فيقول: "إن العقل زينة الإنسان فهو كنز ثمين ونعمة تفوق كل النعم التي منحها الله له، فهو المتحكم في جميع الأعضاء والحواس، يصدر أحكامه وأوامره فتنصاع له، فلم ترق الأمم والشعوب إلا بواسطة العقول التي تستكشف الطبيعة وتخترع الحلول لتوفير حياة أفضل للإنسان الذي لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بإعمال الفكر واستعمال العقل والخمر بتأثيرها السلبي يؤدي إلى شلل هذه النعمة وإذها بما يفقد الإنسان بذلك توازنه كلياً".³

ثم يعدد بعض آثار الخمر ففيها هدر للأموال والضياع طالما تعب الأسلاف في تحصيلها ظنا منهم أن يخلفهم أبناؤهم ويستعينون بها، ولكنهم لما أهملوا أولادهم وتركوهم بدون تربية وتعليم شبوا منهمكين متهورين، وخالطوا السفهاء وأهل المعاصي والضلال فعملوا واقتدوا بهم في أفعالهم، فأدى بهم إلى ارتكابهم الخمر وغيرها فأضاعوا ما جمعه لهم أسلافهم، ولو خالطوا أهل الفضل لم يحصل لهم ذلك.⁴

كما فيه ذهاب للعرض والمروءة بسبب ما يلحقه وقت زوال عقله بل وللدين⁵، إذ يصير بالإنسان إلى حيوان وتجعله محل سخرية عند الناس نظرا للتفاهات التي يقوم بها المدمن عند سكره وهي أيضا سبب في انتشار العداوة والبغضاء بين الناس وتدفع إلى ارتكاب الجرائم والمحرمات خاصة فاحشة الزنا، فكثير من السكارى يطلقون نساءهم وهم لا يشعرون ثم يعوذون إليهم بغير وجه حق ولا شرع فيقعون في الحرام، إضافة إلى أن الخمر مفتاح وباب

¹ الشيخ المجاوي (اللمع) ص128

² عبد القادر المجاوي، العادة، جريدة المغرب، العدد 12/19 جوان 1903م.

³ جريدة المغرب، العدد 17-29 جويلية 1903م.

⁴ الشيخ المجاوي (اللمع) ص136.

⁵ نفسه ص134.

لجميع المحرمات الأخرى، وإذا كان جزء شارب الخمر في الدنيا هو الجلد ثمانين جلدة فإن الجزء يوم القيامة هو الضرب بسياط من النار على مرأى الخلائق.¹

ولم يكتف الشيخ المجاوي بالحديث عن أضرار الخمر على العقل والمال والدين، بل تكلم عن أضرارها على الجسم وهي مرة أخرى يؤكد فيها الشيخ المجاوي تعلقه بالعلوم البحتة: ويكمن ضررها في أنها لا تساعد على إنشاء الأنسجة بالجسم أو توليدها لأنها تفتقر للآزوت الضروري للدم والأنسجة والعضلات، كما أنها لا تنشئ الخزانات التي تحفظ القوت، أما الخاصية الوحيدة التي تشترك فيها مع المواد الغذائية فهي توليد الحرارة.²

ومما ينبغي الإشارة إليه هو عدم تطرق الشيخ المجاوي إلى دور سلطات الاحتلال في نشر هذه العادة السيئة حتى لا يتعرض لمضايقة الاحتلال.

القمار: وإلى جانب الخمر حارب الشيخ المجاوي ظاهرة القمار، والتي تفشت بشكل كبير في المجتمع الجزائري، وصارت وباء سواء في الأرياف أو المدن فيشير الشيخ المجاوي إلى بعض أثارها حيث يقول: "وإننا نرى في زماننا هذا ما فعله القمار بالمقامرين، فلا تجد قمارا لا بسا ثوبا حسنا فضلا عن غيره من الضروريات، وقرنه الله تعالى بالخمر لشدة جرمه³ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلٍ
الشَّيْئِ لَسِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ المائدة الآية 92

فلقد لفت أخطارها الشيخ المجاوي فتصدى لها مبرزاً آثارها على الفرد والمجتمع، ومن أبرز أنواع القمار عادة الإدمان على لعبة الدامة والكارطة والنردشير وما شاكله وقد حرمه الله تعالى لما يؤدي إليه من ضياع المال، وتلف الوقت كما أنه مجلبة للفقر وخسارة للأموال ويؤدي

¹ الشيخ المجاوي (اللمع) ص 134.

² الشيخ المجاوي (العلم) جريدة المغرب، العدد 12 19 ماي 1903، ص 01.

³ المجاوي، اللمع، ص 142.

بصاحبه إلى الوقوع تحت طائلة الديون التي تجلب له الذل، فقد كان الناس في الجاهلية يقامرون بنسائهم عند خسارتهم كل أموالهم وما يملكون .

وقد قرن الله تعالى الخمر بالميسر في الآية السابقة إما لأتباعمَلَيْنِ غَالِيَيْنِ عَلَى النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،¹ أو لِأَنَّ الْمَيْسَرَ قَرِينُ الْحُمْرِ فِي التَّمَكُّنِ مِنْ نُفُوسِ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ أَكْبَرُ هُوَ يَلْهُونَ بِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَأْتُونَهُ وَقَتَّ الشَّرَابِ إِذَا أَعْوَزَهُمُ اللَّحْمُ لِلشَّوَاءِ عِنْدَ شُرْبِ الْحُمْرِ.²

وإضافة إلى تضييع المقامرين وقتهم ومالهم فإنهم يصلون حد خراب بيوتهم بسبب الديون، وقد تصاحب آفة القمار كبائر أخرى كالكذب والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وكثيرا ما تنتهي هذه الألعاب بارتكاب جرائم القتل ويصل الأمر بالمقامرين حد ابتزاز الأطفال والتحايل عليهم لأخذ أموالهم.³

الربا: ويعرفه الشيخ المجاوي بأنه سلف جر نفعاً، ويكون في الطعام أو النقود، وقد انتشر في المجتمع الجزائري انتشاراً فظيماً والتمادي في الربا من شأنه أن يأسر صاحبه فيجعله خاضعاً للمرابي مقيداً بشروطه أسيراً لقوانينه، بالرغم من أنه كان حراً من قبل أن يلجأ إليه⁴، وهو من أسباب فقدان السعادة وتدني المعيشة واستحواذ الفقر،⁵ بالإضافة إلى تراكم الهموم والكروب المخيفة التي تدفع المرابي إلى الخمر والقمر والزنى، فيفنى المال ويبقى الوارث الحقيقي بلا شيء.⁶

وقد حث الشيخ المجاوي التجار على معرفة القدر المعلوم من العلم حتى لا يأكلوا أموال الناس بالباطل فيقعوا في الذنب، وأن يجتهدوا في الكيل⁷، ويحسب آكل الربا - حسب رأي المجاوي- أنه ينمي أمواله ويزيدها بأخذ أموال الناس لكنه في حقيقته يهلك ماله وعرضه، فالله يحق الربا ويربي الصدقات ويباركها واستحلاء أكل أموال الناس يربي النفس على الطمع

¹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس) 1984هـ، ج 02، ص 338.

² المصدر نفسه، ج 02، ص 453.

³ المجاوي (اللمع) ص 143.

⁴ المصدر نفسه، ص 153.

⁵ نفسه ص 153.

⁶ نفسه ص 156.

⁷ المجاوي (اللمع) ص 145.

والجشع حتى يصبح الإنسان عبدا للمال، خاضع للكسب الحرام فتذهب سعادته ويتحول غناه فقرا لأنه تعد لحدود الله في الكسب.¹

لذلك حث الشيخ المجاوي الناس على الكسب الحلال، فالرزق لا يطلب بالربا ولا بالقمار ولا بغيرهما من المحرمات بل يطلب بطاعة الرازق لا بمعصيته، فيجب على المؤمن أن يكون سالما من الهوى والشهوة والطمع، مراقبا للإله الذي أخرجه إلى هذه الدار وأمره فيها بخدمته واتباع أوامره واجتناب نواهيه، فلا يشتغل بمخالفته، وألا يسخط عليه ويكمله إلى نفسه.²

فالربا والقمار طريقان محفوفان بالمخاطر لا يرجى لداخلهما أي فاعلها فلاح والمحرم لا يبارك الله فيه، سواء كان عن جهل وعدم يقظه أو عن شهوة نفس وسبيل النجاح هو اتباع مناهج الشرع وتجنب المحرمات.³

ثم يشير إلى طريق الخلاص والانتهاه من أموال الربا، والذي يكون بالتوبة والرجوع إلى الله والعمل بمقتضى الشريعة، لأن الأرباح الربوية ناجمة عن انتهاك المحارم، وكثرة الفسق، وانتشار البدع وإماتة السنة.⁴

معالجة أمراض النفوس

ومن الآفات الاجتماعية التي عالجها الشيخ المجاوي بعض أمراض القلوب والتي لا يقل ضررها عن بعض الآثام الظاهرة وأصلها هو:

- **الكبر:** ويعرفه الشيخ المجاوي بطر الحق وغمط أهله⁵، وحث النشء على التواضع وعدم الكبر والافتخار الزائد عن الحد بالنفس لأن ذلك يبرز عيوبها أكثر مما يبرز مزاياها⁶، وهو من أبغض الخصال إلى الله عز وجل فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول

¹ المجاوي (اللمع) ص 146.

² نفسه ص 156.

³ نفسه ص 157.

⁴ نفسه ص 158.

⁵ نفسه، ص 231.

⁶ عبد القادر المجاوي نظرة في الأخلاق والكبر والإعجاب، العدد 84، 11 ديسمبر 1908 م.

الله صلى الله عليه وسلم (العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة)¹ وهو أصل لأمراض أخرى مثل:

-الحسد: تمنى زوال النعمة عن الآخرين² وهو من الكبائر التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " لا تحاسدوا ولا تباغضوا"³، وتظهر مضار الحسد على الحاسد قبل المحسود فيصيبه الغم والمصائب ويجلب له سخط الرب ومذمة العباد، كما تغلق في وجهه أبواب التوفيق. والأولى بالإنسان أن يحسد الحسد المذموم وهو ان نطلب من الله أن يتفضل علينا بمثل ما تفضل به على الغير، من غير تمنى زوال ما أفاضه الله علينا من النعيم.⁴

-الغيبة: ذكر مساوئ الشخص أثناء غيابه وقد حرمها الإسلام واعتبرها من الكبائر، قال تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾⁵ الحجرات آية رقم 12 ، هذا إذا كانت هذه العيوب موجودة في الشخص، أما إذا لم تكن موجودة فيه فالأمر أشد لأن ذلك يعتبر بهتاناً وكذباً.⁵

-الإيماء والغمز واللمز: وهي خصال ذميمة نهى الله عز وجل عنها قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾⁶ الهمة آية 01 وتعني غيبة الناس وطعنهم في وجوههم بالإشارة الساخرة⁶ ومن أسبابها غياب الوازع الديني من جهة، ومرض نفسي يستولي على الإنسان من جهة أخرى، فلا يرتاح إلا إذا همز الناس وتغامز عليهم فيحسب أنه قد أهانهم وسخر منهم، لكن الحقيقة هي أنه حقر نفسه وأساء إليها، فأصبح مشهوراً بين الناس بالهماز واللماز الناشر للعيوب فيتجنبوه ليخلصوا من أذاه.⁷

¹ أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، رقم (2620) ص1012.

² المجاوي (اللمع)، ص179.

³ أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس والتنافس والتناجش، ص995.

⁴ المجاوي (اللمع) ص180.

⁵ نفسه، ص181.

⁶ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص591.

⁷ المجاوي، كوكب إفريقيا، سلامة الإنسان في حفظ اللسان العدد 132 12 نوفمبر 1909م.

كما وجدت مظاهر الانحلال الخلقي المتعددة الأشكال طريقها إلى المجتمع الجزائري حيث شاعت فيه العادات السيئة الغربية كالميوعة والخلاعة المنافية للآداب الإسلامية، ويتحسر كثيرا على ما صارت إليه أخلاق الشباب الجزائري الذي خلع ثوب الحياء وجاهر بالفسق والفجور.¹

الدعوة إلى الأخلاق الحميدة: وفي مقابل هذه الأخلاق الذميمة حث المجاوي على الالتزام ببعض الأخلاق التي من شأنها تعزيز أواصر الأخوة والمودة بين أفراد المجتمع وبأبي مقدمتها:

-الرفق: لأن الإسلام أمر بالرفق في الأمور كلها، فيرفق الإنسان بنفسه وخدمه وأولاده

وزوجاته وحتى دوابه ومملكه² قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة آية رقم 194، وقال أيضا ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء آية 19

-الاقتصاد في النفقة: بأن يكون الإنسان وسطا بين الإسراف والتقتير³ قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء آية 29

-العزم والاجتهاد: وعدم الثواني والكسل لأنه من جد وجد، والتأجيل يؤدي إلى طول الأمل.⁴

-الحلم والتسامح : من الفضائل التي حث عليها الشيخ المجاوي، وهما متعلقان أصلا بالتربية المتواصلة والاجتهاد المستمر في الإصلاح⁵ وقد جسد ذلك واقعا حين تغاضى عن الرد الرد على عاشور الخنقي.

¹ المجاوي، كوكب إفريقيا، التربية، العدد 31، 03 جانفي 1908.

² المجاوي (اللمع)، ص 237.

³ المصدر نفسه، ص 238.

⁴ نفسه، ص 238.

⁵ المجاوي، المغرب، الحلم، العدد 31، 24 جويلية 1903 ص 03.

- **حسن الجوار:** لأن أوامر ديننا تحثنا على ذلك شريطة أن يكون عن صفاء نية وسلامة طوية، حتى ولو كان المجاور مخالفا لنا في الدين فإن ذلك لا يمنعه حقه في الجوار تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يحضر ولائمهم ويغشى مجالسهم ويشيع جنازتهم، ويعزيهم عن مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات الاجتماعية التي لا بد منها في كل جماعة محكومة بقانون واحد، وشاغلة لحيز مشترك.¹

- **الصدق في القول:** وهو مطابقة القول للواقع لأن الكذب من علامة النفاق² قال صلى الله عليه وسلم "آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"³

- **العدل:** لأنه أساس استقرار الأمم والشعوب وغيابه مؤثر ومؤذن على خرابها فإذا غاب العدل ساد الظلم، فهو روح الوجود نصت عليه جميع الشرائع الدينية ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴿٦٠﴾ النحل آية 90

والعدل أساس الفضائل كلها، وقد ركز المجاوي على ضرورة عدل الحكام وأصحاب النفوذ وهو فيهم أوجب وأفضل لأنهم قد انتصبوا لإنصاف الناس، فالظلم أصل البلاء ومجلبة للشقاء، وقد حرهما الله تعالى عن نفسه وعن الناس أجمعين⁴.

فعدل الحكام أهم أسس سياسة الحكم في الإسلام قال تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٧﴾ النساء آية 57 وقال أيضا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴿١٥٣﴾ الأنعام الآية 153 وقال أيضا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نِ قَوْمِ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿١٥٩﴾ البقرة الآية 159

¹ المجاوي ، (اللمع) ص240.

² المصدر نفسه، ص240.

³ أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق رقم (33) ص18.

⁴ عبد القادر المجاوي، فضل العدل والإنصاف، جريدة المغرب، العدد 05، 24 أبريل 1903م.

فعدل الحاكم هو الذي لا يميل ميزانه الحب والبغض ولا تغير قواعده المودة والشئان ولا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ولا بالتباغض بين الأقسام فيتمتع به أفراد الأمة جميعا وهذه قمة العدل التي لم يبلغها أي قانون.¹

-التعاون : من أجل اكتساب المعالي والرقى بالمجتمعات، لأن في التعاون شفاء للعاجزين الضعاف، ولا يكون ذلك إلا بتطهير النفس من أمراض القلوب، وتحليلتها بمكارم الأخلاق² قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة الآية 03

وفي السياق ذاته حث المجاوي أفراد المجتمع على التعاون في ما بينهم ودعا الأغنياء إلى تقديم الإعانات المالية قصد إنجاز مختلف المشاريع لمن هم في حاجة إلى ذلك كما دعاهم إلى المشاركة في الجمعيات الخيرية قصد تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي³.

¹ سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق (مصر) 1415هـ-1995م ص71.

² المجاوي (اللمع) 244.

³ دريادي حميدة، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1848م-1914م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر إشراف الأستاذ بن عدة عبد المجيد، جامعة الجزائر، (2011م-2012) ص.120.

المبحث الرابع: آراؤه الإصلاحية في المجال التعليمي والتربوي

لقد حز في نفس المجاوي وضع التعليم في الجزائر حيث لاحظ فتور المعلمين والمتعلمين وتراكم الجهل وسبب ذلك هو عدم الاعتناء بالعلوم¹ التي هي السبب الرئيسي في استقامة حال الجزائريين والمسلمين عموماً فلن يعوذو إلى سابق ما كانوا عليه إلا بالعلم الصحيح المقترن بالعمل والداعي إلى الأخلاق الفاضلة .

وهو ما دفعه إلى تأليف رسالة في مبادئ بعض العلوم لتكون لهم تبصرة يهتدون بها إلى العلوم الشريفة وسمّاها (إرشاد المتعلمين) وقد احتوت على ما يلي :

المطلب الأول : مضمون رسالة إرشاد المتعلمين

-أهمية العلم: استعمل الشيخ المجاوي السبر والتقسيم في الوصول إلى أهمية العلم وشرف العقل لكونه واسطة لاكتساب العلوم والمعارف.

فجميع الحيوانات من الفيل إلى الذرة متقاربة في الحس والإدراك ما عدا الإنسان فإن الله فضله على سائرهما بالعقل والنطق، ومجرد العقل والنطق لا يفيدان الإنسان شيئاً فلو كان مجرد النطق يفيد الإنسان ما يحتاج إليه لشاركه البغاء، وكذلك العقل ومبنى الكلام لو كان كافياً لما احتجنا إلى رسل يأمرونا بالمعروف وينهوننا عن المنكر، ثم يصل إلى نتيجة مفادها " إن الإنسان إذا أراد أن يجني ثمرة امتيازهِ عن بقية الحيوانات يجب عليه أن يدب في تحصيل العلوم التي عليها مدار المعاش والمعاد ووقت تحصيلها من المهد إلى اللحد.

وجاء في اللمع "اعلم أن العقل أفضل ما من الله به على عباده، لأنه سبحانه خلق الموجودات وتفضل عليها بالإيجاد ودوام الإمداد، فاشتركت الموجودات في إيجاد وإمداده، فلما اشتركت أراد الحق سبحانه أن يميز الإنسان عنهم فأعطاه العقل وأيده به، وفضله بذلك على الحيوانات، وأكمل به نعمته عليه، فعلى الإنسان أن يشكر هذه النعمة باتباع دين ارتضاه الله،

¹ المجاوي ، إرشاد المتعلمين، ص31.

وليس ذلك إلا باتباع واجتناب البدعة، وأن ذلك لا يتم إلا بالعلم ولا يدرك إلا بالتعلم ولا يمكن إلا بمعلم نصوح"¹

ونظرا لأهمية العلم أوجب على الإنسان تعلمه دون أن يقصره على وقت معين فيقول في ذلك «... إن الإنسان وحب عليه يدأب في تحصيل العلوم التي عليها مدار المعاش والمعاد، ووقت تحصلها من المهدي إلى اللحد.....»²

ثم يرتب العلوم الواجبة على الإنسان المسلم من الأهم إلى المهم فجاءت في مقدمة رسالته على النسق التالي: «... أول ما يجب على الإنسان أن يتعلم القرآن الكريم أو ما تيسر منه ثم الحديث النبوي لأنه يليه في الفضيلة ثم علم الفرائض لأنه ثالث علوم الدين، ثم علم الفقه لأنه علم الحلال والحرام وبه العصمة في الدين والزينة في دنيا، وينبغي له أيضا أن يتعلم علوم العربية كالنحو والصرف والبيان واللغة وغير ذلك الطب الذي به حفظ الصحة معالجة الأسقام، علم الكتابة والحساب والهندسة والزراعة والمساحة والجغرافيا والهيئة وعلم الرماية والسباحة والفروسية وغير ذلك من العلوم التي هي صفة الكمال للإنسان.....»³

-تقسيم الشيخ المجاوي للعلوم: في هذا الكتاب قدم الشيخ المجاوي نظره لتقسيم وتصنيف العلوم،⁴ وهي نظرة تختلف عن غيره ممن ألف في هذا الفن لأن أهمية علم التصنيف لا تنحصر فقط في وضع الحدود الفاصلة بين العلوم والمعارف، تمتد إلى بيان ما يراه المصنف من منطلقه الخاص، جديرا بالوصف والترتيب والحصر فعملية التصنيف تمثل رؤية ونظرة صاحبها للواقع العلمي والتربوي الذي يجب أن يكون وهي ليست مجرد حصر منطقي أو إحصاء تقني

¹ المجاوي (اللمع) ص 104.

² المجاوي . إرشاد المتعلمين . القاهرة، (1877)، ص 03.

³ نفسه، ص 3 .

⁴ يراد به تصنيف الأشياء أو المعاني أو الحدود وتركيبها في نظام خاص وعلى أساس معين، ومنها تصنيف المعارف إلى حسية وتجريبية وتأملية فلسفية، وتصنيف العلوم إلى نظرية وعملية أو إلى عقلية وشرعية .

انظر : د/ لعموري عليش، تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي (الفارابي، الغزالي، ابن خلدون) دار هومة للنشر والتوزيع (الجزائر) 2009 ص 24.

لعلوم العصر فحسب، وإنما هي صورة من صور الحياة العقلية والفكرية والتربوية للمجتمع الذي تظهر فيه.

فالشيخ المجاوي قدم رؤيته انطلاقاً من واقع المجتمع الجزائري آنذاك ولم يتقيد برؤية من سبقه لأن كل مصنف قدم رؤيته من الواقع الذي عاشه، والدليل على ذلك التقسيم الثلاثي للعلوم¹ - التركيز على علوم الأبدان - ربطه للمعاش بتقسيم العلوم

-علاقة العلوم بالمعاش: ولم يكتف الشيخ المجاوي بإرشاد المتعلمين إلى أنواع العلوم الواجب تعلمها بل أعقب ذلك ببيان طرق المعاش وقد يتساءل القارئ ما العلاقة بين أنواع العلوم وطرق المعاش؟

ويرجع ذلك في نظرنا إلى عدة أمور أهمها:

-إن الإنسان إن كان من كان لا يخرج عن كونه حيواناً، وكل حيوان لا بد له أن يتعاش ويعيشة الحيوان ليست كعيشة النبات تمطر من السماء وتبل على وجه الأرض فتمر عليه أو تتعلق بالهواء فيصيبه شيء منها فيجتزي، أما الإنسان فلا بد لتعيشه من أعمال مخصوصة أقربها الطبخ والتناول، وزد على ذلك احتياجه للكسوة والبيوت التي تقيه الحر والبرد².

-إذا كان العلم غذاء العقل فلا بد من غذاء الجسم وهذا ما تهتم به طرق المعاش ويرتبط الثاني بالأول، فتطور العلوم خاصة علم النباتات، وعلم الطبقات الأرضية وما يوجد فيها من المعادن ينعكس إيجاباً على طرق المعاش (الصناعة والزراعة) فتحقق الرفاهية ورغد العيش للإنسان.

-إن في الربط بين علوم الأديان والأبدان وطرق المعاش دلالة على الفهم الشمولي للإسلام، فالشريعة الإسلامية شافية وافية من حيث تناولها لكل صغيرة وكبيرة من شئون الدين والدنيا، فهي منهج كامل في الحياة، وليست مجرد علاقة روحية بين المرء وربّه ليس في الإسلام شيء

¹ وافق تقسيم ابن جزري (693هـ . 741هـ) الذي جعل العلوم ثلاثة أنواع فقال: "وهي على الجملة ثلاثة أنواع: علوم شرعية، وعلوم هي آلات للشرعية، وعلوم ليست بشرعية ولا آلات للشرعية"

انظر ابن جزري (القوانين الفقهية) ص 361.

² الشيخ المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص 50.

يتعلق بالإنسان والحياة يمكن بحثه بمعزل عن الدين .وقد حفلت بكيان الإنسان من جميع الزوايا : العقلية والروحية والجسدية.

فعلوم الأديان واللسان تهتم بالجانب الروحي في الإنسان وكذلك العقلي وعلوم الأبدان وطرق المعاش تهتم بالجانب الجسدي.

المطلب الثاني: مسوغات تقسيم العلوم عند الشيخ المجاوي:

يقسم الشيخ المجاوي العلوم إلى ثلاثة علوم اللسان، علوم الأديان، علوم الأبدان والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا قدم الشيخ المجاوي علوم اللسان على غيرها؟

ومرد ذلك في نظرنا يرجع إلى :

1- شغف الشيخ المجاوي باللغة العربية وميوله الفطرية نحوها والمتأمل في مؤلفاته يجد المتعلقة منها باللغة الحظ الأوفر.

2- مجاهدة مخططات الاستعمار الذي عول كثيرا على اللغة العربية في القضاء على هوية الجزائريين.

3- تأكيد نظرة العديد من المحققين الذين يقدمون تعلم اللغة على الدين لأنها وسيلة لفهمه يقول الزركشي في البرهان " واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر." ¹

وأبان عن هذه الأهمية أهل اللغة أنفسهم؛ يقول الزمخشري: "وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الإعراب والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيوبه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص295.

فهم ملتبسون بالعربية أية سلوكوا غير منفكين منها أينما وجهوا كل عليها حيثما سيروا، ثم إنهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها وتعليمها ويدفعون خصلها ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها وينهون عن تعلمها وتعليمها ويمزقون أديمها ويمضغون لحمها فهم في ذلك على المثل السائر: "الشعير يؤكل ويذم"¹

بل وصل به الأمر إلى حد قدم فيه بعض العلوم الدنيوية كطب الأطفال على علوم الدين» وإن من الطب أن يعتنى بتربية الأطفال في حالة الصغر ليسلموا من العوارض ويشبوا سليمي الأعضاء حسان الصورة، وهذا العلم مقدم على سائر العلوم حتى علوم الدين لتوقف القيام بها عليه....²»

ولم يكتف الشيخ المجاوي في رسالته بالإشارة إلى قيمة علوم الأديان وعلوم اللغة بل أفاض في الحديث عن قيمة العلوم التجريبية في سابقة لم يعهدا العلماء الجزائريون وقد أشرنا سالفًا إلى مكانة التعليم والعلوم التجريبية على وجه الخصوص في الجزائر أثناء الاحتلال والتي لم تكن في وضعية تحسد عليها، وقد شجعت سلطات الاحتلال هذا الوضع وعملت على تكريسه لأنه يوافق مخططاتهم وأهدافهم ويسهل من مهمتهم التي تصبوا للسيطرة على المجتمع الجزائري، غير أن الشيخ المجاوي خالف توقعاتهم وأفسد مخططاتهم فقد دعا الشيخ المجاوي إلى العلم والأخذ بأسباب الحضارة بطريقة محايدة وغير مرتبطة بالتمدن الفرنسي، كما فعل زملاؤه السابقون، فقد استوحى من التراث الإسلامي أن أسباب نهوض وتقدم الأمم هو العلم فدعا إلى نهضة علمية عامة³ والأخذ من جميع العلوم خاصة علوم الأبدان⁴ التي تعرف كسادا وتأخرًا في الجزائر مما أثار قلق المصالح الاستعمارية التي رأت فيه دعوة لليقظة والإصلاح، وكشف بشكل غير مباشر أمام الرأي العربي والإسلامي فشل السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر. من العلوم التي أشار إليها الشيخ المجاوي :

¹ الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق د. علي بو ملحم مكتبة الهلال - بيروت ط01 الأولى، 1993، ص19.

² نفسه، ص 9

³ د/ أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998 ج 06 ص220.

⁴ الشيخ عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلمين، ص46.

علم الطب: مأخوذ في البداية عن الاستقراء والتجارب، وهذا العلم في نظر الشيخ المجاوي مقدم على سائر العلوم حتى على علوم الدين لتوقف القيام بها عليه كما قال الشافعي، وفي هذا العصر لا يسمى الإنسان طبيبا ما لم يتقن عدة علوم منها: الطبيعة والتاريخ الطبيعي-أي: علم المواليد الثلاثة، وعلم الكيمياء بأنواعه، وعلم التشريح، وعلم الأمراض بأنواعها سواء كانت باطنية أو جلدية أو رمادية، وعلم قانون الصحة

فأما علم الطبيعيات: فيتم من خلاله التعرف على الظواهر الطبيعية الموجودة في هذا الكون، الأمر الذي يمكننا بالتالي الانتفاع بها ، أو التكيف معها، أو درء مخاطرها، وقال في هذا الصدد: « علم الطبيعة فهو علم يبحث عن الخواص الجسمية التي تخص الأجسام من حيث كونها كتلا كالأبعاد الثلاثة وعدم التداخل وكون الجسم ذا مسام وقبوله للضغط والمط والحركة والسكون وغير ذلك ويبحث فيه أيضا عن المغناطيسية والكهربائية وسيرها في أسلاك الإشارة وغيرها من الكائنات الجوية مثل الضباب والسحاب والندى والظل والصقيع والمطر والثلج والبرد ... وعن الرعد والصواعق والشهب والحجارة الساقطة من الجو وعن الرياح المنتظمة والدورية والزوابع وغيرها »¹

وأما علم التاريخ الطبيعي: فهو علم يبحث فيه عن الحيوانات والنباتات وعن الطبقات الأرضية وكيفية تكوينها وما يوجد فيها من المعادن .

وأما علم الحيوانات: فيبحثون فيه عن تشريحها وهيكلها العظمي وجهازها الهضمي وكيفية دورة دمها وكيفية إحساسها.

وأما علم النباتات: فيبحث فيه عن التشريح النباتي وعن كيفية تغذية النباتات وتلقيحها وتطعيمها ...

وأما علم الطبقات الأرضية: وما يوجد فيها من المعادن فهو علم نافع جدا في فن الطب الذي يحتاج إلى مركبات معدنية وغير معدنية .

وأما علم الكيمياء: فهو علم يعرف به كيفية تحليل الأجسام وتركيبها .

¹ الشيخ المجاوي (مرجع سابق) ص 9.

وأما علم التشريح : هو علم تعرف به أجزاء اللسان الذي يتركب منه بالتفصيل بغاية الدقة.

وأما علم الأمراض الباطنية فهو علم يبحث فيه عن جميع الأمراض الباطنية ومراكزها وعلاماتها وأسبابها.

وأما علم قانون الصحة : فيبحث فيه عن وسائل المحافظة على صحة الأجساد البشرية وغير ذلك¹

ودعوة المجاوي إلى نهضة علمية ولو بالاقتراب من الغرب لا تعني الانسلاخ أو التخلي عن المبادئ بل ينبغي مراعاة الخصوصية الإسلامية.

وقد أيد أبو القاسم سعد الله في ذلك بقوله: "نحن مع دعوة المجاوي للتعلم والنهوض على الطريقة العربية الإسلامية وليس على الطريقة الفرنسية، دعا إلى تعلم اللغات وليس اللغة الفرنسية كما فعل زملاؤه، ودعا إلى تقليد الغربيين في العلوم الجديدة وليس في كل شيء . لم يكن المجاوي منبها كبعض زملائه ولا مسلوب الفكر، بل كان معتزا بماضيه وحضارته، ولم يكن حسب علمنا قد زار فرنسا، كما أنه لم يكن يتكلم الفرنسية، لكنه رأى أنه من سنن الله والتاريخ والحياة التداول على العلم والحكم والقوة، فدعا قومه إلى أن يعرفوا مكانتهم بين الشعوب، ومن ثمة جاء النقد الشديد من غلاة المستعمرين بعد اطلاعهم على كتبه، حتى اعتبروه أجنبيا على الجزائر".²

أنواع المعاش : يؤكد المجاوي على الربط بين التوكل والعمل والحركة لأن إرادة العمل تسبقها رغبة كبيرة واستعداد قوي للتغيير، فالدين الإسلامي حث على العمل غاية الحث ويكفي دليلا على ذلك أن جعل الكد والسعي للكسب للقيام على العيال من أشرف العبادات، والإنسان المسلم يسعى للعمل باستمرار ليحقق وجوده دون انتظار صدقة أو من الآخرين لأن ذلك يحط من قدره.³

¹ الشيخ المجاوي، إرشاد المتعلمين، من ص 46-49 بتصرف.

² أبو القاسم سعد الله مرجع سابق، ج 06، ص 221.

³ جريدة المغرب، العدد 05، 23 أفريل 1903 .

أما مجالات العمل فإنها متعددة ومتنوعة، فأساس بناء الحضارة الإنسانية إنما هو تعدد الصنائع والحرف لدى البشر، فاقتضت حكمة الله أن يكون ميدان العمل متنوعا بينهم.¹

لذا يدعو الشيخ عبد القادر المجاوي الجزائريين إلى التمكن من مختلف المهن والحرف والصناعات بقوله: " إن الإنسان أربعة ذو الصناعة، ذو الزراعة، ذو التجارة، ذو إمارة وكل هذه المهن .. من الفقر وهي شرف للإنسان،

ويضرب المجاوي مثلا بالأنبياء الذين كان لكل منهم حرفة يسترزق منها وتقيه حاجة السؤال رغم أنهم خير خلق الله وأشرفهم، مما يدل على أهمية العمل ومكانته في حياة الإنسان، فقد اتخذ النبي إدريس عليه السلام من الخياطة عملا وكان سدنا نوح نجارا أما سيدنا داوود فكان يصنع الدروع، وعليه يجب كل إنسان اختيار حرفة أو مهنة يزاوها تلائم إمكاناته وقدراته وتوافق ميوله ورغباته في لأنه لو مارس جميع الناس حرفة واحدة لاختل نظام الكون.²

ويذكر المجاوي أن من أشرف وأهم الحرف التي توفر للإنسان العيش الكريم هي الصناعة التي تعد من أفضل وسائل الكسب ومصادر الرزق، خاصة في ظل التطورات الحاصلة في المجال العالمي الذي يسمح بتطوير الفنون الصناعية واستغلال الموارد ويعني بذلك الثورة الصناعية التي تشهدها القارة الأوروبية والتي أحدثت انقلابا جذريا في عالم الصناعة، فحث الشيخ المجاوي الناس على تعلم الحرف والصناعات التي توفر لهم كفاف العيش كالتجارة والنقش وصناعة السفن الحربية ودبغ الجلود وغيرها.³

أما الزراعة وهي العلم بأنواع وأحوال وكيفية الزرع وكلما يتعلق بذلك، كالحفاظ على المزروعات من الآفات وتطعيم الأشجار لتحسين نوعها وكذا معرفة المكان المناسب والوقت المناسب لزراعة كل نبات فتعد من أهم المهن التي يزاوها الإنسان لأنها تنتج غذاءه الذي هو سبب استمراره في الحياة ومن فروع الزراعة أيضا تدابير المياه وتسهيل تصريفها لسقي الأرض،

¹ جريدة المغرب، العدد 06، 28 أبريل 1903م

² عبد القادر المجاوي : المعاش، جريدة المغرب، العدد 06، 28 أبريل 1903.

³ المجاوي، إرشاد المتعلمين ص 10.

وكذا صناعة القناطر والجداول والأحواض وغيرها إضافة إلى معرفة آلات الحرث وكل ما يتعلق بها.¹

وكانت التجارة النشاط الثالث الذي أشاد به الشيخ المجاوي وحث الجزائريين على ممارسته ووصفه بأنه أحسن طرق المعاش والارتزاق ومن أهم نشاطاته البيع والربا والقرض والإيجار، ومن هذه المعاملات ما هو جائز وحلال كالبيع ومنها ما هو حرام كالربا فعلى الراغب في امتهان التجارة - حسب المجاوي - التفقه في الدين حتى يستطيع التمييز بينما هو حلال وحرام وبالتالي تجنب الكسب غير المشروع وأكل أموال الناس بغير حق، فمن التجر بغير فقه لا بد أن يقع في المحذور.²

أما النشاط الرابع الذي أشار إليه المجاوي في معرض حديثه عن أبواب العمل وطرق الكسب الإمارة ويقصد بها الوظائف الرسمية في الدولة وواجبات أصحاب هذه الوظائف بل عملهم هو النظر في تحقيق المصلحة للمواطنين وتحقيق العدالة في الحكم وكذا العمل على تطوير دولهم، فهم خدم للدولة والدين والوطن، وتختلف هذه الوظائف وتنوع فمنها الدفاع بالسيف عن الوطن ومنها العمل لتطويره ورفقيه بالعلم والقلم ويحذر المجاوي من اتخاذ المناصب وسيلة للحصول على الأموال فالمسؤول خادم لا مخدوم، والمسؤولية تكليف وليست تشريف.³

المطلب الثالث: أصول التربية التي حث عليها الشيخ المجاوي في التعامل مع

الناشئة

اهتم الشيخ المجاوي بتربية النشء لما لها من دور في صلاح المجتمع، فكل ما يتخبط فيه المجتمع من فساد سببه انعدام تربية الأولاد وتركهم مهملين يتعلمون الفساد ويرتكبون المعاصي.⁴

¹ المجاوي: المعاش، جريدة المغرب، العدد 08، 05 ماي 1903.

² نفسه.

³ المجاوي: إرشاد المتعلمين، ص 11.

⁴ المجاوي ((اللمع) 115.

ويحمل الشيخ المجاوي المسؤولية للآباء في تربية أبنائهم مستندا إلى النصوص الشرعية التي تثبت ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)¹ فلا يمكن الحكم على تصرفات الأبناء وترك الآباء كما لا يمكن الاهتمام بعلاج الأعضاء وترك المعدة التي هي أساس المرض وبيت الداء²

ثم يرد على من يرى استحالة تغيير الطباع رغم أن الإنسان يستطيع ترويض الحيوانات المفترسة، وفي هذا يقول "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت المواعظ والوصايا والتأديبات في حق الإنسان وتغيير خلق البهيمة ممكن؟ ففي نظره أن كل من له ملكة قبول الحق والانقياد له يمكن أن نصل به إلى المبتغى شريطة أن تدلل بالتربية،³ ثم ينبه الشيخ المجاوي إلى جملة من الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء التعامل مع الناشئة وهي:

-المعاملة باللين والرفق: نظرا لآثارها على نفسية الطفل فهو مخلوق ضعيف يحتاج إلى من يسوسه ويأخذه برفق ولين، ومن شأن هذا الأسلوب من المعاملة أن يجب الآباء للأبناء وينشأ بينهم جسرا من المودة والاحترام وستظهر آثار هذه المعاملة عند البلوغ والكبر إذ يعي الابن خطأه فيتخلى عنه مقتنعا لا خائفا ويجلي أكثر حقيقة التربية ووسائل تحقيقها بقوله : « ... بالتربية الحقة نتأصل الطاعة في نفوس الأولاد وتنمو فيهم القوة العقلية . هذه التربية تكون بوسائل الرفق واللين لا الغضب والعنف، وبعبارة تكون معاملتهم باللطف ومقابلتهم بالبشاشة فإن دعا الحال إلى شوب الكلام بالإندار والتأنيب فليكن مقرونا والسكينة، ليفهم الطفل ويدرك مؤداه ويدعن إلى قبوله عن رهبة ».⁴

¹مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية ، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (ص732) رقم (1827).

²عبد القادر المجاوي، العادة، جريدة المغرب، العدد 19، 12 جوان 1903م.

³المجاوي كوكب إفريقيا، التربية، العدد 31، 03 جانفي 1908 ص02.

⁴عبد القادر المجاوي، ملاك الشيمة(الأدب) جريدة (كوكب إفريقيا) العدد 97، 12 مارس 1909..

ويبدو أنه متأثر في نظرتة هذه بابن خلدون الذي يرى بأن الشدة على المتعلمين مضرة بهم لأنه يضيق على النفس ويذهب بانبساطها ويعلمها الكسل والخمول ويحملها على الكذب والخبث فتصير له عادة وخلقا فتضيع عنه المعاني الإنسانية الرفيعة والأخلاق الفاضلة¹.

تخصيص وقت للعب: فلا ينبغي حمل الطفل على الحزم والجد منذ الصغر لأنه أسلوب لا يتلاءم مع نفسية الطفل، وقد أثبتت الدراسات الحديثة ذلك، فحث الشيخ المجاوي الآباء على تخصيص جانب من أوقاتهم للعب مع أولادهم، لكن شريطة أن يكون اللعب هادفاً.²

الحث على طرق التعليم الحديثة: فالشيخ المجاوي يرى أن التعليم القديم الذي يعتمد على القراءة وحده على الكيفية المعهودة غير كاف بل لا بد من تعليم العلوم النافعة في الدين والدنيا بما فيها العلوم الحديثة حتى وإن استدعى الأمر تغيير المعلم.³

وقد أكدت نظرتة هذه جريدة (المبشر) التي نشرت مقال حول كتبه (إرشاد المتعلمين) جاء فيه: "إذا كان للمسلمين غرض التقدم في العلوم بسرعة فليغيروا مناهجهم المعهودة في التعليم، ويسلكوا فيه طريق النصارى الخالية من التشعيب، فإذا فعلوا ذلك يصير الطالب منهم الذي يمكث مثلاً في زاوية من 10 أعوام إلى 15 في تعلم نصيب من النحو، يستوعب جميعه في سنتين مع قلة التعب والمشاق، ويؤيد هذا ما هو جار في أغلب المدارس المصرية والشامية وغيرها من مدارس المتمدين إذ أنهم أعرضوا في التعلم عن المصنفات المعهودة عند المسلمين وصاروا يدرسون النحو وما أشبهه على نهج الأوروبيين"⁴

تجنب الأساطير والخرافات: مثل قصص العفاريت والأساطير المكذوبة والاعتقادات الباطلة لأنها تقتل ملكة الفكر والإبداع وترزع في النفس الرعب والفرع، بل ينبغي تلقين الطفل

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 455.

² نفسه

³ الشيخ المجاوي، اللع ص 119.

⁴ مقال حول كتيب "إرشاد المتعلمين" صدر في جريدة (المبشر) 12 ديسمبر 1877م انظر ملحق رقم 05 من كتاب دور الشيخ المجاوي وكتابه "إرشاد المتعلمين" في الصمود الفكري في الجزائر لسمية أولمان. ص 117.

مبادئ الأخلاق والآداب والقصص التي تشتمل على حكم وفوائد تعلم الطفل الكلام الطيب والصفات الحميدة وتكسبه المعلومات النافعة¹

القدوة الحسنة: ينصح الشيخ المجاوي الآباء بالتحلي بالصفات الحسنة والأمانة والتدين والطيبة، لأن الطفل في البداية يميل إلى تقليد كل من حوله في أفعالهم وأقوالهم خاصة الوالدين، فهو كالصفحة البيضاء يكتب عليها الآباء ما يريدون فعليهما أن يكونا المثل الأحسن للطفل «... إن نفس الطفل لما كانت كالمراة تنطبع فيها أخلاق مربية... و جب أن تكون نفس هذا المرابي كاملة عاقلة محافظة على الآداب، موصوفة بالاعتدال في جميع الأحوال ليتمكن لهذا أن يقلدها إلى أفعالها الجميلة وأقوالها الحسنة ومن المعلوم أن ما اقتبسه الولد من الأخلاق في حال صغره انتقش بحافظته، ويصعب فصله عنه في حال كبره.... لهذا أوجب علماء التربية تعويد الولد على الصفات الممدوحة، ومنعه عن إهدارها، فيجب على مربية الصدق معه لئلا يتعود الكذب، ومجانبة الدعاء عليه، لأنه يحط من الاعتبار، ويفسد الآداب ومباعدة كثرة الأمر عليه لأنه يدعوه إلى الارتباك، ويمتنع مربية عن الغضب وأسبابه، فلا يصرخ عليه، ولا يتناول منه شيئاً يغير رضاه، إلا بطريق الجاملة واللفظ لئلا يألف الغضب بالعود عليه، وأن يباليغ في تعويده النطق بأحسن الألفاظ فلا يألف الشتم والسباب، ولا يوجه بهما من يلاعبه، لما ذلك دأب بعض الآباء في تربية أولادهم حيث كانوا مثالا سيئا يخرج العواطف ويكلم النفوس...»²

المطلب الثالث: إصلاح شؤون المرأة الجزائرية منطلق لإصلاح المجتمع :

لم يغفل الشيخ المجاوي عن عامل مهم وركيزة أساسية للإقلاع والنهوض لأي مجتمع ألا وهي المرأة وقد أشرنا في الباب الأول أثناء حديثنا عن عصر الشيخ المجاوي عن الحالة الكارثية التي كانت تحياها المرأة الجزائرية وهو ما لم يتقبله الشيخ المجاوي كونها نصف المجتمع بل أساسه استدل الشيخ المجاوي بإحدى قصائد الشاعر المصري حافظ إبراهيم الدالة على ذلك³.

¹ سمية أولمان (مرجع سابق)ص116.

² المجاوي، ملاك الشيمة الأدب كوكب إفريقيا، 12 مارس (1903).

³ المجاوي (اللمع)ص229.

وحسب رأيه أن المرأة لن تستطيع القيام بدورها المنوط بها على أحسن وجه ما لم تتلق التعليم الكافي، فعنده أن التعليم الذي ينبغي أن نؤمّنهُ للمرأة ينبغي أن يكون تعليمًا وافيًا متكاملًا غير ناقص لأن التعليم الناقص لا يفيد ولا ثمرة ترجى من وراء ذلك أن المرأة كما يقول : «..... التي تعلمت تعليمًا ناقصًا ورأى أوليائها إلا يعطوها من العلم سوى قراءة القرآن وكتابة أبجد هوز وجناب الأكرم حاسبين أن ذلك القدرة كاف وأنه يليق بها، وأحوط في سلامة دينها، فلا تعود تصغي لمشورة من هو أعلم منها ولا تقف في إفساد تربية ابنها وتدير منزلها عند حد فتسيء الظن بزوجها وتغل يده على استثمار مالها وتدير منزلها على غير ما تقتضيه قواعد الاقتصاد وأحوال الصحة ووسائل التطهير والنظافة وتحاول تربية أولادها فتخل بقوانين التربية»¹

بل إن هذه المرأة المتعاملة والناقصة في تكوينها تساهم بقسط وافر في تربية الأبناء تربية معوجة ومنحرفة عن قواعد العلم ومنطق العقل الناضج والفطرة السلمية من جهة .
ومن جهة أخرى تترك العناية الضرورية بأسرتها مهمة شؤون المنزل الذي يصير في حالة من الفوضى لا مبرر لها سوى اللامبالاة والتسيب وقلة الوعي بشؤون البيت ومقتضيات الحياة الزوجية .

يقول المجاوي : «..... وإذا أرادت أن تلقن ابنها المراهق شيئًا من مبادئ الأخلاق والآداب تحكي له قصص العفاريت والأساطير المكذوبة مثل مدينة النحاس وجزيرة البنات ... وإذا أرادت الدعاء له أشركت مع الله ما تعقده من الأباطيل لأهم لها إلا الإذلال على زوجها والتباهي على جارحتها فترفع صوتها بالتلاوة تارة والدعوات أخرى وأواني المطبخ لا تزال بدون تنظيف، وساحة الدار لا تزال بدون مسح وطعام الغداء لم يزل الزوج يجهل أمره»²
وعندما يعمد الرجل إلى تنبيهها بضرورة العناية بشؤون بيتها، تنور في وجهه، مستهترة بأوامره غير عابئة بما يقول : «..... وإذا رأى الرجل الحالة على ما وصفها نادي امرأته ورغب إليها أن تنهض لمراقبة أمور البيت وتهيئة الطعام ولكنها تتغافل عنه فيهتف عليها ثانية فترد عليه بخشونة

¹ المجاوي (اللمع) ص.ص.28.

² المصدر نفسه، ص 25 وما بعدها.

وتأخذ في تأنيبه على إساءته الأدب وتهده بالشكوى إلى ملوك الجن والرجل لجهله يطلب منها المسامحة خشية على نفسه من بطش ملوك الجن»¹

أما المرأة التي نالت حظا من العلوم والمعارف فإنها تسهم إلى حد كبير في بناء البيت السعيد الذي تكون العلاقة فيه بين الأفراد قائمة على الوثام والانسجام وفي ذلك يقول :

«..... أما المرأة التي عرف أولياؤها كيف يعلمونها وكيف يجعلونها تستفيد من الذي تلقته فإنها إذا تزوجت فيا سعد زوجها بها وإذا رزقت أولادا فيا سعد أولادها من أجلها تعلمت القرآن والكتابة، لكن لم تتعلمهما من أجلها لذاها بل التوصل بهما إلى أعلى وتحصيل أكثر فوائد قرأت القرآن بإمعان وتفهم، فكانت تتناول بعض الآيات، وتشرح معناها لأولادها شرحا مفيدا غاية في السهولة والتقريب غرست في نفوس أولادها عظمة الله تعالى، ووجوب خشية واستمداد المعونة والتوفيق منه»² ومادامت المرأة المتعلمة الواعية ربة البيت فإنها تشعر بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها فتسعى بالتالي إلى اكتساب المعارف من علم الصحة والأخلاق والتربية وذلك لتأمين الصحة النفسية والبدنية لأفراد أسرتها . وفي ذلك يقول على لسان هذه المرأة الواعية : « إنما أكون سعيدة إذا كان زوجي وأولادي أصحاب الأجسام ولا تدوم الصحة لهم ما لم أكن عارفة بالأصول والقوانين التي قررها العلماء في حفظ الصحة ثم ماذا تكون فائدة الصحة إذا لم يقترن بها أخلاق حسنة وتربية فاضلة فمن ثم كان الواجب أن أجمع بين الفنين فن الصحة وفن التربية . »³

وتسعى المرأة المتعلمة إلى العناية أكثر فأكثر بتربية ابنها وإعداده إعدادا جيدا للحياة وذلك بالوقوف على دروسه الأولى وحثه على نظافة وتعويده على الذهاب إلى المساجد ليتعود على الصلاة، يقول المجاوي : «..... ثم أن هذه الفاضلة العارفة إذا كبر طفلها تنظر له معلما نصوحا، وتتعهد الطفل إذا رجع من المكتب صباحا ومساءً وتحثه على التعليم بلطافة وتحذره من الأولاد المنهمكين وتبين له سوء عاقبتهم وعاقبة من يخالطهم، وتعلمهم كيفية النظافة ليتدرج بذلك إلى معرفة الوضوء ويعتاد ذلك وتأمراً أباه بأن يذهب به إلى المسجد وقت

¹ المجاوي (اللمع) ص 28-29.

² المصدر نفسه، ص 29

³ نفسه، ص 29

الصلاة ليتعود الصلاة ولا بأس بأن تعضه وتبين له المنافع من المضار فيتهذب الولد بسبب ذلك...»¹

المبحث الرابع: (الآراء الاقتصادية للشيخ المجاوي ، نقد وتقييم)

المطلب الأول: (قراءة في كتاب المرصاد في مسائل الاقتصاد.)

مجد الإسلام العامل ورجب في العمل، فتعددت بذلك أساليب القرآن وتنوعت آليات في الدعوة إليه بناء على الدافع أو الرغبة التي يحقق به الإنسان العيش الكريم، ولكي تضيع هذه الجهود والطاقات سدى لا بد من توجيهها² وهذه وظيفة علم الاقتصاد، ومن هنا يمكن لنا أن تستنبط العلاقة التي تربط الاقتصاد بالعمل هي علاقة تلازميه فالسلوك الاقتصادي هو أثر لتحرك الإنساني³ فما هي الآليات التي انتهجها القرآن في الدعوة إلى العمل حسب رأي المؤلفان (الشيخ المجاوي عمر بريهمات⁴)

¹ المجاوي (اللمع) ص 30.

² يعرف الأستاذ مالك بن نبي فكرة التوجيه بقوله: << توحيد الجهود بغية تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت >> مالك بن نبي شروط النهضة، ص 84.

³ انظر: رؤوف شبلي، العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام، دار الضياء للإنتاج والتوزيع قسنطينة (الجزائر) ص 21 .

⁴ ينحدر أصله من عائلة عريقة مشهورة بالعلم هاجرت من الأندلس إلى المغرب العربي بعد سقوط غرناطة في (2 ربيع الأول 827هـ / 2 جانفي 1492م) فاستقرت بالجزائر منذ سنة (1153هـ/1740م) حيث استدعت في العهد من قبل دايات الجزائر وترأس والده حسن بريهمات الوفد الذي كلف من قبل لجنة المارشال راندون للإجابة عن الأسئلة الخاصة بأسباب حوادث المجاعة والنكبات التي حلت بالقطر الجزائري خلال أعوام (1867-1868) وقد كان من المثقفين بالغتين العربية والفرنسية وألف كتابا سماه «النهج السوي في الفقه الفرنسي» تعرض فيه إلى بعض المسائل الاقتصادية المرتبطة بالقانون . انظر عبد الرحمن الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) 1994 ج4، ص436.

آليات القرآن ووسائله في الدعوة إلى العمل

خلق الله عزّ وجلّ الإنسان للقيام بواجب الخلافة¹ ومقتضى الخلافة هو عبادة الله وعمارة الأرض قال تعالى هو ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ﴿٦﴾ هود آية 61.

1- دعوة الإسلام للسعي² وذمّ أهل البطالة والحرمان والكسل والتواني مثل قوله تعالى ﴿وَقُلْ إِعْمَلُوا بِسَيْرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ التوبة آية 106 ، وقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا بِأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿١٦﴾ الملك آية 16.

2- الدعوة إلى اتخاذ الأسباب³ قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ إِصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ ﴿٢٧﴾ المؤمنون آية 27.

فإن الله سخر الفلك السلع للتجارة، وذلك يحتاج إلى حرفة ومعرفة تامة بالاكتساب .

¹ الشيخ عبد القادر الجاوي، الشيخ عمر بريهمات. المرصاد في مسائل الاقتصاد، دار زمورة للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2011، ص 19.

² فرق الشيخ الجاوي بين السعي والحركة من جهة وبين السعي والعمل من جهة أخرى فيقول عن الفرق بين السعي والحركة: أن السعي حركة الإنسان في ظروفه الزمانية والمكانية لإصابة الرزق والراحة والجاه . والحركة هي ناموس الحياة . فالمشي حركة والصلاة حركة وفي الأكل حركة فبينهما عموم وخصوص فالحركة أعم من السعي.

أما الفرق بين السعي والعمل أن السعي هو الاجتهاد واتخاذ الأسباب والتماس جميع السبل الموصلة إلى العمل. أما العمل فهو خاتمة السعي فالإنسان عندما يسعى للحصول على عمل يمكن أن يوقف ويحصل على عمل وقد يكون العكس انظر: الجاوي الشيخ عمر بريهمات. المرصاد في مسائل الاقتصاد، ص 19.

³ المصدر نفسه، ص 19.

التعريف بالكتاب:

اسمه : ثبت اسمه في أول الصفحة (المرصاد في مسائل الاقتصاد) وليس المرصاد في علم الاقتصاد لأنه تطرق لبعض مسائل الاقتصاد وليس كلها ولم يسمى أيضا الاقتصاد السياسي، لأن المؤلفان صرحا بأن موضوع هذه الرسالة هو الاقتصاد الشخصي، ويهدف إلى تعليم القارئ أهميته وهو يقوم بالتوفير والشمير¹ وهذا العنوان المسجوع على عادة القدامى لكنه ليس سجعا من أجل السجع لأن معني كلمة المرصاد تعني الترقب والتتبع² فيصح العنوان تتبع بعض مسائل الاقتصاد والملاحظ أن المؤلفان لم يستعملا كلمة إسلامي فيصبح العنوان «المرصاد في مسائل الاقتصاد الإسلامي» بالرغم من أن الكتاب مليء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لاعتقادهما أن أعمال الإنسان المسلم يجب أن تكون موافقة لأحكام الشرع ابتداء، فلم يكن ذلك الفصل بين الأمور الدينية والدنيوية.

أما في الوقت الحالي فقد راج استعمال هذه الكلمة (إسلامي) حتى أصبحت عنوانا ودليلا عن كل ما هو موافق الشرع فأصبحنا نسمع كلمة اقتصاد إسلامي، بنوك إسلامية... على الرغم من أننا في بلاد المسلمين .

وعليه فلا نوافق ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن كتاب (المرصاد في مسائل الاقتصاد) هو أول محاولة للتأليف في الاقتصاد السياسي من منظور إسلامي³، لأن هذا التقسيم والتفريق ظهر حديثا وهو في الأصل لا معنى له بحكم أنه لكل مجتمع مهما كانت صفته قيم مقتبسة من دينه توجه سلوك أفراده وتحكم تصرفاته، والمجتمع المسلم ليس كغيره من المجتمعات غير الإسلامية التي تبيح الربا والكسب الحرام، فمن غير المعقول أن يطالب المختصون في الاقتصاد ببعض الحلول الترقية التي تعود بالفائدة على الاقتصاد الوطني لكنها تتنافى مع أحكام الشرع .

¹ المجاوي الشيخ عمر بريهمات. المرصاد في مسائل الاقتصاد ص27.

² ابن منظور لسان العرب، ج 5، ص233.

³ د. عبد الرزاق بلعباس، البعد الاقتصادي عند الشيخ المجاوي، محاضرة مقدمة لأعمال الملتقى الوطني الشيخ عبد القادر المجاوي أيام 2.3 محرم 1433 هـ الموافق 27-28 نوفمبر 2011م بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص 93.

وعندما يذكرون بأن ذلك يتعارض مع أحكام الشرع يجيبون: (نحن بصدد الحديث عن الجانب الاقتصادي ولندع الجانب الديني لأهل اختصاص) وكأن حكم الشرع لا يعينهم !!!

سبب تأليف الكتاب: تطرق المؤلفات في البداية كتابهما إلى أهمية العمل والارتباط الوثيق بينه وبين الاقتصاد لذلك جاء هذا الكتاب ليعين الفرد على حسن تدبير ثروته وقد ساعد المؤلفان على ذلك ثقافتهما الواسعة وإتقانهما اللغة الفرنسية، في الوقت الذي شهد فيه علماء الإصلاح حملة واسعة من الانتقادات بحكم عدم مواكبتهم للعصر وعدم تأليفهم في العلوم الدنيوية، و قد فند الأستاذ مالك بن بيني هذه الانتقادات لأن ذلك ليس من اختصاصهم بقوله "يجب أن ننزه فقهاءنا عن هذا العتاب ونقول إنه ليس من اختصاصهم أن يدلوا على الحلول الاقتصادية سواء ما استنبطوه من القرآن أو الحسنة أو غير ذلك، وإنما اختصاصهم أن يقولوا في شأن الحلول التي يقدمها أهل الاختصاص، هل هي تطابق أو لا تطابق الشريعة الإسلامية".¹

تعريفهما للعمل: لم يكن للشيخ المجاوي تعريف مباشر للعمل إلا أنه من خلال حديثه عنه يمكن لنا أن نستنبط ذلك، والظاهر أنه وافق جمهور الاقتصاديين² المسلمين الذين جعلوه مرادفا للمنفعة المقبولة شرعا، فقد أكد الشيخ المجاوي على أنه من واجب كل إنسان أن يعمل عملا يسد به حاجياته المختلفة لما أباح الشرع للإنسان أن يتناول المطيبات وذلك لا يكون إلا بالعمل، وفي الوقت نفسه نهاه عن البطالة فكل هذه الأمور لا تكون إلا بالعمل الذي يهدف إلى المنفعة المادية.

ومما ينبغي التنبيه له أن مفهوم العمل لا يجب أن نجعله دائما في مقابل المنفعة المادية.

فقد يكون العمل في المقابل مبدأ سامي وغاية مثلى يسعى الإنسان لتحقيقها، فمساعدة المحتاج عمل وإمالة الأذى عن الطريق عمل وإصلاح ذات البين عمل والمرأة التي تكذب وتجد من أجل تربية أبنائها تربية صالحة، فهذا أيضا في عمل، بل هناك من زعماء الإصلاح في العالم

¹ مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، بيروت، (لبنان)، ط3 1987 ص11.

² من بينهم عبد الله عبد المحسن الطريفي بقوله (كل جهد أو ذهني يقصد به الإنسان إيجاد أو زيادة منفعة اقتصادية مقبولة شرعا).

انظر عبد الله عبد المحسن الطريفي، الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف مكتبة الحرمين، ط2، د ت ص 81.

الإسلامي من امتنع عن الوظيفة خدمة الإسلام والمسلمين مثل الأستاذ محمد رشيد رضا (ت 1935م) ومن بعده الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت 1940م) والذي كان يرى أن الإصلاح الديني ما تأخر في القطر التونسي والقطر المصري إلا لأن جميع المستنيرين بالعلم موظفون أو مرشحون للوظيفة أو طامعون فيه، دون أن ننسى في هذا الأمر نصيحة شيخه حمدان الونسي الذي نصحه أن لا يقرب الوظيفة ولا يرضها ما حيي¹.

الاقتصاد: تدبير يقصد به إلى إنماء الثروة بحيث يدل من القوى أقل ويكسب ربحاً أكثر لإكثار وسائل الراحة والرفاهية، وهو نوعان: سياسي وشخصي.

فالسياسي: تدبير اجتماعي يقصد به ثروة الأمة وتقسيمها على الأفراد، وإنفاقها في سبيل الرفاهية، وتحسين أحوال المعاش وترقية البلاد في سلم الحضارة والمدنية ولذلك يكون للحكومة يد في هذا التدبير، فتنشئ المدارس لتعليم الناشئة وتسهل الطرق لتحسين زراعة البلاد وصناعتها، بأن تنشئ البنوك لمساعدة الفلاحين والصناع وتضرب الرسوم على الواردات الأجنبية، لكي لا تحل محل حاصلات البلاد التي من نوعها، وعلى الصادرات لكي لا تخرج من البلاد وهي في حاجة إليها إلى ذلك².

والاقتصادي الشخصي: تدبير فردي يقصد به إلى إنماء ثروة الفرد أو الأسرة، لا لقاء الإعسار والتمتع باليسار والرفاهية على الدوام.

وهذه العينة عرفها علماء الاقتصاد بقولهم: هي كل شيء حسي منتفع به، بشرط أن يكون المهيأ له هو الإنسان نفسه، بالإلهام منه تعالى.

فقولهم: حسي، خرج به المعنوي، وقولهم: منتفع به، أي ما يقع به النفع للإنسان أي نفع كان، غطاءً أو مأكلاً أو ملبساً وهو ما يتزين به من الجواهر النفسية والأقمصة الرفيعة، غير أنه لا بد من الفرق بين ما تقوم به البنية وغيره، ويأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

¹ عمار طالي، آثار ابن باديس، ج 1، ص 78.

² الشيخ المجاوي، المرصاد في مسائل الاقتصاد، ص 25.

ويؤخذ من قولهم: منتفع به، أنه لا بد من احتقار الإنسان إلى ذلك الشيء لأجل أن ينتفع به، وهو نتيجة استفيدت من هذا التعريف.

و بيان ذلك أن الإنسان لا يطلب اللبس إلا إذا أضر به البرد أو الحر، ولا يطلب الأكل إلا إذا أضره الجوع ليدفع بالأكل ألم الجوع .

و قولهم: بشرط أن يكون المهيء له الإنسان بالإلهام منه تعالى، يدخل فيه سيادة السمك من البحر مثلاً، واستخراج ما فيه من اللؤلؤ والمرجان.¹

علاقة الكتاب بالمذاهب والقوانين الاقتصادية الحديثة.

استنبط الدكتور عبد الرزاق بلعباس وهو المتخصص في علم الاقتصاد الحديث بعض المذاهب والقوانين الاقتصادية الحديثة من الكتاب مما يدل على ثقافتها الواسعة واطلاعهما على مبادئ الاقتصاد الحديث وفي ما يلي أهم المذاهب:

مذهب التطورية الاجتماعية

الذي وضعه الفيلسوف البريطاني هربرت سننسر (spencer 1903-1820) والذي سماه الصحفي الفرنسي إميل غوتيي (gautier) في عام (1880م) الدروينية الاجتماعية²

((و قال بعض الفلاسفة: إن الدنيا لما كانت في ارتقاء وزيادة يحسن بكل أمة أن لا يلتفتوا لأهل الفاقة والعجز، بل إنهم وجدوا طريقاً بإتلافهم فعلوا، حيث أن بقاءهم عقبه في وجه الارتقاء وجلب الغنائم والحصول على ما تقوم به البنية، والتصدق عليهم ومواساتهم سبب في كثرة العجز وإفشاء الفقر، و نحن نقول: إنه لا بد من الإحسان والشفقة على أهل الاحتياج وفي الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿وَوَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ الإساءة آية 26، وفيه أيضاً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

¹المص نفسه ، ص31.

²Emile gautier.le darwinisme social.etude de philosophinesociale.editionsdervaux paris (1880)

كَبَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ التحريم آية 07
،غير أنه يجب على الإنسان أن يختار لصقته من يستحقها، ولا يدفعها للنصابين، وأهل البطالة
والدجالة، فإن كثير من أهل الثواني اتخذوا السؤال حرفة وعليه، فإن من كان قويا على الخدمة
يؤمر بالحركة ويجتهد في طريقة تبعث إلى التحرك ليصير إنسانا كالا على غيره، فذلك خير من
الصدقة عليه لأن ذلك يفضي به إلى العجز والالتكال على مال الغير.

نظرية مالتس (Malthus 1766-1834) في السكان بقولهما: «و قال بعض علماء الاقتصاد
من الانكليز: إن الأرض تصير فيما يستقبل غير كافية لأهلها، فرد عليهم علماء فرنسا بطلب
إنشاء قانون من الدولة، فاعتمدت عليهم وأنشأت قانونا برفع جميع المطالب على من بلغ من
النسل سبع أولاد».¹

وقد بسط مالتس نظريته في كتابه المشهور "essa on the principle of population" عام
(1798م) الذي ترجم لأول مرة بالفرنسية في (1817م)²

و قرر فيه أن سبب البؤس ليس توزيع الثروة، وإنما اختلال التوازن بين عدد السكان وكمية
المواد الغذائية، و لذلك دعا إلى النسل لحد من الفقر .

و لعل المؤلفان يشيران إلى الاقتصادي الفرنسي بول ليروا بوليو (le roy-beaulieu) الذي
اشتهر بتحذيره غير مرة، منذ سنة (1888) في صحيفة "journal des débats" (الحوار)، ومجلة
l'économiste (revue des deux mondes) (العالمين) وجريدته الخاصة (الاقتصاد الفرنسي) français
وفي كتابه «الموجز في الاقتصاد السياسي»، من خطر

حد التناسل.¹ وقال في كتابه الأخير: ((إن مذهب مالتس لا ينطبق على هذا الزمن لأن مواد
المعيشة اليوم إذا نظر إلى مجموع الكون تسبق النوع البشري بنموها وتقدمها)).²

¹ المجاوي وبريهامات، المصدر السابق، ص 19.

² Malthus essai sur le principe de population traduit de l'anglais par P. et G prévost (1817)

ودعا الحكومة الفرنسية إلى تخفيف العائلات بالمنح الاجتماعية على الإنجاب من ثلاثة أبناء فما فوق وليس من سبعة أو عشرة، «إذ قلما يتهيأ لبيت مثل هذا العدد، و لو تهيأ ففي كفالاته من العنت ما لا يطيقه كل كاسب»³.

المذهب التجاري

وقد أشارا إليه بقولهما: «قد كان في أوروبا- في السابق لبعض الأمم- غلط في تعريف النقود، فأخرجوها عن الغنائم، وجعلوها آلة يتوصل بها إليها، فأداهم ذلك إلى خزنها وعدم التصرف بها، وبه قلت المنافع وقتئذ»⁴

هنا إشارة إلى أحد أشكال المذهب التجاري (المركنتيلي) الذي يعرف في بعض كتب الاقتصاد بـ «البوليونيزم»، (BULLIONISME) وهو مأخوذ من اللفظ الانجليزي BULLION أي السبيكة، وقد انتهجت كل من اسبانيا والبرتغال هذه السياسة المعدنية التي تقوم على الحصول على أكبر كمية ممكنة من المعادن النفسية والاحتفاظ بها داخل حدودها والحيلولة دون خروجها .

وتجدر الملاحظة أن المؤلفين يختلفان مع الاشتراكية بندهما لمفهوم صراع الطبقات⁵ الذي هو أساس الاشتراكية حيث قالوا أن «الغني أجير الفقير وخادمه»⁶، و تأكيدهما على الزكاة التي تقر الملكية الفردية وتطهر الفقير من رذيلة من الحقد على الغني، إقرارهما لحق الإرث.⁷

¹Georgsphotiostapinos.paulleroy-beaulieu et la question de la population:l'impératif démographique limite du libéralisme économique.P103.-

، و يراجع أيضا، عزمي رجب الاقتصاد السياسي .دار العلم للملايين .بيروت.(1985)124.

²لروابوليو، الموجز في علم الاقتصاد. مطبعة المعارف، القاهرة، (1913) ج 4، ص 76.

³بوليو، المرجع السابق، ج 4، ص 117.

⁴المجاوي وبريهمات، المرجع السابق، ص 46.

⁵ حسب المذهب الاشتراكي ينقسم المجتمع الحديث إلى طبقتين: البروليتاريا وهي طبقة العمال والبورجوازية وهي طبقة الأثرياء ولا بد من انتهاء الصراع بين الطبقتين إلى انتصار الأولى التي تسود العالم .

⁶المجاوي وبريهمات، (المرصاد في مسائل الاقتصاد)، ص 23.

⁷المصدر نفسه، ص 34.

الذي هو من الأسباب غير المشروعة للملك في الاشتراكية ، كما أنهما لا يوافقان احتكار الشركات الكبرى في النظام الرأسمالي الأمريكي بقولهما: « والذي يطلع على أحوال هذه الشركات في أمريكا ويعلم كيفية تدابيرها وحيلها المالية حتى صار كل صنف من أصناف التجارة والعمل في يد شركة كأنها محتكرة له، وأصبح العامة لا عمل لهم، يفهم حينئذ معنى العداء بين الاقتصاديين السياسي والشخصي، ويظن علماء الاقتصاد بأمريكا أنه إذا استمرت هذه الشركات في بلادهم على هذا الحال نفذ صبر العامة وثاروا على أرباب الأموال يطالبونهم بأنصبة من ثرواتهم»¹.

وما يدل على اطلاعهما على الرأسمالية والاشتراكية ذكرهما حوار عن الفائدة الربوية كان قائما بين الرأسماليين والاشتراكيين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.²

و يضيف الدكتور بلعباس وقد وجدنا أثناء اطلاعنا على أرشيف الصحافة الفرنسية مقالا حول هذه المسألة عنوانه "revenu de l'argent" (دخلا المال) صدر سنة (1898م وقد جاء فيه:

«قال الاقتصاديون: كل شيء حسن، الربيع، المال مشروع، من العدل أن الذي يقرض جزء من ثروته أن يجني أجرا، الفقراء يستغلون ويصبحون أكثر فقرا، يسقط الأغنياء».³

ومن القوانين الفرنسية المشار إليها في الكتاب دون ذكر أسمائها المتداولة في الوسط القانوني والقضائي ما يلي :

-القوانين حول الضرائب المباشرة الصادرة بين (1790م و1791م) وهي :

-«ضريبة العقار» (contribution foncière)

-«ضريبة السكن» (contribution mobilière)

-«ضريبة المهنة» (patente)

¹ الخجوي وبريهومات، (المرصاد في مسائل الاقتصاد) ص 10.

² نفسه ص 40.

³ Eric baschet.l'illustration des années 1892-1898.in histoire d'un siècle(1843-1944)paris éditions l'illustration 1985 P.242

- «الضريبة حول الأبواب والنوافذ»(contribution sur les portes et les fenêtres)، في سنة (1798م)
- قانون الإرث (droit de succession)، الصادر في يوم الأربعاء 9 ذي الحجة 1218هـ (1804/3/21م).
- قانون تحديد سعر الفائدة 5% في المسائل المدنية، و 6% في المسائل التجارية في يوم السبت 12 رجب 1223هـ (1808/9/3م).
- القانون حول عمل النساء والأطفال (Loi sur le travail des femmes et des enfants)، الصادر في يوم الثلاثاء 3 ربيع الثاني 1291هـ (1874/5/19م).
- القانون حول مجانية التعليم الابتدائي (loi sur la gratuité de l'enseignement primaire) الصادرة في يوم الخميس 19 رجب 1298هـ (1881/06/16م)
- القانون حول العلمانية والإجبارية في التعليم (loi sur la laïcité et l'obligation scolaire) الصادرة في يوم الأحد 6 جمادي الأول 1299هـ (1882/3/26م).
- قانون فلداك روسو حول النقابات (loi waldeck-rousseau sur les syndicats) الصادر في يوم السبت 24 جمادي الأول 1301هـ (1884/3/22م)
- قانون إدماج العمال التعليم في التشغيل العمومي (fonction publique) الصادرة في (1889م)
- قانون ميلغون (loi millerand) الصادرة في ذي القعدة 1317هـ/مارس 1900م الذي يحدد مدة العمل اليومية بعشرة ساعات للنساء والشباب الذي يبلغ عمرهم اقل من 18 سنة.¹
- القانون الذي يحدد سعر الفائدة: 4% في المسائل المدنية و 5% في المسائل التجارية الصادرة في يوم السبت 7 ذي الحجة 1317هـ (1900/4/7م)
- القانون حول النظافة في المعاملة (loi sur l'hygiène dans les ateliers) الصادرة في يوم السبت 15 ربيع الآخر 1324هـ (1903/7/11م)

¹Les echos(1900-2000) Un siècle d'économie .P21

المادتان الأولى والثانية من دستور «الجمهورية الثالثة» (1870-1940م) الصادرة في يوم الخميس 18 محرم 1292هـ (1875/2/25م).

الآراء الاقتصادية الموجودة في الكتاب : احتوى الكتاب على العديد من الآراء في الاقتصاد من شأنها أن تنهض بواقعا الاقتصادي المرير أهمها:

الدعوة إلى استعمال العدل للتأمين على النفس والمال: لأنه سبب السعي في جلب ما ينفع الساعي، وكذلك أيضا لنظام الهيئة الاجتماعية حتى يقوى التعارف والتحابب والتخالط فتروج بسببها السلع وتقوى الفلاحة والحرف إلى غير ذلك، وبانتظام هيئة الأمة الاجتماعية يزول الخوف، ويستعمل الإنسان في صغره ما يكون له كفاية في كبره، ولا يبالي حيث أنه يتعقل ويتحقق بالعدل والتأسيس وتحابب الأمة وشدة العصبية من الوطن وأبنائه¹.

دعوته لإقامة عقود شراكة: والتعاون بين الأمم والشعوب لتحقيق المنفعة العامة.: فيقول "وليعلم أن خدمة كل فرد من أفراد العملة أو الخدامين نافعة لجميعهم، وكذلك إذا اختلفت الحرف، فالنجار ينفع نفسه وغيره ممن تتوقف خدمته عليه، والحداد كذلك والحائك والخياط والحزاز والبناء، إلى غير ذلك مما هو معلوم ضرورة، ثم إن أهل هذه الحرف تارة ينفرد كل فرد بعمله لا يحتاج لمعاون، وتارة الحرفة الواحدة تحتاج إلى عدة أفراد، كل فرد يشتغل بعمل، ويرجع الكل لشيء واحد...

وانتظام العالم إنما هو بهذه المشاركة، ويبين لك ما قلناه أن اشتراء رجل الخبز بصولدين، فترى القمح ربما كان نتاجه في أمريكا وحمل إلى فرنسا، ثم جلب إلى الجزائر، فاشتراه رب رحى فطحنه وخلصه سميدا، ثم طبخ في الفرن فأخرج وأعطى لبياع فاشتراه من ينتفع به، وهو صاحب الصولدين، فكل هؤلاء أجراء لمن يشتري خبزة بعشرة صانثيم وقس على ذلك، فإذا تأملت تجد الغني أجير الفقير وخادمه"²

التكامل بين الحرف: فلا جدوى من تقدم الصناعة مع تأخر الحرفة المعدة لاستخراج ما في الأرض من معادن وغيرها أرواج السلعة مع عدم وجود من ينقلها من يد مخلصها إلى يد

¹ الشيخ عبد القادر الجاوي والشيخ عمر بريهمات، المرصاد في مسائل الإقتصاد، ص 40 .

² المصدر نفسه ص 41-42

مستعملها وقد عبر عن ذلك بقوله: ولما كان كل قسم من الأقسام الخمسة لا يستغن عن الآخر، وجب أن يكون تقدم الجميع وارتقاؤه في وقت واح لتكثر المنافع وتعظم الأرباح ويكثر التوفير¹

الحث على الاختراع والابتكار : ربحا للوقت وزيادة للإنتاج وتقليلًا للتعب فقد عقد المصنفان فصلا في تأثير الاكتشافات الوقتية على ترتيب الخدمة فقلا عنها " ولا جرم أن هذه الاستنباطات تكثر القليل من المنافع، زوبها صار الإنسان في غاية الرفاهية ورغد العيش حيث صار قادرا على تحسين مسكنه وأثاث بيته ولباسه وأكله، وغير ذلك مما هو محتاج إليه على أحسن ما يرام وأتم ما يقصد، وذلك كله تسبب عن هذه الاكتشافات البديعة.²

الحث على الاستثمار (الإدخار) : وذلك من خلال تفريقه بين الغنيمة والذخيرة فالغنيمة منفعتها آنية بينما الذخيرة هي التي تجر منفعة فيقول: "فالمقصود من التوفير والتدخير والتشمينا لاستعانة بالشيء المدخر على جلب المنفعة، فحقيقة الذخيرة هي كل ما يدخره الإنسان لأجل تجديد منفعته، فالشيء المنتفع به في الوقت الحاضر لا يسمى ذخيرة كزغيف بين يديك تريد أكله لأنه غير مدخر، أما إذا كان عندي صاع قمح مثلا تريد أن تزرعه في قطعة من أرض فيسمى ذخيرة، وكذلك البناءات المعدة لحفظ الحيوانات من الحر والبرد، ومنها المعامل المعدة لصناعة الأقمشة وغيرها..."³

ووسيلة الادخار في رأيه هو الاقتصاد في النفقة بأن يكون الإنفاق أقل من الدخل ولو زهيدا جدا، بحيث تجتمع ثروة من المتوفرات الزهيدة التافهة، وللمتوفر في ذلك فائدتان عظيمتان:

- أن يكون المدخر مالا احتياطيا يلجأ إليه عند مسيس الحاجة.

- أنها تكون قوة إضافية تثمر تجارة أو صناعة أو تفرض بالربح أو غير ذلك.⁴

¹ الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عمر بريهمات، المرصاد في مسائل الإقتصاد، ص 42

² المصدر نفسه، ص 43.

³ نفسه ص 44-45.

⁴ نفسه ص 47.

الدعوة إلى العلوم والمعارف وحسن التدبير : لأن الكثرة التي هي أمر طبيعي لكن مع الفقر والجهل تكون سببا للهلاك فيقول " ولما ظهر أن غرض كل أمة من الأمم تكثير أممهم وحياتهم الحياة الطيبة، ووضع المدنية فيهم وحثهم على العلوم والمعارف اللاتمة بزمانهم، فأما تكثير أبناء الجنس فإنه جبلي طبيعي يحبه كل أحد من أبناء الجنس، لأن كل أمة بقيت على فطرتها وكثرة عددها ولم ترتق في معارج المعارف والمدنية، فالهيئة الاجتماعية مآلها الخراب والتدمير، ظهر لنا ذلك بالاطلاع على تواريخ الأمم.

ألا ترى أن كل أمة كثر عددها مع الفقر والجهل وقلة التدبير فيما يصلح الأحوال، فإنها عرضة للخراب والاضمحلال، وقد أدى هذا كثير من العلماء إلى قولهم : إن الكثرة من الخلق مع الجهل وكثرة التدبير والتفكير في عاقبة الأمر، يؤدي إلى خراب العالم"¹

الدعوة إلى معرفة أصول التجارة: أبان الشيخ المجاوي عن معرفة كبيرة بخبايا التجارة وعلم الاقتصاد فمما ورد عنه قوله " يجب على التاجر أن يكون عالما بأصول التجارة ومطلعا على أحوال السوق، فعليه أن يعرف معدل الربح في كل صنف، ويتحقق السعر الذي يباع به عادة ليعلم السعر الذي يجب أن يشتري به، وأن يكون ماهرا بشراء الأصناف أكثر من بيعها، بحيث يشتريها بأرخص ما تباع به ليكون ربحه محققا، ويجب أن يكون منتظرا إلى مستقبل الصنف الذي يتاجر به ليكون على هدى من صعود سعره أو هبوطه، ليعلم ما إذا كان يخزن منه أو يعجل بيع ما عنده،، وأن يعلم أروج الأصناف وأكثرها ربحا فيتاجر فيه، وأن يكون عارفا بأصول الحسابات التجارية ولا سيما علم مسلك الدفاتر، وفي أي حالة من حالاتي الربح والخسارة، وبذلك يأمن الغلط والإلتباس في معاملاته، وأن يحسن مخالطة الناس إلى حد النهاية، بحيث يرضون عنه في كل حين فلا يخدعهم، ولا يخلف عهوده معهم ولا يغبنهم، وأن يستميل الناس إلى دكانه بالبشاشة والأمانة والتساهل وتلبية المطالب"².

¹ الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عمر بريهمات، المرصاد في مسائل الإقتصاد، ص85.

² المصدر نفسه ص80.

المطلب الثاني: المقارنة بين المنهجين الإصلاحيين للشيخين المجاوي ، وابن

باديس

إن دراسة أي حركة إصلاحية لا يمكن أن يكون بمنأى وبمعزل عن السياق التاريخي للعمل الإصلاحي في الجزائر، وهذا يقتضي ربط العمل الإصلاحي الذي قام به الشيخ المجاوي بسابقه ولاحقه، وإذا كانت المقارنة بين الشيخ المجاوي وبين سابقه (مصطفى بن الكبايطي ت1860م، ابن العنابي ت1851) صعبة نوعا ما لاختلاف الظروف والملاسات، فإنها ممكنة بينه وبين لاحقيه نظرا لتشابه الظروف، ولها من الأهمية لأنه بواسطتها نتمكن من التعرف على مدى صيرورة واستمرارية العمل الإصلاحي في الجزائر، ولنتمكن من الإضافة التي أضافها كل طرف.

وباستقصاء المنهج الإصلاحي للشيخين المجاوي، وابن باديس نجد هما يشتركان في جل آليات الإصلاح كالعمل الجمعي والنشاط الصحفي والعناية بالتربية والتعليم إلا أنه ما يلاحظ على الشيخ المجاوي أن نشاطه لم يكن حرا بحكم عمله لدى سلطات الاحتلال فعمله الجمعي كان ضمن منظمات يرأسها اندماجيون معروفون بولائهم لسلطات الاحتلال، وحتى كتاباته كانت في صحف متملقة بعيدة عن الروح الوطنية وفي ما يلي تفصيل ذلك :

العمل الجمعي للشيخ المجاوي

ساهم الشيخ المجاوي مع رفقائه من المثقفين بالعربية من أمثال ابن الموهوب والقاضي شعيب بإلقاء محاضرات في موضوعات محددة، وهذا في التنظيمات التي ترأسها في الظاهر بعض الجزائريين المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمتخرجين من المدارس الفرنسية، من أمثال د بلقاسم بن التهامي، محمد صوالح، د الطيب مرسي، مختار الحاج سعيد، الشريف بن حبيلس. فظهور الجمعيات إذن كان في أوساط المثقفين بالفرنسية المعروفين بالاندماجين حيث ظهرت

في العاصمة عدة تنظيمات أهمها الجمعية الراشدية⁹⁴⁹ والجمعية التوفيقية⁹⁵⁰ ونادي صالح باي⁹⁵¹ وذلك بعدما أعطت السلطة الفرنسية الضوء الأخضر لتكوين الجمعيات التعليمية والاجتماعية منذ أول هذا القرن.⁹⁵²

النشاط الصحفي للشيخ المجاوي

كتب الشيخ المجاوي في عدة صحف أهمها:

المغرب: كانت تصدر بالعاصمة يومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع وهي من أوائل الصحف العربية التي فتحت أمام النخبة المثقفة باب المشاركة في تنوير الرأي الإسلامي الجزائري العام، وقد صدر العدد الأول منها في العاشر من أبريل سنة 1903م وكان صاحب امتيازها الفرنسي بيار فونطانا صاحب المطبعة الشهيرة التي أخرجت العديد من الكتب الشهيرة في تلك الأثناء، وكانت تهتم بالجانب الديني والاجتماعي، لكن وبالرغم من أنها كانت تتظاهر بنوع عن الدفاع عن حقوق الجزائريين، فإن لهجتها السياسية كانت ضعيفة بل منحازة إلى جانب الحكومة الفرنسية، وقد كشفت عن هدفها صراحة " ولا ننشر فيها

⁹⁴⁹ أسسها شبان جزائريون من خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية سنة 1894م وبتأييد من بعض العاطفين على الجزائر وكانت تصدر نشرة بالعربية والفرنسية وتقوم بنشاط تثقيفي وتوعوي وإنساني يتمثل في مساعدة الطبقات الفقيرة والمحرومة ومن بين أعضائها نذكر الدكتور بن التهامي والدكتور بن بريهمات.

منطلقات وأسس الحركة الوطنية (مرجع سابق) ص 111
⁹⁵⁰ أنشأت سنة 1908م، ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911، وكان رئيسها ابن التهامي، ولقد نظمت الجمعية سلسلة من المحاضرات العلمية سنة 1911م من طرف محاضرين جزائريين وفرنسيين إضافة إلى البر بالفقراء والقيام بدروس في اللغة والحساب لعدد من الجزائريين فازداد الإقبال عليها وكونت بدورها جمعيات ونوادي خيرية وتهديبية أخرى أهمها نادي صالح باي بقسنطينة . منطلقات وأسس الحركة الوطنية مرجع سابق، ص 113.

⁹⁵¹ تأسس سنة 1907م باسم جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية من قبل جماعة من المثقفين وكان يرأسه مثقف فرنسي يدعى عريب artip ومن أعضائه ابن الموهوب ومصطفى باشارزي ومحمد بن باديس وغيرهم وكان له فروع في العديد من المدن الجزائرية . نفس المرجع السابق ص 113.

⁹⁵² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج 05، ص 314.

المقالات التي ترمي إلى سياسة مقاومة أو مضادة، لأن ذلك يحول بيننا وبين مرغوبنا المتقدم ذكره من إرادة خدمة الوطن ونفع الأمتين⁹⁵³

كوكب إفريقيا- الجزائر (1907-1914)

هي أولى الجرائد العربية التي استطاعت الوقوف على قدميها طويلا، وما ذلك إلا لروحها المتملقة للاستعمار الفرنسي فهي حسب الأستاذ محمد ناصر لا تختلف عن أية صحيفة استعمارية أخرى إلا بلغتها العربية الجيدة نسيبا، ويذهب ابن أبي شنب إلى أن منشأها هي الولاية العامة⁹⁵⁴، وقد اكتفت السلطات الفرنسية بأن تراقب الجريدة غير مباشرة، فرخصت لجزائري في إنشاء جريدة لثقتها به وهو وقتئذ موظف عندها، وقد صدرت بالجزائر العاصمة في 17 ماي 1907 م ومديرها هو محمود كحول.

وامتازت هذه الجريدة باتجاهها السياسي الفاضح وهو ما جعل عمر قدور يقول عنها " أما كوكب إفريقيا فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسومية عارية من كل صبغة وطنية"⁹⁵⁵ وبعد هذا العرض للعمل الجمعي والنشاط الصحفي للشيخ المجاوي نستطيع القول أنه مكبلا نوعا ما على خلاف ابن باديس الذي كان حرا غير مقيد بأي ضابط أو شرط وهو ما صنع الفارق بينهما في النتيجة.

العمل الجمعي للشيخ ابن باديس

قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإنشاء عدد كبير من النوادي⁹⁵⁶ لكنها غير خاضعة لسلطات الاحتلال بأي شكل من الأشكال لا من حيث التسيير ولا من حيث التموين ومن أهمها نادي الترقى الذي أسس سنة 1927م حيث تكاثف جماعة من أعيان العاصمة

⁹⁵³ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، دار الغرب الإسلامي ط03، 1427-2007م ص358.

⁹⁵⁴ . الصديق ع52 (1922/03/6) نقلا عن الصحف العربية الجزائرية ص67.

⁹⁵⁵ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص67.

⁹⁵⁶ فصل فيها الدكتور عمار هلال في كتابه : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (830 - 1962) حيث تطرق إلى مجموع النوادي الموجودة في شرق البلاد وكذلك في الوسط والغرب والجنوب، ص270-280 .
انظر /د عمار هلال في كتابه : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962) ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت.

وأغنيائها على تأسيسه وفتحوا له محلا ضخما ببطحاء الحكومة بالعاصمة⁹⁵⁷، ولما تأسست جمعية العلماء في يوم 05 ماي 1931م برئاسة ابن باديس اتخذت من هذا النادي مقرا دائما لها تعقد فيه اجتماعاتها العادية والطارئة باستمرار، وكانت معظم الدروس والخطب العامة التي ألقاها ابن باديس في نهاية العشرينات وعقد الثلاثينات في مختلف الموضوعات (الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية) في ذلك النادي.

النشاط الصحفي للشيخ ابن باديس

على خلاف الأسلوب العام الذي طغى على الصحف التي كان يكتب فيها الشيخ المجاوي فإن الصحف التي أسستها جمعية العلماء بقيادة عبد الحميد بن باديس امتازت بالصرامة واجتناب التملق الذي لا يخدم مصلحة الوطن، وأول جريدة هي (المنتقد) وأسست عام 1925م بقيادة عبد الحميد بن باديس، وتعتبر هذه الصحيفة تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الصحف التي سبقتها، سلاسة الأسلوب، ومتانة اللغة، وعمق الأفكار، لكن طابعها الصريح ولهجتها الحارة أثارت حفيظة بعض الطرفين عليها وساندتهم في ذلك بعض رجال الدين الرسميين، فأخذوا يسعون بالوشاية لدى السلطات الفرنسية ضدها حتى عطلت بأمر حكومي بعد أن دامت أربعة أشهر، أصدرت خلالها ثمانية عشرة عددا.⁹⁵⁸

وفي هذا يقول ابن باديس: "...ولكن آثار الذين اعتادوا التملق صدقها، وكبر على الذين تعودوا النفاق صراحتها، وهال الذين اعتادوا الجبن من الرؤساء أو اعتادوا الجمود من الأتباع صرامتها، أجمعت هذه الطوائف أمرها فأخذوا يسعون في الوشاية ضدها، وحمل الخطب للمراجع العليا لحرقتها حتى عطلت"⁹⁵⁹

⁹⁵⁷ الشهاب المجلد الثالث - السنة الثالثة (1927 - 1928) ص 120 .

⁹⁵⁸ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 97.

⁹⁵⁹ الشهاب ج 01، م 11 (أفريل 1935) نقلا عن محمد ناصر ص 97.

وهكذا كان مصير جل صحف جمعية العلماء بدءا من صحيفة (السنة) التي تعتبر أول جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون اللسان الناطق لها والدافع الحقيقي لإبراز هذه الجريدة هو الوقوف أمام النشاط المعادي للعلماء صدر العدد الأول منها في 08 ذو الحجة عام 1351، وتوقف صدورها في شهر ربيع الأول عام 1352 هـ 1933م، وكان يشرف عليها عبد الحميد ابن باديس، وكان يرأس تحريرها الطيب العقبي والسعيد الزاهري،⁹⁶⁰ ثم عطلت وخلفتها (الشريعة المحمدية) صدر العدد الأول منها يوم الاثنين 25 ربيع الأول عام 1352 هـ الموافق 1933/07/17م. يشرف عليها الشيخ عبد الحميد ابن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري وصاحب الامتياز أحمد بوشمال⁹⁶¹.

ثم عطلت وخلفتها (الصراط السوي) صدرت بتاريخ 1933/09/11 وعطلت في بداية جانفي 1934 يديرها عبد الحميد ابن باديس وصاحب امتيازها أحمد بوشمال⁹⁶²، وهذه الصحيفة بدورها لم تنج من كيد الاستعمار فأوقفها الاستعمار وخلفتها البصائر صدر العدد الأول منها في شوال عام 1354 هـ 27 ديسمبر 1935م واستمر صدورها حتى قيام الحرب العلمية الثانية حيث أوقفت الجمعية صحفها وكذا اجتماعاتها، وكان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي والسعيد الزاهري، وصاحب الامتياز فيها الشيخ محمد خير الدين، وقد خفف المصلحون من لهجتهم تجاه الحكومة الفرنسية وتظاهروا بمظهر المسالم نظرا للاضطهاد الذي تعرضت له صحفهم، والتحجير الذي دام لأزيد من سنتين⁹⁶³، والشيء الملاحظ أن معظم صحف الجمعية عطلت من طرف الاستعمار لكونه أدرك الدور الذي تلعبه هذه الصحف في بث الوعي لدى الجزائريين، فكان ينتحل الفرص ويختلق الأسباب لأجل توقيفها ماعدا الصحف التي كانت خاصة بأفراد معينين أبرزها الشهاب⁹⁶⁴ للشيخ عبد الحميد بن

⁹⁶⁰ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص200.

⁹⁶¹ المرجع نفسه، ص224.

⁹⁶² محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص264.

⁹⁶³ نفس المرجع والصفحة.

⁹⁶⁴ ظهر العدد الأول من الشهاب يوم 12 نوفمبر 1925م مرة كل أسبوع، ثم مرتين وقد واجهته في سنته الرابعة أزمة مالية خانقة كادت تقضي عليه، فتحول إلى مجلة شهرية، وقد أصبحت مند مطلع سنة 1929م مجلة راقية بقيادة ابن باديس، تؤرخ للحركة الوطنية والحركة الإصلاحية والفكرية في الجزائر وفي الوطن العربي قاطبة في أحضب مرحلة من مراحل النهضة العربية عامة

باديس، والتي واكبت مسيرة الحركة الإصلاحية الجزائرية المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين قبل نشأتها واستمرت إلى أن أوقفت الجمعية صحفها وكذا اجتماعاتها فعدت بحق الجريدة الأولى في الجمعية؛

أما المواضيع التي تطرقت إليها هذه الصحف فهي متنوعة منها الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية على حسب ما يقتضيه الظرف والحال .

استدراكات ابن باديس على الشيخ المجاوي

استطاع الشيخ ابن باديس بفضل حنكته أن يبتكر ويحدث إضافات واستدراكات على مناهج الإصلاح التي عرفت عند أسلافه، وهو السر الذي جعله حركته الإصلاحية أكثر انتشارا وذيوعا بل ونجاحا ومن أهم هذه الإضافات نذكر:

تجديد الطرح العقدي: من الأمور التي أحدثت الفارق بين ابن باديس والشيخ المجاوي، فإذا كان الأخير استطاع أن يحدث نقلة من حيث الشكل فإنه لم يستطع التحرر من مصطلحات المتكلمين ومصطلحاتهم الفلسفية التي يشق على العامة فهمها في حين نجح الإمام عبد الحميد ابن باديس في الابتعاد بالناس في جانب العقيدة عن علم الكلام وعن الطرح الفلسفي المغرق في مصطلحات لا تستوعبها أفهام العامة ولا تؤثر في سلوكاتهم، ففي رأيه أنّ أسهل خطاب يحدث أثرا في النفوس هو الخطاب القرآني الذي لا يملّه سامعه ولا يصعب على متلقّيه، ولذلك جاء في تفسيره مجالس التذكير قوله: " أمّا الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله، وتصعيب طريق العلم إلى عباده، وهم في أشد الحاجة إليه " ثم يقول: " بسَطَ القرآن عقائد الإيمان كلّها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة، فهجرناها وقلنا: تلك أدلّة سمعية لا تحصّل

اليقين، فأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعدّدة، واصطلاحاتها المحدثّة، ممّا يصعب أمرها على الطلبة فضلاً عن العامّة " 965 .

ولم يكن توجه ابن باديس إلى تلك الطريقة في طرح العقيدة وليد لحظات تصدّره لرئاسة الجمعية وإمامة الناس وتعليمهم، بل إن الأمر كان مما يدور بخلده أيام طلبه للعلم بتونس، فقد ذكر ذلك الإمام البشير الإبراهيمي فقال: " والإمام - رضي الله عنه - كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرجهم على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلغه الله أمنيته: فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده، ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية " 966

ولذلك كان منهج ابن باديس مرتكزاً على ربط العقيدة بتفسيره للقرآن فكان يذكر الآيات والأحاديث قبل أن يستخرج منها العقائد ويسهل على الناس فهم كتاب ربهم، فحذا علماء الجمعية حذو الإمام في منهجه واتبعوا طريقته في طرح العقيدة فأتت أكلها، وأثمرت تغييراً في الناس تبين بعد حين. يقول الشيخ البشير الإبراهيمي مبرزاً هذا المنهج في الجمعية: " فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله، فإن الطريقة المتلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبات لا يكون إلا بالقرآن. لأن المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سوّلت له المخالفة في شأن من أمور الآخرة، أو صفات الله فإنها لا تسوّل له مخالفة القرآن.

⁹⁶⁵ عبد الحميد ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، علق عليه وخرّج أحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1424 هـ 2003 م، ص 105، 173.

⁹⁶⁶ تقرّظ كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ابن باديس رواية وتعليق: محمد الصالح رمضان، دار الفتوح، الشارقة، ط1 1416 هـ 1995 م، ص 15.

وقد سلك علماء الجمعية في دروسهم الدينية كلها، وخطبهم الجُمعِيَّة طريقة ابن باديس فرجع سلطان القرآن على النفوس⁹⁶⁷ وإلى جانب تلمص الشيخ عبد الحميد بن باديس من مراقبة سلطات الاحتلال والتي كانت من الإضافات التي امتاز بها عن غيره من المصلحين هناك أمور أخرى ابتكرها سببت لحركته ذيوعا وانتشارا أهمها:

1-الرحلات: من الوسائل التي أحدثت الفارق بين هي حركة ابن باديس وغيره هي تلك الرحلات التي كان يقوم بها لبعض مناطق الوطن من أجل الاحتكاك المباشر بال جماهير ومعرفة ما يصبون إليه، والمشاكل التي يعانون منها والعمل على حلها قدر المستطاع، وكذلك مواجهة حملات التنصير والاستشراق التي يقودها الاستعمار لجذب بعض الجزائريين نحو فكره وثقافته، وإبطال كيد هؤلاء بالتأكيد على وحدة الجزائر المنبثقة من الإسلام.⁹⁶⁸، وفي ذلك يقول : "ما كنت أدعوهم في جميع مجالسي إلا لتوحيد الله والتفقه في الدين ورجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورفع الأمية والحد في أسباب الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة، وإلى اعتبار الأخوة الإسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد، وإلى حسن المعاملة والبعد عن الظلم والخيانة مع المسلم وغير المسلم، وإلى التزام القوانين الدولية التي لا بد منها لحفظ النظام."⁹⁶⁹

وهو ما سبب لحركة ابن باديس ذيوعا وانتشارا بالمقارنة مع العمل الإصلاحى للشيخ المجاوي الذي انحصر في قسنطينة والجزائر فقط أي الأماكن التي عمل فيها فقط....

2-العمل الجماعي المنظم: أهم شيء تميز به الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الشيخ المجاوي، فنجاح العمل الإصلاحى في نظره مقرون بتكاتف الجهود وتظافرها وذلك مما يضمن لها القوة كذلك الدوام والاستمرار.

⁹⁶⁷ محمد الصالح رمضان، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ص 19.

⁹⁶⁸ مازن صالح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، المحمدية (الجزائر) ط1، 01، 2005م، ص66.

⁹⁶⁹ عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج04، ص 297 .

والشيخ عبد الحميد بن باديس لم يكن بدعا من المصلحين الذين آمنوا بضرورة الإصلاح الديني والسياسي، فقد سبقه الكثيرون لكن لماذا لم تثمر جهودهم وتحقق ما حققه ابن باديس وجماعته؟

ففي رأي أن العمل الفردي وتشتت الجهود هو السبب الرئيسي في ذلك، ومن هنا فقد عمل ابن باديس ورفاقه المصلحون على تفادي أخطاء السابقين وتجاوز نقائصهم قدر المستطاع لا يكونوا لقمة سائغة للاستعمار، فعملوا على توحيد قواهم وتكثيف جهودهم فدعوا إلى العمل الجماعي المنظم الذي يمكن أن يحقق ما عجز عنه السابقون إذ جاء في تفسير ابن باديس قوله: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوّة وإتقان تكون لهم قوّة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة، .. فيرشدنا هذا إلى خطر أمر الاجتماع ونظامه ولزوم الحرص والمحافظة عليه كأصل لازم للقيام بمقتضيات الأيمان وحفظ عمود الإسلام"⁹⁷⁰

فالقوة في رأي ابن باديس مرهونة بالاجتماع والاتحاد، والضعف مقرون بالتفرق والتشردم، فبعد رجوعه من الحج شرع في التدريس في الجامع الأخضر منفردا، وكان يهدف من وراء هذا العمل إلى تكوين مناصرين ومؤازرين لحركته وهو ما تحقق بالفعل إذ كان معظم أنصار الجمعية من تلامذة ابن باديس ومن خريجي الجامع الأخضر، إلى أن قيّض الله لفكرته للظهور سنة 1924م، إذ زار صديقة الشيخ البشير الإبراهيمي بمدينة سطيف وأخبره بأنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم الإخاء العلمي يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية وتكون خاصة بعمالتها تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقارب بين مناجيهم في التعليم والتفكير، وتكون صلة تعارف بينهم ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء.⁹⁷¹

وعهد ابن باديس إلى الإبراهيمي مهمة وضع القانون الأساسي للجمعية فوضعه الإبراهيمي واتفقا عليه لكن حدثت حوادث كما يقول الإبراهيمي عطّلت المشروع؛ وقد بين

⁹⁷⁰ ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 01، 1982م 221 .

⁹⁷¹ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المجلس الإداري لجمعية العلماء، المطبعة الجزائرية الإسلامية قسنطينة، ص 46.

الشيخ أحمد حماني أسباب فشل ظهور جمعية الإخاء العلمي وهو عدم تجاوب علماء قسنطينة وعمالها مع رغبة ابن باديس بالنظر لمعارضة الإدارة⁹⁷²، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر رجال الإصلاح في نشاطهم إذا كانوا يلتقون على فكرة ولا يلتقون على نظام ولا في جمعية وقد انقسموا قسمين:

الرأي الأول: يركز على التعليم بغية تكوين طائفة مثقفة تقوم بعملية الإصلاح.

الرأي الثاني: يقوم على مهاجمة الطريقين المنحرفين مباشرة وشق غارات عنيفة ضدهم.⁹⁷³

وتم الانتصار للرأي الثاني، وأسست جريدة المنتقد لهذا الغرض سنة 1925م والتي خلفتها الشهاب قد أصدرت في أحد أعدادها دعوة إلى المتعلمين المصلحين بأن يتجمعوا في حزب ديني محض يكون هدفه تنقية الدين مما شابهه من انحرافات، فسرعان ما انهالت على إدارة الجريدة موافقات العلماء المصلحين، لكن الصعوبات التي اعترضت جمعية (الإخاء العلمي) وقفت في وجه الحزب الديني .

لكن إرادة العلماء في توحيد الجهود ولم الصفوف تجاوزت كل الصعوبات إلى أن تم للعلماء ما يريدون، وذلك على إثر الاحتفالات المخددة للذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر وما تلاها من استفزازات وإثارات لمشاعر الجزائريين، فأسست جمعية العلماء كرد على ذلك.

فرغبة الجزائريين الملحة في لم الشمل وعدم اكتراثهم بالظروف المحيطة بذلك ينبعنا عن مدى إيمان الجزائريين بضرورة العمل الجماعي .

وبعدما تمكن العلماء الجزائريون من تحقيق حلم ضل يراودهم من عشرية وهو توحيد جهودهم الإصلاحية في تنظيم خاص عملوا على ما يوطد دعائم هذا التنظيم (جمعية العلماء المسلمين وذلك بإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية في كامل القطر الجزائري عدا مناطق

⁹⁷² أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 97 .

⁹⁷³ المرجع نفسه، ص 98 - 99 بتصرف .

الجنوب التي كانت تحت رقابة النظام العسكري الفرنسي⁹⁷⁴، وعليه فلا نبالغ اذا قلنا بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أكبر جمعية عرفها العالم العربي ؛ ونتيجة لهذه الجهود المتظافرة والتنظيم المحكم لم يستطيع الاستعمار القضاء عليها إذ لو كان يعلم بالنجاح الذي ستحققه لما أذن بإنشائها وكان يظن أنها مجرد جمعية لتعليم اللغة العربية وبعض أحكام الدين الإسلامي، كما أن العمل الجماعي والجهود المتضافرة أفادت الجمعية في استمرار عملها فلو كانت الجمعية ممثلة من شخص ابن باديس لانتهدت بوفاته لكن وجود أعلام آخرين الى جانبه حملوا الراية بعده وواصلوا المسيرة .

ومنه يتبين لنا مدى إيمان ابن باديس بالعمل الجماعي، إذ وصل عنده لدرجة اليقين ولو لم يكن كذلك لاكتفى بالتدريس في الجامع الأخضر أو لفشل بفشل جمعية الإخاء العلمي لكن إيمانه بوجود العمل الجماعي وعدم جدوى وفاعلية العمل الفردي وهو ما استنتجته من سابقه دفعاه إلى تكرار الكرة مرة أخرى فكتب لها النجاح .

وتجدر الإشارة إلى أن إمكانية تشكيل جمعية والعمل في إطار جماعي وبأهداف واضحة محددة كانت في عهد المجاوي أفضل نظرا لتمسك جميع المصلحين بمرجعية دينية واحدة أما جمعية العلماء فقد عرفت هزات وانشقاقات يصعب التخلص منها لولا حنكة الشيخ عبد الحميد بن باديس⁹⁷⁵، نتيجة تأثر بعض عناصرها بمناهج إصلاحية دخيلة عن المجتمع الجزائري.

⁹⁷⁴د/عمار هلال، ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ص266.

⁹⁷⁵فقد كانت أن تعصف به العواصف خلال الثلاثينات لولا شخصية ابن باديس فقد كان هو الذي يحفظ التوازن باعتداله وحكمته ومكانته هو ومكانة أسرته أيضا، ونذكر من هذه العواصف محاولة أنصار الفرع الأول الإستلاء على جمعية العلماء سنة 1932م وتأسيسهم لما أسماه (جمعية علماء السنة) ومنها اتهام العقبي سنة 1936م بالتحريض على اغتيال مفتي المالكية الشيخ محمود كحول (ابن دالي) وهو الاتهام الذي كانت جمعية العلماء هي المقصودة به، ومنها خلاف ابن باديس والعقبي سنة 1938م حول الموقف من تأييد فرنسا ضد ألمانيا وإيطاليا، فقد رأى الأول عدم إرسال برقية تأييد والاعتصام بالصمت ورأى الثاني عكس ذلك، فأصبحت الحادثة تعرف بحادثة (البرقية) وكان من نتيجة هذا الخلاف استقالة العقبي من المجلس الإداري لجمعية العلماء وتأسيسه لجمعية (الإصلاح الإسلامي)

ومن العواصف التي هبت أيضا وفاة ابن باديس 1940م، وقد كان الخليفة الشرعي له هو العقبي، ولكن موقفه السابق بالإضافة إلى إصداره جريدة (الإصلاح) أثناء الحرب وقبوله عضوية لجنة ألقتها فرنسا من عناصر فرنسية ومسلمة خلال الحرب أيضا، جعل العلماء يختارون إبراهيمي بدله، وقد أدى هذا الموقف إلى تكوين فريق ثالث من المصلحين، وهم أنصار العقبي.

ولكن الإصلاح الذي جاء به العلماء يختلف حجما وعمقا عن الإصلاح الذي ظهر قبلهم، فإذا كان الإصلاح في مرحلته الأولى يقوم على مقالة في جريدة أو فصل من كتاب، أو خطبة في مسجد أو ناد، فإن إصلاح العلماء قام على خطة عمل مرسومة للوصول إلى هدف محدد، ولسنا هنا بصدد ذكر برنامجهم ونقده، ولكن يكفي أن نقول إنه يمثل دفعة جديدة ربطت الإصلاح بالدين والدنيا، وبالتراث والوطنية، وقد كان الإصلاح قبل العلماء محتشما أو حذرا لأنه صادر من أناس مدينين في الأغلب للإدارة الاستعمارية بوجودهم، أما بعد العلماء فقد أصبح سافرا جريئا.⁹⁷⁶

وأهم ما ركز عليه اصلاح العلماء تصفية الدين من الخرافات وبعث التعليم العربي، وإحياء التراث بنشر حضارة الإسلام، وإخراج جيل يؤمن بهذه القيم ليدعم الحركة الوطنية.

3- العمل السياسي: تشعبت أعمال الجمعية بقيادة ابن باديس وشملت كل مجالات الإصلاح، بدءا من الإصلاح الديني، إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي، لأن مجالات الإصلاح كل متكامل، فالخوض في مجال على حسب آخر لا يحقق النتيجة المرجوة، صحيح إنه وردت للجمعية نصوص تدل على عدم اشتغالهم بالسياسة أهمها ما ورد في قانونها الأساسي حيث جاء في الفصل الثالث "لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية"⁹⁷⁷، فهو مجرد غطاء تتستر به لكي لا تتعرض لمضايقة الاحتلال لكن هناك من اعتمد على هذه النصوص واحتج بها على عدم اشتغال جمعية العلماء بالسياسة منها قول عبد المالك رمضان: "إن الجمعية تؤسس أصالة كحزب سياسي، ويكفيك تسميتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعملها كلن مؤصلا على التعليم خاصة على التصفية والتربية"⁹⁷⁸.

ولمعرفة مدى صدق وزيف هذه الأقاويل نلجأ إلى الواقع الذي هو أحسن دليل، هل مارست جمعية العلماء العمل السياسي أم لا ؟

انظر: أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ص 98.

⁹⁷⁶ المرجع نفسه ص 33.

⁹⁷⁷ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين، انظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس لمازن صلاح مطبقاني، ص 197.

⁹⁷⁸ عبد المالك بن أحمد رمضان الجزائري، مدارك النظر في السياسة ص/37.

فمن خلال مسيرة الجمعية ابتداء من نشأتها عام 1931م يتبين لنا أن الجمعية بدأت دينية تهاديية ثم دخلت علنا في السياسة، وتجاوبها تجاه القضايا السياسية الدولية والمحلية خير دليل على ذلك .

ومن أمثلة القضايا السياسية الدولية التي نالت حظها من اهتمامات العلماء قضية فلسطين كما نقلت (المنتقد) أخبار المسلمين في روسيا حيث جاء في العدد الأول منها: "أن الشيوعيين هدموا معهدا إسلاميا في مدينة طاشقند واسمه مدرسة (كاريليري) وأخذوا ينشؤون في مكانه تمثالا للزعيم لينين"⁹⁷⁹، ومن أمثلة القضايا السياسية المحلية التي نالت اهتمام العلماء هي مقاومتهم للتجنس⁹⁸⁰ والاندماج⁹⁸¹ ومشروع بلوم فيوليت.⁹⁸²

ومن خلال هذا الموقف السياسية للجمعية الدولية والمحلية يتبين أم اهتمام العلماء هي بالسياسة لا يقل عن اهتمامهم بمجالات الإصلاح الأخرى، أما غاية ما ورد من سائر أعضائها من أقوال تنبئ عن عدم اشتغالهم بالسياسة فالغرض منها مراوغة سلطات الاحتلال، وهذه سياسة باديس الذي كان بمقدوره أن يؤسس لحركة سياسية على غرار ما فعله الثعالبي في تونس، ولكنه كان يريد أن يتفادى الأخطاء التي وقع فيها الأمير خالد أي العمل السياسي المباشر الذي أعطى للإدارة الفرنسية الحجج لتنفيه وتبعده عن وطنه، لذلك

⁹⁷⁹ المنتقد العدد الأول 11 ذي الحجة 1343هـ 12 أوت 1924م.

⁹⁸⁰ حاربت جمعية العلماء كل مظاهر الرتابة والانغلاق الفكري التي عمت المجتمع الجزائري، ودعت إلى الاجتهاد، وإعمال الفكر والنظر، والتكيف مع المعطيات الجديدة وقد خطت في ذلك خطوات رائدة، خاصة في فتوى التجنس التي كان لها صدى في دول أخرى والتي جاء فيها بأن "التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فإذا أراد المتجنس أن يتوب فلا بد لتوبته من إقلاع كما هو الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة، وإقلاعه لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية ورفض لغيرها"

⁹⁸⁰ د/ أحمد عيساوي، منارات من شهاب البصائر، الشيخ العربي بن القاسم التبسي، ص 275.

⁹⁸¹ ومن ردود ابن باديس على دعاة الاندماج قوله " إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها ولا تريد أن تندمج"

الشهاب، ج 07 عدد 13، سبتمبر 1937، ص 30.

⁹⁸² مشروع ينص على منح الجنسية الفرنسية لبعض الفئات المدنية والعسكرية من مسلمي الجزائر.

فضل تركيز جهوده على النواحي الدينية والثقافية، مع متابعة قضايا السياسة عن بعد في المرحلة الأولى من نشاطه .

فتجاوب الشيخ عبد الحميد بن باديس مع القضايا السياسية الراهنة التي تخص مجتمعه وسائر المجتمعات الإسلامية من الأشياء التي امتاز بها عن الشيخ المجاوي، الذي تميز بصمت شبه كامل عن مختلف القضايا التي كانت تشغل تفكير الرأي العام الجزائري والسبب يرجع إلى أنه كان موظفا رسميا لدى الإدارة الفرنسية فلم يكن له مطلق الحرية للإفصاح عن رأيه فهو مطالب بواجب التحفظ، كما أن هامش المناورة لديه محدود.

والسبب في ذلك يكمن في عمله عند سلطات الاحتلال فهو الذي كبله وحد من نشاطه وسهل من مراقبة تحركاته

وكان من الممكن أن يكون له تأثير أكبر ونتائج أحسن لولا الوظيفة، وما هذه الأوسمة والنياشين التي أهدتها له إلا دليلا على تحكمها في جهده الإصلاحية وعدم الخروج على سيطرته ولسان حالهم يقول:

" قد كبنا جماحك فواصل"، في حين نجدهم حاولوا اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس لقوة تأثيره عليهم ولكونه يهدد أمنهم واستقرارهم.

وهو ما ذهبت إليه الباحثة دريادي حميدة بقولها: "مما لا شك فيه أن إدارة الاحتلال تتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية انتشار البدع في المجتمع وهو ما لا يشير إليه المجاوي بسبب كونه موظفا لها، لأنها هيأت الأرضية لهذه الطرق الصوفية كي تنشر ضلالها، وذلك بشراء ذمم بعض المتصوفين أولا، وبعتمادها سياسة التجهيل الرسمي في حق الجزائريين، كما استولت على المؤسسات الدينية وحولتها إلى مخازن واصطبلات هدفها في ذلك إضعاف العقيدة وتشويه الإسلام، مستغلة بعض الطرق الصوفية لتحقيق هدفها"⁹⁸³

كما أكد ذلك الدكتور مولود عويمر بقوله: "لا شك أن الاشتغال بالوظيف الرسمي يفرض على صاحبه الانضباط حتى لا يثيروا الشكوك في ولائهم لفرنسا، ويتفادوا المضايقات ولا يعرضوا أنفسهم للعقوبات، غير أن هذه الأخيرة لا تثق كثيرا في العديد من المدرسين الموظفين

⁹⁸³ دريادي حميدة، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (مرجع سابق) ص 115.

وتراقبهم بشكل مستمر أمثال الشيخ المجاوي وعبد الحليم بن سماية والسعيد بن زكري ومحمد المصطفى بن خوجة والمولود بن الموهوب لأن كتاباتهم وأعمالهم وأقوالهم لا تتماشى دائما مع الاستراتيجية العامة لسلطة الاحتلال التي تتمثل في تفكيك المجتمع الجزائري ثقافيا واقتصاديا⁹⁸⁴.

وفي سياق حديثنا عن الأسباب التي جعلت الشيخ المجاوي يحجم ويتعد عن السياسة يجب أن لا نغفل نصيحة الشيخ محمد عبده للجزائريين بالابتعاد عنها.

والآن لتساءل ما هي الأسباب التي جعلت الإمام محمد عبدة يؤكد لأعلام الجزائر ضرورة ابتعادهم عن السياسة، فحسب رأي الباحث عبد المجيد بن عدة أن فشل الثورة العربية في مصر، عام 1832م، وكيف قمعت بقسوة من قبل الإنكليز، هو السبب الذي أدى بالشيخ إلى الابتعاد عن السياسة والعناية بالتربية والتعليم والإصلاح الديني والاجتماعي حتى يتجنبوا الاصطدام بسلطات الاحتلال الفرنسية، وبالتالي تتأخر نهضتهم الفكرية والعلمية التي هي أساس قيام الوعي السياسي الناضج، وأن النضج بالابتعاد عن السياسة ليس تثبيطا للعزائم عن المطالبة بالحقوق، بقدر ما هي استراتيجية في العمل الإصلاحي، ينبغي أن تتكيف مع الظروف وليس أن تذوب فيها.⁹⁸⁵

ويرى بعض الباحثين أن الإمام محمد عبدة قد أحسن صنعا عندما دعا الجزائريين إلى عدم الاشتغال بالسياسة وفي ذلك دلالة على بعد نظره وسعة أفقه، والأصل في العمل الإصلاحي هو تكوين قاعدة شعبية عن طريق النشاط الفكري والاجتماعي، ثم يأتي العمل السياسي كنتيجة لذلك، أما التشبث بالسياسة من دون بناء قاعدة شعبية هو ضرب من المغامرة غير المضمونة النتائج ولا المأمونة العواقب.⁹⁸⁶

⁹⁸⁴ مولود عويمر، (مرجع سابق) ص 80.

⁹⁸⁵ انظر عبد المجيد بن عدة مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين 1900-1925م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور جمال قنان، جامعة الجزائر 1991-1992م. ص 91.

⁹⁸⁶ انظر صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، ص 127.

وفي نظرنا : أن هذه الخطة تصلح مع الاستعمار الإنجليزي الأقل ضراوة وأقل تأثيرا مقارنة مع الاستعمار الفرنسي الأكثر تمسكا بالجزائر وأرضها، فالثورة الجزائرية التي تعد النموذج الأمثل للعمل السياسي أتت بعد نضج الجزائريين سياسيا وهذا لم يأت من فراغ، بل حصيلة تجارب أعمال سياسية قاربت القرن بدءا من الثورات الشعبية إلى الجمعيات والأحزاب السياسية، إلى أن توصل الجزائريون إلى ضرورة العمل المسلح على إثر مجازر 08 ماي، ولنتصور أن الجزائريين بقوا منشغلين بالإصلاح الديني والاجتماعي بعيدين كل البعد عن العمل السياسي فلن يصلوا أبدا إلى هذه النتيجة.

وتوظيف الفرنسيين للجزائريين لم يكن اعتباطيا أو عفويا فلم يوظفوا غير أولئك الذين تخرجوا على أيديهم وتحت إشرافهم، فكانوا مثلا يضعون العراقيين أمام المتخرجين من المعاهد الإسلامية الأخرى لعدم الثقة فيهم اللهم الذي رجع (تائبا) بعد هجرته من الجزائر.

وقد يظن البعض من هذه المقدمة أن المستعمرين كانوا يثقون في رجال الدين الذين وظفهم، والحق أن هذا الصنف من الرجال كان محل مراقبة مستمرة، وكانوا يتهمونهم باستعمال (التقية) وكانوا يشيعون بينهم التنافس والغيرة، ويضربون العائلات الكبيرة العلمية بعضها ببعض، على أن موقف هؤلاء العلماء من الاستعمار كان مرتبطا بمصالحهم، فهم موظفون مقيدون لا حق لهم في الكلام أو النقد.⁹⁸⁷

غير أن عمل الشيخ المجاوي لدى سلطات الاحتلال ليس مدعاة للطعن فيه أو الخط من قيمته أو التشكيك من وطنيته فلا يمكن أن نضع جميع الموظفين لدى الحكومة الفرنسية في سلة واحدة فإلى جانب "فقهاء السلطان" كما سماهم بذلك الدكتور رابح لونييسي وهم مجموعة من الموظفين الذين يتميز أغلبهم بضعف الثقافة والفكر والجهل بالدين، وظفتهم فرنسا لخدمة مصالحها وهم بدورهم لا يرفضون لها طلبا، هناك بعض الرجال الذين يحملون فكرة إصلاحيا متنورا خاصة في بداية القرن 20 كعبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية

نقلا عن عبد المجيد بن عدة ص 91.

⁹⁸⁷ سعد الله، أفكار جامعة، ص 31.

ومحمد المولود بن الموهوب⁹⁸⁸ وحتى إن لم نجد لهذا الصنف من رجال الدين مواقف صارخة ضد الاستعمار من حيث هو، لكننا نجدهم رغم ما هم فيه من قيود، حاولوا التعبير باعتدال عن موقفهم من الاستعمار، فأسهموا في التأليف وبعث التراث الوطني، كما وأسهموا في الصحافة الوطنية وحتى الرسمية، ودعا آخرون إلى اليقظة العلمية ينادون بتحرير العقل عن طريق التعليم وتقليد الأوروبيين في العمل والنشاط موضحين أن ليس في الإسلام ما يمنع ذلك⁹⁸⁹، لكن رضاهم بالوظيفة قلل من تأثيرهم.

ويكفي الشيخ المجاوي شرفاً أنه هياً الأرضية لمن جاء بعده وفي ذلك يقول محمد علي دبوز: "وكان هو وزملاؤه أول من رفع المشعل عاليا فسطع سطوعه فأضاء للناس فرأوا طريق النهضة والنجاة فسلكوه، وهو أول المصلحين الذين أيقظوا الجزائر في الشمال فاستيقظت، ولولاهم ما وجد الشيخ العقبي الذي كان أكبر مثقف للعامة في العاصمة، وأعظم مجاهد للقضاء على الفساد والبدع فيها، فهو لا غيره ذلك صروح العصبية والبدع والفساد في العاصمة المريضة، ولولا الشيخ عبد القادر وزملاؤه ما وجد الجو الذي خطا فيه خطواته الواسعة في الإصلاح وما وجد الشيخ ذلك الجو في قسنطينة"⁹⁹⁰.

ومن خلال هذه الشهادة نستطيع أن ندرك قيمة الأثر الذي تركه المجاوي في قسنطينة أو العاصمة أو المدن التي مكث فيها، ويمكن أن يكون له أثر أكبر من ذلك لو تجاوز تلك الهفوات التي أشرنا إليها في عملية التغييرية.

⁹⁸⁸ رابح الويسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954م) ط دار كوكب العلوم (الجزائر) د.ت ص87.

⁹⁸⁹ د/سعد الله، مرجع سابق.ص32.

⁹⁹⁰ دبوز نخصة الجزائر الحديثة وثورته المباركة، مطبعة البعث قسنطينة 1978، ج02، ص103.

الخاتمة

من خلال هذا البحث المتعلق بحياة الشيخ المجاوي يمكننا أن نصل إلى النتائج التالية :
- حسن قراءته الواقع فجهوده كانت منصبة على نقطة الضعف التي شكلت العقبة الكؤود للإقلاع الحضاري للمجتمع الجزائري، فمحاربتة للبدع دعوته للعناية باللغة العربية وإصلاح المناهج التربوية والاهتمام بالعلوم الحديثة على منوال الدول الأوروبية خير دليل على ذلك.

- جسد الأخوة الإسلامية في أسمى معانيها فنجده ينقل عن المتصوفة من أمثال بن عربي كما ينقل عن ابن تيمية وحتى عبد العزيز الثميني من الإباضية دون أي عقدة أو حرج، وقد أسلفنا الحديث عن علاقته مع تلميذه الشيخ ابراهيم اطفيش وشعاره في ذلك إنصاف الآخرين والبعد عن التعصب، فكسر بذلك الحاجز بين الصوفية وأهل السنة من جهة وبين المذهبين المالكي والإباضية من جهة أخرى.

فعلاقة الشيخين المجاوي و ابراهيم اطفيش أزاحت الفكرة القائمة أن الإباضية من الخوارج وأنه لا يجوز الأخذ عنهم كما أبانت للإباضيين أن الاختلاف بين المذهبين في الفروع فقط وأنه لا حرج عن الأخذ عن المالكيين.

وهذه المبادرة من الأهمية بمكان تستحق أن نثمنها ونشجعها لأنها تعبر عن تلاحم أبناء الوطن الواحد وتزيج كل عوامل الفرقة والتشتت، وقد لعب الاستعمار من قبل على هذا الوتر فحاول بث الفرقة والطائفية بين أبناء الوطن الواحد وقسمهم إلى عرب وأمازيغ فجاء الرد من ابن باديس الذي يعبر فيه عن وحدة الشعب الجزائري، وها هي بعض الأطراف تحاول أن تحدوا حدودهم وتعمل على التفريق بين المالكية والإباضية والتي ينبغي الحذر منها والتأكيد على الأصول التي تجمع المذهبين.

- تفعيل التراث الصوفي والاعتماد عليه في التغيير لا باعتباره وسيلة للاستحقاقات أو وسيلة لبلوغ الغايات، فالمشكلة التربوية لا تقل شأنًا وأهمية عن غيرها من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، بل هي الأساس وهذا بدوره يتطلب العناية بالزوايا وإصلاحها والعمل على إعادة دورها المنوط بها أيام الحقبة الاستعمارية باعتبارها قلاعا للعلم والجهاد.

-تأكيد الشيخ المجاوي على ارتباط العلم بالعمل فلا جدوى من العلم إذا لم يرتبط بالعمل، لذلك كانت الحشية والتقوى والورع أهم صفات العالم لأن العلم يدعوا لذلك . وما أحوجنا إلى هذه المبادئ في وقتنا الحالي الذي نلاحظ فيه ذاك الانفصام النكد بين العلم والعمل وقد غاب هذا المفهوم عن الكثيرين من المدرسين فضلا عن المتمدرسين، فترى المعلم في درسه إنسان وخارجه إنسان آخر فغابت الثقة عند التلاميذ وفهموا العلم على أنه مجرد حشو للرؤوس بالمعلومات وغايته نيل الشهادات والحصول على الوظائف للإقتيات فتغيب عن الإنسان المبادئ السامية والأهداف النبيلة التي تحث الإنسان على إصلاح نفسه أولا، ثم غيره ثانيا وبالتالي النهوض بالوطن والأمة وهذه المبادئ هي التي تدفع الإنسان إلى التضحية والإيثار من أجل الدين والوطن، وغياها مؤشر على انتشار بعض الآفات كالسرقة والغش والناجمة عن الأنانية وحب الذات وتقديم مصلحة النفس على مصلحة الغير.

-التمذهب بالمذهب لا يلغي أبدا الاجتهاد وإعمال الرأي ومخالفة أصول المذهب إذا اقتضى الأمر ذلك وهذا خاص بالمجتهدين، وقد تجلى ذلك في مخالفة الشيخ المجاوي لمفهوم الكسب عند الأشعري السائد في الجزائر، لكن شريطة التحلي بآداب الاختلاف كعدم التعصب للرأي وعدم تسفيه آراء الآخرين والتماس العذر لهم .

-العقلية العلمية عند الشيخ المجاوي هي التي دفعته إلى رفض مفهوم الكسب عند الأشعري والذي يعني اقتران القدرة الحادثة بالمقدور دون تأثير، وهي التي دفعته إلى الثورة على العديد من البدع والخرافات التي عمت المجتمع الجزائري، ودفعته في نفس الوقت إلى الدعوة للعلوم الحديثة.

-مدى التقارب الحاصل بين المذهبين الماتريدي والأشعري وهو الذي مكنها من التعايش في الجزائر طيلة الوجود العثماني دون أن يجد الجزائريون أي حرج في ذلك، على خلاف غيرها من المذاهب التي تعتبر تهديدا صارخا لثوابتها.

-حاول تفعيل العقيدة الإسلامية بإخراجها من الجدل الفلسفي العقيم الذي أحدثه علماء الكلام بتوجيهها إلى عالم الشهادة والحياة ، كبناء الإنسان وواقعه السياسي

والاقتصادي والاجتماعي وهذا ما نلمسه من كتابات المجاوي الذي كانت له آراء جريئة في ذلك. خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

- يمثل الشيخ المجاوي المذهب الأشعري في طور النضج والاكتمال، فلقد تأثر بالجويني في مسألة الكسب و بالغزالي في التوفيق بين النقل والعقل أو بين الحكمة والشريعة .
- نجاعة الدراسات الأنثربولوجية الفرنسية والتي بقيت آثارها إلى الآن خاصة في ما يتعلق بالتعريب وكثير من الأمور التي تخص هوية الفرد الجزائري، إلى درجة أن هناك من يقول تحررنا سياسيا ولم نتحرر ثقافيا وهذا يستدعي إرادة سياسية قوية وجريئة حتى تعود الأمور إلى نصابها.

- إن التصوف الذي تلجأ إليها الأمم في حالة ضعفها غالبا ما يقترن بانتشار البدع والخرافات، وهذا ما نلمسه من انتشار الطرق الصوفية بعد سقوط الأندلس وكذلك بعد سقوط الدولتين الموحدية و العثمانية وسقوط الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي، فهذا النوع من التصوف يعتبر بمثابة هروب من الواقع لذلك لا يعبر عن حقيقته وفحواه.
وانتقاد المجاوي للبدع التي طرأت على التصوف لم يكن جديدا فقد سبقه الأخضري بقصيدته القدسة التي ذكرنا مقاطع منها وعاش الثعالبي نفس الزمن تقريبا وهذا ما يؤيد رأينا السالف ذكره.

الفكر الوسطي عند الشيخ المجاوي والذي تجلّى في عدة أمور أهمها:
- إقراره لكل من منهجي التفويض والتأويل في التعامل مع المتشابه.
- وسط بين العقلانيين المسرفين في استعمال العقل، والنصوصيين المقزمين لدوره.
- توسط في مفهوم الكسب بين المعتزلة القائلين بسلطة الإنسان على أفعاله والجزرية الذين نفوا عن الإنسان الكسب.

- توسط في مفهوم النظر بين المانعين له والمكفرين لتاركه.
- تميز الشيخ المجاوي بأسلوب في التأليف ساهم بقسط كبير في وصول أفكاره إلى غيره وتأثيره فيهم وهو منهج يتلاءم مع المعلم ومن أهم الخصائص والسمات التي تميز بها هي :

الاكتناز و عدم الحشو : فلم يتضمن من الأفكار و لا من الألفاظ إلا ما دعت إليه ضرورات البيان أو حاجياته على الأقل لا كمالياته، فلم يطنب و لم يسهب و حتى في طريقة الاستدلال نجد بهمازج بين الكتاب و السنة و الأدلة المنطقية و العقلية إذا دعت إليها الضرورة، لذلك اتسمت ردوده على مخالفه بالوضوح و اليسر من جهة و قوة الإقناع من جهة أخرى، فهو لم يكتب بأدلة الكتاب و السنة كما ابتعد عن طريقة المتكلمين التي يشق على طالب العلم فهمها فمزج بين الطريقتين فأصاب، والدليل على ذلك هو القبول و الثناء الحسن الذي لاقتة مؤلفاته في الأوساط العلمية بالرغم من صغر حجمها، فهي عبارة عن كتيبات لكنها أغنت عن المجلدات الكبيرة و هذه خصلة تحسب له.

ويا ليتنا نفتدي بها و نفتفي أثره في تأليفنا و نتجنب الحشو قدر الإمكان كما نلجأ إلى التلاخيص و التهذيب و الاختصارات لكونها تماشي و طبيعة مجتمعنا الحالي لأن علم العقيدة اليوم في ظل التدين المنقوص أو العداء الإسلاموفوبي المغصوص ليس هو علم العقيدة أيام الترف الفكري، فعوض الإعراض عن المؤلفات الكلامية بالكلية أو القول بأنها بدعة أو تجاوزها الزمن تبقى الاختصارات والتهذيب الحل الأمثل وهو ما لجأ إليه الشيخ المجاوي، أما بالنسبة للمختص فهي أكثر من ضرورة.

التحلي بالروح العلمية : التزم الشيخ المجاوي بمبادئ البحث العلمي التي من بينها العلمية ووضوح الرؤية فلا تناقض ولا تداخل و لا التباس ولا غموض، بل تأصيل قوي للفكرة وتنزيل موفق على الواقع و تحليل دقيق للنتائج .

الواقعية : فلم يسهب في التنظيرات المجردة بل نزل إلى الواقع يشخص و يعلل و يدلل .

التسلل : فكل فكرة تمهد للتي بعدها و تقود إليها و هي بدورها تؤكد نظريا و تجسيدها عمليا .

الوسطية : تعني الوسطية في البحث العلمي هو أن ينظر المصلح في مفهوم العلماء و المصلحين و آرائهم و مذاهبهم و مناهجهم من غير تجاهل و لا تحامل فينتقي منها ما يراه أصلح لنفسه و أحوط لدينه و أنفع لأمتة ... و لا يبالغ في تركية ما يصير إليه من رأي و

التعصب له، و يتجنب ما تبين له خطؤه منها و التنبيه إليه برفق و آدب ... مع التماس العذر لأصحابه ما أمكن و الترفع عن الانشغال بتتبع العورات و ترصد السقطات،

و هذه الأمور معظمها التزم بها الشيخ المجاوي في تأليفه و تجلّى ذلك في :

أ- عندما يتبنى رأي عالم من العلماء يحترم آراء الآخرين فلا يسفه و لا يحتقر .

ب- ابتعاده عن ألفاظ التفسيق و التبديع و التظليل فغالبا ما يذكر كلمة أخطأ القوم وهو ينطق على مقولة الإمام الشافعي " رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي يميز خطأ يحتمل الصواب "

ج- ابتعاده عن التعصب فبالرغم من عقيدته الأشعرية، فأحيانا يميل عن آراء الأشعري إلى غيره إذا تبين له خطؤه.

-إن تصنيف المجاوي مع المحافظين لا يعني الرتبة والانغلاق والتزمت والتمسك بالقديم ولو كان لا يفي بمتطلبات العصر بل التمسك بالتراث مع الدعوة إلى التجديد، ومن ثم كانت له آراء جريئة خاصة في الدعوة إلى العلوم الحديثة وقد برهن عن ذلك في مناسبات عدة وقد شهد له بذلك أبو القاسم سعد الله بقوله " وكان أسلوب عبد القادر المجاوي في (اللمع في نظم البدع) وبعض شروحه الأخرى أسلوب (علمي) فهو عالم ومدرس أكثر منه أديب " ⁹⁹¹

وعليه فمن باب الإنصاف للرجل أن ننسب له ذلك ولا نبخسه حقه لأن تاريخ الإصلاح في الجزائر ارتبط في أذهان الكثيرين بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931م، وتقرير هذا الرأي فيه ظلم وإجحاف للعديد من العلماء الذين كان لهم فضل السبق في العمل الإصلاحي وتهيئة الظروف لجمعية العلماء في ما بعد ويأتي في مقدمتهم الشيخ المجاوي. فباعتباره كان في طليعة العلماء المستنيرين كان له فضل السبق في ميادين إصلاحية عدة ففي الميدان العلمي التربوي كان له فضل السبق في الدعوة إلى العلوم الحديثة وتجديد المناهج التربوية، وفي المجال الاجتماعي كانت له دعوته لإصلاح المرأة الجزائرية ومحاربة البدع

⁹⁹¹ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08 ص165.

ممهدة لظهور العديد من الأصوات المنادية بذلك، والأمر كذلك بالنسبة لآرائه الاقتصادية حيث تعالت الأصوات للاتحاد وإنشاء عقود الشراكة .

وبعد هذا العرض للآراء الإصلاحية للشيخ المجاوي يصبح من المكابرة إنكار ملامح التجديد فيها وهذا ما ذهب إليه أستاذنا عمار الطالبي في مقدمة تحقيقه لكتاب (آثار ابن باديس) حينما عرج على إرهابات التجديد قبل جمعية العلماء فقال " كان الشيخ عبد القادر المجاوي مصلحا سلفيا تقليديا لم يأت بجديد سوى مقاومة البدع وإشعار المجتمع بساعة الخطر".⁹⁹²

ولعل هذا الموقف للدكتور طالبي راجع إلى تركيزه على كتابه (القواعد الكلامية) والذي اعتبره أهم كتبه بحكم تخصصه، لكن عند تصفح الكتب الأخرى نجد فيها مظاهر التجديد السالفة الذكر.

ربطه مجالات المعرفة بعضها ببعض وتجلي ذلك في :

- تحدث عن العدل كقيمة اجتماعية كما تحدث عن دوره في التنمية الاقتصادية .
- تحدث عن البطالة والجهل في سياق حديثه عن الآفات الاجتماعية وفي نفس الوقت ختم بهما مبحثه الاقتصادي.
- أشار د/ بلعباس إلى دور الإعداد العلمي الإيماني- في نظر الشيخ المجاوي- بالموازاة مع الإعداد الاقتصادي في استرجاع السيادة الوطنية⁹⁹³ .
- تحدث عن الحكمة في أفعال الله عز وجل كما أشار إلى الفرق بين الخلق والإيجاد في كتابه المرصاد في مسائل الاقتصاد.
- تأثير التربية السلوكية (الصوفية) على نفسية المجاوي والتي تدعو إلى تركية الأنفس ومجاهدتها، وهذا هو المنهج الرباني في التغيير وقناعته بأن الجزائريين لا يمكنهم أن ينتصروا على

⁹⁹² آثار ابن باديس ، ج01 ، ص20.

⁹⁹³ عبد الرزاق بلعباس(مرجع سابق) ص 124.

العدو الخارجي وهو الاستعمار الفرنسي حتى ينتصروا على العدو الداخلي وهو نفوسهم وهو السبب الذي جعله يؤلف كتابه في (الاقتصاد الشخصي).

تأكيد الشيخ المجاوي على العلوم الحديثة فأشار إليها في كتابه (إرشاد المتعلمين) وتكلم في كتابه (اللمع) عن قضية تلبس الجني بالإنسي وعن أضرار الخمر بطريقة علمية، وفي كتابه (المرصاد في مسائل الاقتصاد) كتب فصلا في تأثير الاكتشافات الوقتية في ترتيب الخدمة.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر

-المجاوي عبد القادر:

- تحفة الأختيار في ما يتعلق بالكسب والاختيار، ويليه اللمع على نظم البدع دار زمور للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2011م
- القواعد الكلامية، المطبعة الشرفية لصاحبها فونتانا (الجزائر) ط01، 1328-1910.
- إرشاد المتعلمين، دار زمورة للنشر، البويرة (الجزائر) طبعة خاصة 2001م.
- شرح الشيخ العلامة المجاوي لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي، دار زمورة للنشر والتوزيع، (الجزائر) طبعة خاصة 2011م
- المرصاد في مسائل الاقتصاد، دار زمورة للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2011.
- مواهب الكبير المتعال (طباعة حجرية)

المقالات

المجاوي عبد القادر:

- العادة، جريدة (المغرب) العدد 19 / 12 جوان 1903م.
- العلم جريدة (المغرب) العدد 12 / 19 ماي 1903، ص01.
- نظرة في الأخلاق والكبر والإعجاب (كوكب إفريقيا) العدد 84 / 11 ديسمبر 1908 م.
- سلامة الإنسان في حفظ اللسان (كوكب إفريقيا) العدد 12/132 نوفمبر 1909م.
- التربية، (كوكب إفريقيا) العدد 31، 03 جانفي 1908.
- الحلم (المغرب) العدد 31، 24 جويلية 1903 .
- فضل العدل والإنصاف، (المغرب) العدد 05، 24 أبريل 1903م.
- التربية، كوكب إفريقيا ع 31. 3 جانفي (1908).
- مشاهير العرب الذين تضرب بهم الأمثال (المغرب) العدد 05، 23 أبريل 1903 .
- مشاهير العرب الذين تضرب بهم الأمثال (المغرب) العدد 06، 28 أبريل 1903م
- المعاش (المغرب) العدد 06، 28 أبريل 1903.
- المعاش، جريدة (المغرب) العدد 08، 05 ماي 1903.
- العادة (المغرب) العدد 19، 12 جوان 1903م. --
- كوكب إفريقيا (التربية) العدد 31، 03 جانفي 1908.
- ملاك الشيمة (الأدب) جريدة (كوكب إفريقيا) العدد 97، 12 مارس 1909..
- المجاوي، ملاك الشيمة الأدب كوكب إفريقيا، 12 مارس (1903) -
- مقال حول كتيب " إرشاد المتعلمين " صدر في جريدة (المبشر) 12 ديسمبر 1877م

المراجع

- الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تحقيق الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار لبنان للطباعة والنشر، ط01، 1987م.
- أبو بكر بن الطيب الباقلاني، الإنصاف في ما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبع دار التوفيق النموذجية ط 02 1421هـ-2000م.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر 2005م.
- أبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة، تحقيق وتعليق د/ محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث
- أحمد ابن شقرون، أرجوزة من نهر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، طبع بأمر من الملك الحسن الثاني، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1414هـ-1994م.
- أبو حنيفة، متن الفقه الأكبر، موجود ضمن كتاب شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري، تحقيق مروان محمد الشعار، دار النفائس دمشق (سوريا) ط02 1430هـ-2009م .
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الغنية في مسألة الرؤية، تحقيق أبي بلال العديني، مرتضى بن أحمد تقديم فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري وفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله الإمام، ط دار الآثار للنشر والتوزيع ط01، 1429هـ-2008م.
- الأخضري، السلم المرونق،
- أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق د. فوقية حسين محمود دار الأنصار - القاهرة ط01، 1397.
- محمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان) ط02، 1994 .
- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لتحقيق تحقيق الأستاذ محمد مطيع، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط 1421هـ-2000م.
- اسماعيل العربي . الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال . المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) الطبعة الأولى 1983م .
- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، عالم المعرفة (الجزائر) طبعة خاصة 2009م.
- أعيان من المشاركة والمغاربة، تاريخ عبد الحميد بك، تقديم وتعليق د/، دار الغرب الاسلامي، بيروت (لبنان) ط01، 2000م.

- رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي، ط02، دار الغرب الإسلامي.
- تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) د.ط، د.ت.
- الله- تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998.
- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله، دار البصائر، طبعة خاصة 2009م. ابن مريم الشريف التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة التعالبية.
- أبو الحسن علي النوري الصفاقسي، العقيدة النورية في اعتقاد الأئمة الأشعرية، شرح أبي الحسن علي بن محمد التميمي، دراسة وتحقيق الشيخ الحبيب بن طاهر.
- أبو جعفر الطحاوي، متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت (لبنان) ط01، 1416هـ-1995م. أبي القاسم البلخي فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سير (الدار التونسية للنشر).
- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإحكام في أصول الإحكام، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر منشورات دار الآفاق بيروت (لبنان).
- أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانا الشرقية (الجزائر) 1324-1906م، د.ت.
- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، دار عرار للنشر والتوزيع، وادي السمار (الجزائر) ط03، 2013.
- الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، مكتبة المعارف (الرياض) ط01 1412هـ-1992م
- التوسل أنواعه وأحكامه، تحقيق محمد عبد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (الرياض) ط01، 1421هـ-2001م.
- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، د.ط، د.ت.
- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف 1915هـ-1995م.
- أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية. د.ط، د.ت.
- الأمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق الدكتور، أيمن محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) ط01 1423هـ - 2002م

- أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار الكتب العلمية (بيروت) ط01، 1418 هـ .
- أبو النصر السراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، تحقيق وتقديم عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة الثنى ببغداد 1960م.
- أبي العباس الشرجي الزبيدي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط01، 1406 هـ 1986م.
- أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، شرح وتحقيق وتعليق د/ إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ط01 1423 هـ-2003م.
- أبو يعلى الزواوي ، جماعة المسلمين ، مطبعة الإرادة (الجزائر) د.ت .
- إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق (سوريا) ط01، 1407-1987م.
- إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (لبنان) ط01، 1423 هـ-2002.
- إسماعيل راضي، التصوف بين المدارس والممارسة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المملكة المغربية ط01، 1433 هـ-2012م .
- ابن أبي الدنيا، الأولياء، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (لبنان) ط01، 1413 هـ-1993م.
- ابن تيمية، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق شريف محمد هزاع، نشر دار الفجر للتراث، ط01، 1991م.
- البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت (1401 هـ-1981م) .
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، د.ط، د.ت.
- ابن حجر العسقلاني، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق وتعليق عبد الحميد بن صالح بن
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز، ط دار المعرفة بيروت (لبنان) 1379 هـ.

- ابن قدامة المقدسي، روضه الناظر وجنة المناظر ، تقديم وتحقيق وتعليق، د/عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، نشر مكتبة الرشد بالرياض (المملكة العربية السعودية) ط01، 1413هـ -1993م،
- ابن تيمية:
- مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ -2003م.
- النبوات ، مراجعة وتحقيق الشيخ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع د.ط، د.ت
- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، د.ط، د.ت، ج01،
- مجموعة الرسائل الكبرى (الإرادة والأمر)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م .
- ابن خلدون، شفاء السائل، وتهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر بيروت (لبنان) دار الفكر دمشق (سوريا) ط01، 1417هـ -1996م .
- ابن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، مطبعة السعادة ، ط01، ص03.
- ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت)
- ابن هشام، السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت (لبنان) ط01، 1410هـ -1990م .
- ابن القيم الجوزية:
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان).
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، دار التراث مصر (القاهرة)
- ابن سودة ، اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، 1171-1400هـ
- الموافق 1756-1980م، تنسيق وتحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) ط01، 1417هـ -1997م.
- البيهقوري حاشية الإمام علي جوهره التوحيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ط01، 1422هـ -2002م..
- البيضاوي، إشارات المرام من عبارات الإمام، تحقيق وتعليق يوسف عبد الرزاق الشافعي، دار زمزم ط01 1425هـ -2004.

- ابن أبي بكر الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة بيروت.
- الطبراني: المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر (القاهرة) 1415هـ-1995م.
- ابن ماجه، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب العربية رقم (1385)
- ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 01، 1982م.
- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع ط02 1420هـ-1999م
- ابن رجب الحنبلي، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ط04، المكتب الإسلامي بيروت لبنان
- الإمام البيهقي ، كتاب الزهد الكبير ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية ، ط01، 1408هـ-1987م
- ابن حجر الهيثمي، الفتح المبين بشرح الأربعين، دار المنهاج للنشر والتوزيع (المملكة العربية السعودية) ط01، 1428هـ-2008م.
- ابن الصلاح، المقدمة، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، د ، نشر دار المعارف (مصر)...
- الترمذي، الجامع الصحيح ، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأبناؤه (مصر) ط01، 1382هـ-1962م.
- تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) ط04، 1984م.
- التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر) ط02، 1981 .
- تقي الدين الحصني الأشعري، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، تحقيق أ.د أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، مركز الكتاب للنشر، (القاهرة) .
- الجويني:
- العقيدة النظامية ، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار سنة 1367هـ-1948م
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق وتعليق/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، نشر مكتبة الخانجي (مصر) 1369هـ-1950م.

- الشامل في أصول الدين ، تحقيق علي سامي النشار ، مكتبة (المعارف) (مصر).
- جلال موسى ، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني بيروت (1882م)
- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، د.ط، د.ت.
- جيلالي صاري ، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950) (المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر والإشهار الجزائر 2008م.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على أiyالة الجزائر) ، ترجمة محمد بن عبد الكريم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (لبنان) 1972م.
- حمدو عليان الحنبلي، السادة الحنابلة واختلافهم مع السلفية المعاصرة، دار النور المبين للنشر والتوزيع، عمان (الأردن) ط01، 2014م.
- الحفناوي محمد، تعريف الخلف، برجال السلف، مطبعة فونتانا الشرقية (الجزائر) 1324-1906م، د.ت.
- الحسن النوري، العقيدة النورية في معتقدات السادات الأشعرية، دراسة وتحقيق الشيخ الحبيب بن طاهر د.ط، د. .
- الحموي أحمد نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال، لشيخ الإسلام شهاب الدين الحسني، تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمد سلطان عبد الرحيم، نشر دار جوامع الكلم (القاهرة) مصر .د.ت.
- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871م، د.ط، د.ت.
- خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين.
- خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين ط15، 2002
- داود بولحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي، دار القدس العربي، وهران (الجزائر) ط01 2009م.
- دبوذ محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر. من عام 1340 هـ 1925م إلى 1395 هـ 1975م ، عالم المعرفة (الجزائر) ط01، 2013م.
- الذهبي:
- سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م .
سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط مؤسسة الرسالة 1417هـ-1996م

- الأربعين في صفات رب العالمين ، قدم له وحقق نصوصه وعلق عليه وخرج أحاديثه ، عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ، ط 01 ، 1413 هـ .
- أساس التقديس في علم الكلام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (لبنان) ط 01، 1415 هـ- 1995 م.
- الأربعين في أصول الدين، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور احمد حجازي السقا، طبع مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)
- رابح الونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-
1954م) ط دار كوكب العلوم (الجزائر) د.ت .
- رؤوف شبلي، العمل الاقتصادي من وجهة نظر الإسلام، دار الضياء للإنتاج والتوزيع قسنطينة(الجزائر)
- (
- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون ط 01 1999 م .
- الزركشي بدر الدين، البحر المحيط ، دار الكتي، ط 01، 1414 هـ-1994 م.
- زروق، عدة المرید الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الله الغرياني، دار ابن حزم ط 01، 1427 هـ- 2007 م.
- الزخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق د. علي بو ملحّم مكتبة الهلال - بيروت ط 01 الأولى، 1993.
- السلمي عبد الرحمن، طبقات الصوفية ، تحقيق وتعليق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت) ط 01، 1998.
- السيوطي:
- بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط 02، بيروت ، دار الفكر بيروت 1399 هـ- 1979 م .
- الحاوي للفتاوي ، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) 1403 هـ-1983 م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد الحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (القاهرة) ط 01، 1424 هـ-2003 م
- سعيدي مزيان ، النشاط التنصيري للكاردينال لا فيجري (1867-1892م) طبع وزارة الثقافة)
-الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب) ط 01.

- سمية أولمان، دور الشيخ عبد القادر المجاوي وكتابه " إرشاد المتعلمين " في الصمود الفكري بالجزائر، طبع الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ط01، د.ت.
- سليمان الصيد ، صالح بن مهنا القسنطيني ، ط01، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة 1933م
- سعيد فودة، الشرح الكبير للعقيدة الطحاوية، دار الذخائر بيروت (لبنان) د.ط، د.ت، ص1130.
- السنوسي ، المنهج السديد شرح كفاية المريد ، تحقيق مصطفى مرزوقي ، دار الهدى عين مليلة (الجزائر) ط01 1994م.
- السنوسي، شرح أم البراهين، مطبعة الاستقامة (مصر) ط01، 1351هـ
- السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ.
- سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، مكتبة المدينة للطباعة والنشر كراتشي (باكستان) ط02، 1433هـ-2012م .
- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق (مصر) 1415هـ-1995م
- السبكي، طبقات الشافعية ، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط01، مطبعة عيسى الحلبي، سنة 1383هـ .
- السنوسي، ثلاث عقائد أشعرية، دراسة وتحقيق د خالد زهري، دار أبي رقرق، الرباط (المملكة المغربية) ط01، 1433هـ-2012م .
- السنوسي، شرح أم البراهين، مطبعة الاستقامة (مصر) ط01، 1351هـ.
- السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الذرة المضية في عقد الفرقة المرضية ج01، د.ط.د.ت.
- الشوكاني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت (لبنان) ط01، 1408هـ-1988م.
- صادق شيرازي، الموجز في المنطق د.ط، د.ت

- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفتيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962م) دار العلوم للنشر والتوزيع (الجزائر)
- صالح فركوس، أصالة وتغريب مشروع فرنسا الصليبية والمجاهدة الإسلامية ، دار الكوثر للنشر (الجزائر) 1991 .
- صديق حسن خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر 1428هـ-2007م.
- الصنعاني، في رسالته "الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطف" تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط01، 1421هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة د.ط، د.ت.
- صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون (الجزائر)
- عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) د.ط، د.ت.
- عادل نويهض: مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م .
- عثمان علي حسن، مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، دار الوطن للنشر، الرياض (المملكة العربية السعودية)، ط01، 1413هـ .
- عبد العزيز فيلاي . المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس . دار الهدى عين مليلة (الجزائر) د ط . دت .
- عبد المالك مرتاض الإسلام و القضايا المعاصرة . دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . بوزريعة الجزائر ط1 2003 م .
- عبد المالك رمضان ، مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية ، ط04، 1422هـ-2001م.
- عمار طالي، ابن باديس حياته وآثاره ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط02 ، 1983م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ، ط دار الكتب المصرية 1343هـ-1925م.
- عبد الكريم الجيلي ، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر، تحقيق صلاح بن محمد بن عويصة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) ط01 1418هـ- 1997م.

- عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فتاوى مهمة لعموم الأمة ، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين مركز الدعوة والإرشاد، سلسلة توعية الحجاج، المملكة العربية السعودية ط01 1413 هـ .
- عبد الإله بن حسين العرفج، مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة ، دراسة تأصيلية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان (الأردن) ط02، 2012م 1433هـ.
- عبد الحميد الجياش، التصوف الإسلامي بين الحقيقة والواقع، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، مكتبة الزهراء للنشر والتوزيع (ليبيا) ط01، 2009.
- عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) 1994 .
- عبد الله عبد المحسن الطريفي، الاقتصاد الإسلامي أسس ومبادئ وأهداف، مكتبة الحرمين، ط2، د.ت.
- عمار هلال في كتابه ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962) ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت.
- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010 .
- عبد الكريم الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الريان الطبعة الأولى.
- عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، 221/2.
- عمر قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، (أعلام..قضايا...مواقف...) ديوان المطبوعات الجامعية
- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتقديم وتعليق د/ عبد العالي شاهين ط01، 1413هـ - 1992م .
- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر) ط2014م .
- عزمي رجب، الاقتصاد السياسي . دار العلم للملايين . بيروت. (1985)
- العز بن عبد السلام، معنى الإسلام والإيمان والعلاقة بينهما، تحقيق إياد خالد الضباع، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر (الجزائر).
- علي بن محمد التميمي، تقريب البعيد إلى جوهر التوحيد، تحقيق الحبيب بن طاهر د.ط، د.ت.
- عبد الرحمن محمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، دار الوطن (الرياض) ط02، 1418هـ - 1997م.

- عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط02 1413هـ-1992م.
- عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار إحياء التراث العربي - (بيروت).
- عبد الله بن يوسف الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية، وكشف أباطيل المبتدعة الردية، دار الإمام مالك الرياض (المملكة العربية السعودية) ط02، 1416هـ-1995م.
- العمري مرزوق، نظرية الكسب عند الأشاعرة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة العربية، ط
- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة بجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (لبنان) ط02، أبريل 1989م.
- القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسين بن الهاشم، تحقيق وتقديم الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهيبة (القاهرة) ط03، 1416هـ-1996م.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ط02، 1384هـ - 1964م.
- فخر الدين الرازي (مفاتيح الغيث)، دار الفكر بيروت 1401هـ-1981م.
- لعموري عليش، تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي (الفارابي، الغزالي، ابن خلدون)، دار هومة للنشر والتوزيع (الجزائر) 2009.
- لروابوليو، الموجز في علم الاقتصاد. مطبعة المعارف، القاهرة، (1913).
- اللالكائي، شرح اعتقاد أهل السنة، خرج أحاديثه وعلق عليه أبو يعقوب نشأت بن كما المصري، دار البصيرة (مصر)
- محمد سعيد رمضان البوطي:
- كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر دمشق (سوريا) ط08 1982م.

- الإِنسان مسير أم مخير، طبع دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت (لبنان) ط10، 1435هـ-2014م .
- محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، مطبعة المنار (القاهرة).
- مبارك بن سيف بن سعيد الهاشمي ، نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات للدكتور ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع (سلطنة عمان) دط ن د.ت.
- محمد الغزالي
- عقيدة المسلم، دار المعرفة (الجزائر) د.ط، د.ت،
- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق، د.ط، د.
- محمد الصالح رمضان، كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ابن باديس رواية وتعليق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، ط1 1416 هـ 1995م.
- محمد البشير الإبراهيمي سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار الكتب 1982.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، طبع دار الفكر (دمشق)
- محمد حاج عيسى الجزائري، عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس ويليهِ أضاء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، تقديم الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس، دار الإمام مالك باب الوادي (الجزائر) ط01، 1424هـ-2003م
- مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر) ط02
- المدني ، كتاب الجزائر ، د.ط، د.ت .
- محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904م ، دراسة تاريخية تحليلية ، منشورات دحلب (الجزائر) د.ت .
- محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، دار موفم للنشر(الجزائر)2007م،
- مازن صلاح مطبقاني ، الشيخ عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، عالم الأفكار للنشر والتوزيع ، المحمدية (الجزائر) ط01 2005.
- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق ج08 ، دار الغرب الإسلامي ط01 1996-1417هـ.

- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر والتوزيع بوسعادة (الجزائر) طبعة خاصة 2013م .
- محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة الأمام محمد الخضر حسين، دار بيروت (2010)
- ملا علي القاري مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط01 1422هـ - 2001م .
- محمد ابن ابراهيم القادري، رفع الشبهات عما في القادرية والتيجانية من الشطحات، دط، د.ت. مبارك المليبي، رسالة الشرك ومظاهره، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ط03، 1982م.
- محمد دراجي، الإمام عبد الحميد بن باديس وجهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، دار الهدى (عين مليلة) - الجزائر - ط01، 2012م.
- محمد عز الدين الغرياني، الآيات المتشابهة بين التأويل والتفويض، د.ط، د.ت.
- مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ط06 2011م.¹ مصطفى -مولود محمول، المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيجل (الجزائر) ط01، 2015م.
- محمد بن إبراهيم القادري ومساعدة الحاج علي أبو بكر جبنا التجاني القادري رفع الشبهات عما في القادرية و التيجانية من الشطحات إخراج لجنة جماعية الصوفية في مدينة الورد (نيجيريا) برئاسة الحاج { دط . دت
- محمد عبد الله الحمادي، أصول العقيدة التي قررها الأئمة المالكية، دار الإمام مالك (الجزائر)، ط01، 1435هـ - 2014م .
- محمد علي دوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورته المباركة، مطبعة البعث قسنطينة 1978.
- محمد بن عبد الوهاب الوصابي، لا إله إلا الله معناها أركانها دلالتها منطوقها ومفهومها شروطها نواقضها مقتضاها، دار المحسن للنشر والتوزيع (الجزائر)، ط01، 1430هـ - 2009م
- مصطفى بن عبد الرحمن باشتارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، الشيخ القسنطيني (ت 1252هـ) تحقيق ودراسة الدكتور عبد المنعم القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع (الجزائر) ط01، 1437هـ - 2016م.
- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب (الجزائر) ط03، 1352هـ

-محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، دار الغرب الإسلامي ط03، 1427-2007م.

-مالك بن نبي:

شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، طبع دار الفكر (دمشق)

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر المعاصر بيروت (لبنان) دار الفكر دمشق سوريا 1401هـ-1981م.

مذكرات شاهد القرن، دار الفكر المعاصر بيروت (لبنان) ، دار الفكر دمشق (سوريا) ط02 1404هـ-1984م.

آفاق جزائرية، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية 1964.

وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، مصر ط01، 1959م

المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر، بيروت، (لبنان) ، ط3 1987

-مازن صالح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرياني والزعيم السياسي، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الحمديّة (الجزائر) ط01، 2005م.

-محمد المنصوري الغسيري ، صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير ، عبد الحميد بن باديس ، تقديم وتعليق د/ مسعود بن موسى فلوسي ، مطبعة عمار قرني ، باتنة (الجزائر) ط01، 1427هـ-2006م

- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير : الدار التونسية للنشر (تونس) 1984 هـ .

-محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، ط السادسة، رمضان 1383 هـ 1964 م .

-محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، نشر دار الكتب العلمية بلبنان ، ط01، 1424هـ-

-محمد البشير الإبراهيمي سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار الكتب 1982.

-محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة بيروت (لبنان) ط02.

- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، دار المعارف بمصر، ط04.د.ت.

-محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، دار الصمعي، د.ط، د.ت، المملكة العربية السعودية.

- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تحقيق د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية (الإسكندرية).
- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي بيروت (لبنان) ط02 1401هـ-1981م.
- محمد جواد مغنية، الإسلام والعقل، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، مارس 1967م.
- محمد زاهد الكوثري:
- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، المكتبة الأزهرية للتراث (مصر)
- الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار، (المطبعة الأزهرية للتراث).
- النسائي، الجامع الصحيح، دراسة وتحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة (الرباط).
- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر) ط02، د.ت.
- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان) ط02، 1992م.
- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830م-1954م، دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر) طبعة خاصة 2009.

المقالات

- سامي محمود ابراهيم دكيورك مرزينا كرومي : إشكالية علاقة العقل والنقل بين الغزالي وابن رشد، مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل، العدد 15 المجلد الثامن، 2014م.
- بوشناق محمد، آثار السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري
- بن تركية عبد الحكيم، التعليم الاستدماري في الجزائر (1830-1962).
- كوسة نور الدين دور الدراسات الانترولوجية في تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع

الجزائري

- صبيحة بخوش، الدور الاستعماري للمدرسة الفرنسية في الجزائر.
- مقالات منشورة في : حوليات التاريخ والجغرافيا مجلة محكمة تصدر عن مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر) العدد الثالث خاص بأعمال الملتقى الوطني الثاني حول: مظالم الإستعمار الفرنسي في الجزائر- الذي احتضنته المدرسة العليا للأساتذة يومي 17-18 أفريل 2007م.

-محمد السعيد قاصدي، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديد ع18 عدد خاص بقسنطينة صيف أوت 1436هـ-2015م.

-محمد أرزقي فراد ، صمود العربية في وجه سياسة التجهيل الفرنسية، جريدة الشروق ، عدد 1644 ، الأحد 26 مارس 2006 م .

-محمد كمال شبانة ، المدن الثقافية الإسلامية (فاس) مقال منشور في " دعوة الحق " مجلة شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، العدد 253 محرم-صفر-ربيع 1406 / أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر . 1985 .

-نفيسة دويد، ملامح الريادة عند الشيخ عبد القادر المجاوي.

-عبد القادر قوبع جامعة المسيلة ، الشيخ عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحية.

-عبد الرزاق بلعباس، البعد الاقتصادي عند الشيخ المجاوي.

مداخلات مقدمة لأعمال الملتقى الوطني(الشيخ عبد القادر المجاوي) أيام 2-3 محرم 1433 هـ الموافق 27-28 نوفمبر 2011م بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف .

-قندوز ماحي . حاضرة تلمسان و مساهمة فقهاؤها في خدمة المذهب المالكي ، محاضرة مقدمة

لأشغال الملتقى الوطني الثاني جهود الفقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي (1413 ربيع الثاني 1433 هـ) (07.06 مارس 2012 م) قسم العلوم الإسلامية معهد العلوم الاجتماعية و الانسانية جامعة الوادي (الجزائر) .

- مولود عويمر ، الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة ، مجلة الوعي ، العدد المزدوج (3-4) جمادى الأولى والثانية 1432هـ/أفريل-ماي 2011 م .

-سامي محمود ابراهيم د كيورك مرزينا كرومي : إشكالية علاقة العقل والنقل بين الغزالي وابن رشد، مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل ، العدد 15 المجلد الثامن، 2014م.

-هارون الرشيد بن موسى ، العلاقة بين الحركة الصوفية والإصلاحية (ابن باديس ، الطاهر العبيدي انموذجا) مجلة العلوم الإسلامية ، جامعة عمار تليجي بالأغواط العدد 09، ص 598.

-انظر محمد الصالح رمضان ، أقطاب السلفية في الجزائر، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر-2007م .

المواقع الإلكترونية

انظر الحاج سيدي محمد الشريف بن سيدي عبود باش تارزي، سلسلة مشائخ ومقاديم الطريقة الرحمانية وأعلامها، بحت منشور في الموقع :

الرسائل الجامعية

أحمد عيساوي، الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية إشراف الدكتور يحي اسماعيل رضوان، قسم العقيدة، جامعة الجزائر، 2002م.

حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران، إعداد الطالب أحمد مجري-إشراف أ.د محمد بن معمر. 2012-2013م.

القاضي عياض وجهوده العقيدية في مبحث الإلهيات والنبوات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 1430-1431هـ-2009-2010م.

،الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1848م-1914م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، إعداد دريادي حميدة، إشراف الأستاذ بن عدة عبد المجيد، جامعة الجزائر، (2011م-2012).

عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين 1900-1925م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور جمال قنان، جامعة الجزائر 1991-1992م.

تأويل المسائل الكلامية عند الديسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع فلسفة التأويل، إعداد الطالبة، هالة بقاش، إشراف د بهادي منير 2011-2012م.

المراجع الأجنبية

-Emile gautier.le darwinisme social.etude de philosophinesociale.editionsdervaux paris (1880)

-Mllthus essai sur le principe de population traduit de l'angalais par P. et G prévost (1817)

-Georgsphotiostapinos.paulleroy-beaulieu et la question de la population:l'impératif démographique limite du libéralisme économique.P103

-Eric baschet.l'illustration des années 1892-1898.in histoire d'un siècle(1843-1944)paris éditions l'illustration 1985 .

-Les echos(1900-2000) Un siècle d'économie .

-Guy preville les étudiants algériens de l'université française 1880-1962
centre national de la recherche scientifique paris 1984 .

-j.desparmet la réaction linguistique en algérie bulletin société de
géographie d'algérie et de l'afric du nord 36 année 1^{er} trimestre 1931.

-Yvanneturine affrontement culturelle dans l'Algérie coloniale française
masperoparis 1971

.-A.MERAD.LE REFORMISME MUSULMANON ALGERIE PARIS 1967

جامعة الزيتونة
عبد القادر للطوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

شرشال 03 - 15	أولاد عيبدون (الميلية) 06
مليانة -03 18	الأندلس 52
المغرب 41 - 42 - 56 - 64 - 67	بني مناصر 03
مازونة 10 - 17	بجاية 09 - 17 - 31
مراكش 59	البرواقية 74
عين الترك 02 عين بسام 03	البويرة 03
العاصمة 10 - 26 - 47	تبسة 06
المغرب العربي 43 -	تيطوان 43-44
معسكر 16 مليانة 16	تلمسان 09 - 11 - 14 - 15 - 41 .42 .46
القاهرة 56	50...48 55-56-60-64-65
معسكر 16 مليانة 16	تونس 68
فاس 43 .44 .47 .50..51..52-59-	الحجاز 56
60 - 65 - 66-67	فرنسا، 03-05-07-20-
قسنطينة 09 - 10 - 17 - 19 .23	61- 34...47..29.26..
46...47...50...51..57..66..67...68..	الجزائر -02--03-04-05-07-14-
69	17-18-19-.22-.33..23
القبائل 29 35	37..41..46..48..54..56...57..59
قرطبة 52 القيروان 51-52	70-68..61..60
وادي ميزاب 15-71	الشريعة 07 دمشق 18 طنجة 43-44

فهرس الأعلام

حرف الألف

أبي مدين التلمساني 211

أبو الحسن الشاذلي 259

أبي النجيب السهروردي: 235

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي: 236

أبو القاسم الجنيد: 211 236

أبو عمران الفاسي 66

أبو عيسى بن محمد الثعالبي 15

أبو الحسن 12

أحمد الثغري 16

أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي المغربي

45

إسماعيل الجرومي: 233

إبراهيم الزاهد الكيلاني: 235

حرف الباء

ابن البناء 51

ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني 14-

ابن العنابي 30---34.33-35-36-

30-40

عبد الرحمان الثعالبي 11 - 211	جعفر بن ادريس الكتاني 45
عمران بن موسى الفاسي 51	حرف الدال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه 238	داود بن نصير الطائي : 237
عاشور الخنقي 65 - 277	الدردير 12
عبد الرحمان الثعالبي 11 - 31 - 211	حرف الراء
عبد الرزاق بن حمادوش 16	ركن الدين محمد الزنجاني ، : 235
علي قرا باشا الولي : 233	حرف الزاي
عمر الخلوئي 234	زكريا الأنصاري. 11
عبد اللطيف الحلبي 232	الزنجاني 11
عز الدين الشرواني: 234	الزرقاني 12
عمر البكري : 235	حرف السين
علي النوي. 11	سعد الدين التفتازاني 11 - 12
عمر بن محمد المنقلاقي القبائلي 15	حرف الشين
عبد الرحمن الأخضرى 224	شهاب الدين محمد الشيرازي: : 235
حرف القاف	شعبان القسطموني : 233
قطب الدين الأبهري: 235	حرف الصاد
القراني 13	صدر الدين عمر الخياوي: 234
القسطلاني 12	صالح بن مهنا القسنطيني 67..68..69
حرف الكاف	239
الكافي 11	حرف الطاء
حرف اللام	الطيب يعقوبي 44
	حرف العين

...93..92..91..90...89..88...85
..102..100...99...98...97...95
108...107..106..105..104..103
..119...116..113...112..111..
125..124..123..122...121..120
..130..129..128..127..126..
.137..136..134..133..132..131
.152..149..147..143...138.
175 174 172 170 167 163 159
182 181 179 178 177 176
205 202 201 199 198 197 194
216 215 214 212 210 208
239 238 232 229 222 220 219
260 259 256 250 249 248
268 267 266 265 263 262 261
271 270
280 279 278 277 275 274 273
286 285 284 283 282 281
297 294 292 291 289 288 287
320 319 314 312 307 306
323 322

محمد بن الطيب البوعزاوي الشاوي 59

محمد بن محمد النجار الشغشاوي 46

محمد المشدالي 16

مصطفى بن محمد زادي 71

مفضل افيال 44

اللقاني : 11

حرف الميم

محمد بن الطيب البوعزاوي الشاوي 45

محمد بن سودة، 59

محمد التواتي البجائي 211

محمد بن عبد الرحمن، 232

مصطفى بن كمال الدين البكري 232

مصطفى أفندي الأدرنوي: 233

محي الدين القسطموني: 233 عن

محمد مبرام الخلوئي: 234

محمد الخلوئي: 235

محمد بهاء الدين الأرنجاني: 234

محمد البكري: 235

ممشاد الدينوري:

معروف الكرخي: 236

محمد المشدالي 16

محمد العابد بن سودة 44

محمد قنون 44

المجاوي 01، 15-19 . 40 . 41..

..49....48.....47..46..43....42

-59...57...55..54. -53 -....50

.66..65..64.. 63 62..61.. 60

..83...80..79..78...71..70..67

المكودي 11 -	حرف الياء
ميارة 12-46	يجي الباكوي: 234
المكودي 11	حرف الواو
	وجيه الدين القاضي: 235

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية
62	الأحزاب 21 ﴿ حَسَنَةٌ إِسْوَةٌ لِلَّهِ رَسُولٍ فِي لَكُمْ كَانَ لَفَدَّ
72	وَإِخْرَ الْكِتَابِ هُمْ هُنَّ مُحْكَمَتٌ ءَايَتٌ مِنْهُ الْكِتَابَ عَلَيْكَ أَنْزَلَ الَّذِينَ هُوَ ﴿ الْمِثْنَةَ إِبْتِغَاءً مِنْهُ تَشْبَهُ مَا بِيَتَّبِعُونَ رِيحٌ فُلُوبِهِمْ فِي الَّذِينَ فَأَمَّا مِتَشَبِهَتْ بِهِ ءَامَنَّا يَقُولُونَ أَلْعِلْمِ فِي وَالرَّاسِخُونَ اللَّهُ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَعْلَمُ وَمَا تَأْوِيلَهُ ءَابْتِغَاءً ﴿ ءال عمران آية 07..... أَلْأَلْبَابِ أُولُوا إِلَّا يَذَكَّرْ وَمَا رَبَّنَا عِنْدِ مَنْ كُلُّ

74	﴿سورة الشورى آية 11﴾ ﴿الْبَصِيرُ السَّمِيعُ وَهُوَ شَعْنٌ كَمِثْلِهِ لَيْسَ﴾ ﴿السجدة آية 13﴾ ﴿أَجْمَعِينَ وَالنَّاسِ الْجِنَّةِ﴾
74	﴿سورة طه الآيات 39﴾ ﴿عَيْنِي عَلَىٰ وَابِئْتَصْنَعْ﴾
77	﴿سورة 31﴾ ﴿تَقُومُ حِينَ رَبِّكَ بِحَمْدٍ وَسَبِّحْ بِأَعْيُنِنَا فَإِنَّكَ لِحَكْمٍ وَاصِرٌ﴾ 46 الطور الآية
77	﴿سورة طه الآيات 05﴾ ﴿إِسْتَوَىٰ الْعَرْشُ عَلَىٰ الرَّحْمٰنِ وَقَالَ تَعَالَىٰ﴾
77	﴿سورة ق الآيات 16﴾ ﴿لَوْرِيدٍ حَبَلٍ مِنْ إِلَيْهِ أَقْرَبُ وَنَحْنُ وَقَوْلُهُ﴾
77	17 ﴿سورة تبارك الآيات﴾ ﴿يُخَسِّفُ أَنْ السَّمَاءِ فِي مَسَاءٍ آمِنْتُمْ﴾
77	﴿الزخرف 36﴾ ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَهُوَ إِلَهٌ الْأَرْضِ وَفِي الْإِلَهِ السَّمَاءِ فِي الْأَذَىٰ وَهُوَ وَقَوْلُهُ﴾ الآية 84.
81	« الفتح 10 أَيْدِيهِمْ فَوْقَ اللَّهِ يَدٌ »
82	﴿الاعلى 74﴾ ﴿أَلْعَالِيْنَ مِنْ كُنْتَ أَمْ أَسْتَكْبَرْتَ بِيَدِي خَلَفْتُ لِمَا تَسْجُدُ أَنْ مَنَعَكَ مَا﴾ ص 74
82	« طه 39 عَيْنِي عَلَىٰ وَابِئْتَصْنَعْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ »
82	« الطور 46 بِأَعْيُنِنَا فَإِنَّكَ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ »
82	« القمر 14 بِأَعْيُنِنَا تَجْرِمُ وَقَوْلُهُ »
84	﴿سورة النجم: آية 3-4﴾ ﴿يُوجِبِي وَحْيِي إِلَّا هُوَ إِنْ﴾ ﴿الْهَوَىٰ عَنِ بِنْتِطُو وَمَا﴾
84	﴿سورة الحشر: 7﴾ ﴿الْعِقَابِ شَدِيدُ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَأَنْفُوا بِأَنْتَهُوَ عَنْهُ نَهَيْكُمْ وَمَا بَخْدُوهُ الرَّسُولَ أَتَيْكُمْ وَمَا وَقَوْلُهُ أَيْضًا﴾
93	﴿النور﴾ ﴿عَلِيمٌ شَعْنٌ بِكُلِّ وَاللَّهُ لِلنَّاسِ الْأَمْثَلُ اللَّهُ وَيَضْرِبُ يَشَاءُ مَنْ لِنُورِهِ اللَّهُ﴾ الآية 35
94	﴿الروم الآيات 30﴾ ﴿عَلَيْهَا النَّاسُ فَلَقَرِ أَلْتِي اللَّهُ فَلَقَرْتَ حَنِيمًا لِلدِّينِ وَجْهَكَ بِأَفِيمُ﴾
99	﴿رميم﴾ ﴿وَهِيَ الْعِظَامُ يُحْيِي مَنْ قَالَ خَلْفَهُ، وَنَسِيَ مَثَلًا لَنَا وَضَرَبَ﴾

	﴿يسن الآية 79..﴾ عَلِيمٌ خَلِيٌّ بِكُلِّ وَهُوَ مَرَّةٌ أَوَّلٌ أَنْشَأَهَا أَلِدَتْ
112	﴿الأنبياء الآية 25﴾ ﴿قَابِغِدُونَ أَنَا وَإِلَّا إِلَهَ لَا أَنَّهُ إِلَيْهِ يُوجَى إِلَّا رَسُولٍ مِّن قَبْلِكَ مِّن أَرْسَلْنَا وَمَا﴾
117	﴿سورة البقرة﴾ ﴿عَلَيْكُمْ إِبْتَدَى مَا يَمِثِلُ عَلَيْهِ فَبَاعْتَدُوا عَلَيْكُمْ إِبْتَدَى مِمَّن﴾ الآية ١٩٤،
117	﴿البقرة الآية 193﴾ ﴿الظَّالِمِينَ عَلَى إِلَّا غَدَوَانَ فَلَا﴾
123	﴿آل عمران الآية ١٩٠﴾ ﴿الْأَلْبَابِ لِأُولِيءَ لَيْتٍ وَالنَّهَارِ لَيْلٍ وَاخْتَلَفِ وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ خَلِيٌّ فِي إِنْ...﴾
123	﴿الواقعة الآية ٥٨ - ٥٩﴾ ﴿الْخَلِيفُونَ نَحْنُ أُمَّ تَخْلِفُونَهُ ءَأَنْتُمْ﴾ ﴿تُؤْمِنُونَ مَا أَقْبَرْتُمْ﴾
124	﴿الأعراف الآية ١٧٩﴾ ﴿لَا ءَأَذَانَ وَلَهُمْ بِهَا يُبْصِرُونَ لَا أَعْيُنٌ وَلَهُمْ بِهَا يَفْقَهُونَ لَا قُلُوبٌ لَهُمْ﴾ ﴿الْعَمَلُونَ هُمْ ءَوَلِيكَ أَضَلُّ هُمْ بَلْ كَالنَّعْمِ ءَوَلِيكَ بِهَا يَسْمَعُونَ﴾
125	﴿يس الآية ٢٦﴾ ﴿الْقَدِيمِ كَالْعُرْجُونِ﴾
126	﴿الرحمن الآية ٢٦﴾ ﴿وَالْأَكْرَامِ أَلْجَلَّلِ ذُو رَبِّكَ وَجْهٌ وَيَبْنِي﴾ ﴿بَانَ عَلَيْهَا مَن كَلَّ﴾ 26
126	﴿القصص الآية 88﴾ ﴿تُرْجَعُونَ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ لَهُ وَجَهَّةٌ إِلَّا هَالِكُ شَيْءٍ كُلِّ قَوْلِهِ﴾
129	﴿آل عمران الآية 189﴾ ﴿فَدِيرُ شَيْءٍ كُلِّ عَلَى وَاللَّهِ﴾
129	﴿فاطر الآية 44﴾ ﴿فَدِيرًا عَلِيمًا﴾ ﴿كَانَ إِنَّهُ، الْأَرْضِ فِي وَلَا السَّمَوَاتِ فِي شَيْءٍ مِّن لِيُعْجِزَهُ. اللَّهُ كَانَ وَمَا قَوْلِهِ﴾
129	﴿فاطر الآية 03﴾ ﴿تَوْفِكُونَ﴾ ﴿فَأَبَى هُوَ إِلَّا إِلَهَ لَا وَالْأَرْضِ السَّمَاءِ مَن يَبْرُزُكُمْ اللَّهُ عَمِيرُ خَلِيٍّ مِّن هَلْ قَوْلِهِ﴾
129	﴿الرعد الآية ٤﴾ ﴿يَعْمَلُونَ لِقَوْمٍ لَّا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَعَمِيرٌ صِنَوَانٍ وَنَخِيلٍ وَرَزَعٍ أَعْتَبِ مِمَّن وَجَنَّتْ مَتَجَلِيْرَاتٍ فِطْعَ الْأَرْضِ وَفِي﴾ ﴿ذَلِكَ فِي إِنْ الْأَكْلِ فِي بَعْضٍ عَلَى بَعْضِهَا وَتُقْبِضُ وَاحِدٍ بِمَاءٍ تُسْفِي صِنَوَانٍ﴾

130	81 . ﴿يسن الآية ﴿٨١﴾ فَيَكُونُ كُنْ لَهُ، يَقُولُ أَنْ شَيْعاً أَرَادَ إِذَا أَمْرُهُ؛ إِنَّمَا﴾
130	﴿الروح الآية 16﴾ ﴿يُرِيدُ لِمَا فَعَالَ وَقَوْلُهُ﴾
130	175 ﴿النساء الآية ﴿١٧٥﴾ عَلِيمٌ شَيْءٌ بِكُلِّ وَاللَّهِ﴾
131	﴿البقرة الآية 253-254. نَوْمٌ وَلَا سِنَّةٌ تَأْخُذُهُ، لَا ﴿٢٥٣﴾ أَلْفَيَوْمٍ أَلْحَىٰ هُوَ إِلَّا إِلَهَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
132	﴿الشورى الآية 09﴾ ﴿الْبَصِيرُ السَّمِيعُ وَهُوَ شَيْءٌ كَمِثْلِهِ لَيْسَ﴾
135	﴿المجادلة الآية 09﴾ ﴿الْمَصِيرُ فَيَسَّ يَصَلُونَهَا جَهَنَّمَ حَسْبُهُمْ نَقُولُ بِمَا اللَّهُ يَعِدُّنَا لَوْلَا أَنْفُسِهِمْ فِي وَيَقُولُونَ﴾
135	﴿...﴾ ﴿لَكُمْ يُبَدُونَ لَا مَا أَنْفُسِهِمْ فِي يُخْفُونَ وَقَالَ أَيْضاً﴾
136	﴿يَمَا أَعْلَمُ وَاللَّهُ مَكَانًا شَرُّ أَنْتُمْ قَالَ لَهُمْ يُبْدِيهَا وَلَمْ نَفْسِهِ فِي يُوسُفَ فَأَسْرَهَا﴾ ﴿يوسف الآية 77﴾ ﴿تَصْبِقُونَ﴾
138	﴿النساء الآية 163﴾ ﴿تَكْلِيمًا مُوسَىٰ اللَّهُ وَكَلَّمَ﴾
138	﴿﴿٤﴾ ﴿وَزَعُونَ فِعْصِي﴾ ﴿﴿٧﴾ ﴿مُوسَىٰ وَقَالَ﴾ ﴿﴿٨﴾ ﴿نُوحًا أَرْسَلْنَا إِنَّا﴾
142	﴿وَالْإِنْجِيلَ التَّوْرِيَّةَ وَأَنْزَلَ يَدَيْهِ بَيْنَ لَمَّا مُصَدِّقًا بِالْحَقِّ أَلْكِتَابَ عَلَيْكَ نَزَّلَ﴾ ﴿آل عمران الآية 2-04﴾ ﴿أَلْفُرْقَانَ وَأَنْزَلَ لِلنَّاسِ هُدًى قَبْلَ مِ﴾
142	﴿طه الآية 12﴾ ﴿يُوجَىٰ لِمَا فَاسْتَمِعَ إِخْتَرْتِكَ وَأَنَا﴾
151	﴿البقرة الآية 120﴾ ﴿تَلَوْتِيهِ حَقَّ يَتْلُونَهُ، أَلْكِتَابَ ءَاتَيْنَاهُمْ إِلْذِينَ﴾
151	﴿القيامة الآية 16﴾ ﴿وَفُرْءَانَهُ، جَمَعَهُ، عَلَيْنَا إِنْ وَقَوْلُهُ﴾
151	﴿القيامة الآية 19﴾ ﴿يَبَاثُهُ، عَلَيْنَا إِنْ تَمَّ﴾
151	﴿الواقعة الآية 77-78﴾ ﴿مَكْنُونٍ كِتَابٍ فِي﴾ ﴿﴿٨﴾ ﴿كَرِيمٍ لَفُرْءَانِ إِنْهُ﴾
152	﴿البينة الآية 2-3﴾ ﴿فَيْمَةً كُتِبَ فِيهَا﴾ ﴿﴿٣﴾ ﴿مُطَهَّرَةً ضَحْبًا يَتْلُونَ﴾
152	﴿العنكبوت الآية 45﴾ ﴿أَلْكِتَابِ مِنْ إِلَيْكَ اءُوجَىٰ مَا آتَلَ﴾
157	﴿الذاريات الآية 56﴾ ﴿لِيَعْبُدُوا إِلَّا وَالْإِنْسَ الْجِنَّ خَلَفَتْ وَمَا﴾
157	﴿طَهُورًا مَاءَ السَّمَاءِ مِنْ وَأَنْزَلْنَا رَحْمَتِيهِ يَدْعَىٰ بَيْنَ نُسْرًا الرِّيحَ أَرْسَلَ اءُذَىٰ وَهُوَ﴾ ﴿الفرقان﴾ ﴿﴿٤٤﴾ ﴿كَثِيرًا وَأَنْاسِيَّ أَنْعَمًا خَلَفْنَا مِمَّا وَنُسْفِيَهُ، مَيْتًا بَلْدَةً بِهِ لِنُحْيِي﴾ ﴿﴿٤٤﴾﴾ الآية 48-49

158	﴿البقرة الآية 268 يَشَاءُ مِنَ الْحِكْمَةِ يُوتَى﴾
158	﴿وَكَانَ الرُّسُلُ بَعْدَ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ يَكُونُ لِنَبِيٍّ وَمُنذِرِينَ مُبَشِّرِينَ رُسُلًا﴾ . النساء الآية 164 . ﴿حَكِيمًا عَزِيزًا اللَّهُ﴾
158	﴿سورة الحشر الآية 7﴾ مِنْكُمْ الْأَغْنِيَاءُ بَيْنَ دَوْلَةٍ يَكُونُ لَا كَعِ﴾
159	﴿مِنَ الَّذِينَ عَلَى كُتُبٍ كَمَا الصِّيَامُ عَلَيْكُمْ كُتِبَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا﴾ ﴿البقرة الآية 183﴾ تَتَفَوَّنَ لَعَلَّكُمْ فَبَلِّغُوا
163	﴿المطففين: ١٤﴾ يَكْسِبُونَ كَانُوا مَا فُلُو بِهِمْ عَلَى رَانَ بَلَّ كَلَّا﴾
163	﴿عَنِ غَنِيِّ اللَّهِ فَإِنَّ كَفَرَ وَمَنْ سَبِيلًا إِلَيْهِ اسْتَطَاعَ مِنَ النَّبِيِّ حَجَّ النَّاسِ عَلَى وَلِيهِ﴾ ﴿آل عمران الآية 96﴾ أَلْعَلِّمِينَ
165	﴿هود الآية 20﴾ يُبْصِرُونَ كَانُوا وَمَا أَسْمَعَ يَسْتَطِيعُونَ كَانُوا مَا﴾
169	﴿البقرة الآية 286﴾ وَسَعَهَا إِلَّا نَفْسًا اللَّهُ يَكَلِّفُ لَا﴾
173	﴿تَفْعَالًا بِكُمْ أَرَادَ أَوْ ضَرًّا بِكُمْ أَرَادَ إِنْ شِئْنَا اللَّهُ مِّنْ لَّكُمْ يَمْلِكُ فَمَنْ فُل﴾ ﴿الفتح: ١١﴾ حَبِيرًا تَعْمَلُونَ بِمَا اللَّهُ كَانَ بَلَّ
173	﴿يس: ٨٢﴾ فَيَكُونُ كُنْ لَهُ يَقُولُ أَنْ شِئْنَا أَرَادَ إِذَا أَمْرُهُ: إِنَّمَا﴾
173	﴿الزمر: 08﴾ لَكُمْ يَرْضَاهُ تَشْكُرُوا وَإِنْ أَلْكَفَرَّ لِعِبَادِهِ يَرْضَى وَلَا﴾
173	﴿البينة: ٨﴾ رَبِّهِ: حَشَى لِمَنْ ذَلِكَ عَنْهُ وَرَضُوا عَنْهُمْ اللَّهُ رَضَى﴾
173	﴿الْفَقِيمُ عَنِ يَرْضَى لَا اللَّهُ فَإِنَّ عَنْهُمْ تَرْضُوا فَإِنْ عَنْهُمْ لِيَرْضُوا لَكُمْ يَحْلِفُونَ﴾ ﴿التوبة: ٩٦﴾ أَلْفَلْسَفِينَ
174	﴿غافر الآية 31﴾ لِّلْعِبَادِ ظُلْمًا يَرِيدُ اللَّهُ وَمَا﴾
174	﴿الزمر: ٧﴾ أَلْكَفَرَّ لِعِبَادِهِ يَرْضَى وَلَا وَقَوْلُهُ﴾
174	﴿الأعراف: 2...﴾ بِالْحَشَاءِ يَأْمُرُ لَا اللَّهُ إِنْ فُلٍ وَقَوْلُهُ﴾
174	﴿البقرة الآية 203﴾ أَلْقَسَادَ يَحِبُّ لَا وَاللَّهُ وَقَوْلُهُ﴾
174	﴿الزمر: ٧.....1﴾ لَكُمْ يَرْضَاهُ تَشْكُرُوا وَإِنْ وَقَوْلُهُ﴾
175	﴿الزخرف: ٨٧.....175﴾ يُؤْفِكُونَ فَأَبَى اللَّهُ لِيَقُولَ خَلَقَهُمْ مَنْ سَأَلْتَهُمْ وَلَيْسَ﴾

186	﴿ الإنسان الآية 30 ﴿ اللهُ يَشَاءُ أَنْ إِلَّا تَشَاءُونَ وَمَا ﴾
190	﴿ النحل آية 17 ﴿ تَذَكَّرُونَ أَفَلَا يَخْلُقُ لَكُمْ مَا يَخْلُقُ أَفَمَنْ ﴾
190	﴿ كُلِّ عَلَى وَهُوَ بِعِبَادَتِهِ شَيْءٌ كُلِّ خَلْقٍ هُوَ إِلَّا إِلَهَ لَا رَبُّكُمْ اللهُ ذَلِكَ ﴾ ﴿ الأنعام الآية 103 ﴿ وَكَيْلَ شَيْءٍ ﴾
190	﴿ الرعد الآية 17 ﴿ أَلْفَهْرُ الْوَاحِدِ وَهُوَ شَيْءٌ كُلِّ خَلْقٍ اللهُ فُلِ ﴾
190	﴿ الأنبياء الآية 23 ﴿ يُسْأَلُونَ وَهُمْ يَفْعَلُ عَمَّا لَا يُسْأَلُ ﴾
192	﴿ عَمَّا تُسْأَلُونَ وَلَا كَسَبْتُمْ مِمَّا وَلَكُمْ كَسَبْتُمْ مِمَّا لَهَا خَلَّتْ قَدْ أُمَّةٌ تِلْكَ ﴾ ﴿ سورة البقرة آية 141 ﴿ يَعْمَلُونَ كَانُوا ﴾
194	﴿ فاطر الآية 08 ﴿ يَشَاءُ مَنْ وَيَهْدِي يَشَاءُ مَنْ يُضِلُّ اللهُ فَإِنَّ ﴾
194	﴿ الليل الآية 03 ﴿ وَالْأَنْبِيَاءُ أَلْذَكَرَ خَلَقَ وَمَا ﴾
194	﴿ الشورى الآية 49 ﴿ مُسْتَفِيمٍ صِرَاطٍ إِلَى لَتَهْدِي وَإِنَّكَ ﴾
195	﴿ تَعْلَمُونَ وَأَنْتُمْ أَنْدَاداً لِلَّهِ تَجْعَلُوا فَلَا لَكُمْ رِزْقاً الثَّمَرَاتِ مِنْ بِهِ فَأَخْرَجَ ﴾ ﴿ البقرة الآية 22 ﴿ ﴾
196	﴿ مريم: 24 ﴿ حَنِيفاً رُطْباً عَلَيْكَ تَسْفِطُ النَّخْلَةَ بِجِدْعِ إِلَيْكَ وَهَرَّتْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴾
198	﴿ الكهف الآية ﴿ سَبَباً شَيْءٍ كُلِّ مِنْ وَعَاتَيْنَهُ الْأَرْضِ بِهِ لَهُ مَكَّنَّا إِنَّا ﴾ 198.....83
203	﴿ يَعْلَمُ اللهُ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَدُنَيْكَ وَاسْتَعْفِرُ اللهُ إِلَّا إِلَهَ لَا أَنَّهُ فَاغْلَمَ ﴾ ﴿ محمد: 20 ﴿ وَمَثُوبِكُمْ مُتَقَلِّبِكُمْ ﴾
203	﴿ طه: 107 ﴿ عَلِمًا بِهِ يَحِيطُونَ وَلَا خَلَقَهُمْ وَمَا أَيْدِيهِمْ بَيْنَ مَا يَعْلَمُ ﴾
204	﴿ الأنعام: 103 ﴿ الْخَبِيرُ اللَّطِيفُ وَهُوَ الْأَبْصَرُ يُدْرِكُ وَهُوَ الْأَبْصَرُ تُدْرِكُهُ لَا ﴾
204	﴿ تَسْأَلُوا وَإِنْ تَسْأَلُوا لَكُمْ تُبَدِّ إِنْ أَشْيَاءَ عَنْ تَسْأَلُوا لَأَمْنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا ﴾ ﴿ المؤمنة ﴿ حَلِيمٌ غَفُورٌ وَاللهُ عَنْهَا اللهُ عَقَبَا لَكُمْ تُبَدِّ الْفُرْءَانُ يُنَزِّلُ حِينَ عَنْهَا ﴾ آية 103

212	﴿ الشمس الآية 09 ﴾ رَكَيبَهَا مَسْ أَفْلَحَ قَدَّ ﴿﴾
212	﴿ اللُّغُو عِي هُمُ وَالذِّينَ ﴾ خَشِعُونَ صَلَاتِهِمْ فِي هُمُ الَّذِينَ ﴿﴾ الْمُؤْمِنُونَ أَفْلَحَ قَدَّ ﴿﴾ ﴿ حَاطِطُونَ لِيُرْوَجِهِمْ هُمُ وَالذِّينَ ﴾ ﴿﴾ فَيَعْلُونَ لِلزَّكَاةِ هُمُ وَالذِّينَ ﴿﴾ مُعْرِضُونَ ﴿ بُتَغِي فَمَسِ ﴾ ﴿﴾ مَلُومِينَ غَيْرَ فَبِإِنَّهُمْ أَيْمَنُتُهُمْ مَلَكَتْ مَا أَوْ أَرْوَجِهِمْ عَلَى إِلَّا ﴿ رَاعُونَ وَعَهْدِهِمْ لَأَمْتَنَتِيهِمْ هُمُ وَالذِّينَ ﴾ ﴿﴾ أَلْعَادُونَ هُمُ فَاهُؤَلَيْكَ ذَلِكَ وَرَاءَ ﴿ يَرْتُونَ الَّذِينَ ﴾ ﴿﴾ أَلْوَارِثُونَ هُمُ فَاهُؤَلَيْكَ ﴿﴾ يُحَاطِطُونَ صَلَوَاتِهِمْ عَلَى هُمُ وَالذِّينَ ﴿ المؤمنون الآيات من 1-11 خَلِدُونَ فِيهَا هُمُ الْهَرْدُوسَ ﴾
213	﴿ العلق الآية 19 ﴾ ﴿﴾ وَأَفْتَرِبِ وَأَسْجُدْ وَقَوْلُهُ ﴿﴾
213	﴿ الْكِتَابِ وَيُعَلِّمُهُمُ ءَاتِيكَ عَلَيْهِمْ ﴾ يَتْلُوا مِنْهُمْ رَسُولًا بِهِمْ وَأَبْعَثْ رَبَّنَا ﴿﴾ ﴿ البقرة الآية 129 ﴾ ﴿﴾ الْحَكِيمُ الْعَزِيزُ أَنْتَ إِنَّكَ وَبِرَكَيبِهِمْ وَالْحِكْمَةَ
217	﴿ الأعراف الآية 199 ﴾ ﴿﴾ أَلْجَاهِلِينَ عِي وَأَعْرِضْ بِالْعَرْفِ وَأَمْرُ الْعَقْبِ خَذِ ﴿﴾
218	﴿ قَالُوا أَلْجَاهِلُونَ خَاطَبَهُمْ وَإِذَا هُوْنَا أَلْأَرْضِ عَلَى يَمْسُونَ الَّذِينَ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ ﴿﴾ ﴿ الفرقان آية 63، وقوله ﴾ ﴿﴾ سَلَمًا
218	﴿ وَبَيْنَهُ بَيْنَكَ الَّذِي فَإِذَا أَحْسَنُ هِيَ بِالْتِي إِدْبَعِ السَّيِّئَةَ وَلَا أَلْحَسَنَةَ تَسْتَوِي وَلَا ﴾ ﴿﴾ ﴿ فصلت آية 34 ﴾ ﴿﴾ حَمِيمٌ وَلِيٌّ كَأَنَّهُ عِدَاوَةٌ
228	﴿ فَإِنَّمَا نَكَّتْ فَمَسَ أَيْدِيهِمْ بَرَقَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ يَبَايَعُونَ إِنَّمَا يَبَايَعُونَكَ الَّذِينَ إِنَّ ﴾ ﴿﴾ ﴿ الفتح ﴾ ﴿﴾ عَظِيمًا أَجْرًا فَيَسْتَوِيهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِمَا أَوْفَى وَمَنْ نَفْسِهِ عَلَى يَنْكُتْ ﴿ الآية 10 ﴾
229	﴿ وَأَصِيلًا بُكْرَةً وَسَبْحُوهُ ﴾ ﴿﴾ كَثِيرًا ذِكْرًا اللَّهُ ذُكِرُوا ءَامَنُوا الَّذِينَ يَأْتِيهَا ﴿﴾ ﴿ الأحزاب الآية 41-42 ﴾ ﴿﴾ ﴿ أَلْعَلِيُّ هُوَ اللَّهُ وَأَنَّ أَلْبَاطِلُ هُوَ دُونِهِ مَسْ تَدْعُونَ مَا وَأَنَّ أَلْحَقُّ هُوَ اللَّهُ بِأَنَّ ذَلِكَ ﴾ ﴿﴾ ﴿ الحج الآية 62 ﴾ ﴿﴾ أَلْكَبِيرُ
230	﴿ يَعْلَمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ لِدُنْبِكَ وَاسْتَعْمِرُ اللَّهُ إِلَّا إِلَهَ لَا أَنَّهُ فَبَاعْلَمَ ﴾ ﴿﴾ ﴿ محمد الآية 19 ﴾ ﴿﴾ وَمَثُوبِكُمْ مُتَقَلِّبِكُمْ
238	﴿ الزلزلة الآية ﴾ ﴿﴾ بَرَهُ شَرًّا ذَرَّةً مِثْقَالَ يَعْملُ وَمَنْ ﴿﴾ بَرَهُ خَيْرًا ذَرَّةً مِثْقَالَ يَعْملُ فَمَنْ ﴿﴾ ﴿ 7-8 ﴾

246	﴿قَائِنَهُ رَّسُولٍ مِّنْ إِزْتِجَابِي مَنِ إِلَّا ﴿١١﴾ أَحَدًا عَيْبِهِ عَلَى يُظْهِرُ فَلَا أَلْغَيْبِ عَلِيمٌ﴾ ﴿الجن الآية 26-27﴾ ﴿٢٧﴾ رَصَدًا خَلْفِهِ وَمِنْ يَدَيْهِ بَيْسٍ مِّنْ يَسْلُكُ
246	﴿يُبْعَثُونَ آيَاتٍ يَشْعُرُونَ وَمَا اللَّهُ إِلَّا أَلْغَيْبِ وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ فِي مَنِ يَعْلَمُ لَا فُلٌ﴾ 67.. ﴿النمل الآية ٦٧﴾
247	أَنَا وَإِنَّمَا اللَّهُ عِنْدَ الْآيَاتِ إِنَّمَا فُلٍ رَبِّيَّ مَنِ ءَايَتٌ عَلَيْهِ أَنْزَلَ لَوْلَا وَقَالُوا ﴿﴾ ﴿العنكبوت آية 50﴾ ﴿٥٠﴾ مُبِينٌ نَذِيرٌ وقال
247	﴿تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ مُلْكُ لَهُ، جَمِيعًا الشَّيْبَعَةُ إِلَيْهِ فُلٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ ﴿الزمر آية 41﴾ ﴿٤١﴾
247	﴿وَهُمْ بِالْحَقِّ شَهِدٌ مَنِ إِلَّا الشَّيْبَعَةُ دُونِهِ مَنِ يَدْعُونَ الَّذِينَ يَمْلِكُ وَلَا﴾ ﴿الزحرف آية 86﴾ ﴿٨٦﴾ يَعْلَمُونَ
247	﴿البقرة آية 255﴾ ﴿٢٥٥﴾ بِإِذْنِهِ إِلَّا عِنْدَهُ يَشْفَعُ الَّذِينَ ذَا مَنِ وَقَالَ﴾
247	﴿النمل آية 65﴾ ﴿٦٥﴾ اللَّهُ إِلَّا أَلْغَيْبِ وَالْأَرْضِ السَّمَوَاتِ فِي مَنِ يَعْلَمُ لَا فُلٌ﴾
248	﴿الْغَيْبِ أَعْلَمُ كُنْتُ وَلَوْ اللَّهُ شَاءَ مَا إِلَّا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا لِنَفْسِي أَمْلِكُ لَا فُلٌ﴾ ﴿يَوْمِنُونَ لِقَوْمٍ وَبَشِيرٌ نَذِيرٌ إِلَّا أَنَا إِنِ السُّوءَ مَسَّنِي وَمَا الْخَيْرِ مَنِ لَأَسْتَكْتَرْتُ﴾ ﴿الأعراف الآية 188﴾ ﴿١٨٨﴾
252	﴿سَبِيلِهِ فِي وَجَلِهْدُوا أَلْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ وَابْتَغُوا اللَّهَ بِتَقْوَى ءَامَنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا﴾ 37 ﴿المائدة آية ٣٧﴾ ﴿٣٧﴾ تُفْلِحُونَ لَعَلَّكُمْ
255	﴿يُوسُفُ ﴿١٢﴾ لَصَدِيقُونَ وَإِنَّا فِيهَا أَفْبَلْنَا أَلْتِجَ وَالْعَيْرِ فِيهَا كُنَّا أَلْتِجَ الْفَرِيَّةِ وَسَقَلُ﴾ آية 82.
257	" ﴿١١﴾ الْعَذَابِ أَشَدَّ فِرْعَوْنَ ءَالَ أَدْخَلُوا" [البقرة: 50] ﴿١١﴾ فِرْعَوْنَ ءَالَ وَأَعْرَفْنَا
257	ءَالَ وَأَعْرَفْنَا" [هود: 46]. ﴿١١﴾ صَلَاحٍ غَيْرِ عَمَلٍ إِنَّهُ أَهْلِكَ مَنِ لَيْسَ إِنَّهُ، الأنفال 55 ﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾ فِرْعَوْنَ
257	﴿١٢﴾ الْعَلَمِينَ عَلَى عِمْرَانَ وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ وَنُوحًا ءَادَمَ بِصَلَابِي اللَّهِ إِنَّ﴾ عمران آية 33

257	﴿وِعْرُونَ ءَالَ أَدْخِلُوا السَّاعَةَ تَفُومٌ وَيَوْمَ وَعَشِيًّا عُدُوًّا عَلَيْهَا يُعْرَضُونَ النَّارُ﴾ ﴿غافر آية 46 أَلْعَذَابِ أَشَدَّ﴾
258	﴿القصص آية 08 ﴿ص﴾ خَالٍ عَيْنٍ كَانُوا وَجُنُودَهُمَا وَهَامَانَ بِرَعُونَ إِنَّ﴾
266	﴿﴿٢٦﴾ بَارٍ مِّن مَّارِجٍ مِّنَ الْجَانِّ وَخَلَقَ ﴿٢٧﴾ كَالْبَخَارِ صَالِصِلٍ مِّنَ الْإِنسَانِ خَلَقَ﴾ ﴿الرحمن آية رقم 13-14﴾
267	﴿مِنَ الشَّيْءِ لَنْ يَتَّخِذَهُ الَّذِي يَفُومٌ كَمَا إِلَّا يَفُومُونَ لَا أَلْتَرَبُّوا يَأْكُلُونَ الَّذِينَ﴾ ﴿البقرة آية 275 ﴿ص﴾ أَلْمَسَّ﴾
273	﴿عَمَلٍ مِّن رِّجْسٍ وَالْأَرْزَمِ وَالْأَنْصَابِ وَالْمَيْسِرِ الْخَمْرُ إِنَّمَا ءَامَنُوا الَّذِينَ يَأْتِيهَا﴾ ﴿المائدة الآيه 92 ﴿٢٦﴾ تَفْلِحُونَ لَعَلَّكُمْ فَاجْتَنِبُوا الشَّيْءَ لَنْ﴾
276	﴿الحجرات آية رقم 12 ﴿ص﴾ بَعْضًا بَعْضُكُمْ يَعْتَبُ وَلَا﴾
276	﴿الهمزة آية 01 ﴿ص﴾ لَمْزَةٍ هَمْزَةٍ لِّكُلِّ وَوَيْلٌ﴾
	﴿البقرة آية رقم 194 ﴿ص﴾ الْمُحْسِنِينَ يُحِبُّ اللَّهُ إِنَّ وَأَحْسِنُوا﴾
277	﴿النساء آية 19 ﴿ص﴾ بِالْمَعْرُوفِ وَعَاشِرُوهُنَّ وَقَالَ أَيْضًا﴾
277	﴿مَلُومًا فَتَفْعُدَ الْبَسِطِ كُلِّ تَبَسُّدٍهَا وَلَا غَنَفِكَ إِلَى مَغْلُوبَةٍ يَدَكَ تَجْعَلُ وَلَا﴾ ﴿الإسراء آية 29 ﴿ص﴾ مَّحْسُورًا﴾
278	﴿..النحل آية 90 ﴿ص﴾ وَالْإِحْسَانِ بِالْعَدْلِ يَأْمُرُ اللَّهُ إِنَّ﴾
278	﴿وَأِذَا﴾ ﴿النساء آية 57﴾ وَقَالَ أَيْضًا ﴿﴿٢٧﴾ بِالْعَدْلِ تَحْكُمُوا أَنَّ النَّاسَ بَيْنَ حَكْمَتُمْ وَإِذَا﴾ ﴿الأنعام الآيه 153 ﴿ص﴾ فَبَاعِدُوا فُلْتُمْ﴾
278	﴿وَاتَّقُوا لِلتَّفْوِيءِ أَقْرَبُ هُوَ بِعَدِلُوا تَعَدِلُوا أَلَّا عَلَى قَوْمٍ شَنْعَانُ يَجْرِمَتَكُمْ وَلَا﴾ ﴿المائدة الآيه 09 ﴿ص﴾ تَعْمَلُونَ بِمَا حَبِيبُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ﴾
279	﴿اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاتَّقُوا وَالْعُدُوانِ الْإِثْمِ عَلَى تَعَاوَنُوا وَلَا وَالتَّفْوِيءِ الْبِرِّ عَلَى وَتَعَاوَنُوا﴾ ﴿المائدة الآيه 03 ﴿ص﴾ الْعِقَابِ شَدِيدٌ﴾
294	﴿هود آية 61 ﴿ص﴾ فِيهَا وَاسْتَعْمَرَ كُمْ الْأَرْضِ مِّنْ أَنْشَأَكُمْ هُوَ﴾
295	﴿وَقُلْ إِعْمَلُوا فَيَسِّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرْدُونَ إِلَى عَلِيمٍ الْغَيْبِ﴾ ﴿وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ص﴾﴾ ﴿التوبة آية 106﴾

295	2- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿الملك آية 16.
295	﴿المؤمنون آية 27﴾ ﴿وَوَحِينًا بِأَغِينَنَا أَلْفُلِكَ إِصْنَعْ أَنْ إِلَيْهِ فَأَوْحِينَا﴾
299	﴿الإسراء آية﴾ ﴿تَبْذِيرًا تَبْدُرَ وَلَا أَلْسِيْلَ وَابْنَ وَالْمِسْكِينَ حَفَّهٖ، أَلْفُرْبِي ذَا وَءَاتِ﴾ 26
299	﴿تَعْمَلُونَ كُنْتُمْ مَا تُجْزُونَ إِنَّمَا الْيَوْمَ تَعْتَذِرُونَ لَا كَقَرِوْا يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ﴾ ﴿التحریم آية 07﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
63	«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم....».
82	وقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»
82	و قوله صلى الله عليه وسلم «إن قلوب بني ءادم بين أصبعين من أصابع الرحمان يقبلها كقلب واحد» رواه مسلم
82	وقوله صلى الله عليه وسلم «يقال لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قطقط بعزتك»
82	«الحجر الأسود يمين الله في الأرض»
83	قوله صلى الله عليه وسلم «ما أحد أغير من الله لأجل ذلك حرم الله الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله»
83	قوله صلى الله عليه وسلم «..... فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له: أدخل الجنة»
106	فعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشروهم فيتكلموا»
194	وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون

	لك حمر النعم « «إن الله صانع كل صانع وصنعتة»
204	«سترون ربكم يوم القيامة في قوله صلى الله عليه وسلم كما ترون القمر لا تضامون»
218	«والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ويحيون عباد الله إلا الله ويفشون على الأرض بالنصيحة»
218	" . وقوله صلى الله عليه وسلم « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته، وزاد في عملكم منطقته وذكركم الآخرة عمله»
227	حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَحَوْلُهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِفُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بُهْتَانِ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَمَّا عَنَّهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ»
231	«من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة»
244	«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.... الحديث ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»
244	وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى «إنما أتقبل الصلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتعاضم على خلقي، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي فقطع نهاره في ذكري، ولم يبت مصرا على خطيئة، يطعم الجائع، ويكسو العاري ويرحم الضعيف، ويؤوي الغريب، فذاك الذي يضيء وجهه كما يضيء نور الشمس، يدعوا فألبي، ويسألني فأعطي، ويقسم علي فأبر قسمه أجعل له في الجهالة علما، وفي الظلمة نورا أكلاه بقوتي واستحفظه بملائكتي»
251	« البدلاء بالشام وهم أربعون رجلا، كلما مات رجل، أبدل الله رجلا مكانه، يستسقى بهم الغيث، ويتنصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»
251	«مهلا فإن الله تبارك وتعالى شديد العقاب، فلولا صبيان رضع، ورجال ركع، وبهائم رتع، صب عليكم العذاب صبا، أو أنزل عليكم العذاب»
253	«حدثنا محمود بن غيلان عثمان ابن عمر شعبة عن أبي جعفر عن عمار بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرب البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ادع الله أن يعافيني، قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك : قال : فادعه :

	قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا الدعاء : " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أني توجهت بك إلي ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في »
276	العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة»
276	« لا تحاسدوا ولا تباغضوا»

فهرس المحتويات

	الإهداء
	شكر وتقدير
01	الفصل الأول الشيخ عبد القادر المجاوي عصره وحياته ومصادره في الاستدلال على العقيدة
02	المبحث الأول: عصره
02	المطلب الأول: الواقع السياسي والفكري
24	المطلب الثاني الواقع الاجتماعي، الديني
33	المطلب الثالث : ردود الفعل الأولية (دور المفتيان ابن العنابي وابن الكبابطي في المحافظة على الأوقاف الإسلامية)
41	المبحث الثاني: التعريف بالشيخ عبد القادر المجاوي
41	المبحث الأول ترجمته ونشأته العلمية
41	المطلب الأول ترجمته (نسبه مولده)
43	المطلب الثاني : نشأته العلمية
46	المطلب الثالث حياته العملية وعوامل نبوغه
	المطلب الرابع : آثاره (تلاميذه ومؤلفاته)
71	المبحث الثالث: مصاره في الاستدلال على العقيدة

71	المطلب الأول : القرآن الكريم
85	المطلب الثاني (السنة النبوية
90	المطلب الثالث الإجماع ، العقل ، الفطرة)
97	الفصل الثاني : الآراء العقديّة للشيخ المجاوي
97	المبحث الأول: الشيخ المجاوي وعلم الكلام
98	المطلب الأول : المطلب الأول (اسمه، حكمه ، الحد وأقسامه)
105	المطلب الثاني (موضوعه ، واضعه، فائدته)
107	المطلب الثالث (استمداده ، مسأله ، فضيلته، نسبته، تاريخ .علم التوحيد)
116	المبحث الثاني : الإيمان والإسلام
116	المطلب الأول : معنى الإيمان عند الشيخ المجاوي
118	المطلب الثاني : حكم النطق بالشهادة عند الشيخ المجاوي
119	المطلب الثالث : أقوال العلماء في علاقة الإسلام بالإيمان.
120	المطلب الرابع : علاقة الإسلام بالإيمان عند الشيخ المجاوي
121	المبحث الثالث: صفات الله عز وجل
123	المطلب الأول:الصفات الذاتية أو النفسية: الوجود
125	المطلب الثاني : الصفات السلبية أو التنزيهات
129	المطلب الثالث: صفات المعاني أو الصفات الثبوتية
134	المطلب الرابع: الكلام:
134	تعريفه وأنواعه
144	رد المجاوي على فتوى ابن تيمية في مسألة خلق حروف القرآن.
155	المبحث الرابع:الكسب والاختيار
155	أسباب الاختلاف في القدر
155	المطلب الأول:تعليل أفعال الله عز وجل
156	رأي الفرق الإسلامية
160	آراء الشيخ المجاوي
161	المطلب الثاني الحسن والقبح

161	آراء الفرق الإسلامية
165	رأي الشيخ المجاوي
166	المطلب الثالث الاستطاعة والقدرة
166	آراء الفرق الإسلامية
168	رأي الشيخ المجاوي
170	تكليف ما لا يطاق
170	الآراء في المسألة
170	رأي الشيخ المجاوي
171	وجوب فعل الأصلح
172	آراء الفرق الإسلامية
173	رأي الشيخ المجاوي
174	الإرادة هل تستلزم الرضى والمحبة
174	تعريف الإرادة والرضى
175	موقف الشيخ المجاوي من التلازم بين الأمر والرضى والمحبة وردوده على المعتزلة
177	المبحث الخامس : مذاهب الناس في القدر وتحقيق المجاوي لمذهب الأشعري في الكسب
177	المطلب الأول أقسام المحدثات
178	المطلب الثاني مذهب الجبرية ورد الشيخ المجاوي عليهم
179	المطلب الثالث : مذهب القدرية ورد الشيخ المجاوي عليهم
180	المطلب الرابع : آراء الباحثين حول موقف الإمام الأشعري في الكسب
186	المطلب الخامس : تحقيق مذهب الأشعري
189	المبحث السادس: تحقيق مفهوم الكسب عند الشيخ المجاوي
189	المطلب الأول: تطور مفهوم الأشعري في الكسب (عند تلامذته)
196	المطلب الثاني : شروط تفسير الكسب عند الشيخ المجاوي
201	المطلب الثالث : علاقة الكسب بالهدى والضلال عند الشيخ المجاوي
203	المبحث السابع (الرؤية)

203	المطلب الأول: معنى الرؤية عند الشيخ المجاوي وأدلته
204	المطلب الثاني: تفسيرات الأشاعرة لمفهوم الرؤية
209	المطلب الثالث: موقف الشيخ المجاوي من رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم الله تعالى في الدنيا
210	الفصل الثالث: الآراء الإصلاحية للشيخ المجاوي
210	المبحث الأول: الشيخ المجاوي والتصوف
210	المطلب الأول: تعريف التصوف وأسباب انتشاره في الجزائر
212	المطلب الثاني: أهميته في التغيير
215	ملامح التوجه الصوفي عند الشيخ المجاوي
215	المطلب الأول: التنكية بأنواعها
217	الالتزام بأصول الطريقة:
217	الشيخ
220	المريد
226	العهد
232	السند
241	المبحث الثاني: آراء الشيخ المجاوي في (التصريف في الكون) (الكرامة) (التوسل)، (التبرك)
241	المطلب الأول: التصريف في الكون (الكرامة)
252	المطلب الثاني: التوسل
259	المطلب الثالث: التبرك
263	المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي
263	المطلب الأول: محاربة البدع
272	المطلب الثاني: محاربة الآفات الاجتماعية وأمراض النفوس والدعوة إلى الأخلاق الحميدة
	المبحث الرابع: في المجال التعليمي والتربوي.
282	المطلب الأول: مضمون رسالة ارشاد المتعلمين

285	المطلب الثاني : مسوغات تقسيم العلوم عند الشيخ المجاوي
290	المطلب الثالث: أصول التربية التي حث عليها الشيخ المجاوي في التعامل مع الناشئة
296	المبحث الخامس : في المجال (الاقتصادي، نقد وتقييم)
296	المطلب الأول: في المجال الاقتصادي(قراءة في كتاب المرصاد في مسائل الاقتصاد.)
	المطلب الثاني: المقارنة بين المنهجين الإصلاحيين للشيخين المجاوي ، وابن باديس
324	الخاتمة
334	فهرس المصادر والمراجع
350	فهرس الأماكن والبلدان
351	فهرس الأعلام
353	فهرس الآيات القرآنية
363	فهرس الأحاديث النبوية
365	فهرس المحتويات